

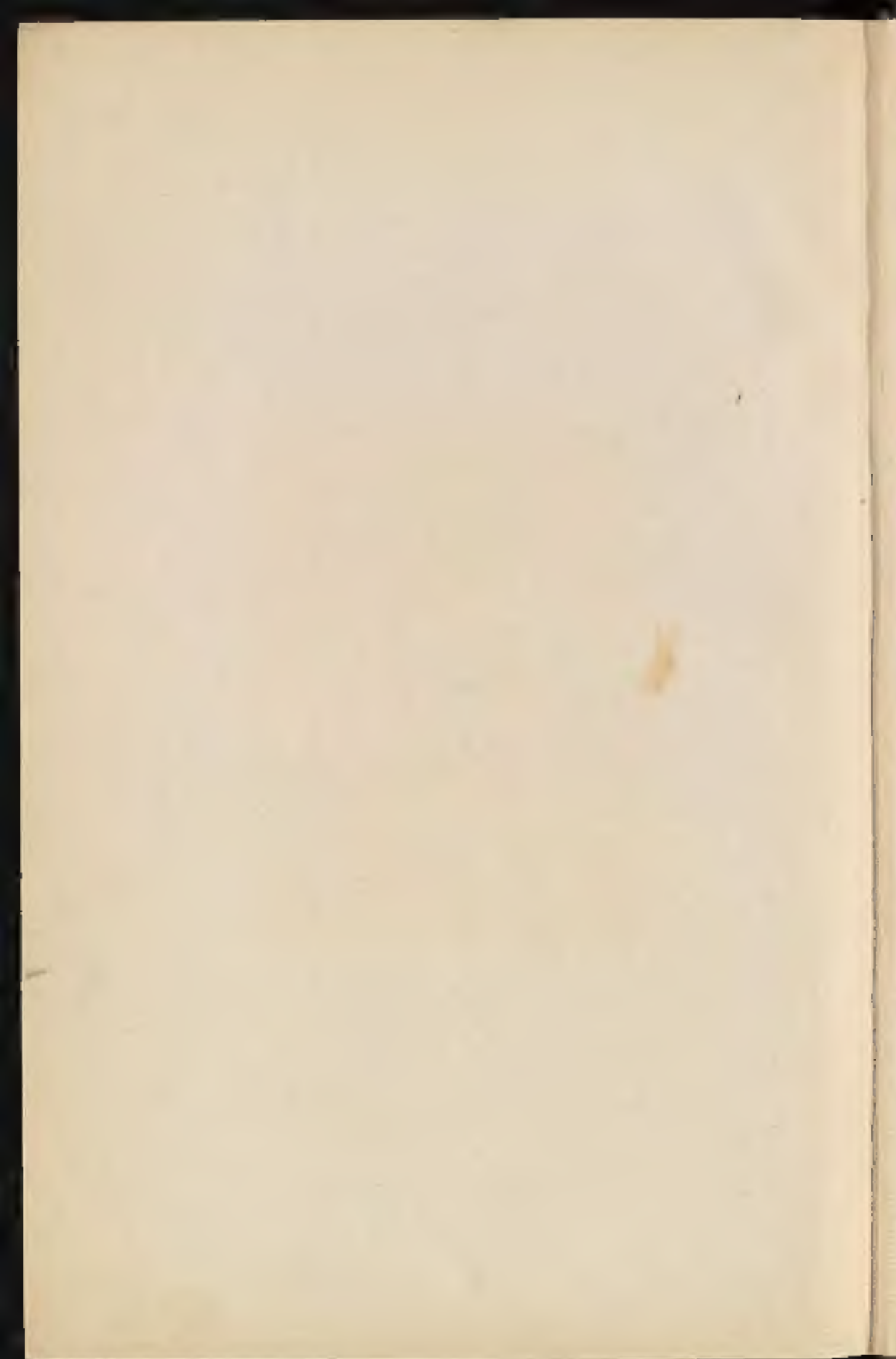


**Columbia University**  
**in the City of New York**  
LIBRARY



Bought from the  
**Alexander I. Cotheal Fund**  
for the  
Increase of the Library  
1896

JUL 29 1930





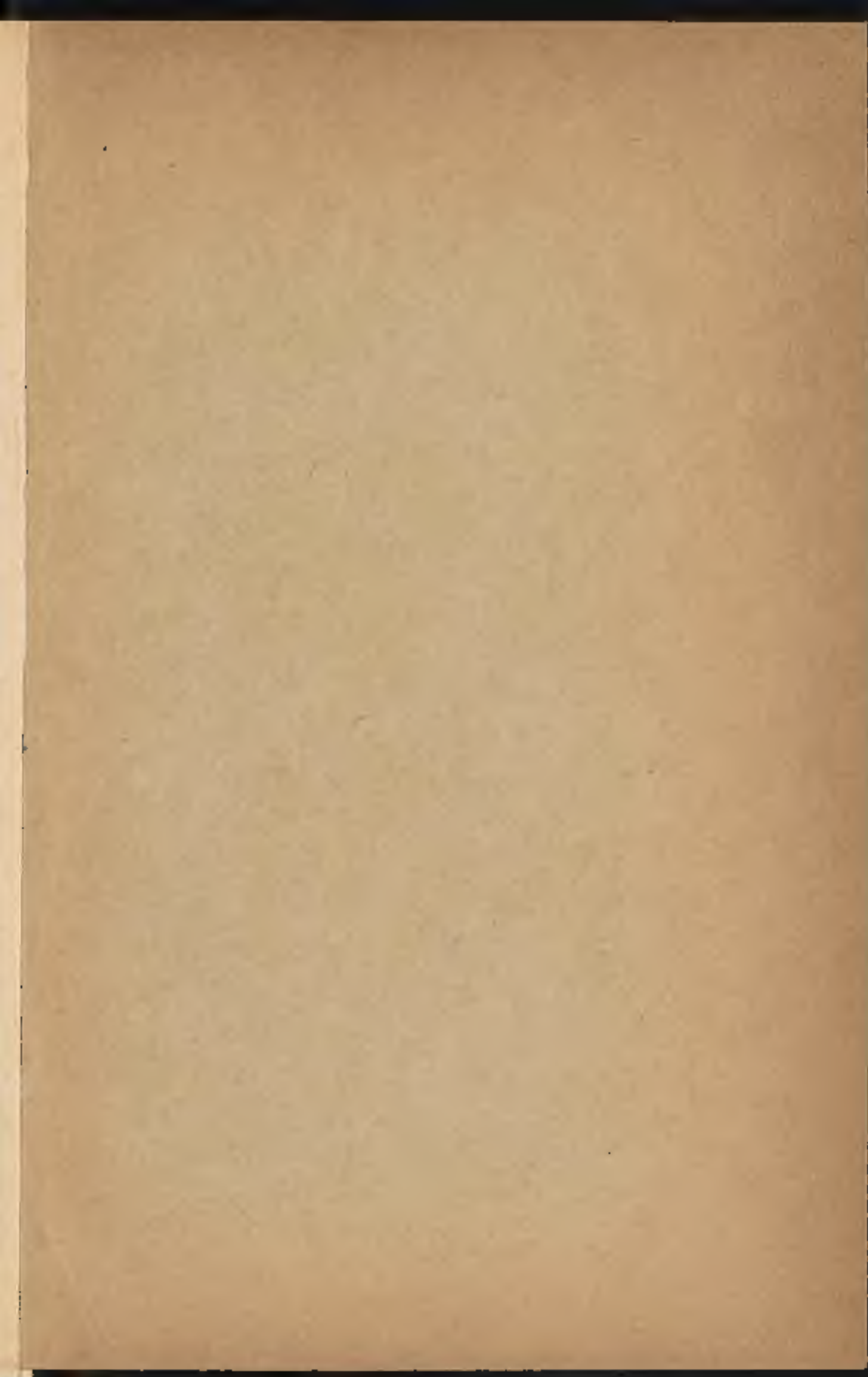
نار في الاسلام

الخلفاء السبعة

تأليف  
عبد الوهاب النجار

القاهرة - ١٣٤٨

عنيت بشيء  
المطبعة السلفية - ومكتبتها





21

تاريخ الاسلام

الخلفاء الراشدين

الكتاب

تأليف  
عبد الوهاب النجار

القاهرة - ١٣٤٨

١٩٢٩

في الطباعة والنشر

عنيت بنش

المطبعة الشافعية - ومكينها

'Abd al-Wahhab al-Najjar  
Tā'rikh al-Islam

30.6234/ v.1

893.791

Ab33

v.1

﴿ حقوق الطبع محفوظة للطبعة السلفية ومكتبتها ﴾



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة في الاسلام

يقول علماء الاجتماع العمراني انه ما اجتمع عدد من الاحياء ، سواء كان هذا العدد من الحيوان أو من بني الانسان ، الا اتخذ له من بين افراده رئيساً يدفعه الجمع لارادته ويهتدي بهديه ويبدل كل فرد نفسه في الدفاع عنه والمكافحة دونه ، واتخاذ الكائنات الحية رئيساً منها أمر طبيعي تتساق اليه بمقتضى الفطرة

قائد الجماعة من بني الانسان اذا كان قد تمكن له الأمر وموطدت سلطته على الجماعة وأوتي من النفوذ ما يحقق له السيادة عليهم ، فنفذ أمره فيهم بمقتضى القهر والغلبة اللذين هما من آثار القوة الغضبية كان ملكاً مستبهاً وغلب على أحكامه الجور والاجحاف بمن تحت يده في أحوال دنياهم ، لما يستتبعه شأن القهر والغلبة من حمل اللبيل على ما ليس في ملوquem من أغراضه ومشتبهاته . ومن البين أن نشوة الملك وسورة التسلط تحملان صاحبها على الأشر في أغلب الاحوال

فاذا كان الملك يرجع في أحكامه الى قواعد يضعها العقلاء ويلزمون الكافة انتهاجها والسير على مقتضاها كان ذلك أرجى لاستقامة الأمر واجتماع الالفة في الجملة ، وان كان الجور ليس بآمون واستقامة الأحوال ليست بمستقيمة  
أما اذا قام قائد الجماعة على أثر نبوة وفي عقيب رسالة وعلى نهج شريعة فقد خص في عرف أهل الاسلام باسم الخليفة ، والمنصب باسم الخلافة أو الامامة تمييزاً لها عن الملك الذي نجر اليه طبيعة القهر وتغلب عليه صفه الجور

كان للرسول ﷺ مهمتان يؤديهما الى الأمة : احدهما - أن يبلغ عن الله ما أمره بتبليغه الى الناس من الأحكام المتعلقة بدينهم ودنياهم وما قصه عليهم من الأخبار والعظات ويبين للناس ما نزل اليهم ، فهو بذلك مشرع عن الله تعالى . الثانية - كونه اماماً للمسلمين يضم قضية الأمة ويجمع كلمتها ويوجهها الى الخير ويبعدها عن مزال الأقدام ومواطن الشرور ، يرجعون اليه في اقصيتهم وحل مشكلاتهم طبق ما أوحى اليه من ربه جل ذكره وما يؤديه اليه اجتهاده فيما ليس عنده فيه وحى ، ثم انه يقوم بتنفيذ تلك الأحكام

ولما كان الله تعالى لم يجعل الخلق لبشر ، وكان الموت خاتمة مطاف كل انسان في هذه الحياة الدنيا ، وقد قبض الله تعالى رسوله محمداً ﷺ الى جواره ، كان من الحكمة أن لا يترك الناس فوضى لاسرلة لهم ( كأقناتم ذئب نام عنها رءؤها ) - بل لابد للشرع من حارس يخلف المبلغ له في اقامته بين الأمة وتنفيذ أحكامه فيهم وهو الخليفة

والخلافة هي النيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وتنفيذ أحكامه وسياسة الدنيا به . والسري في ذلك استحالة حياة أفراد النوع الانساني منفردين ولأن من طبيعة الاجتماع التنافس المفضي الى التنازع لازدحام الأغراض المتباينة فيحتاج الى الوازع وهو الشرع . فقد جعل الله تعالى كمال النظام البشري بالشرائع الالهية يذعن لها الخاصة والعامة ويراهانافندو البصائر في شؤون الاجتماع العمراني حاجة من حاجات العقول البشرية بها يكون تقويم المللكات وتمثيل مزاجها وحملها على القصد من الأمور بلا تقريط في شيء ولا افراط يدمو الى تجاوز الحدود وتخطي المعالم

هذه الشرائع يصطفي الله تعالى من خيرة خلقه رسلا يتلقونها بالوحي عن الملك أو عن الله تعالى ثم يبلغونها للناس ( الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن

الناس) ويضعون للدائنين بشرائعهم (بأمره) حدوداً عامة لا ترهق الناس مشقة في رد أعمالهم اليها - كتنقيح المسكيات والاخلاق والمقائد ، ونحریم الدماء والأموال والأعراض الابطحها - على وجه يحمل كل واحد من الناس على أن يتنفي فيها آتاه الله الدار الآخرة وأن لا ينسى نصيبه من الدنيا ، وإن يرغب فيما عند الله مستشعراً الرعبة من عقابه (إذا حاد عن التبرع التويم) في يوم اشخص فيه القلوب والأبصار

انساق المسلمون بتنفيضة الفطرة التي لكل جماعة من الأحياء الى اقامة من يختلف رسول الله في سياسة أمرهم - فأقروا عليهم خليفة ، ولم يوجد عند الامة الاسلامية أمر من أمورها اختلفت فيه الحكمة وتشبهت بشأنه الآراء بفقدار ما كان منها في شأن انطلاقة - وأظهر مظاهر الاختلاف أمران :

أولهما - البيت الذي يكن منه الخليفة

ثانيهما - شكل الانتخاب أو الطريقة التي يكون بها انتخاب الخليفة

«بيت الخلافة» ان الكتاب الكريم لم يعين بيتاً للخلافة ينتخب الخلفاء من أهله ولا شعباً من شعوبهم ولا قبيلة من قبائلهم . وإنما كان يوجه الكلام الى عموم المسلمين فيما يقرره من الاحكام ويطالبهم بتنفيذها في مثل قوله « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا » وقوله « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » وقوله « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » ومن غير المعقول ان كل واحد من المسلمين يقطع يد السارق أو يقتص من القاتل ، بل المعقول أن ينوب عن جميعهم واحد منهم يتولى ذلك

أما رسول الله ﷺ فقد روى البخاري حديثاً يُسَمِّيه الى معاوية رضي الله عنه يقول فيه : اني سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان هذا الأمر في قرش

لا يهاديهم أحد الا كبه الله على وجهه ما أقموا الدين . وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان » . وفي مقابلة ذلك روى عنه أنس بن مالك قوله ﷺ « اصحموا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زينة » وهي أدلة متعادلة

لم ينته الناس من تجهيز النبي ﷺ ودفنه حتى كان في الناس فريقان لكل منهما رأي في شأن الخلافة : فريق يرى عدم تخصيص الخلافة ببنت من البيوت ، والفريق الثاني يرى تخصيصها

أما رأي أهل التخصيص فقد انشعب الى شعبتين : ( أولاهما ) تخصيص الخلافة بقريش بلا فرق بين بطونها - ( ثانيها ) تخصيصها بالقرابة القريبة لرسول الله ﷺ

وأهل القرابة القريبة في ذلك الحين ، هم العباس بن عبد المطلب من أعمامه وعلي وحقيل ابنا عمه أبي طالب

أما العباس فلم تتطلم نفسه الى الخلافة ولم يعطها ، وأما علي عليه السلام فقد امتاز على أخيه عقيل بأنه كان من السابقين الأولين وليس لعقيل ماله من الهجرة والبلاء في اعزاز الدين والنفوذ من حوزته والمقامات المحمودة في جهاد عدوه والصهر الى رسول الله في البضعة الطاهرة وهي زوجة فاطمة . وكانت وجهة من يخصصون أمر الخلافة بالقرابة القريبة الالفاء بمقاليد الامر الى علي رضي الله عنه دون غيره من بقية قرابة رسول الله الا قريين . أما الذين يرون انها حق قريش فحسب فكانوا جمهور أصحاب رسول الله من المهاجرين وبعض الانصار

وكان رأي عدم التخصيص في الخلافة لجمهور الانصار . فكانوا متطلعين الى أن يكون الخليفة منهم لأنهم أصحاب دار الهجرة وقد آووا ونصروا وآثروا المهاجرين بأموالهم وواسوهم في الضرر اوقموا يرمون وراء رسول الله ويوالون من

والآله ويمادون من عاداء لا يرغبون بأنفسهم عن نفسه وكانوا عينه التي آوى إليها  
 إذ أخرجه قومه نائي اثنين وارسول الله المقامات المحمودة في الشناء عليهم . وقد  
 تلقف هذا الرأي من بعد الأنصار جميع الطوائج الذين كانوا يشقون عصا الطاعة  
 على الخلفاء في آونة مختلفة ويفارقون الجماعات لأسباب يستمكرون بها ويتخذها  
 ذريعة لخلع ربة الأئمة . وفي بعض الأحيان يسمون عليهم خليفة وينادون به  
 أمير المؤمنين كقطر بن الفجاءة وهو رجل من بني نعيم . وقد كانت تسكاة أو تلك  
 القوم فيما آووه أن القصد من امامة المسلمين إنما هو توجيه الأمة الى الخير والسير  
 بهم في سبيل الصلاح والعدول بهم عن الشر وإقامة الدين فيهم واستقرار العدل  
 في الأحكام ، وهذا أمر يحصل بتولية من فيه المقدرة على ذلك والاضطلاع به بقطع  
 النظر عن قومه وقبيلته وحجنتهم في ذلك قوله تعالى « أن أكرمكم عند الله أتقاكم »  
 والذي أراه أن أصحاب هذا الرأي قد يكونون على صواب إذا كان من يختار  
 لهذا المنصب منفرداً بمصيبة تؤيده وتقوم بنصره بحيث تكون غالبية لكل قوة  
 سواها ، لأن الإنسان في أموره لا بد أن يلاحظ الفواعل الطبيعية وما جبل عليه  
 الناس من الانقياد للغالب ذي النفوذ القوي والكلمة المسدوعة والمصيبة القاهرة  
 فإن هذه هي الأمور التي تنهر عقول الجماعات وتقرر ببقية الطوائف على الأذهان .  
 وأما التقى الذي لاحول له ولا قوة ، فإن الناس تنفرض من حوله ولا يمكن أن  
 يظاهر على أمره

أما رأي تخصيص هذا الأمر بقريش فإنه الرأي الطبيعي المناسب لذلك الحين  
 لما وقر في طبيعة العرب من الأفراد لقريش بالفضل والأذعان لها بالسؤدد  
 لا ينازعها في ذلك منازع بخلاف غيرها من العرب فإن قبيلة منها لا ترضى أن تقا  
 عقب قبيلة أخرى وتنقاد لها بأزماتها ، حاشا قريشاً . وقد أبان ذلك أبو بكر يوم

السقيفة بقوله « ان هذا الامر ان تولى الاوس نفست عليهم الخزرج عوان تولى الخزرج نفست عليهم الاوس - ولا تدن العرب لغير هذا الخي من قريش »  
ومن هنا استفتح العلامة ابن خلدون السر في تخصيص قريش بالخلافة وهو ما كان لهم من العصبة والنفوذ الساري في جميع قبائل العرب ويعاونها بمقرفون لهم بالتقدم ولا يتكرون عليهم الرياسة فيهم ويستثنونهم اذا اقتضوا  
فاما الناس ما حاشا قريشا فلما نحن افضلهم فعلا

فاذا كان الخلافة منهم الفت اليه العرب اقباليه ونقطت اسباب المعاذير في الخلاف عليه والنصب له. وقد بنى على هذا الاصل انه ليس يمتنع ان تكون الخلافة في غير قريش اذا ذهبت ربحها وعجزت عن حيازة بيضة الاسلام وكانت المنفعة والقوة لسواها . لان الشريعة مبنية احكامها على العلل والحكم في كل زمن بحسبه اما رأي التخصيص بالقرابة القريبة لرسول الله ﷺ فكان رأي علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ومن تابع عليا على ذلك فما بعد لمكانه من قرابة رسول الله ﷺ . غير انه التفت بمنة ويسرة فلم يجد من يظاهاه على امره ممن يقول ويفعل فغدا به ذلك الى الانضواء الى رأي الجمهور والدخول فيها دخل فيه الناس وذلك بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها لسنة اشهر من وفاة رسول الله ﷺ في بعض الروايات

والذي اراء واعتقده هو ما روى من انه بايعه بعد ايام ، بدليل انه جعله قائدا على بعض المسلمين حين يبت الكفار اهل المدينة وذلك لشهرين من بيعة ابي بكر تولى الخلافة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وهو تميمي قرشي ثم تلاء عمر وهو عدوي قرشي ثم جاء بعدهما عثمان بن عفان وهو انصاري من بني عبد مناف واذعنت الكافة لرأي القائل بأن الخلافة لا تكون الا في قريش واجمع على ذلك اصحاب رسول الله ﷺ والمسلمون كافة وبقي الرأي الاخير ( وهو القائل بتخصيص الخلافة بأهل القرابة



القرية ) مهملا الى أو آخر أيام عثمان بن عفان . فطاف على الحواضر الاسلامية طائف من التفريق وانساب اليها دعاة الفتنة يذهبون الناس الى هذا الرأي وينبشون من خالفه صارخين صاخين : « كيف يُجرّم خلافة الرسول قرايته ! »

يقول غوستاف لوبون : « لمض الافاظ والجل سلطان لا يضعفه العقل ولا يؤثر فيه الدليل ، الفاظ وجل ينطقها المتشكك خاشعا امام الجماعات فلا تكاد تخرج من فيه حتى تعلو الهيبة وجوه السامعين وتمنو الوجود لها احتراما . وكثير يعتقدون ان فيها قوة الهبة الفاظ وجل تثير في النفوس صورة لا كيف لها ولا انحصار محفوفة بالاكبار والاعظام امامها يزيد في قوتها الخفية فهي آلهة لا تدركها الابصار قد احتجبت خلف ( المظلة ) التي ترنم لهيبتها فرائص العابد اذا تقدم نحوها » . وعلى هذا النمط كانت كلمات المفرقين وعلى هذا النحو سار دعاة الرأي الاخير فهاجروا مكان الاحساس من الامة وملكوا على الناس مشاعرهم واسمعوا الناس صوتا مالدوا في المسامع فأطربوهم بما كانوا يرددون من الجمل ويصوغون من العبارات . وربما تخلى بعضهم حدود الدين وتخل علما مالا يتحلى به بشر لينال بذلك فتنة الامة وينجح في الكيد للاسلام

كأنني بالناس في اطراف بلاد الاسلام وقد تلجلج هذا الامر في خواطرهم وان لم تلكه أنفسهم وقد اختمر في نفوسهم واشعرم التشويق اليه ما ارضاهم به عمال الخلافة في تلك الاطراف المنبذة في زعمهم فهي الا ان وجدت مس الدعوة الى هذا الرأي حتى هبت لتحقيقه وانتدب له افواج من الاطراف المختلفة غير حاسبين لعقبي عملهم حسابا . وهذا شأن الجماعات في كل زمان ومكان تندفع بسهولة الى الشر وتتكش في افرادها الذات الشاعرة وتسلط الذات اللا شاعرة . وتعجه المشاعر والافكار بما مل التأثر والعدوى نحو غرض واحد وتنقاد الى فعل ما يخالف منافعها الحقيقية . هذا هو شأن الجماعات في كل زمان

كان تنبه الناس لهذا الرأي وهبوا بهم الى تحقيقه بالقفل سببا لخطوب جسام ومصائب عظام ، فقد سال سبل الجماعات على المدينة فاجتروا في سبيله الخليفة الثالث عثمان بن عفان . وبذلك انبثق على المسلمين سيل من الخطوب لم يتمكنهم منه

ذلك ان دعاة الرأي الاخير والناخبين في هذا البوق رأوا جانبها من أرض الاسلام لا يشمر فيه هذا الغرس الذي غرسوه . بل تيقنوا ان تخطيهم الى تلك البلاد انما هو تخط الى الآخرة فبقى أهلها غير متأثرين بهذا الرأي ولا راضين عن أهله فهبوا لاختاد أنفاسه والايقاع بالفائزين به بلا شفقة ولا رحمة

كان عصارة ذلك ان تصادم أهل الرأيين وفزع كل فريق الى سيفه وما احتجب من رأي ومكيدة وحسن سياسة فظفر معاوية بن أبي سفيان بالخلافة وهو من بني أمية وليس من ذوي القرابة القريبة . وبهذا عاد الامر كما بدأ واستقر الامر على الرأي الاوسط بعد خطوب واهوال يشوب لها فود الزمان

اختنق هذا الرأي قبل ان يبلغ أشده وكنت حياته كونه النار في الحجر كلما وجدت قاذحاً ورت واذا سكنت نوارت ، وأهل هذا الرأي قد استكانوا للحكم السيف ولكن على أمل أن يفتنوا الفرصة اذا رأوها سانحة وان يشيموا بروق الامل اذا رأوها لاحمة

ظل أبناء علي رضي الله عنه يرون خلافة أئمتنا لهم عن رسول الله لا ينازعهم فيه الا ظالم جائر وشيعتهم من ورائهم تحفرهم عليهم وتدفعهم الى المطالبة . فيخرج الواحد منهم بعد الآخر يتهاقون عليه تهاقت القراش على السراج لا يبالون برؤوسهم تطاح ودمائهم تسبح وأنجسامهم تنزوها الرياح . وكان ما كان يحل بهم من القتل الوحشي والتمثيل القريع والتحرير بالنيران والتصليب على الاعواد لا يزيد النار الا استمراءً ويفري اللاحق باتباع آثار السابق . وكان شيعتهم يحقدون بتلك الحوادث مكان القول ذاسمة فيطلقون العنان لاسفهم وقرائحهم في تمثيل

أهل البيت بين مضر ج بدماثة وهارب بدماثة وحريب ومليب ومأسور ومقبور وعقائل بيت الرسول تساق الواحدة منهن سوق السبية الاخيفة . فمن شاء فلينظر الى شعر السكيت بن زيد ومن هذا حدوه فقيه بلاغ ومقنع

والذي اعتقده أن أهل البيت لو خفصوا من عنانهم في سبيل المطالبة ولم ينصبوا أنفسهم هدفاً للولاية والخلفاء لانهم الخلافة منقادة بخطامها لان في طبيعة الرعية حب الجديد والاستغراف الى تغيير الحكم . وفي طال العهد بهم ولا يجدون بهد بني أمية سوى أندادهم من بني هاشم وهم على حل سلامة ووفرة عدد . في حرز امنة ، ولكنهم كانوا يخافون بأنفسهم ومن معهم ويلقون بأنفسهم الى التهاكة ، وكان ذلك يريد خصوصهم قوة الى قوتهم ويحدث نزات وذخولا عندهم للقبائل المختلفة ويريدهم ضمماً وبرقتهم وهنا بقلة عديدهم وفناء الفريق الاكبر منهم لم يكن للعاس معظم في الخلافة كما قدما ، ولم يكن لشعبة أهل البيت نظر

يتوجه الى ابنائه ، وكان قصارى بني العباس أن يكونوا مؤازرين على مظاهر بن لابنائهم في طي الخفة ، على خوف من بني أمية ومنهم أن يعترفهم بسوء غير انه لما توفي أبو هاشم بن محمد بن علي عن غير عقب ، وكان قبلة أنظار الشيعة أكثر من بقية العلويين ، زعم العباسيون حينئذ انه اتى بمقاليد أمر الدعوة الى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فهو العمل على نعاء الدعوة لآل البيت في ظهر أمرهم ويظنون أن تكون الدعوة الى خلافتهم ويحتجزونها دون أهل البيت اذا حق العمل فكانوا يدعون الناس الى مبايعة البضا من أهل بيت رسول الله ولا يبيحون لاحد باسمه زاعمين أن ذلك يوجه نظر بني أمية اليه ويمرضه للقتل والتشريد لمن تابعه . وقد واتهم المقادير على حين فقرة من الحسم في بني أمية والتحلال العرائم في خلفائهم وانشغالهم بالعيش الناعم ولذات الحياة واستماتتهم بالاطراف اقصية من مملكتهم واستغفارهم لما يحدث فيها وكانت الدعوة التي أخذت صبغة هاشمية بعد أن كانت علوية قد قشت في نواحي فارس وخراسان فشوا زائداً واشتغل بنو

العباس فيها بمهارة زائدة وأوردوا ذكر العباس عم رسول الله ﷺ وإشاعة فضله  
وفضل ابنه عبد الله وما له من الذكر النابه عند أولى العلم والتقوى وما للعباس من  
الحق في ارض رسول الله بالصوبة دون سائر ذوي قرابه ، الى غير ذلك من  
الامور التي لقيت بها الدعوة العلوية

وقد وفق العباسيون الى دعاة مهرة ذوي مقدرة فائقة وجرأة واقدام وعندهم  
أبو مسلم الخراساني ، فأدار الامر بحكمة وبأشروا انتفاص الاطراف على عمال بني  
أمية الذين كانوا فدوهم فأداهم الله منهم حتى اذا حق الامر أعلن أبو مسلم  
اسم عبد الله السفاح بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس خليفة لاهل صلحين  
ان وجهه الناس كانت الى العلويين . ولكن لما كان العلويون قد ضعف أمرهم  
كما قدمنا وكفوا أيديهم في الحملة عن مباشرة الدعوة وكان الذي يدير أمر الدعاة  
انما هم بنو العباس وهم من قرابة رسول الله القرية لم يجد الناس غضاضة في الماضي  
على أمرهم بالجدة في نقض شأن دولة بني أمية حتى هوى شانحه وانهار بأذنه

فخل الزمان برهة عن العلويين فجم ذلك الدم الذي كان مطلولا وقوى الضعيف  
وكبر الصغير وفي أنفسهم من أمر الخلافة ما قيموا واشتد جدهم على تراث لم يخرج من  
يد ناهب إلا ليحصل في يد غاسب أشد قوة وأعصل نأبا . فلما آتسوا من أنفسهم  
بعض القوة وأحسوا بشيء من القدرة على المطالبة لم يلبثوا أن نصبوا أنفسهم حراً  
لبني العباس يشادوهم حبل الخلافة . فعادت الحرب العوان الى حلقها الاولى  
وشبت بين الفريقين نار العداوة والبغضاء واستحر القتل في العلويين ومزقوا  
كل حمزق لا تعطف بني العباس عليهم أو اصر القربى ولا تذهبهم عن القتل هم لحمة  
النسب . وكان المنصور والرشيد والموكل أيدي قاسية في أخذ العلويين بالعنف  
وتشاوهم بالعسف حتى كان مجرد اتهام أي رجل من الناس بالميل الى العلويين  
كافياً لاستباحة دمه واستلال روحه من بين جنبه لا يشفع له في ذلك نباهة قدر  
ولا ارتفاع ذكر . وقد كان استواء أحد العلويين في بلد قصي على عرش الخلافة  
مغرياً لبني العباس باستلال نفسه واتحاد ألقامه

فرمض المومنين الى افريقية لما راوا الراسيف يجتاحهم ؛ وشيعتهم تضعف عن حمايتهم وحقن دمايتهم . وبض آخر الى المغرب الاقصى قبل ذلك . لانتباذ هذين القطرين عن مركز صولة العباسيين وسهولة العمل فيهما لبعدهما عن النجدة والاعانة وظاهرهم على ذلك في الخطاء اتباعهم وشيعتهم بتلك الافطار . فاطمأنت بهم الحال واخذوا الامر على هيئته ومازلوا دائبين على العمل حتى أسسوا الدولة الفاطمية في افريقية والدولة الاحريسية بالمغرب الاقصى قبلها . ثم كان لهم دولة اخرى من ملوك الطوائف بالاندلس ببطليوس

وقد امتدت الدولة الفاطمية من افريقية الى مصر والشام وقد قويت شوكتها واشتد بأسها ، أيام ضعف الدولة العباسية وانقسامها الى ممالك بايدي الترك والدليم وغيرهم . الى أن انتهى أمر الدولة الفاطمية على يد صلاح الدين يوسف ابن ايوب سنة ٥٥٦

بقي أمر الدولة العباسية يؤول الى ان ازبأت من بغداد في خلافة المستعصم العباسي سنة ٦٥٤ على يد هلاكو خان حين اجتاح في طريقه ممالك الاسلام بنواحي تركستان وقارص وبغداد

كانت مصر من الممالك التابعة للدولة العباسية التي لم يحسبها المغول في اغارتهم فلما دالت دولة بني العباس ببغداد وصل الى مصر أحد العباسيين قارا من وجه التاتار واسمه احمد ابن الخليفة الناصر لدين الله بن المستنصر العباسي في سنة ٦٥٩ أيام سلطنة ركن الدين بيبرس . فاثبت نسبه وبأيامه السلطان وأهل الحل والعقد بالخلافة ، ثم خرج الخليفة لمقاتلة التاتار والعودة الى بغداد فقتل ولم يزل ما أراد

وفي سنة ستين وصل الى مصر الامام احمد بن علي بن ابي بكر ابن الخليفة المسترشد العباسي وأثبت نسبه وبأيامه السلطان والقضاء وأهل الحل والعقد بالخلافة وهو جد الخلفاء بمصر الى ان جاءت سنة ٩٣٣ هجرية دخل السلطان سليم شاه

العثماني مصر وأزال دولة المايك . وكان الخليفة العباسي بمصر هو الامام  
المشرك على الله محمد بن المستمك بالله يعقوب فاخته معه إلى الاسنانة هو وولدي  
ابن عم خليل وهما أبو بكر وأحمد . وبذلك انتهى أمر الخلافة العباسية بمصر

جاء البيت العثماني التركي واستولى على ممالك كثيرة من ممالك الاسلام ودان  
اقام من العثمانيين بالطاعة أهل تلك الممالك وخفت صوت الخلافة ، وادعى ملوكهم  
على طول الزمان أنهم خلفاء المسلمين ويدعي لهم الناس أن آخر الخلفاء العباسيين  
نزل لاساطار سليم عن الخلافة وبايعه بها ، وهو كلام لم يثبت . ولكن القوم نفذت  
كلهم فيما نمت أيديهم من الاقطار الاسلامية وشهروا بأنهم الخلفاء وعرف أكثر  
أهل بلاد الاسلام هذه السمة واذعنوا لها فهي خلافة بالفعل فقدت البيعة بها  
الشوكة واقوة اذ كانوا أقدر أهل الاسلام على حماية البيعة وتنفيذ الاحكام .

وهذا هو العلة التي استعصمت بها فريش الخلافة في أول الامر

بقي أن أقول ان ما يدعيه أهل البيت من استحقاقهم الخلافة بالارث دعوى  
غير صحيحة لا يؤيد لها من عقل ولا شرع . أما العقل فان هذا الأمر مناطه رعاية  
أمر المسلمين على شؤونهم العامة على نحو ما ينشأ فيما سبق يتولاه من يصلح له  
ويضطلع بأمره . والله لم يجعل أمر المسلمين ومصلحتهم لإرث لأحد . وهذا الكتاب  
بين أيدينا خال من دعواهم ، وهذا علي لم يدع الوصاية من رسول الله على المسلمين  
طول حياته ولم يحتج بهد رسول الله إليه بالامر . وأما الشرع فقد ورد عن رسول  
الله ﷺ أنه لم يقبل من هود بن علي أن يكون له الامر من بعده بل قال : الأمر  
لله يضعه حيث يشاء . ولو كان الامر لله لودى فراشه لجاه به قرآن ، أولئس عليه رسول  
الله ، أو احتج به علي رضي الله عنه

وما كان أبو بكر لينادي على اغتصاب الامر من أهله وي طرح قول رسول الله

ﷺ ظهريا بعد ثبوته لديه وتحققه عنده



### ﴿ شكل الانتخاب ﴾

لم يرد في الكتاب أمر صريح بسقين به الشكل الذي يجب على المسلمين عمله إذا انتخبوا خليفة رسول الله ﷺ سوى الأوامر العامة التي تناول أمر الخلافة وسواء مثل وصف المسلمين بقوله « وأمرهم شورى بينهم » ولم يرد عن رسول الله ﷺ بيان نظام خاص يتبعه المسلمون في انتخاب من يلي أمورهم

والذي يلوح لي أن رسول الله ﷺ أراد أن لا يضع للمسلمين شيئاً أن وافقهم اليوم ولا لم حالهم فقد لا وافقهم إذا تبدلت الأحوال وتغير مزاج الأمة . فلم يشأ أن يرهبهم بأمر يشرعه لهم تكون فيه مظنة المشقة عليهم في يوم من الأيام فوكل ذلك إلى فطنتهم وما لهم من عقل يحلونه في كل آن بالحل الذي يناسبه زمانهم ومكانهم أما طرقهم التي ساروا عليها فهي :

(١) الطريقة الاولى • طريقة الانتخاب الاستشارية : وهي التي اتخذت في انتخاب الخليفة الاول أبي بكر الصديق رضي الله عنه . ذلك أن الانصار اجتمعوا في سقفة بني ساعدة يحيلون الرأي في تولية خليفة بعد رسول الله في اليوم الثاني من وفاته . وعلم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح من المهاجرين بأمر أصحاب السقفة وخافوا أن يبت القوم أمراً فيما بينهم يكون فيه تفريق الجماعة أو ما لا يحب المهاجرون ، فأمرعوا إليهم وبعد حوار بينهم والمراجعة على مشهد من الملائكة تم انتخاب أبي بكر . ولم يحضر هذا الامر من المهاجرين سوى الثلاثة الذين ذكرنا لأن القوم كانوا بين واجم لوفاء رسول الله ﷺ غير مفكر في شيء آخر وبين مشتغل بتجهيزه ودفعه كعلي وبنو هاشم . وإنما تم الامر على هذا الوجه خشية اتساع الخرق بين المهاجرين والانصار وتنازعهم في استحقاقه ، فأراد أبو بكر وعمر عدم انتشار الامر والعمل بالحزم قبل خروجه من أيديهم

وقد نظر المجتتمعون في السقيفة فلم يجدوا من السابقين الاولين من المهاجرين  
الحاضرين بالسقيفة من هو أحق بها وأهل لها سوى أبي بكر لانه رفيق رسول الله  
ﷺ في الفار وصديقه وقد قدمه رسول الله ﷺ للصلاة بأصحابه وهي من أتم المناصب  
وأغلاها قيمة، وكان عمر حريصاً على الامراع في جمع الكلمة قد بدى لمبايعة أبي بكر  
ثم تباه الناس بعد ذلك ولم يخالف عليه سوى علي وفاطمة كما قلنا فيما تقدم وصعد بن  
عبادة الانصاري

يرى المظالم على الشكل الذي حصلت بهبيعة أبي بكر أن الاستشارة في أمرها  
كانت ناقصة نقصاً ظاهراً لأن المنعول في مثل هذه الحال أن يتخذ المسلمون مكاناً  
يجمعون فيه وأن يؤذن الناس به من قبل . غير أن حرص عمر بن الخطاب على  
الامراع في الامر والمبادرة الى لم تشتت المسلمين جعله يتم على هذا الوجه . وقد اثر  
عنه أنه قال : انبيعة أبي بكر كانت فلتنة ولكن وفي الله شرها

(٢) الطريقة الثانية ه طريقة الهدى من الخليفة الى آخر في الامر من بعده :  
وهذه هي الطريقة التي سار عليها أبو بكر رضي الله تعالى عنه في انتخاب عمر بن  
الخطاب للخلافة من بعده بعد أن امر الناس فوافقوه على الرضا بن عهد اليه  
واختاره لولاية أمرهم وقد أعلمهم مر هو الذي اختاره

هذه الطريقة صادفت أن وقع لاختيار من أبي بكر على خير من يكون خليفة  
المسلمين وأشد هم صرامة في الدين وأكثرهم تحريماً للعدل . غير أنها طريقة خطيرة  
اذ لا ثقة لاحد بأن يكون كل خليفة محسناً للاختيار كأبي بكر رضي الله تعالى عنه  
فلا يمكن أن يأمن الناس مفتها لما فيها من احتمال الخطأ في الاختيار

(٣) الطريقة الثالثة ه طريقة الاختيار الشورى : بأن يعين الخليفة في حياته  
أفراداً لينتخبوا من بينهم خليفة . وهذه الطريقة التي جرى عليها انتخاب عثمان  
ابن عفان للخلافة . وذلك ان عمر رأى بعين بصيرته ان سادة الناس وقادتهم

الذين يطلعون الى الخلافة ولا يؤمن انتفاض باقيهم اذا عهد الى أحدهم على طريقة  
ابى بكر . معهم القوم الذين عينهم ليختاروا واحدا منهم ويختفى على المسلمين أن  
تفترق كلمتهم اذا افتقرت بهؤلاء القوم لأن المسلمين لم تبع . فاراد أن يعفي الامة  
من نشيبت الآراء ورد الامر الى هؤلاء . التفر الذين يخاف على المسلمين منهم ولا  
يخاف عليهم من المسلمين . وكانوا سنة ووضع لهم نظاما يسرون عليه في اختيار  
الخليفة من بينهم . وذلك ان يجتمعوا بعد وفاته في حجرة عائشة رضى الله تعالى  
عنها ويختاروا الخليفة في مدة لا تزيد على ثلاثة ايام وحتم عليهم الاخذ برأى  
الاغلبية وان على الاقل الانصياع الى ما رآوه ومن ابى وخالف استحق القتل واذا  
نسأت الاصوات اخذوا رأي عبد الله بن عمر على ان لا يكون له من الامر شيء .  
ولا يصح أن يكون مُتَخَبِّأً . فاذا لم يرضوا برأى عبد الله بن عمر كان الرجوع  
رأى الجماعة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف

وهذه الطريقة مبدأ نظام صالح لو تناوله المسلمون بالتحسين ، وان لم تكن  
وافية بكل غرض . وما سنة من بقاء القوم ثلاثة أيام لانتخاب واحد منهم يشبه  
بعض الشبه ما يفعل اليوم في اختيار خليفة البابا اذا مات . فاتهم يجمعون الكرادلة  
في مكان واحد بمنعوتهم الاكل والشرب الى أن يتمخروا منهم البابا الجديد

ومن نظر الى هذه الطرق الثلاث التي جرى عليها انتخاب الثلاثة الخلفاء  
لم يجد ما يمكن أن يكون نظاما مستوفى . ولم تلزم الامة بشيء من ذلك اذ لم يعرف  
في القاعدة الاولى من لهم حق انتخاب الخليفة : أم الامة بأسرها ، أم هم أشخاص  
مخصوصون . واذا كانوا أشخاصا مخصوصين فمن هم ، وما هي الصفات التي يلزم  
توفرها فيهم ؟

يقول شراح قاعدة الانتخاب الاولى : ان الذين لهم حق الانتخاب هم أهل  
الحل والعقد . وهو أمر غير مدرك الحدود ، لان سامع هذه الكلمة لا يدري من

أهل الحل والعقد ؟ هل هم قواد الجيوش أو ولاة الامصار أو أعيان الامة ؟  
أو غير هؤلاء من العلماء والقضاة وغيرهم ، وذلك لم يبين . وعلى ذلك فمن في نفسه  
بقية من التطلع الى الخلافة يجد مجالا لاطمن على خلافة من يمين بها كما حصل من  
معاوية عند ما ولى على الخلافة

اما الطريقة الثانية فقد ينشأ ما فيها من الخطر وما قد يعثرى العامل بها من الخطأ  
وأما الطريقة الثالثة فهي عبارة عن أن يعهد الخليفة الى واحد لا يعبئه من  
أناس محصورين يختارهم الامام . وهي مساوية للطريقة الثانية وليس كل عصر  
عصر عمر ولا كل خليفة ينظر للامة بنظر عمر

يوم بعد ذلك اهل بن أبي طالب بالمدينة حين قدم عليها النوار وأهل الشغب  
من أطراف بلاد الاسلام قتلوا عثمان وبايعوا علياً وبايعه حاضرو المدينة من  
أصحاب رسول الله والتابعين . فوجد بعض أهل البلاد الاخرى مطعناً على خلافة  
علي ولم يرضوا بما رضى به الناس ورأوا أنفسهم في حل من متابذته اذ لا يعبئه له  
في أعناقهم وان البيعة لم تلزمهم بفعل أهل المدينة . والامة لم يسبق لها ان سمعت  
احتجاجاً كهذا ، بل كان الخليفة يولى بالمدينة فبطيمه أهل الامصار فكان هذا  
حجته عليهم وقد يقال ان في هذا المذهب اهداراً لاصوات أهل الامصار وغيرهم  
النائمين عن المدينة وهم بلا شبهة من أهل الحل والعقد وقد يكون عدد الناس  
والامر لم يوضع له نظام . وهذه الجمل نحمد لها مساهمة الى الاسماع ومنفذاً الى النفوس  
نبت هذا الرأي في الشام ووجد تربة صالحة فيما وائر وقم على رضى الله  
عنه لتأييد رأيه ونثبت بيعة والنقي الجماع بصفين وعلى يحمل في يده قرابته  
من رسول الله ﷺ وما يستمسك به من بيعة وفود الامصار وحاضري المدينة فلما  
لفتحهم الحرب بسموها لجأوا الى التحكيم فيما شجر بينهم من الامر . فانتخب كل  
فريق رجلا لينظر الرجلان فيما شجر بين المسلمين

والذي أراه ان القوم كانوا حديثي عهد بالتوثيقات ووضع الانظمة فلم يحدد موضع النزاع تحديداً كافياً شافياً ولم يبين مرجع الحكم بياناً يرفع النزاع . بل وضعوا عقد التحكيم بالفاظ عامة يحدد من يريد التحالف ألف سبيل وسبيل لتأويلها . فكان هذا التحكيم أشبه باللهو واللمب

تجاوز الحكمان « عينا لأجله من الحكم في الأمر الذي دهم فريق المسلمين وتكلما في خلع كل واحد من الحكامين صاحبه ، وكان للخداع والدهاء أكبر حظ من الفجاح اذا فرط عقد جند علي ونشر عليه أصحابه ولم يزل معاوية جميع الأمر أما أصحاب معاوية فقد رضوا بهذه النتيجة التي آلت الى تثبيت صاحبهم في مركزه وخلع علي من الخلافة

وأما أصحاب علي ففريق تناقل عن نصرته وفريق خالف عليه وعلى معاوية ورأوا ان التحكيم الذي كانوا يرونه واجباً من قبل انما هو ضلالة ومروق من الدين ، أو انك القوم هم الطوارج . فقد نصبوا أنفسهم لعداوة علي ومعارضة معاوية واتخذوا لهم شعاراً هو قوله . لاحكم الاله . وصاروا يبنون عنبرهم في مفاوqe علي ومجاهرته بامداوة على مقدمات يزعمونها ويخلصون منها الى تكفيره وتضليله ووجوب الذوبة عليه حتى يعودوا الى مناقشته على أمره

فيقولون ان الخليفة المختار معين من الله تعالى ، فلا ينبغي له أن يشك في أمره ولما كان علي هو الخليفة الحق وقد حكم الناس في أمره فقد شك ومن شك فقد ضل ومن ضل لا يصلح للخلافة . وبمضمون يوجب استنابته وتبديد اسلامه . وأما معاوية فلما تعرض لما ليس له بحق فقد ضل فلا يصلح للخلافة

انقذ هؤلاء القوم ناحية وروجوا مقاتلتهم بين الناس قما عدهم وكونوا لهم جماعة أعطوها الحق في انتخاب الخليفة وأذاعوا فيمن ضوى الى رأيهم ان مخالفهم في الرأي كفر ، واستباحوا دماء الناس وأموالهم ، واندفعوا يقتلون بلا

رحمة ولا شفقة . ولم يكن لدعوتهم حدود معينة ولا معالم يقيمون اليها ولا غاية يبغون الوصول اليها ، فانتشر أمرهم واختلقت كلهم وجهة الخلفاء في استئصالهم وتبليغهم بين جميع الارض وبصرها وانها لوالا عليهم بما عندهم من حول وطول حتى قطعوا دابرهم وأبادوهم بعد حروب حاصدة ووقائع تشيب لها الولدان . ولم يمد على الاسلام من عملهم منفعة ، ولم تكن الامة سوى الولايات والحرب . ولم تزل لهم بقية الى اليوم بالمغرب وجزيرة العرب وسواحل المحيط الهندي

وعلى كل حال فقد انتهى الأمر باستقرار معاوية في الخلافة ومضى علي الى ربه وكان الفوز للسياسة والدهاء . وهنا نقول : لو كان للخلافة قانون منبع أوقعة بحجب السير عليها في انتخاب الخلفاء لوقي المسلمون التهور في هذه المزال الخطرة ولساروا على الحادة

وليس للمؤرخ من حيث هو مؤرخ أن يرجح احدي البيعتين على الأخرى لان كلاما من الرجلين قد بايحه جمع من المسلمين ولم يتخط في عمله حدودا مرسومة يعد متجاوزها ظالما . أما كون أحد الرجلين أولى من الآخر لميزات خاصة أو صفات جليلة لا توجد في الآخر فهذا أمر آخر مناطه التقدير ، وينبغي لمن يبت فيه أن يرجع الى الاوصاف التي تشترط في الخليفة ليرى أي الرجلين أكثر جمعا لتلك الصفات . ولما لم يكن في الشرع بيان شيء من هذا رجع الامر الى تكافؤهما في القوة وكثرة الاعوان والانصار ، وهي الامور الطبيعية التي لا يباغي غض النظر عنها ثاقا قدمنا

استتب الامر لمعاوية وهو أول خلفاء بني أمية . وكان حريصا على أن يكون الامر في بيته فأخذ للامر عدته وأوفد ولادة الامصار في حياته واستشارهم في انتخاب خليفة يلي أمر الناس بعده ، معللا احتياطة هذا بخوفه على المسلمين أن تفشو فيهم الفتن . وقد كان بعض الولاة يعلم ما يرمي اليه فيأبى الى قصده وحسن له أمر



تولية ابنه يزيد ولاية العهد واصفق بنية الولاية ومن معهم على هذا الامر وكسب له بذلك العهد . وقد اتخذ هذا السبيل غيره من بني أمية يعهدون بالامر من بعدم لابنائهم أو اخوتهم أو ابناء عمومهم . وقد كان معاوية يحاذي في فعله ما كان من أبي بكر في تولية عمر من بعده غير انه لامتناسبة بين الفعلين فان معاوية أما آخر ولده وحباؤه ، مكانه من الاتصال به . وأما أبو بكر فانه لم ينظر في عمله الا لمصلحة المسلمين ولم يؤثر بالامر تسمية أو قريباً لنسبه أو قرابته . فاهمك أن معاوية - بإيثاره ولده يزيد وتخطيه في عمله رقاب جلة الصحابة والتابعين وأصحاب السابقة والفضل من الامة - أوجد في عمله مفعراً لقطاعين واقسح الكلام لامل الاقارب فنبه بعمله هذا المطامع النائمة فهبت ربيع الثورات بعد موته وقام الظالمون في الخلافة ينازعون يزيد حبلها الى أن مات والامر على حاله وقد عهد الى ابنه معاوية الثاني بالامر بعده وكان رجلاً ضيف النخبة مشغلاً بالمباداة فالتقى الامر الى المسلمين يختارون من شاموا الى أن استقرت في مروان وبنيه وقد ساروا في أمر الخلافة سيرة معاوية : رجا عهد الواحد منهم بأمر الخلافة الى واحد من أولاده أو اثنين منهم أو واحد منهم وآخر من بقي عمومته وقد جرت سنة الله تعالى أن لا يلى ولاية العهد اثنان الا جر ذلك نزاعاً وشقاقاً . فان أولهما كان يميل الى نزع الامر من ثانيهما لا اعتقاده انه يحدث نفسه في تعجيل الامر لنفسه ، أو لان الاول يؤثر ابنه على أخيه فهو يريد ازالته وتنحيته عن ولاية العهد بكل سبيل ، أو بغير ذلك من الاعتبارات . فقد جهد عبد الملك في تأخير أخيه عبد العزيز والافضاء بالامر من بعده الى ابنه الوليد . وولى سليمان بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز ثم أخاه يزيد ولاية عهده ، فكان عمر يتألم من أن يلى يزيد أمر المسلمين من بعده . ولولا ان عاجلته الميتة لاخرجه من ولاية العهد وعهد بها الى رجل من غير بني أمية . والامثلة سوى هذه كثيرة

ذهبت بعد ذلك الدولة الاموية لطيتها وجاءت الدولة العباسية ، فترسم  
العباسيون في ولاية العهد خطوات بني أمية حقبة من الدهر ، الى أن ذهب شبابها  
ووافاقها دور الضعف والهرم ، صار الخليفة ليس له من الخلافة سوى الاسم والامر  
في كل شيء في أيدي المتغلبين من الوزراء والقواد والمسلوك الذين انتقصوا الدولة  
من أطرافها وأقاموا لهم منها ممالك ففسدوا بأيديهم على اعنتها فكان أمر الخلافة في  
أيدي هؤلاء المتغلبين وليس الخليفة منهم صرف ولا عدل

لم يحفظ الخلافة الاسمية في ذلك الزمان في البيت العباسي الا ما وقر في نفوس  
الناس أن حكم الحاكم لا يكون الا بهد من الخليفة ليكون عمله وحكمه جاريا على  
مقتضى الشرع الشريف ، فكان الخليفة يولى في مكانه ليعطى الحكام والملوك  
المهود التي تكسب عملهم الصفة الشرعية ، ولم يكن بين المسلمين في ناحية بقداد  
بيت يسامي البيت العباسي في تباهة الشأن لما كان له من قدس الملك ونفوذ السكامة  
والسلطنة ، فهذا النفوذ عند سلطانه اسكل شيء قديم ، والروعة التي لهذا البيت بحكم  
الاستمرار ، وعدم حاجة الملوك الى تغيير هذا الطراز من الخلفاء الذين يرضون  
بالاسم من الخلافة ولا يعارضون في شيء من أمور الملك . أقول : لولا هذه  
الاعتبارات لزالَت الخلافة في تلك الايام ولم يبق لها اسم ولا رسم

جاء الملوك من أهل البيت العباسي الفركي وانتحلوا اسم الخلافة بعد فتح مصر  
سنة ٩٤٢ يزمن طویل والتموم قدر تسوا أمر الملك وجعلوه لا أكبر موجود من أهل  
ذلك البيت ، فصار هذا النظام متبعاً في شأن الخليفة منهم الى أن جاء مصطفى كمال  
ناشاً والنقى الخلافة من البلاد في شعبان سنة ١٢٤٢<sup>(١)</sup> وقد أدى هذا الترتيب الى منازعات  
كثيرة صفكت بسببه دماء غزيرة من أهل ذلك البيت ، فان بعض ملوكهم كان  
يعمد بعد توليته الى استئصال اخوته وذوي قرابته ليخلص الملك ابنه . ولكن

لما كان لهم نظام يسرون عليه في شأن من يلي الأمر ، فقد حفظ أمر الخلافة والملك في هذا البيت الى العهد الاخير

أما الذين يقولون بأن الخلافة حق من حقوق أهل البيت العلوي فانهم كانوا يجرون عليها حكم الوراثة فيجعلون الخطيئة أحد أبناء الخطيئة المتوفى وبخضوع بذلك أكبرهم . وقد ساقط الفرقة الاثني عشرية ( وعلى مدعيتهم جمهور أهل فارس اليوم ) الخلافة في بني الحسين بن علي ، ومحمداً علياً ومن يليه الأئمة ، وكانوا اثني عشر آخرهم المهدي المنتظر الذي تقيب بسر داب بداهم بالحلة وأنه يجي . آخر الزمان ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً

وانعير الاثني عشرية طرق أخرى في سوق الخلافة . وعند الشيعة في تفصيلاتها اختلاف كبير يخرجنا تابع الكلام فيه عن القصد

للاستاذ الحضري كلكه جليلة في إحدى محاضراته سألها في أمر الخلافة ، وما كان بين علماء الاسلام من البحوث المختلفة في شأنها نسوقها مع بعض تغيير كلما رأينا لزوماً لذلك من زيادة ايضاح أو نحوه ، قال :

لم يكن يحمل الخلاف في زمن من الأزمان الا بالقوة وهي التي تجعل صاحبها صاحب الحق . والناس في كل زمان يؤهلون القوة ويجعلون باطلاً حقاً ويحقرون الضعف ويجعلون حقاً باطلاً

تناول العلماء في الدولة العباسية مسألة الخلاف وأدخلوها ضمن مباحث العقائد الدينية . ويخيل إلينا ان أول من وضعها هذا الموضع كان يرى رأي الشيعة فان الخلافة عندهم من أمور الدين ثم جبر إليها المتكلمين وصار أمرها موضوعاً جدلياً كغيره من المسائل الدينية ، وكان النزاع يدور بينهم على ستة أمور :

(١) وجوب نصب الامام : أهو واجب على الأمة من طريق السمع كما هو رأي الجمهور ؟ أو من طريق العقل كما هو رأي المعتزلة والزيدية ؟ أو من طريقها

معاً كما هو رأي بعض المعتزلة ( وأراني الى هذا أميل )<sup>(١)</sup> أو على الله لحفظ قوانين الشرع كما هو رأي الامامية ؟ أو على الله ليكون معرفاته وصفاته كما هو رأي الاسماعيلية ؟ أو لا يجب كما هو رأي بعض الخوارج ؟ أو يجب عند الامن لا عند الفتنة كما هو رأي هشام القوطي واتباعه ؟ أو يجب عند الفتنة دون الامن كما هو رأي الاصبغ ومن شايحه من المعتزلة ١

(٢) شروط الامام : وقد ذكر واشروطا لاختلاف فيها وهي - أن يكون شجاعا ليغزو بنفسه ويدالج الجيوش ويقوى على فتح البلاد ويحمي البيضة . وأن يكون أهلاً للقضاء : بأن يكون مسلماً مكلفاً حراً ، عدلاً ، ذكراً ، مجتهداً ، ذا رأي وصمم وبصر ونطق . ومنها شروط فيها خلاف : كالقرشية عند الجمهور . والهاشمية عند الشيعة ، والعلم بجميع مسائل الدين وظهور معجزة على يده عند بعض الشيعة ولما رأى القاضي أبو بكر الباقلاني ما عليه عصبية قريش من الاضمحلال واستبداد ملوك المعجم على الخلفاء أمقط شرط القرشية ، وإن كان رأيه هذا موافقاً لرأي الخوارج . وقد بقي الجمهور على اشتراطها وصحة امامة القرشي ولو كان عاجزاً عن القيام بأمور المسلمين

وكانني بأهل هذا الرأي يرون ان الخلافة التي أوجب الشرع اقامتها يكتفي في سقوط الائم بأخذها على السبيل الذي تتخذ عليه الآثار القديمة والساديات في المتاحف ، ولا أخفى عليكم ان هذا ليس معجباً لي ولا نيل اليه نفسي

(٣) ما ثبت به الامامة : وهو النص من رسول الله ﷺ أو من الامام الموجود ربيعة أهل الحل والمقد ، خلافاً للشيعة . ثم قلوا لا يحتاج الامر الى اجماع أهل الحل والمقد بل يكفي الواحد والاثنتان ، وقل بعضهم لا بد أن يكون ذلك امام بيعة عادلة . وهل يجوز تعدد الأئمة أو لا يجوز ؟ وهل يجوز خله ولاي شيء يكون ؟

ولا يخفى ان وجوب الاخذ ببينة واحد أو اثنين فيه خطر واقتيات على أهل  
الخل والعقد ، والمقول أن يكون ذلك باصفاق أكثر من حضر منهم على البينة .  
وأما جواز تعدد الأئمة ففي النفس منه شيء ، معها احتياج المجيزون له برأي  
الاطرف واحتياج البلاد النائية الى قوة تضبط نواحيها وتؤمن فجاجها ونحو  
ذلك من الجميع لان هذا يحصل باختيار الكفاءة من الولاية

أما الامام اذا بويع فانه لا يجوز خلمه لنحوق لما في مفارقة الجماعة بالخرع  
على الامام من الخطر وسفك الدماء والمفساد . ولكنه اذا كفر فلا رخصة في  
الابقاء عليه بل لابد من خلمه . ومثل ذلك اذا أُجِن

ولا يذهبن عليكم أن القول بدم خلم الامام بالنسق قول لكثير من أصحاب  
رسول الله عليه السلام فقد كان جمهور المسلمين على هذا الرأي في خلافة يزيد  
وكثير من الصحابة يسكنونه في بلده ولم يجرؤوا ساكناً بمنزله حتى بعد أن قتل  
الحسين وهو مبطل رسول الله ﷺ

وفريق يرى خلاف هذا الرأي كالحسين بن علي ومن تابعه وذلك اجتهاد مهم  
(٤) من هو الامام الحق بعد رسول الله ﷺ : هو أبو بكر ، أم علي ؟  
ومعلوم أن الجمهور من المسلمين يقولون انه أبو بكر . وأما الشيعة فيقولون ان  
علياً مسمى من قبل رسول الله ﷺ قبل وفاته . ويدعون لذلك حديثاً هو ان  
النبي ﷺ قال لعلي « أنت أخي ووصيي وخليفة من بعدي » وأنا لا أذهب بكم  
بيداً . بل أقول ان رسول الله لو كان قد قال هذا القول لاحضج به علي يوم بويع  
أبو بكر واستشهد على ذلك بالمسلمين « واني لأربأ بعلي رضي الله عنه ان يكون قد  
عمل على خلاف أمر رسول الله ﷺ فبايع أبا بكر وهو ليس بالامام الحق ثم بايع  
بعد ذلك عمر ثم عثمان

(٥) من هو أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ : ومعلوم ان جمهور المسلمين

على انه أبو بكر الصديق . والشيعه على انه على بن أبي طالب . وأما نحن فنقول علم ذلك عند النبي يعلم سرهم ونجواهم ويبدع تقليب قلوبهم له الحكيم في ذلك وهو على كل شيء شهيد

(٩) ما حكم امامة المفضول مع وجود الفاضل ؟ ولا شك أن الجمهور يقولون بأن الامامة تكون حينئذ صحيحة وحجتهم رضا الصحابة رضوان الله عليهم وسكونهم على بيعة يزيد بن معاوية مع وجود من يفضلونه منهم ومن التابعين . وأما الشيعة فيقولون بعدم صحة بيعته

وعلى الجملة كانت هذه المناقشات مع حديثها وغوصها على معان جميلة شريفة في بعض الاحيان ، عديدة الجدوى من الوجهة العملية ، لان هؤلاء يتجادلون بأسنة الاقلام في مدارسهم وعلى صفحات كتبهم ، وأولئك يُحكَمُونَ حد الحسام ولا يلقون بالا تلك المناقشات كان شأنها لاهمهم

و (السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب ) والخلاصة ان مسألة الخلافة الاسلامية والاستخلاف لم تسر مع الزمن في طريق يؤمن فيها العثار . بل كان تركها على ما هي عليه من غير حل بين الحدود قرضاء الامة وتدافع عنه سبباً لاكثر الحوادث التي أضنت المسلمين وأوجدت ما صيرد امام أعيننا من أنواع الشقاق والحروب المتواصلة التي قلما خلا منها زمن سواء كان ذلك بين بيتين أو بين شخصين ام . من محاضرات الخضري بزيادة وتغيير





## نوع الحكم في الخلافة الإسلامية

إذا تخيلنا جانبى الافراط والتفريط في شأن الخلافة الإسلامية واتخذنا رأي الجمهور نظاماً للحكم في الخلافة ظهر ■ بذلك نوع غريب من أنواع الحكم ان الحكومات التى عرفت الى اليوم أنواع :

(١) حكومة يكون الملك فيها مستبدًا ، أمره قانون منيع وشرع مطاع لا يراجعه أحد ولا يستشير أحداً . وهذه هي الحكومة الاستبدادية ويسمونها حكومة ( أوتوقراطية ) أى حكومة ذاتية

(٢) حكومة ينتخب الملك فيها من بيت خاص سواء كان ذلك على انشاء منيع أولاً . والملك فيها ليس مقيداً باقتراح مجلس من المجالس ، مع وجود مجالس للتشريع ومن الانظمة وابداء الرأي في مهام أمور المملكة . وأعضاء هذه المجالس تلتخبها الأمة على قاعدة متبعة ، كانت الحكومة ( أرسوقراطية ) أو حكومة الاعيان (٣) إذا كان الملك ينتخب من بيت خاص ، ولكنه لا شأن له بأمور المملكة سوى امضاء المعاهدات والاوامر ، وأما شؤون المملكة فالذي ينظر فيها مجالس تلتخبها الأمة ، ولا يتأقني للملك أن يبيت في أمر لا يرضه على تلك المجالس وابداء الرأي فيه وما يستقر عليه رأى المجلس بمضيه الملك ، كانت حكومة شعب ويمبر عنها بقولهم ( حكومة ديموقراطية ) وقارة بعبرون عنها بحكومة شورية

(٤) حكومة يكون فيها الرئيس منتخباً من بين الشعب دون بيت خاص ، ويكون انتخابه بواسطة مندوبين من الأمة على نظام خاص لمدة معينة - كثلث سنين أو خمس سنين - ومعهم مجالس تنوب عن الأمة ينتخب أعضاؤها بواسطة الأمة تنظر هذه المجالس في كل شيء والرئيس مقيد بأمرها لا يبيت شيئاً دونها ،

وليس له إلا امضاء القوانين والاوامر التي استقر عليها رأى المجالس بمقتضى الدستور المتبع ويمضى المعاهدات الدولية ونحوها ، وليس له تصرف في مالية الأمة أو نظامها ، فهذه تسمى حكومة جمهورية

\*\*\*

أما الخلافة الاسلامية وان اختص الخليفة بأن يكون من قريش ، ولكن قريشا بيوت كثيرة جدا ، فهي أشبه بأمة ولا يختص بالخلافة بيت من بيوتها دون بقيتهم ، وأيضا فإن الذي ينتخبه رجال الحل والعقد وهم جمهور ذوى الرأى همى من هاتين الجهتين تأخذ شيئا من الحكومة الجمهورية ومن حيث ان الخليفة يُلحَظُ في انتخابه الدوام دون أن يكون ذلك الى زمن معين يكون معزولا عن الخلافة بانتقائه ، تأخذ شيئا من الحكومة الملكية ومن حيث أن الخليفة مفيد في اتباع احكام نصوص الكتاب الكريم والسنة النبوية وأن يقاس النظر على نظيره في الحوادث وما أجمع عليه أهل الحل والعقد مما ليس في كتاب ولا سنة ولم يوجد له نظير يأخذ حكمه ، وليس له أن يضع شرائع من تلقاء نفسه وتأخذ شيئا من الحكومة الدستورية أو الشورية أو ( الديمقراطية )

وحينئذ يمكننا أن نقول في تقريب وصفها مع شيء من النجوز والتساهل في التعبير : انها ( حكومة ملكية موحدة النظام لها بعض الشبه بالجمهورية )



## انتخاب أبي بكر

لا يجهل أحد أن الانتصار انما هم الأوس والخزرج . وهما شعبتان كان بينهما في الجاهلية ما يتندر أن يكون مثله بين بني أب . وكان الخزرج أكثر عدداً ، وكانت الرياسة لسعد بن عباد من بني ساعدة وهو أحد النقباء . وكانت دار سعد مما يلي سوق المدينة وعندها سقيفة كانت بالقرب من داره .

لم يلبث الانتصار بعد وفاة النبي ﷺ أن توافوا إلى سقيفة بني ساعدة ليدبروا راجعهم في شأن من يكون خليفة رسول الله ﷺ يريدون أن يلي هذا الأمر رجل منهم ويزووه عن المهاجرين . وكان سعد بن عباد مريضاً فأخرجوه معهم وهو لا يقدر أن يسمع الناس ما يقول فكان يباغ عنه بعض ذوي قرابته ما يقول في خطبته يرفع به صوته لسمع الناس . فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : يا معشر الانتصار اسمكم سابقاً في الدين وفضيلة في الإسلام ايست لقبيلة من العرب . ان محمداً عليه السلام لبث بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن وخلع الانداد والاولئان ، فما آمن به من قومه الا القليل وما كانوا يقدرون على أن يمنحوا رسول الله ولا أن يعزوا دينه ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضياعاً نحواً به . حتى اذا أراد بهم الفضيلة ساق اليكم الكرامة وخصكم بالنعمة فرزكم الله الايمان به وبرسوله والمنعم له ولاصحابه والاعزاز له ولدينه والجهاد لاعدائه . فكنتم أشد الناس على عدوه منكم وأنتله على عدوه من غيركم . حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً وأعطى البعيد المقاتلة صافراً داخراً ، حتى أنحن الله عز وجل لرسوله بكم الأرض ودافنت بأسيافكم له العرب وتوفاه الله وهو عنكم راض و بكم قير عين ، استبدوا بهذا الأمر دون سائر الناس فانه لكم دون الناس .

فأجابوه بأجمعهم ان قد وفقت في الرأي وأصبحت في القول ولن تعدوا ما رأيت  
توليكَ هذا الامر فانك فينا مقنع ولصالح المؤمنين رضي

ثم اتهم ترادوا في الكلام بينهم ، فقالوا : فان أبت مهاجرة قريش فقالوا ان  
المهاجرون وصحابة رسول الله الاولون ونحن عشيرته وأولياؤه فعلام تنازعونا  
هذا الامر بعد ؟ فقالت طائفة منهم : فاننا نقول اذا « منا أمير ومنكم أمير » ولن  
نرضى بدون هذا الامر ابدا . فقال سعد بن عباد بن معمر « هذا أول الوهن »  
بينما الانصار يديرون الرأي على وجوهه ويترادون الكلام فيما يجاوبون به  
المهاجرين ، نبيء عمر بن الخطاب بأمرهم وامام عليه من الاستشراف لهذا الامر  
والتحفز اليه ، فأقبل الى منزل رسول الله ﷺ وأرسل الى أبي بكر ( وكان مع علي  
رضي الله عنه في جهاز رسول الله عليه السلام ) أن اخرج الى . فراحه قائلا اني  
مشتغل بجهاز رسول الله ، فرد عليه عمر بان قد حدث أمر لابد لك من حضوره .

فخرج اليه ، فقال : اما علمت ان الانصار قد اجتمعت في سقفة بني ساعدة يريدون  
أن يولوا هذا الامر سعد بن عباد . وأحسنهم مقالة من يقول منا أمير ومن قريش  
أمير ؟ ففضا سرعين نحوهم . فلحقا أبا عبيدة بن الجراح ، فتماشوا اليهم ثلاثهم  
فلقبهم عاصم بن عدي وعويم بن ساعدة . فقالا لهم : ارجعوا فانه لا يكون  
ما تريدون . فلم يصفوا الى قولهما حتى وافوهم مجتمعين بالسقفة وقد هيا أمر  
في نفسه كلاما يريد أن يقوم به فيهم . فلما اندفع اليهم يريد ابتداء كلامه قال له  
أبو بكر رويدا حتى أفتاكم ثم انطى بعد بما أحببت . ثم تكلم أبو بكر فلم يدع شيئا  
مما في نفس عمر الا قاله أو زاد عليه . فكان كلامه بعد حمد الله والثناء عليه أن قال :  
ان الله بعث محمدا رسولا الى خلقه وشهيدا على أمته ليعبدوا الله ويوحدهم وهم

يعبدون من دونه آلهة شتى ويزعمون انها لهم عنده شافعة ، ولهم نافعة ، وانما هي  
من حجر منجور . ثم قرأه ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون  
هؤلاء شفعاؤنا عند الله . وقالوا . ما نصيبتهم الا ليقربنا الى الله زلفى . فمظلم

على العرب أن يتركوا دين آبائهم. فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والاعيان به والمؤاساة له والصبر معه على شدة أذى قومهم لهم وتكذيبهم اياهم وكل الناس لهم مخالف زاد عليهم فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشنف<sup>(١)</sup> الناس لهم واجماع قومهم عليهم ؛ فهم أول من عبد الله في الارض وآمن بالله وبالرسول وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الامر من بعده ولا ينازعهم ذلك الا ظالم . وأنتم يامعشر الانصار من لا يترك فضاهم في الدين ولا سابقتهم العظيمة في الاسلام . رضيك الله أنصارا لدينه ورسوله وجعل اليكم هجرته وفيكم جلة أزواجه وأصحابه . فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلكم . فنحن الامراء وأنتم الوزراء لا تفتاتون بشورة ولا تقضى دونكم الامور

فقام الحبيب بن المنذر بن الجوح فقال : يامعشر الانصار . املكوا عليكم أمركم فان الناس في فيكم وفي ظلكم ، ولن يجترى . مجترى . على خلافكم ولن يصدر الناس الا عن رأيكم . انتم أهل العز والثروة وأولو المدد والمنعة والتجربة وذوو البأس والنجدة . وأما ينظر الناس الى ما تصنعون . ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وينتقض عليكم أمركم . أبي هؤلاء الا ما سمعتم فنا أمير ومنهم أمير فقال عمر : هيهات لا يجتمع اثنان في قرن . والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم ولكن العرب لا تمتنع أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم وولى امورهم منهم ولنا بذلك على من أبي من العرب الحجة الظاهرة . من ذا يقارعنا سلطان محمد وامارته . ونحن أولياؤه وعشيرته . إلا مدل يامل ومتجاف لأم أو متورط في هلكة

فقام الحبيب بن المنذر فقال : يامعشر الانصار املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فان أبوا عليكم ما سألتهم فاجلوه من هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الامور . فاتم والله أحق بهذا الامر منهم فانه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين ، انا جئناكم بالحكمك ، ونهديقها المرجب . اما والله لئن شقتم لنعينها جذعة

(١) شنف كفرح نظر الى الشيء كالمتمرض

فقال عمر: اذن يقتلك الله . قال . بل اياك يقتل

فقال أبو عبيدة : يامعشر الانصار انكم أول من نصر وأؤد . فلا تكونوا أول من بدّل وغير

فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير فقال : يامعشر الانصار ، انا والله لئن كنا أولي فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في هذا الدين ما أردنا به الا رضا ربنا وطاعة نبينا في الكدح لانفسنا . فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك ولا نبتغي به من الدنيا عرضاً ، فئن الله ولي المنة علينا بذلك . ألا ان محمداً ﷺ من قريش وقومه أحق به وأولى . وآيتم الله لا يراني الله أنزعهم هذا الامر أبداً . فاتقوا الله ولا تخالفوه ولا تنازعوه

فقال أبو بكر : هذا عمر وهذا أبو عبيدة ، فأيهما شقتم فبايعوا . فقالا : لا والله لا نتولى هذا الامر عليك ، فانك أفضل المهاجرين وثاني اثنين اذ هما في الغار وخليفة رسول الله على الصلاة والصلاة أفضل دين المسلمين ، فن ذا ينبغي له أن يتقدمك أو يتولى هذا الامر عليك . أبسط يدك ثيابك . فبقيهما بشير ابن سعد فبايعه

ولما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد ، وما تدعو اليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عباد ، قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حضير أحد النقباء : والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لازالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ولا جعلوا لكم نصيباً أبداً ، فقوموا فبايعوا أبا بكر . فقاموا اليه فبايعوه . فانكسر على سعد بن عباد وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم . وأقبل الناس يبايعون أبا بكر حتى كادوا يطأون سعد بن عباد وهو مريض لا يستطيع النهوض . وتخلف عن البيعة علي بن أبي طالب ومن معه من بني هاشم ، اذ كانوا مشتغلين بتجهيز رسول الله فلم يحضروا أمر السقيفة ولما سنوره . وأبى سعد بن عباد المبايعة فتركوه لابي بكر

لم يكن المانع لملي عدم حضور السيفة فحب أو اشتغاله بتجهيز رسول الله ﷺ ، ولكنه كان يرى أنه أحق بهذا الأمر من سواه لما له من صهر رسول الله وقرابته وسابقته وحسن بلائه في الإسلام وإن القوم قد غصبوه حقه وغلبوه على تراث رسول الله. ويريد أن يبقى على أبائه حتى لا يكون للناس عليه حجة بأنه نزل عن حقه لغيره ثم يترقب فرصة يسب فيها الحق إلى نصابه

غير أن الأحوال التي تلتبيعة أبي بكر من ارتداد العرب ونأيهم بجائهم عن الإسلام ، كانت أكبر من شأن الخلافة ، والشدائد تذهب الأحقاد وتؤلف بين جميع من مسهم أذاها . لذلك أطرح على جانب الكلام في الخلافة ووضع يده في يد أبي بكر لدفع الأعراب عن المدينة وتثبيت كلمة الإسلام وتقليم أظفار الشرك الذي طأ على الأمة

### ﴿ أول خطبة لأبي بكر ﴾

إن قيام الرؤساء من ملوك وأمرأ ووزراء بالخطاية بعد تمام الأمر لهم يمر بون عن خطتهم التي يتبعونها في سياسة أمهم ووجهتهم إلى بولون وجوهم شرطها في حكم شعوبهم ليس بالأمر الحديث . فقد قام أبو بكر بعد توليته الخلافة . فخطب الناس خطبة أبان فيها ما اعتزم على سلوكه في سياسة الأمة بياناً لأبهام فيه فقال :

أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخير منكم . فإن أحسنت فأعينوني ، وإن صدفتم فقوموني . الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذله حقه ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله . لا يدع أحد منكم الجهاد فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل ، وأطيعوني ما أطيع الله ورسوله ، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يحرك الله هذه الكلمة بمجل الطريقة التي اتبعها في خلافته أخبرهم بواجب عليهم وهو اطاعته ، وحق لهم وهو قومه إذا صدف عن الحق وفيه ضمان لحريتهم في القول .



اعطاهم عهداً أن يعدل فيهم فلا تئمه قوة الظالم أن ينصف منه المظلوم ولا يمنعه ضعف المظلوم أن ينصفه من ظالمه . حنهم على الجهاد الذي كان لابد منه . أخبرهم أنه خليفة لينفذ الشريعة فإذا عدل عنها فلا طاعة له عليهم

### ﴿ ترجمة أبي بكر ﴾

هو أبو بكر بن أبي قحافة عثمان من بني تميم بن مرة . يجتمع نسبته مع رسول الله في مرة بن كعب بن لؤي . وأمه أم الخير بنت سلمى بنت صخر بن عامر من تميم بن مرة . ولد لسنتين من عام الفيل ، وشب على الاخلاق الفاضلة حميد السيرة . بنضت اليه الحر في الجاهلية وكان ذا نراء وبسطة في الرزق وقد ساعدته سعة حاله وما يكسبه من التجارة على الافضال على أهل الحاجة . وكان قريباً من قلوب قريش محبباً فيهم . واليه في الجاهلية الاشفاق وهي الديات والمغارم فاذا احتل دية أو غريم مكرماً واخبر قريشاً صدقوه وأعانوه عليه . وكان أبو بكر نساباً في العرب عامة وفي قريش خاصة راوية ل اخبارهم حافظة لآسابهم عالماً بمفاخر كل قوم ومنازلهم وكان يعرف من انساب قريش وأخبارها ما لا يعرفه غيره . وكان يرازا يعتمد على الكسب من تجارته في الجاهلية والاسلام مبلغ رأس ماله أربعين ألف درهم أففق منها خمسة وثلاثين ألفاً في الله ومعونة رسوله . وكان يشتري المعتدين من الارقاء بمكة ، إذ كان يريد سادتهم فنذتهم عن الاسلام وبعتهم . وكان أول من أجاب رسول الله ﷺ الى الاسلام من الرجال فأمن به وصدقه وتابعه على دينه . وكان حفيأ أثيراً لديه واحتل أشد الايذاء من قريش حتى لقد هم بالهجرة الى الحبشة . فلقبه ابن الدغنة سيد القارة فأجاره على قريش . وقال له : مثلك لا يهاجر انك تصل الرحم وتصدق الحديث وتكسب المعدوم وتؤمن على نوائب الدهر . وقد أجازت قريش جواره على أن لا يستعلن بصلاته

لهم . فاتخذ ببناء داره مسجداً يصلي فيه . وقرأ القرآن ، وكان رفيق القلب بسكاه  
من خشية الله فكان النساء والصبيان من المشركين يستقون اليه ويعجبون من  
قراءته وصلاته . وشكاه رجال قريش الى ابن الدغنة فرد عليه أبو بكر جواره  
راضياً بحماية الله تعالى له ممن يؤذونه . وقد هاجر مع رسول الله ﷺ الى المدينة  
وكان ثاني اثنين اذ هما في الفار وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ  
واني ليمعيني قول صديقي الفاضل رفيق بك العظيم رحمه الله في كتابه أشهر  
مشاهير الاسلام :

■ فحسم أبو بكر رضي الله عنه من الفضيلة ، وخلص جوهره من الدقل  
وانقطر على سلامة النفس من شوائب العناد وعلاراتها من عى البصيرة عن أدراك  
الصواب والمهارة في الحق ، فقامت لديه الحجة على الشرك وظهرت له محجة الرشد  
لأول وهلة من دعوة الرسول ﷺ الذي تفرس فيه الاستعداد الكامل للإيمان  
فسادره بالدعوة فلم يتردد ، وعاهده على المظاهرة فقام بما تمهد . ولهذا قل ﷺ  
ما دعوت أحداً الى الاسلام الا كانت له كبرة غير أبي بكر .

### ﴿ أخلاق أبي بكر ﴾

ليس من هنا أن نستقصي ما كان عليه أبو بكر رضي الله عنه من أخلاق  
كرامة وسجايا جميلة ، ولكننا نعمد الى اظهر أخلاقه أنراً في أعماله التي استقبلها  
بعد أن ولي خلافة المسلمين ، وفي معاملتهم وسياستهم . فان لكل أمير أو رئيس  
أخلاقاً تلمسه ويشتهر بها ، وأظهر أخلاق أبي بكر خلقتان : الرقة ، وصدق الميزة  
أما رفته فقد كان هذا الخلق غالباً عليه من أيام جاهليته واستمر معه في الاسلام  
فقد كان كثير البكاء من خشية الله تعالى ، وكم من مرة قام يدافع قريشاً عن رسول  
ﷺ وهو يبكي وقد لبوه بردائه قائلين : أنت الذي تريد أن تجعل الآلهة إلهاً

واحدا ، وهو يردم عنه با كيا ويقول : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ؟ ولما استشار رسول الله ﷺ أصحابه في امرى بدر ، كان رأيه أن يقبل منهم القداء لانهم قومه وأهله وقد أظهره الله عليهم وعسى الله أن يهديهم به . وقد مثله رسول الله إبراهيم عليه السلام اذ قال : « فمن تبعني فإنه مني » ومن عصاني فانك غفور رحيم »

وسيمر بنا في كتبه وعهوده مبالغته في الاستيثار لاهل العافية والنساء والصبيان ومن ليس لهم شأن في الحرب ووصيته فيهم بالخير والرفق بهم وأما صدق عزيمته فإنه يتجلى واضحا فيما يرد علينا من ضبطه للأموال وجده في حفظ البيضة ومجاهدة المشافين وتسيير دفة الاسلام وسط الخطوب المظلمة وأمواج الفتن المتلاطمة حتى أوساها الى مرأ السلاحة والامن . ولم يلحق بر به حتى أعاد الاسلام أقوى ما كان شوكة « وأمنع ما كان جابا » وأثبت ما كان أساسا . وكل ذلك بثباته امام الاخطار واستنصاره الخطوب وتصميم عزيمته ومضاءه على الحق

وأول موافق أبي بكر انفاذه جيش اسامة « وقبل الافاضة في الكلام على جيش اسامة أريد أن أعجل بالكلام على ردة العرب بعد الاسلام

## الردة

ان كثيرا من الابرار المنبشرين في جزيرة العرب كانوا حين وفاة رسول الله ﷺ لم يتفق لهم من صحبته ما يصفى جواهر نفوسهم مما ما زجهما من شوائب الشرك ، ولم ينفذ الي بصائرهم نور الحكيم الباهرة المنطوية في أوامر الاسلام ونواهي . فزأغت بصائرهم عن أن الزكاة صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، لا يكلفها الا من آتاها الله بسطة في الرزق . وعدوها اناوة أو ضريبة يسامون

إذا ما كما يسوم الجبارة من الملوك وعالماهم اداء الاقاوات وحمل المقارم . وذهلوا  
عن بون ما بين انطنتين . فتناجوا بالاثم والعدوان في منح الزكاة وفشت هذه  
المقالة في كثير منهم . وآخرون من دونهم فشت فيهم فاشية سوء . وهم الذين قام  
فيهم متنبئون يضلونهم بغير علم : كطليحة الاسدي ، والأسود العنسي ، ومسلمة  
الكذاب ، وسجاح التميمية . ومع ان المانعين لازكاة لم يرفضوا جميع أحكام الاسلام  
واسكنهم معوا مرتدين بلحددهم ركناً من أركانه

ثبت على الاسلام أهل المدينة ومكة والطائف ومهاجرة الاعراب وبعض  
الدائمين بالاسلام في قليل من الاطراف كعبد القيس  
فلم يكذب خبر وفاة رسول الله ﷺ ينشر في الآفاق حتى نهم النفاق والشقاق  
وظاولت أعناق كثير من قبائل العرب الى البطش بالمسلمين وطعموا في جانبهم  
وغيرهم الاماني ، والله غالب على أمرهم

### ﴿ انفاذ أبي بكر جيش أسامة ﴾

بين هذه الفتنة الحالكة وفي معترك هذه الحوادث ، والانباء بارتداد  
العرب يتلو بعضها بعضاً ، قام أبو بكر فانفاذ جيش أسامة  
ذلك ان رسول الله ﷺ كان جهز جيشاً لمقاومة قبائل قضاة الضاربين في  
جهات الشام مما يلي مؤنة لظاهرتهم الروم على جيش المسلمين في غزوة مؤنة وقد  
كان أمير الجيش زيد بن حارثة وقد استشهد في تلك الغزوة فجهز جيشاً آخر  
لفزوم . وقد جعل رسول الله ﷺ أمير هذا الجيش أسامة بن زيد وكانت سنة ٩٨  
سنة وكان تحت لوائه عدد من جلة الصحابة منهم أبو بكر وعمر . وقد حث رسول  
الله ﷺ على خروج جيش أسامة . ولم يقبل فيه مقالة من أراد أن يستبدل به من  
هو أسن منه ، وقد توفي رسول الله قبل أن يزاول الجيش المدينة فبقي بظاها

خشي المسلمون أن يطعم العرب وأهل النفاق في مسلمي المدينة إذا فصل جيش أسامة وبقي المسلمون بدون حماية قوية ترد عادية الطامعين فكلموا أبا بكر في استبقاء جيش أسامة ليكون للمسلمين ردة . وقالوا إن هؤلاء جنود المسلمين ، والعرب على ما ترى قد انتقضت بك فلا يقبضي أن نفرق جماعة المسلمين عنك . فقال : والذي نفسي بيده لو ظننت أن السباع تمنخطفني لافذت جيش أسامة كما أمر رسول الله ﷺ

وأرسل أسامة عمر بن الخطاب يمرض على أبي بكر تخلف الجيش عن وجهه وعهد بعض المسلمين إلى عمر أن يخاطب أبا بكر في أن يولي أمر الجيش من هو أسن من أسامة . فلما أفضى عمر إلى الخليفة بما حمل من رسالة زيد وجنده أبي العلاء المضاء فيما أمر به رسول الله واستند على عمر حتى أخذ بالحيمته وقال له : عذمتك أمك ونكيتك يا ابن الخطاب ، استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزعها . تصور أبو بكر ما خامر قلوب رجال الجيش وما هو لاصق بنفوسهم من أوثان الجاهلية والآفة من تأمير من لم تقدمه السن والاستسكان يرى التفاضل بالانساب والامور التي وضعها الاسلام . فرأى أن لا يجيبهم إلى طلبهم وأن يدعو من نفوسهم كل أثر من آثار الكبرياء والتفاضل إلا بالتقوى وصالح العمل وأن يدعو بقدر زيد حتى يكون للقوم بخليفتهم أسوة حسنة . ولما أنه أطاع القوم لسن الناس مخالفة أمر رسول الله ﷺ ، ولا طمعه في أن يطلبوا ما ليس لهم بحق ، وفي ذلك من المصخرة ما لا يحول

خرج أبو بكر حتى وافى الجيش وشيعهم ماشيا وأسامة راكب واستأذنه في أن يسمح لعمر بالبقاء معه بالمدينة يستعين برأيه ، فسمح له بذلك . وقال له أسامة : يا خليفة رسول الله اتركين أو لا تزلن ؟ قال : والله لا تزلن ولا أركب ، وما علي أن أغير قدمي ساعة في سبيل الله ؟

كان في عمل أبي بكر ما حدا القوم على الرضا بإمرة أسامة أذ رأوه ماشيا في

ركابه غير مفتات عليه في استقباله عمر دون أدته ، فكان عمله خير هاد لهم  
ومن جهة أخرى رأى أبو بكر أن التوقف عن انفاذ الجيش الى الوجه الذي أعد  
له يشعر قلوب العرب ضعف المسلمين عن حماية أنفسهم ، فيطمع الذي في قلبه  
مرضه ، وأن انفاذه امضاء لامر رسول الله ﷺ وتصوير المسلمين في النفوس  
بصورة اقوي الجريء الذي لم يختلج قلبه خوف ولم يستشعر الوجيل

زود أبو بكر جيش أسامة نصيحة هذا نصها : « لا تخفوا ولا تغدروا  
ولا تمنلوا ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تمزقوا ثياباً ولا تحرقوا  
ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا يديراً الا الأكل . وسوف  
نمرون بأفوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما فرغوا أنفسهم له . وسوف  
نقدمون على قوم غصوا اوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاحرقهم  
بالسيف خففاً » ثم قال : « تدفعوا باسم الله »

انصيحة تجعل ادعياء المدنية الذين يظهرون بمظاهر خدام الانسانية وهم  
اضرى العوادي عليها ، ويرمون الاسلام بأنه دين الهمجية والوحشية والصف  
وعدم احترام الانسانية وهم في كل يوم يصلون الانسانية من نار الهمجية ضروبا  
ويدينونها من الوحشية افانين

يجدر بالامم المقدمة ان تجعل هذه النصيحة أول ما يتزود به الجندي وان  
تكون القاعدة التي تبنى عليها حقوق الدول والملل

سار اسامة وشن الغارة على بلاد قضاة واخلافهم وغنم منهم واستمر في بعثه  
أربعين يوماً ثم عاد . وكان انفاذ جيش اسامة نهاية الحزم ، فقد قت في اعضاء  
المرتدين حين تساموا به . وقالوا : لو لم يكن للقوم قوة لم يقدفوا بجيوشهم يرمون  
بها من بعد عنهم من القبائل ذات الشوكة . غير ان ذلك لم يثن كثيراً من  
المرتدين عن الانحدار في مهواة الردة التي زلت فيها أقدامهم

## ﴿ قتال أبي بكر لأهل الردة ﴾

ان الدين الاسلامي يُقْتَبَرُ أهله والداخلون فيه بعناية جند على تسمية المنازلة العدو المعادي . فمن نكل عن العدو وخام عن اللقاء وولى العدو ظهره الا متحرفا لقتال أو متحيزاً الى فئة فقد باه بنضبه من الله واستحق حرمان الجندي الفار من صفوف الجيش أو المنحاز الى الأعداء المظاهر لهم . لهذا كان قتال المرتدين الى أن يقبضوا الى دينهم أوجب من قتال المخالفين . ولأن إعطاء الموادة في أمرهم يكون متدرجة لمشافة سوام حق تتفرق الكلمة وتفسق العصا وتنفض البيضة وتكون فتنة في الأرض وفساد كبير

الدين الاسلامي لا يفرض على متبعيه انانية ولا يفرض عليهم خرجاً ولا يخلو حال الأمة من اقامة ولاية وأمر . ويبحث بعوث وإطفاء فتن والافتاق على مصالح عامة ومواساة ضميم واعانة ذي حاجة ونحو ذلك من الوجوه التي بينها الكتاب وجعلها مصارف للصدقات ، ولا مادة لكل هذه الوجوه سوى الزكاة التي هي ركن لا يتحقق الاسلام من امرى . لا بالاقرار به والمعدل بمقتضاه لهذا كله كان المانعون لزكاة مساوين في الحكم للجاحدين للدين بعد انضوائهم اليه وانتظامهم في صفوف جنده

رأى فريق من الصحابة بعد تواتر الاخبار بارتداد العرب ومنع فريق منهم الزكاة - أن يقبل أبو بكر منهم ما يفلوه وهو الصلاة ليسكون ذلك تأليفاً قلوبهم حتى يرجع جيش اسامة ويشهد ساعد المسلمين ثم يرمى المدبر بالمقبل ، ألم يقبل أبو بكر هذا الرأي لانه مؤذن للضعف وتلة لا يلبث القوم أن يوسعوها بالمطالب حتى يعودوا الى وثنياتهم الأولى وما كان له أن يبدد ذلك الارث الذي خلفه رسول الله ﷺ بمجرد تناونه فقال : والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها الى رسول الله ﷺ

لقاتلهم على منعبه

إذا صدقت المزائم واتحدت الوجوه وخلصت الثياب في عصابة تحاول مروما .  
فهاك يكون النهر القريب والفتح المبين . ناهيك بعصابة قوامها المهاجرون  
والانصار ، وهم قوم قد تأدبوا بأداب الدين وعلبت على نفوس كثير منهم اخلاق  
القرآن ، وقد نبوا مكان الرئاسة فيهم أبو بكر الصديق بحف به ويؤازره على  
سياسة أمره أمثال علي وعمر وخالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل وعمر بن  
العاص وخالد بن سميد والمهاجر بن أبي أمية وأبي عبيدة بن الجراح ويزيد  
ومعاوية ابني أبي سفيان وعياض بن غنم وحبيب بن سلمة الفهري وسعد بن أبي  
وقص وغيرهم من أصحاب محمد ﷺ « وكل إذا عد الرجال مقدم »

كانت حامية المدينة قليلة بعد ارتحال جيش أسامة . فأخذ أبو بكر بالخزم ولم  
يشأ أن يعاجل العرب بما اعتزم عليه من اعضاء السيف رقبهم حتى تستقيم له  
قنائهم ويعودوا الى الدين الذي مرقوا منه حتى يعود جيش أسامة . فأخذ يطاول في  
الامر - غير ان عيسا وذيبيان وغطافان واسدا وطيبا قد اعجلوه . وكان بعضهم  
فازلا بنى القصة وبعضهم بالبرق بالقرب من المدينة ، وارسلوا اليه وقدأ يبذلون  
الصلاة ويمنعون الزكاة فأبى عليهم أن يجيبهم الى تفريق ما جمع الله - والظاهر ان  
الوفد كانت له مهمة أخرى وهي تمسك أحوال المسلمين والعلم بما هم عليه من قوة  
أو ضعف

عاد الوفد بعد ذلك الى القوم بجواب أبي بكر وافضوا اليهم بما رأوه من قلة  
عدد المسلمين وضمف جافهم وأطمعهم في منازلهم - غير ان الوفد كان على خطأ  
فيما أنبا به القوم ، فقد كان القوم مدد لا يبصر بالميون ، وهو قوة الايمان وصدق  
اليقين وثبات ارادة الفاقة ومضاوم . يؤازر هذا المدد مدد آخر وهو طول



التجربة والفارس والحرب والاكتواء بنارها في مختلف الوقائع التي لم ينقضوا عنهم غبارها ، وان مساعير الحرب من أمثال علي وطائفة والزبير وغيرهم من صناديد فريش لانتلين لهم فتاة ولا يقل لهم حد

لم ينم أبو بكر بعد أن رد وفد القوم بالطيبيه . بل أخذ يستجيش من تيسر له من المسلمين خشية أن يبيت القوم المدينة ، فجعل على أنصار المدينة علياً وطائفة والزبير وابن مسعود ، وجعلهم على انقاب المدينة . وأخذ أهل المدينة بحضور المسجد خوف البيات ، ليكون منهم المدد لمن على الانقاب إذا داهمهم العدو في ليل أو نهار

لم يكن الا ثلاث ليال من عود الوفد حتى طرق القوم المدينة غارة مع الليل . وقد خلفوا بعضهم بندي حتى ليكونوا لهم فتة وردة . وكان الذين على الانقاب قد بنوا نفراً منهم بدرجون بعيدا عنهم ، فلما أحسوا القوم نهبوهم ، وعلم أبو بكر نخرج في أهل المسجد على التواضع فانهمز أهل الردة وتبعهم المسلمون على الأبل حتى بلغوا إذا حيق خرج عليهم الردة بأنحاء قد نفخوها <sup>(١)</sup> وجعلوا فيها حبالا ودهدهوها ( دَحَرَجُوهَا ) في وجوه أبل المسلمين فنشرت عائدة الى المدينة لا يملك واكب رأس بعيره ، ولم يصب أحد من المسلمين . ولكن أبا بكر بات على نعيبة وهياً جنده وخرج في عقب ليلته يريد الاعداء

أما المرتدون فلما رأوا فغار الأبل غرهم ذلك وبموا الى أهل ذي القصة ، وما طلع الفجر الا وقد وافاهم أبو بكر بجنده وما معموا للمسلمين همساً ولا حساً حتى وضعوا السيف في رقابهم . وما ذر قرن الشمس حتى منحه الله المسلمين اكتافهم وغنموا ابلهم وكان نصر المسلمين في هذه الموقعة كنصرهم في وقعة بدر أول الاسلام فقد عز بها المسلمون وذل المشركون

(١) الاعتداء : جمع محي ( بكسر التون وسكون اللام ) الرق

جزعت عيس من هذه الواقعة أي جزع فطاشت أحلامهم ولم يجدوا إلى نكاية المسلمين سبيلاً سوى أن يقتلوا من كان مسلماً فيهم كل قتلة . ومعلوم أنهم بذلك إنما يقتلون أنفسهم ويوهنون جماعتهم ولا يضير ذلك جماعة أبي بكر خلف أبو بكر ليقتلن في كل قبيلة ممن قتلوا من المسلمين وزيادة بينا أبو بكر يعد للقوم ما استطاع من قوة واداه جيش أسامة فأمرهم بالاقامة بالمدينة ليأخذوا راحتهم ويريموا ظهرهم وخلف أسامة على المدينة حين خروجه لأهل ذي القصة

وحين أراد أبو بكر الخروج مع الجند للقتال قالوا له : نشدك الله يا خليفة رسول الله أن تعرض نفسك فإني إن أصب لم يكن للناس نظام وممة منك أشد على العدو فابت رجلان أصيب ثم أت آخر . فقال لا والله لا أفعل ولا واسبتكم بنفسي

سار أبو بكر بمجموده كما سار أولاً إلى ذي حبي وذو القصة حتى نزل على أهل الردة بالأبرق فانهزمت بنو عيس وبنو بكر وأقام بالأبرق أياماً وقد غلب بني ذبيان على بلادهم وحاصرها لحيل المسلمين وادعى سائر الناس الردة ثم عاد إلى المدينة

### ﴿ عقد الألوية للقتال ﴾

ولما استراح جيش أسامة خرج بهم أبو بكر إلى ذي القصة على يريد من المدينة لملقاء نجد وقطع الجند وعقد أحد عشر لواءه لأحد عشر أميراً وأمر كل أمير أن يستقر مسلمي القبائل التي يمر بها ليكون بعضهم في جنده ويتخلف بعضهم لحاية قومهم . وقد حضرت في تلك الأيام صدقات فكانت عوناً

وهؤلاء هم الامراء الذين رمى بهم أبو بكر المرتدين :

(١) خالد بن الوليد : وجهه الى قتال طليحة بن خويلد الاسدي ببزأخة ، فاذا فرغ من أمره قصد مالك بن نويرة بالبطاح

(٢) عكرمة بن أبي جهل : وجه به الى مسيلمة الكذاب بالجماعة

(٣) شرحبيل بن حسنة وجهه في أنزعكرمة بن أبي جهل ، فاذا فرغ من أمر مسيلمة قصد قضاة

(٤) المهاجرين أبي أمية : وجهه الى جنود الاسود المنسي بصنعاء الذين ومعاونة الابناء على قتالهم . والابناء هم مولدة الفرس باليمن آمتوا وثبثوا على ايمانهم وفديتهم بها الى اليوم

(٥) حذيفة بن محصن : وجهه الى اهل ذبأ بيمان

(٦) عرقلة بن هرثة : وجهه اهل مورة . وأمره هو وحذيفة أن يجتمعا وكل واحد منهما امير على صاحبه فيما وجه اليه

(٧) — سويد بن مقرن الى نهاية اليمن

(٨) — اعلاء بن الحضرمي ووجهه الى البحرين

(٩) — طريفة بن حنظل ووجهه الى بني سليم ومن معهم من هوازن

(١٠) — عمرو بن العاص ووجهه الى قضاة

(١١) — خالد بن سعيد ووجهه الى مشارف الشام

وقد فصلت الامراء بحبوسها من ذي القصة بعد أن كتب الى المرتدين من العرب كتاباً واحداً أرسله اليهم ليكون لهم نديراً بين يدي جيوشه ليكون قد أعذر اليهم قبل الايقاع بهم . فكان أول منشور عم يقرأ في مجامع الناس وأنديتهم . ولما كان هذا المنشور مطولاً فنحن نختصره . بأن نقطف بعضه وهو ما يتعلق بالمرتدين

## ﴿ كتب أبي بكر إلى أهل الردة ﴾

بعد أن ذكر الله تعالى ما هو أهله وذكر رسول الله ووفاته قال : « وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالاسلام وعمل به اغتراراً بالله وجهالة بأمره ونجاة للشيطان قال الله تعالى ( واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفستخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً ) . وقال : ( إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ) . وأني قد بعثت إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأمرته أن لا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوهم إلى داعية الله فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحاً قبل منه وأعانه عليه ، ومن أبي أمرت أن يقاتله على ذلك ثم لا يبقى على أحد منهم قدر عليه وإن يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتلة وإن يسبي النساء والذراري ولا يقبل من أحد إلا بالاسلام . فمن اتبعه فهو خير له ومن تركه فإن يعجز الله . وقد أمرت رسولاً أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم والداعية الأذان . فإذا أذن المسلمون فأذتوا كف عنهم وإن أقرؤا قبل منهم وحملهم على ما ينفي »

ونفذ الكتب مع الرسل أمام الجنود

## ﴿ عهد أبي بكر إلى القواد ﴾

وكتب إلى قواده عهداً صورته واحدة وهي :

هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ لفلان حين بعثه فيمن بعث لقتال من رجع عن الاسلام وعهد إليه أن يتقى الله ما استطاع في أمره كله سره وعلايته وأمره بالجد في أمر الله وبمجاهدة من تولى عنه ورجع عن الاسلام إلى أماني الشيطان

بعد ان يندر اليهم في دعوى الاسلام فان أجابوه أمسك عنهم وان لم يجيبوه  
 شن غارته عليهم حتى يقرؤا له ثم ينهضهم بالذي عليهم والذي لم يأخذ ما عليهم  
 ويعطيهم الذي لم لا ينظروا ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم . فمن أجاب الى أمر  
 الله عز وجل وأقر له قيل ذلك منه وأعانته عليه بالمروءة . وإنما يقاوم من كفر  
 بالله على الاقرار بما جاء من عند الله فإذا أجاب الى الدعوة لم يكن عليه سبيل ،  
 وكان الله حسيبه بعد فيما استمر به . ومن لم يجب داعية الله قتل وقول حيث كان  
 وحيث بلغ مراغمة لا يقبل من أحد شيئاً أعطاه إلا الاسلام فمن أجابه وأقر قبل  
 منه وعلمه . ومن أبى قتله فإن أظهره الله عليه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران  
 ثم قسم ما أفاء الله عليه الا الخمس فانه يباغضه وان يمنع أصحابه العجلة والفساد وان  
 لا يدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويعلم ما هم لا يكونوا عيوناً وثلاثاً يؤتى المسلمون  
 من قبلهم . وان يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمزل وينفقدهم ولا يعجل  
 بعضهم عن بعض ويستوصى بالمسلمين في حسن الصحبة وابن القول

### ﴿ طليحة ﴾

هو طليحة بن خويلد الاسدي ، علم يمرض رسول الله ﷺ بعد حجة الوداع  
 فسألت له نفسه ان يدعى النبوة في قومه ومن يليهم ليكون له مثل ما لني قريش .  
 فتأبى قومه من بني أسد وأرذت اليهم عيسى وذيبيان وبعض من جديلة والغوث  
 وطي . لما هان الخلف في بني أسد

كان عدي بن حاتم الطائي مقبلاً بالمدينة وقد خشي على قومه ان يجتاحهم خالد  
 وقد أمر ان يبدأ بهم فاستأذن أبا بكر في اللحاق بقومه ليرد من رجع منهم الى  
 الاسلام وليعين بهم خالد . فأذن له . ففارق المدينة الى قومه وصار يقتلهم في الذروة

والغارب حتى وافقوه على الاسلام ومفارقة طليحة وأرسلوا قومهم الذين مع طليحة  
ببزازة وجاء عدي الى خالد لينتلبث ثلاثا حتى يعود رجال علي لثلاثتهم  
طليحة يسوء ، ففعل ، ولحق من كان ببزازة من علي ببجيش خالد ومعهم من خف  
من علي . وأراد خالد ان يتصد جديدة ، فشق ذلك على عدي وثمنه عن قصده  
وأشار عليه بالثابت حتى يأتي جديدة لعل الله يتقدم به كما أتت بني القوث قوم  
عدي ، ففعل خالد ولم يزل عدي بالقوم حتى جاء الى خالد باسلامهم ، وانضم منهم  
الى جيش المسلمين الف راكب ، فكان عدي خير مولود ولد في أرض علي .  
وأعظمه بركة عليهم

بم خالد ببجيشه ومن انضم اليه من علي ببزازة لقتال طليحة ومن لف له .  
وكان طليحة يسمي الملك الذي يزعم أنه يأتيه بالوحي « ذا النون » وسئل عن الصلاة  
من قيام وقال : ما يصنع الله بتمخير وجوهكم ، ان الرغوة فوق الصريح ...  
التقى خالد مع جيوش طليحة واستمر القتال بين الفريقين وعصت الحرب  
بني قزارة وقائدها وسيدها عيينة بن حصن يكر على طليحة كلما ضرسته الحرب  
يقول له : هل جاءك ذو النون ؟ فيقول لا . وطليحة ملتف بكسائه بفناء بيت له من  
شعر . فلما استمر أوار الحرب جاء وقال له : هل جاءك ذو النون ؟ قل : نعم جاءني  
وقال « ان لك يوما سلقاه ليس لك أوله ولكن لك أخراه ورحا كرحاه وحديثا  
لا تنساه » فقال عيينة : أرى والله ان لك حديثا لا تنساه . يا بني قزارة هذا كذاب .  
وولى من عسكره وفتح الله المسلمين أكتافهم . وعمد طليحة - أقرأى المزعمة الى  
فرس كان قد أعده فركبه وأردف زوجته خلفه وقل من استطاع ان يفعل كما أفعل  
فليفعل : وولى وجهه شطر الشام . ثم عاد مسلما وحسن اسلامه وكان ذا بلاء في قتال  
فارس في أيام عمر

كان بنو عامر بن صعصعة قريبا من ساحة القتال ببزازة على قاذمهم وسادتهم

ينظرون الى القتال فلما رأوا ما حل بطليحة وجوعه أقبلوا يقولون : ندخل فيها  
 خرجنا منه ونؤمن بالله ورسوله ونسلم لحكمه في أموالنا وأنفسنا  
 وقد كان الذي أعظم أمر طليحة بعد صغره ما سنقصه . وهو أن الرجل ادعى  
 النبوة في حياة رسول الله فأرسل الرسول ضراوا الى بني أسد وأمرهم بالقيام على كل  
 من ارتد ، فأشجوا طليحة وأخافوه ، ونزل المسلمون بواردات والمتردون بسميراء  
 وأمر المسلمين في نساء وأمر طليحة في أنكاس ، وهم ضرار أن يأخذ طليحة سلماً  
 وضرب طليحة بالسيف فنها عنه فشاخ أن السيف لا يحبك في جسده وجاء الخبر  
 بموت رسول الله ﷺ والناس على ذلك قانض من كان مع ضرار عنه وعظم أمر  
 طليحة الى أن كان ما أوردنا

### ﴿ بنو تميم ومالك بن نويرة ﴾

كان رسول الله قد أمر على بطون تميم أمراء ، منهم الزريقان بن بدر وقيس  
 ابن عاصم ووكيع بن مالك ومالك بن نويرة فلما شاخ موت رسول الله ﷺ كان منهم  
 من بقى على الوفاء بما عهد عليه الرسول فبعت بالصدقة الى أبي بكر ، ومنهم من  
 منعها ، ومنهم من تردد . وكان المانع مالك بن نويرة ، وكان اختلاف القوم داعياً  
 لاشتغال بعضهم ببعض

وبينا القوم على هذه الحال إذ أقبلت عليهم سجاح بنت الحارث وكانت نازلة  
 مع أبيها في بني تغلب بالجزيرة وأبوها من بني يربوع من تميم  
 كانت هذه المرأة قد ادعت النبوة وتابها على أمرها بجوع من نصارى تغلب  
 فهيطت بهم تريد قتال جند أبي بكر فلما أشرفت على بني تميم أرسلت الى مالك  
 ابن نويرة سيد بني يربوع فوادعها وثناها عن قتال أبي بكر وأغراها بمخالفته من  
 أحياء بني تميم وتابها على أمرها ووكيع بن مالك وقومه فسجعت لهم قائلة : أعدوا

الركاب ، واستعدوا للنهاب ، ثم أغبروا على الرُّبب ، فليس دونهم حجاب «  
فاستمرت نار الحرب في بني نعيم

ولما رأيت أمرها لم يتم في بني نعيم قلت لجندها من ربيعة وإياد وسوام : « عليكم  
بالجماعة ، ودفنوا دفيق الحامة ، فثما غزوة صرامة ، لا تلحقكم فيها ملامة » فهدت  
بمن معها إلى بني حنيفة وهابها مسيلة وخاف أن هو شغل نفسه وقومه بأمرها أن  
يدعمه من أجوش أبي بكر داهم ، وتنخطفه القبائل من حوله . فأهدى إليها الهدايا  
واستأنمها على نفسه حتى يكلمها . فأمنته وأنها في أربعين وفداً من قومه فقال لها  
مسيلة : لنا نصف الأرض وكان اقربش نصفها لو عدلت ، وقد رد الله عليك النصف  
الذي ردت قريش غياك به ، وكان لها لو قبلت . فقالت : لا يرد النصف من الاجتاف  
فاحل النصف ، إلى خيل تراها كالسوق . فقال مسيلة : سمع الله لمن سمع وأطعمه  
بالتخير إذا طمع ، ولا زال أمره فيها سر نفسه يجتمع . رأيكم ربكم خياكم ، ومن وحشة  
خلائكم ، ويوم دينه أنجاكم . فأحباكم علينا من صلوات معشر أبرار ، لا أشقياء  
ولا تجار يقومون الليل ويصومون النهار لربكم الكبار . رب الفيوم والأمطار .  
إلى غير ذلك من الأسجاع . وكان قد شرع لهم الامتناع عن النساء اذا ولد للرجل  
ولد ذكر إلى أن يموت ذلك الولد فيطلب أبوه غيره

وقال مسيلة لسجاح : هل اتزوجك وأكل بقومي وقومك العرب ؟ قالت : نعم  
فنزوجها وأقامت معه ثلاثة أيام ولما رجعت إلى قومها سألوها عن أمرها فقالت :  
أني وجدته على الحق فاتبعته ونزوجني . فسألوها عن صداقها . فقالت : لم يعطني  
صداقاً . فردوها إليه لأنه قبيح بتلها أن يزوج بلا صداق . فلما سأله الصداق دعا  
مؤذنها شبت بن ربيعي الرياحي فأمره أن يؤذن في الناس أنه حط من الناس  
صلاتين مما أتى به محمد : صلاة العشاء الآخرة وصلاة الفجر . وكان من أصحابها  
الزبير بن بدر وعطار بن حاجب وعمر بن الأهم وغيلان بن خرشة وشبت .



ابن ربيعة

انتهى الأمر بين سجاح ومسيمة على أن يحمل إليها النصف من غلات  
الجماعة فطلبت أن يسلفها السنة المقبلة فمعلها نصف السنة وخلفت على السلف من  
يجمعه لها وانصرفت إلى الجزيرة

لما عادت سجاح إلى الجزيرة ندم مالك بن نويرة على ما فعل وحار لا يدري  
ما يأتي وما يدع وكذلك بقية مرتدة بني تميم وروؤساؤهم ندموا ندما ظاهراً وأرسلوا  
الزكاة إلى خالد . وأما مالك فمنع الزكاة ورأى أن لا طاقة لقومه بني يربوع بخالد  
وجنوده ، فأمرهم أن يتفرقوا . فلما ورد خالد البطاح لم يجد أحداً فبث سراياه مغيرة  
على من لقيها منهم فجاءته السرايا بمالك في نفر من بني يربوع فحبسهم خالد ثم أمر  
بقتلهم فقتلوا ، ويروى في قتله روايات أخرى

كان بعض رجال من جيش خالد قد شهدوا أن القوم أذّنوا حين سمعوا أذان  
المسلمين وأنهم بذلك قد حقنوا دماءهم وإن قتلهم لا يحل ، ومن أوائك القوم  
أبو قتادة صاحب رسول الله ﷺ . فأكبر الأمر وزاد ذلك عنده أنه رأى خالد  
ابن الوائد قد تزوج امرأة مالك بن نويرة فثارق أبو قتادة خالداً وقدم على أبي  
بكر ليشكو إليه خالداً فيما خالف فيه . فرأى أبو بكر أن فراق أبي قتادة لخالد خطأ  
لا ينبغي أن يرخص فيه له ولا لغيره لأنه يكون سبباً للفشل والجيش في أرض  
العدو فاشتد على أبي قتادة ورده إلى خالد . وعسل أبي بكر من أحكم  
السياسات الحربية

كثر كلام المسلمين في شأن خالد وما صنع وجاء منهم بن نويرة شاكياً ما صنع  
خالد بأخيه واشتد عمر في شأن خالد عند أبي بكر وأراحه على أن يقيد منه بمالك  
وأصحابه فأنى أبو بكر عليه ذلك . وقال له « حيه يا عمر » قد تأول فأتخطأ فأرفع  
لسانك عن خالد ، ولما عاد خالد إلى أبي بكر اعتذر بما كان منه في شأن مالك

وساق أبو بكر دية مالك بن نويرة . وبانكسار بني يربوع عادت تبسم كلها الاسلام  
ورضيت ان تؤدي الى أبي بكر الزكاة كما كانت تؤديها الى رسول الله ﷺ  
وقد كان من سياسة أبي بكر البنية على الحكمة ان لا يغمده من عماله وقواده  
ووزرائه اذا حصل منهم أمر في وجههم لقتل العدو . لان مفاجأة القائد وهو في  
جهاد عدوه بالمقابل تخبث نفوس بقية القواد وتطمع فيهم الجند وتطلق السنة  
العيابين وتفقد الامر

وهذه السياسة الحكيمة هي التي تراها من الأمم العريقة في الاستعمار لا تعجل  
بخاصية عاملها على خطأ كان منهم ولا تخذلهم في أثناء قيامهم بأعمالهم في خدمتها .  
وأما تعريض في الامر حتى اذا مكنت الزواجع وكفت السن الشكاية وكان الامر  
نائماً لاشبهه فيه ، عمدت الى نقل عاملها الى مكان آخر وربما زادت في مرتبته حتى  
لا ينوم الشاكون أن نقله كان بسببهم أو اجابة لمطالبهم ، وفي ذلك قطع لمطمع  
الشاكين . وهي سياسة الانكليز في هذا العصر

### ﴿ بنو حنيفة ومسيلمة ﴾

قدمنا أن بني حنيفة كانوا قد وفدوا على النبي ﷺ وأسلم الوفد وكان فيهم مسيلمة  
في رحالم بمفظ ظهري فلما أعطاهم رسول الله المطايا ذكروا له مكان مسيلمة فاعطاه  
كما أعطى واحداً منهم وقال : أما والله انه ليس بشركم مكاناً يحفظ ضيعة أصحابه . ولما  
عاد الوفد الى قومهم ادعى مسيلمة انه أشرك مع رسول الله في الرسالة الى آخر ما بينا  
لما فصل عكرمة بن أبي جهل بجيشه الى البصرة لقتال مسيلمة ، أرسل أبو بكر  
في أثره شرحبيل ليجمعها على قتال مسيلمة . فاراد عكرمة أن يذهب بفخر القتال  
فتمجل وواقعه بنو حنيفة ونكبو . ووقف شرحبيل حيث بلغه الخبر وكتب عكرمة  
الى أبي بكر بما أصابه فقال أبو بكر لعكرمة في كتاب بعث به اليه : « لَا أَرَيْتَكَ

ولا تراني ، لا ترجع فتوهن الناس ، أمض على وجهك حتى تساند حذيفة وعرجة  
فقاتل معها أهل نعمن ومهرة ثم تسير أنت وجندك تستبرؤون الناس حتى تلتقوا أنت  
والمهاجرين أبي أمية بلبن وحضرموت ، وكتب إلى شرحبيل بالتموقف حتى يأتيه أمره  
كان خالد بن الوليد قد فرغ من أمر بني بربوع كما قدمنا فوجه أبو بكر إلى  
البيامة بمن معه وضم إليه جنوداً أخرى لأن أمر مسيلة كان قد استفحل بالبيامة  
والضم إليه جنود نبلع زريقين الفأ على ما يرويه الطبري اتبعوه عصبية وقاطعاً  
لقوميتهم مع اقارم بكذبه ، حتى ان بعضهم كان يقول : أشهد أن مسيلة كذاب  
ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر

سار خالد بجنده بعد أن ألقى به من : عليهم أبو بكر من المقاتلة وكان شرحبيل  
قد فعل فاعلة عكرمة فاصابه ما أصابه فلامه خالد ثم ان خالداً قدم إلى البيامة وواقع  
القوم وحاربهم أشد حرب واستمات بنو حنيقة في قتال حتى انكشف المسلمون  
وكادت الدرة تكون عليهم لولا أن الله ألهم رجلاً من المؤمنين أن صرخوا  
في القوم وصدقوا الحق على بني حنيقة ، ونبئهم فثبوا عن أنفسهم لله ، حتى خالطوا  
مسيلة فقتلوه . وقد نولى قتله حذيفة فقتل حمزة ورجل من الانصار . فلما رأى  
بنو حنيقة ذلك داخلهم الوهن فلجأوا إلى حصونهم واعتصموا بها وكانت المنصرة  
لخالد وجيشه في النهاية

بعد أن تم الأمر على هذا الوجه جاء إلى خالد نخاعة بن مرارة فصالحه على أن  
يحقق دم المقاتلة ، وأن يأخذ ما عندهم من نقود الذهب والفضة والصلح وربع  
السبي . وبعد أن تم الاتفاق على الصلح ورد على خالد كتاب من أبي بكر يأمره  
بقتل مقاتلتهم وقد كتبت شروط الصلح فوفى خالد للقوم بما عاهدهم عليه

بعد أن انتهى الصلح على هذا الوجه رجعت بنو حنيقة إلى الاسلام . فأرسل  
خالد وفداً منهم إلى أبي بكر . فقال لهم حين قدموا عليه : وبكم ما هذا الذي  
استعزل منكم ما استعزل ؟ قالوا يا خليفة رسول الله قد كان الذي بلغك مما أصابنا

كان امرأ لم يبارك الله عز وجل له ولا امشيرته فيه . ثم سألهم عن بعض أسجاع  
مسيحة ، فتلوا عليه شيئاً منها ، فقال : سبحانه الله والله ما خرج هذا من إليه ولا  
يزر قايين يذهب بكم ؟

وبهذا انتهى أمر بني حنيفة بعد أن عضت المسلمين حريمهم وقتل فيها كثير  
من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان . وأقام خالد بن الوليد من اودية الحماة يقاتل له  
الوثر . وقد قتل في هذا الحرب كثير من حفظ القرآن

### الهمن والاسود الغنسي

كان باذان عاملاً للفرس على الهمن فلما اسلم واستلم الهمن اقره رسول الله ﷺ على  
ما كان في يده حتى مات . وبعد وفاته جعل رسول الله ابنه شهراً والياً على صنعاء  
وولى على بقية الهمن عمالا آخرين ، وجعل قوماً بن جبل معلدا ينقل في كل ولاية  
من هذه الولايات

حدث قبل وفاة رسول الله ان قام رجل من غنس احدى قبائل قحطان اسمه  
الاسود الغنسي كان كاهناً قتلانياً ، وثابه على امره قوم من اعراب الهمن فاشتد بهم  
ساعده واقتحم بهم بلاد نجران فلم تلبث ان دانت له ودخل في امره عوام متحجج  
فيكثر سواده وأمرهم

وكان الرجل رأى ان الغريث يفسد عليه امره فرأى ان يبادر الفرصة قبل  
ان يجتمع امر المسلمين وتقدير القبائل في شأنها . فقصده صنعاء وهي اكبر حواضر  
الهمن واكثرها حضراً ووسعها ثروة فنازل عملها شهراً وقتله وهزم الابقاء ، وهم  
مولدة الفرس باليمن ، ولم يكن بين خروجه لهذا الامر واستيلائه على صنعاء سوى  
خمس وعشرين ليلة ثم تزوج بامرأة شهر بن باذان . وصار الرجل لا يعيل الى قوم  
الا دخلوا في امره او صانعوهم تقياً وابقاء على انفسهم وقريتهم وجعل امره يستطير

استطارة الحريق ، وقد كتب عمال رسول الله اليه بشأن الاسود وما يصنع ، فأرسل عليه السلام كتاباً على يد وجر بن يحنس الى من بصنما من الابناء بأمرهم فيه بالقيام على دينهم والنهوض الى العمل في امر الاسود وقتله بكل ما يمكن من الوسائل مصادمة أو غيلة ، وأن يهاقوا من رأوا عنده نجدة وديناً

عمل القوم على أمر رسول الله ﷺ فزاد أمر الرجل مستصعباً عليهم ، وبينما هم على هذه الحال اذ علموا بتغير الاسود على قيس بن عبيد بنوث المرادي ، وكان رئيس جنده وقد خبثت نية الاسود عليه وأضر له الشر ، وأعلمه ان الوحي أنه وقال له : ان انك يقول كعدت الى قيس فأكرمته حتى اذا دخل منك كل مدخل وصار في العز منك ، مال ميل عدوك وحاول ملكك وأضر على القدر ، انه يقول : يا اسود يا اسود يا سواة يا سواة . أقطف قننه وخذ من قيس اعلاه والا سلبك أو قطف قنك . فقتل قيس ، وأقسم به : كذب وذى الخمار . لانت اعظام في نفسي وأجل عهدي من أن أسدت بك نفسي . فقال الاسود : انك كذبت انك ، قد صدق الملك وعرفت الآن انك تائب ؟

انتهز الابناء هذه الفرصة ودعوا قيسا الى ما يرون من الفتنك به ، فلبى ثم أفضوا الى آزاد امرأة الاسود التي تزوجها بعد شهرين باذان بأمرهم وقال من اقيمهم : يا ابنة العم قد عرفت بلاء هذا الرجل عند قومك قتل زوجك وطأاً في قومك القتل وسفل بمن بقي منهم وفصح النساء : فقل عندك من مملأة عليه ، اخراجه أو قتله ؟ قالت : نعم والله ما خلق الله شخصاً ابغض الي منه ، ما يقوم الله على حق ولا ينتهي عن حرمة . فاذا عزمت فآذنوني

وفي هذه الاثناء جاء كتاب رسول الله ﷺ الى الابناء عامر بن شهر وغيره ووصل كتاب رسول الله ﷺ الى أهل نجران عريهم وسواهم فأنجازوا الى ناحية يريدون قتال الاسود وكانوا من بصنما من الابناء ليمشوا عليه

غير ان المؤتمرين بقتله عاجلوا الاسود بملاة آزاد زوجته وقتلوه في نصره

وهم فيروز وداؤيه وقيس . ولما طلع الفجر أعلن قتل الاسود بشعارهم من فوق القصر ، وفر أصحابه وجعلوا يترددون بين صنعاء ونجران . وكتب القوم رسول الله بقتل الاسود فوافي رسولهم المدينة عقب وفاة رسول الله ﷺ

كان الاسود قد استغلظ ملكه وثبت أمره ودان له بالطاعة ما بين صنعاء وسواحل اليمن الى عمل الطائف الى الاحمية وعليه بموته ظن المسلمون في صنعاء وما واصلها أن جو البلاد قد صفاء ولكن لما دامهم خبر وفاة رسول الله ﷺ عاد الامر الى أشد مما كان عليه وارتدت العرب وعدوا الى الخلاف تابعين لبعض الرؤساء فبعث أبو بكر الى من بقى على اسلامه من سادة اليمن ورؤسائهم يأمرهم بالثبات على أمرهم والوقوف حيال المرتدين حتى توافيهم النجدة

وذلك ان قيس بن عبيد يقرث وهو رئيس جند الاسود والعامل في قتله بد الى الردة حين علم بوفاة رسول الله ﷺ وكانب المهزومين من جند الاسود فاجتمعوا اليه . وأراد ان يقتل رؤساء الانباء فصنع ولجة دعاهم اليها فلم يظفر بأحد منهم سوى داؤيه وامتنع فيروز وخشخش بقبيلة خولان واستناب الامر لقيس صنعاء . وغرب عيالات الانباء فاستخلصهم فيروز بمهونة بفي عقيل وعلك . واجتمع لفبروز جموع من عرب اليمن كثييل وعلك وغيرهم فنزل قيسا دون صنعاء فهزم قيس ومن معه من قتل جنود الاسود ومن خف اليه من سواهم وخرجوا الى بحالاتهم التي كانوا فيها بعد مقتل العنسي يصيدون ويصوبون

في أثناء هذا القتال وافى جيش الاسلام الذي يقوده المهاجر بن أبي أمية وكان أبو بكر قد بعثه لقتال جنود الاسود العنسي ومعاونة الانباء ثم جاء على أثر ذلك عكرمة بن أبي جهل بمجنوده بعد ان انتهى من عمان ومهرة وبتعاون هذه الجيوش هزم الله المرتدين ومنح جنود الاسلام أنفسهم وأسر قيس وعمر بن معد يكرب الزبيدي وكان قد ارتد ونابح الاسود ثم أوزر قيسا على قتال المسلمين .

ولما جاء عمرو وقيس أسيرين إلى أبي بكر أنبأ قيسا على عمله وحسن دمه وبيع  
عمرا على ما كان منه وقل له أما تستحي أنك كل يوم مهزوم أو مأسور؟ لو تصرفت  
هذا الدين لرفعت الله . فقال لا جرم لأقبلن ولا أعود . فأطلقهما ورجعا إلى  
قومهما مؤمنين . وكان عمرو بن معديكرب البلاء الحسن في فتوح نهاوند ، وقد  
كان عمرو قد انهزم في أول ردة من خالد بن سعيد بن العاص وغنم منه خالد سيفه  
الصمصامة ، وقد بقي إلى عهد الولاة فدفعه إلى صيقل لبسته فتغير

### ﴿ ردة كندة ﴾

سبب ردة كندة اختلاف شجر بين زياد بن أبيه الانصاري عامل صدقات  
كندة وبين شيطان بن حجر وأخيه العداة في ناقة وضع عليها يسم الصدقة غلاما  
وأبي زياد أن يردها واستصرخ شيطان وأخوه قومهما بني عمرو بن معاوية من  
كندة فقاموا عصية لها وتبعهم غيرهم وتعلبت حضرموت والشكون لزياد  
وكانت الحرب بين الفريقين ومال شرحبيل بن السط وبنه وامرؤ القيس بن  
هابس إلى زياد فقتل من القوم وسبي . وقد الاشعث بن قيس يلك السبي وأدركت  
زيادا جنود المهاجر بن أبي أمية فتأول الاشعث وحصره وقومه ثم نزلوا على حكمه  
عدا تسعة منهم وقتل المقاتلة وسبي النساء والذرية وأتى بالاشعث فمعا عنه أبو بكر  
ورد عليه زوجته وهي أخت أبي بكر وبقي بالمدينة إلى فتح العراق

### ﴿ ردة أهل البحرين ﴾

واذا يسر الله سعيدا لاتاس فانهم سعداء

لبس بين الشقاء والسعادة سوى عقبة لا يقطعها الا الخيول من الشهوات ،

العاليون على حمى النفس ، المسالكون للإدارة المطلقة من سلطان التقليد والشهوة  
وكما مُني الإسلام في أول أمره يقوم قد رأت على قلوبهم أهواؤهم وضعفت  
نفوسهم عن أطراح سلطان الشهوات والعادات فلألاح لميولهم فجر كاذب لمن  
الآمال مالوا الى ما أنعمهم القديم وأرثوا نثار الفتنة وشبوا ضرامها وأبوا  
الا الاستمرار في الرجوع الى ما كان عليه أبائهم ، فقتل رزق ، انما قد استنارت  
بمناورهم بنور الهدى فكانوا للحق أنصاراً وللإسلام أعواناً : كالجارود بن المعل  
العبيدي ، وصفوان بن صفوان التميمي ، وعدي بن حاتم الطائي وأمثالهم ممن أراد  
الله أن يضرب بهم وجوه المرتدين حتى تعلموا كلمة الدين . « أشهر مشاهير الاسلام  
بعض تصرف »

كان أهل البحرين وهم قبائل من ربيعة قد وفدوا على رسول الله ﷺ في  
حياته فأمر عليهم المنذر بن ساوى . فلما توفي رسول الله كان المنذر مريضاً فوفى  
عقبه وارثه أهل البحرين كما أرثه غيره من العرب

تمت بكر على ردتها . وأما عبد القيس فكان فيهم الجارود بن المعل وكان له  
صحبة برسول الله وفتح في الدين وصحة عقل ودين . فجمع قومه وقال لهم : يا معشر  
عبد القيس اني سائلكم عن أمر فاخبروني ان علمتم ولا تخيبوني ان لم تعلموا .  
قالوا : سل عما بدا لك . فقال : أتعلمون انه كان لله انبياء فيما مضى ؟ قالوا نعم . قال  
تعلمونه او تؤمنونه . قالوا لا بل نعلمه . قال فما فعلوا ؟ قالوا ماتوا . قال : فان محمداً  
ﷺ مات كما ماتوا . وأنا أشهد ان لا إله إلا الله ، وان محمداً عبده ورسوله .  
قالوا : ونحن نشهد ان لا إله إلا الله وان محمداً عبده ورسوله وانك سيدنا  
وأفضلنا . وثبتوا على اسلامهم

اجتمعت قبائل ربيعة بالبحرين على الرقة ، عدا الجارود ومن تبعه .  
وقد اجتمع رأيهم على أن يلقوا بتقاليد الملك الى المنذر بن النعمان بن المنذر  
الملقب بالقرو



قام الخطم بن ضبيعة من بني بكر بن وائل في جمع عظيم من المشركين والمرددين  
ليستبيحوا حتى الجارود ومن معه من عبد النيس والمسلمين . ونزل القطيف  
وحجّر وبعث بعثاً الى دارين وبعث الى جوثي وشدد الحصر على المسلمين حتى  
بلغ منهم الجهد

فيما كان الخطم يفعل ذلك بمسلة ناحيته كان العلاء بن الحضرمي يسير اليهم  
في الجند الذين معه . فلما كان بحبال النخامة خلق به غامة بن أنال الحنفي في مسلة  
أبي حنيفة وقيس بن عاصم الحنظري في قومه . وأثناء كثير من أهل اليمن فسلك  
هم الدهناء حتى إذا كان في بحبوحتها نزل وأمر الناس بالنزول في الليل . فلما  
كانت أرجل القوم تنال الأرض حتى نفرت الابل بأحائها فابقي عندهم مير  
ولا زاد ولا ماء وأيقن القوم بالملاك وقد دهمهم من الأمر فلم يكن لهم في حساب  
جزع القوم له أصابهم وحق لهم أن يحرموا النعوس تلك ضيعة في غير  
غده . إذ المسكان قفر لا نبت فيه ولا ظل ولا ماء وقد أثبت ما كان مرسولاً  
بأيديهم من أسباب الحياة . غير أن العلاء أمير الجيوش أظهر من رباطة الجأش  
والثقة بالله تعالى والرجاء في غوث هذه المصيبة ما أناب للقوم بعض الرشدة . فلما  
أصبح دعا العلاء ربه ودعوا معه ولم يمض قليل من الزمن حتى رأوا الميعاد وشوا  
اليه وشربوا واغتسلوا وما تعالى النهار حتى أقبلت الابل لتجتمع من كل وجه  
فأناخت إليهم فقموها . والذي يخيل إلى أن الابل كان الجوع قد أخذ منها فلما  
نزل القوم ظننت أن بالمكان شيئاً من السكالات فترقت تطلب المرعى . فلما لم تجد  
شيئاً بقية أبلها وصدر نهارها ثابت إلى مجتمع القوم لهدمها أن الناس لا ينزلون  
إلا حيث يكون الأكل والماء . وقد كذب العلاء بما تلقى من عجيب الأمر ووجد أن  
الماء بمقاراة الدهناء وما صنع الله لهم من العطف في سفرهم

نزل العلاء حين خلص من الدهناء إلى هجر وأمر الجارود أن ينزل على الخطم  
عما يليه واجتمع أهل البحرين إلى الخطم سوى أهل دارين وأماز المسلمون إلى العلاء  
وخندق كل على عسكريه وكانوا ينفذون إلى القتال ويروحون . واستمر الأمر على

ذلك شهراً - ويأتاهم على هذه الحال اذ سمع المسلمون ضوضاء في معسكر أعدائهم فأرسل العلاء العيون فأخبر بأن القوم قد شربوا الخمر من النهار فلما أخذت من رؤوسهم أخذوا ما سمع من الضجيج ، ورأى العلاء الفرصة سانحة للإيقاع بهم فخرج بالمسلمين حتى خالط القوم وهم على حذر وأغلوا السيف في رقابهم كيف شاءوا وهرب الكفار بين متردٍ وناجٍ ومقتولٍ ومأسورٍ - ولم يفلت رجل الا بما عليه ، اسر المنذر بن النعمان وقتل الخطم ، وأرسل العلاء الى من ثبت على اسلامه من أهل تلك النواحي أن يقدموا لشهزمين بكل طريق ، ففعلوا ، وقسم ما كان بمعسكر أعدائه واتبع العلال واجتار الخطابج عند دارين يحيط به لا يضر الماء سوى الخفاف الأبل والنقور بين كان قد ركب السمن من قل ذلك المعسكر فقتلوه ولم يبق منهم بحبر - صرب الاسلام نيرانه في تلك الناحية . وكان مع المسلمين راهب من أهل هجر فاسلم وقال خشيت أن يسحقني الله بعدها ، فبض في الرمل ، ونهيد أجاج البحر ، ودع صمته في عسكرهم في الهواء - سحرا - اللهم أنت الرحمن الرحيم لا اله غيرك ، والبيدع فليس قبلك شيء ، والدائم غير المتأهل الحي الذي لا يموت وخالق ما يرى وما لا يرى وكل يوم أنت فيه في شأن علمت كل شيء غير تعلم ، فعلمت ان القوم لم يمانوا بالملائكة الا وهم على حق . وبذلك انتهى قتال المرتدين في هذه الناحية

### ﴿ ردة أهل عمان ومهرة ﴾

كان أهل عمان قد اسلموا في حياة رسول الله وولي عليه جعفر وعبد الله بن جلدنا وكان قد نبغ في عمان ذو الناج لقيط بن مالك الأزدي وادعى بمثل ما ادعى غيره من المتنبيين - وقد خافه ابنا جلدنا فهاذا بالجبال وكاتبها ابا بكر بشأه . فبعث الى هذا الوجه حذيفة بن المحسن وابنه بقرقة بن هرثة على الوجه الذي قدسنا . وأرسل في أثرهما عكرمة بن ابي جهل بعد نكبة باليعة فلمحقها دون عمان

أما لقيط فقد جمع جموعه بدني وواقه جيوش المسلمين فلما التقى الجمعان كان بينهما من القتال أشده واستعلى المشركون على المسلمين وكادت الدبرة تكون عليهم ، وبينما هم على هذه الحال اذ من الله على جيوش الاسلام بمدد اشنت به سواعدهم ، فواقهم جيش من بني ناجية يقوده الخطريت بن راشد وآخر من عبد القيس وعليهم سبعان بن صوحان فقتل ذلك في أعضاد المشركين ولم يلبثوا أن ولوا الادبار والمسلمون يأخذونهم بالسيف في كل سبيل فقتلوا منهم مقتلة قل أن سمع العرب بمثالها في ماضي حروبهم

ولما فرغ عكرمة من أمر عمان سار بجيشه ومن انضم اليه من ناجية وعبد القيس وراسب وسعد واقتحم بهم بلاد مرة فوجد القوم في جمعين من مهرة مختلفين : أحدهما تحت إمرة سحر يت رجل منهم ، والثاني تحت إمرة المصالح أحد بني محارب

عند عكرمة الى اعمال حيلته فكاتب سحر يتادعاه الى الاسلام فاجاب بمن معه . وأما المصالح فلم يقبل فشد عكرمة عليه بمن معه وصدق الخلة في قتال المرتدين وجاء أن يحرقوا ملحقه من غضب أبي بكر في قتال أهل الجاهلية ، فهزم جموع المرتدين وغنم المسلمون ما شاءوا وأقام بعد ذلك يسكن الناس وعاد القوم الى الاسلام

كانت حروب سوى ما ذكرنا بين المسلمين وأهل الردة وفي جميعها كان النصر حليف المسلمين

نرى مما قد سنا أن أبا بكر قام في شأن الردة وأهلها قياما محمودا وأخذ الامر بحكمة سامية وهمة نادرة المثال لا توجد الا في الابطال الذين لا يوجد بهم الزمان الا نادرا

فان تاجعت في كل ناحية وصقع وعصا قد انشقت وكلمة تفرقت وأمة قد

صار أهلها عبيد وركب كل حي هواه . فشمروا أبو بكر وضرب المدير بالقبيل  
ورمى كل نابج بحجره وسد كل ثغر ولقى كل كارثة بامثال عدتها ( كالسيل يقذف  
جلمودا بجلمود ) ، فلم تنقض سنة من ولايته حتى اختنق وليد الفتنة وقد شب  
عن الطوق ، واتخذ تلك النيران المستعرة كأنما قد قال لها كوني بردا وسلاما  
فكانت ، واجتث الفتنة من أصولها وأدال بطن الارض من على ظهرها من أهل  
الشفاق وانهمم بين سمع الارض وبصرها فجعلهم كالعجائز نحل خاوية فهل ترى  
له من باقية

عزيزة صادقة وحسن نظام في تزجية الجيوش ومرعة في تلقي الاخياد والقاء  
الاوامر ، وقواد قد خر جهنم الحروب وسقطنهم الوقائع ، وجنود باعوا أنفسهم في  
سبيل الله . كل ذلك عوامل نصر قل ان نجتمع لقائد الامة مجزة أو توفيق من الله  
من نظر نظرة صادقة في التاريخ لا يفرد في أن ابا بكر مجدد دين الاسلام  
ومسك رمقه بإذن الله في ذلك الوقت الذي ع فيه الدهول وغلبت الدهشة على  
العقول . وعلى الجملة فان انتصار جيوش المسلمين على سائر العرب المرتدين قد  
استأصل من النفوس الطماعية في الارتداد واستأصل البقية الباقية في أعماق  
القلوب من الشرك ووجد وجهة العرب وأياهم من كل دين سوى الاسلام  
وجمعهم على الطاعة لولي أمر المسلمين . وكانت ردة العرب وما استلبت  
من الحروب بمثابة تمحيص نفى من الأمة الزيف وأخرج الخبث وصق حساب  
الاسلام مع الشرك حتى صار الدين خالصاً لله



## ظهور الأمة العربية

لم تظهر الأمة العربية بين الأمم المتحضرة ذات الفنون والمطامع في الاستعمار منذ عرفها التاريخ الى أن انتهى أبو بكر من أصحاب الردة . نعم ان المؤرخين يذكرون عن بعض ملوك اليمن أخباراً غريبة في الغزو في بلاد بعيدة ولكن ذلك لم يحرز من الثقة ما يحقق لهم ذلك المظهر وإن كان ذلك ففي ازمان طال عليها القدم وعفى كثر القداة ومر العشى على تلك الآثار

لم يكذب أبو بكر بفخاخص يده من أهل الردة حتى امسك بكلفا يديه بدواقي فارس والروم يريد أن يلقى القوم بأيديهم اليه بالطاعة وأن يدخلوا فيما دخل فيه أهل الجزيرة العربية . والفارس والروم هما ما هما ضغامة ثروة وصهو مدينة واستبحر عمران وشمس عر وانبساط رقة وقوة بطش وخصوبة أرض واستحكام ملك وما شئت من موجبات السلطان والرفعة والامر

بشيء حدثني . ماذا حدث في الاكوان فقلب الوضع وجعل الاصل مغلوباً للفرع وصير المأكول آكلًا وأعاد النبيه خاملاً والغالب مغلوباً والسالب مسلوباً ؟ وبأي سلطان استفسر البعث واستأصدت الأوعال وجرت بيض الافعال الثمال ؟ انجتاح دولنا الشرق والغرب وتزلزل عروش القياصرة والاكامرة ونقض بيضة العالم القديم ونقل جيوش أوروبا وآسيا وافريقية بأيدي العرب وم في ذلك الحين قل حرب داخلية قد حصدهم حصداً وأكلت عددهم على ما هم عليه من قلة وذلة وسذاجة في العيش وعدم درية في فنون الحرب النظامية وضمف عدة وضيع ذات يد وقلة عدد بالقياس ( في كل ذلك ) على ما عند الدولتين ا انه لم يرقى عال يصعب تسفه ، ومرام وعري يعز على من دامه وبطل

كيف تسمى العرب أن يستيبحوا عربين الآساد ويدوسوا الحصون الشداد  
و المعازل ذات العتاد بمدد لا يزيد عن حامية مدينة من المدن أو حرس ناحية من  
التواحي مع رقة أحوالهم وخشوة عيشهم وقلة مددهم ونقصهم عن المدافعين في  
جميع مواد الحياة وكل الوسائل والعوامل المادية التي يحوز بها النصر وينال  
بها الظفر ؟

قد كان العرب في جميع أطوار حياتهم يحيا في فارس لا يهجم في نفوسهم  
هجم بالامتهطالة عليها أو مساماتها في الملك ومطاولتها في السلطان ، بل كانت  
فصاري من سمحت به همته الى الملك وتعلق بأن يكون له وقومه ما يشبه أحوال  
الناس أن يكون لهم تابعا ولا وأمر ملوكهم خاضعا ، ليس به منعة منهم ولا يد له  
بمدافعهم عن مراد يريدونه ، وقد كان الروم في شمال بلادهم ومن صاقبهم من  
العرب عمالهم على من يلبسهم من عرب نواحيهم يدينون للرومان بالطاعة ويذلون  
في مرضاتهم غاية الاستطاعة . لا يحدث أحد ملوكهم نفسه بالاستبداد بأمره ولا يطعم  
في اقتطاع أمور من يلبسهم دونهم . ومن كان يحلم ببعض ما كان منهم في عهد أبي بكر  
وعمر ، سكنت ويكت ، واحتسب ذلك منه بعض الاوهام أو أضغاث أحلام .  
فبأي لفاح لفتح دم هذه الامة فوثبت الى ما وثبت ، وأنت من ضروب خوارق  
العادات ما أنت ؟

كأنني بصائح يصيح : ان تضعم حال الدولتين بسبب الحروب وانتشار المظالم  
والانقسامات الدينية في بعضها دفع العرب الى اجتياحهما والانيان على ملكهما  
بالفتح والاستيلاء ( ومن لا يمس الملك بخلفه )

واني أجيبه بأن ذلك قد يكون بعض الأسباب وليس يمكن أن يكون كلها  
اذ العرب لم ترتق حالهم الى أن يكونوا أكثر من أحد الفريقين عدداً ولا أقوى  
عدة . ليس العرب فيها أتوا بأولى من ملوك الهياطلة في شرق فارس وخاقان

الترك في شمالهم وهم أم لهم ملك منق وأمر مجتمع وعددوا فرودة قوية ومدد متصل ونزوة عريضة ومطامع في الفتح وسابقة صول في فارس ونكاية في جنودهم وإيقال في حدودهم ، وليس للعرب من هذه الشؤون والبيوعات ما طؤلاه القوم ، فما الذي أهاب بالعرب إلى أن يأنوا ما أنوا ، وأنحجم بهؤلاء ، وهم أعلم بحال جيرانهم من العرب وأقوم على شؤونهم ؟ فلا بد أن يكون شيء وراء ذلك . وأيضاً فليس العرب بأولى من إحدى الدولتين بالاستيلاء على أخراهما وكل جندهم لا يعلم عدده ما يمكن أن يجتمع من إحدى الولايات فكان الأجدر باحداهما أن استولى على الأخرى بطريقة أسهل من استيلاء العرب وهم أضعف من أهل أية ولاية من الولايات وكل منهما تعلم من حال الأخرى ما لا يعلم العرب

أريد أن أذكر الدافع الذي حدا بالعرب إلى الفتح ثم أنبهه ببيان الأسباب التي ساعدتهم على ذلك وسهلت عليهم نيل ما نالوا بسرعة لم يعرفها التاريخ لامة فائحة قبليهم ولا بعدهم ، ولا لامة في مثل حالهم أو خير منها

## جراحة العرب على الفتح

ان العرب في أيام باديتهم وفي جميع أطوارهم قبل الاسلام كانوا ينظرون إلى الروم والفرس نظرة غيبة والاحترام يصير بؤس الامثال بعزها وسطوتها وضخامة ملكيتها ، لما ينظرون في أهلها من حسن الحال وقوة السطوة وضخامة العمران وما عليه حال العرب من الرقة وخشونة العيش وقلة الريف وضعف عدة الحرب ، اذ لا يعرفون منها سوى القوس والرمح مشدودة بالمصعب والسيوف يتقلدونهم مقلدة باليسور من قير أو خرقة . والقوم لم يهجم في خواطرهم ولم يمر في خيالهم قبل الاسلام أن يخرجوا من جزيرتهم غارين لجيرانهم ولا أن ينزعوهم انك

لا شك أن الاسلام قد بدل أحوال العرب وأشاع خفياً جديداً ، وغير ما كانوا عليه من الاخلاق وبدلهم منها أخلاقاً لا تلتئم مع الانكماش والانزواء . كانوا قبائل متنافرة وبطوناً متدابرة يضرب بعضهم رقاب بعض لا يبيت أحدهم إلا على حفر من بعدت به امصية من بني عمه وذوي قرابته . فزال الاسلام تلك الاضمان التي رانت على القلوب واستخرج تلك الاحقاد والنف من قلوبهم فاصبحوا بنعمة الله اخواناً اشداء على اعدائهم رحماً بينهم . وجعلوا عوامل التفريق دبر آذانهم وصاروا على قلب رجل واحد

ومن المعلوم في طبيعة الجماعات أن اجتماعهم يحدث فيهم قوة تشجع الجبن وتغري الباطل بالاقدام . فما قولك في أمة عظيمة اذا اجتمعت وكانت الشجاعة أخص أوصاف أفرادها لا شك في انها تقدم على المظالم وتنهين بالاحطار ولا شك في انها تقوم بما لا تقوم به عصبة أو فرقة عدداء أو في عدداء

لا يرجى غير ذلك من عصبة تغفل في مكاره الاعتقاد منها صدق لداعي الذي يدعوها الى سعادة الدنيا والآخرة وجرى من كل فرد مجرى دمه في مفاصله أن الآخرة خير وأبقى ، وأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون . وأن الذين يقتلون في سبيل الله ليسوا أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم . قد أوفى في نفوسهم انهم سيفتحون المدن والامصار ويحوزون الممالك والافطار ويأكلون كموز كسرى وقيصر . ووعد بعض أولئك الاعراب - البوالمين على أعقابهم - انه سيتحلى بحلى شاهنشاه كسرى . وكرر وعد الله لهم بالنصر على الملوك والاستعلاء على الممالك في غير موقف حق لم يبق في نفس أحد مجال لشك ولا محلا لريب . وفوق ذلك قد ذوتهم حلاوة النصر في مواطن كثيرة أدركوا فيها فوزاً لم يكونوا يؤملون بعضه وقادهم الى فتوح باهرة



فارتفع على يده الأيام ما لم يرهم المنام وقد استقر في مكان اليقين من نفوسهم انهم اذا صدقت منهم النيات في لقاء عدوهم فز المقبول منهم بمعاودة الآخرة واحرز الباقي بمعاودة الدنيا ( قل هل تريصون هذا الا احدى الحسنيين ونحن نقر بص بكم ان يصيبكم الله بمصائب من عنده أو بأيدينا ) هذان هما العاملان اللذان جرت العرب على المقام في بحر اقوى الدول شوكة وأشجعها بنياناً

أما الاتحاد فأجلى مظهره أن دين الاسلام عنوان التوحيد وقد نزلت الآيات الكثيرة حاثّة على الاتحاد واجتماع الكلمة منفردة من التفرق مجزأة منه سواء كان التفرق في الدين أو في الكلمة والرأي . وقد جاء في الدين أمور هي رمز ابدى للوحدة كاتحاد جميع المسلمين في استقبال مكان واحد يولون وجوههم شطره ايما كان الواحد منهم وحيث وجد وهو السكينة . وأوجب على المستطيع منهم حج هذا المكان وقضاء ذلك عنده تأكيداً لمعنى الوحدة مع فوائد أخرى . وأوجب ( على سبيل المكافأة ) اجتماع أهل المحلة خمس مرات لاداء الصلوات المكتوبة جماعة وذلك في كل يوم وأيلة وأوجب اجتماع أهل البلد الواحد في كل أسبوع مرة لصلاة الجمعة . هذا فضلاً عن اجتماعهم عند الأمور المهمة في سرور أو غيره فمصلاة كهؤلاء العبيدين والاستسقاء والسكوف والخسوف وغير ذلك . وانك لا تكاد تقرأ خطبة من خطب الخلفاء الراشدين إلا ونجد فيها ذكر الاتحاد والاتفاق وما نالت الامة ببركة الاتحاد بعد الاختلاف وانه منة من منن الله تعالى على الامة اعنتهم الدين بها من الاهواء المختلفة والآراء المتباينة . أما ما جاء في الاحاديث فشيء كثير جداً لا يكاد يستقصى مستقص

وأما تحقّق صدق رسول الله ﷺ فيما جاءهم به من وعد الله لهم باحدى السبيلين ان قتلوا أو قازوا فيما أخبرهم به من الاستسقاء والتفك في الأرض وغلبتهم على دوائى كسرى وقيصر فظاهر من أقوال أصحاب رسول الله ﷺ وما قاهروا به في حضرة الملوك وقواد الاجناد ، كقول المغيرة بن شعبه لرسولهم حين

قل له « انكم ستموتون فيما تطالبون » اذ قل له المفيرة « يدخل من قتل منا الجنة ومن قتل منكم النار » ويظهر من بقى منا على من بقى منك . « وهذا عبادة بن الصامت قد خونه المقوقس جموع الروم وان العرب في قلة عددهم لا يقدرون عليهم » فقال عبادة « يا هذا لا تفرق نفسك ولا أصحابك أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا نقوى عليهم » فلعمري ما هذا الذي نخوفنا الذي يكسرنا عما نحن فيه وان كان ما قلتم حقاً فذلك والله أرغب ما يكون في قتالهم وأشد لحرصنا عليهم ، لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا اذا قدمنا عليه . إن قتلنا عن آخرنا كان أمكن لنا في رضوانه وجنته ، وما نبي أقر لاعتنا ولا أحب لنا من ذلك . وإنا منكم حينئذ لعل احدى الحسينين : اما أن نعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا ان ظفرنا بكم أو غنيمة الآخرة ان ظفرتم بنا وانما لاحب الخالصين اليها الخ

## الامور التي ساعدت العرب على الفتح

قد اختص المسلمون في أول الفتح بأمور ساعدتهم على قصدهم وكانت عوامل اجتماعها كان فوزهم ولم يكن لاعدائهم مثل ما لهم ، فكانت لهم بها الميزة على خصومهم . نذكر منها :

١ نشاط العرب وخفة انقائهم لالفهم خشونة العيش ونجاحهم عن التعرف ومذاهبه بما أرفوه من سكنى البادية وتعودهم الجوع والعطش واجترأؤهم بالقليل مما يملك الرمي فلا يتكلف أحدهم ما يثقل كاهله أو يشق على راحلته حمله كما يفعل الجنود في الامم المتحضرة فانهم يحتاجون الى أصناف متنوعة متعددة من المأكول والمشروب وأدوات صحية وعقاقير طبية وعلوفات للماشية وأواني للقيام وكل ذلك مشغلة للجنود عائق لهم عن سرعة السير

ولا تنس ان العرب معهم الايل التي تصبر عن الطعام والشراب أياماً عديدة

فلا تقومها الصحارى ولا يتهيبون القفار وهي معهم

ان الجند المتعدن لا يستطيع السير في بلاد غير مشبعة الا اذا كان معه الاحمال من البقساط والقمح والمخوطة والسكر والشاي والبن والشمع وفناطيس<sup>(١)</sup> الماء والطيام والأمتعة وعلف الماشية . وقد كانت حملة الميمنة سنة ١٨٩٧ - ١٨٩٨ عددها ١٥٠٠ جندي ورجالها أربعة آلاف وستمائة الخالة والخدم . أما الرجل من أهل السودان ( وهم عرب ) فكان الواحد منهم في غنى عن ذلك كله يجر اب فيه شيء من الذرة الجافة أو الدخن يتأبطه وربما كان ذلك مؤنة شهر أو شهرين . وهو في ذلك يكاد يكون نسخة مطابقة للاصل من المجاهد العربي في عصر الفتح ٢ اعتقاد المسلمين بالقضاء والقدر ، وقد رسخ ذلك في نفوسهم أعظم رسوخ مما جاء في الكتاب العزيز من مثل قوله « ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها » وقوله « قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم » وقوله « اذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » وقوله « قل ان يصيبنا الا ما كتب الله لنا » فكان هذا الاعتقاد يحدوهم الى الاستمالة بالاختطار لانها لا تقرب أجلا ولا تديني حيناً . ولهذا أبدوا من البسالة ضروباً ومن الشجاعة والاقدام فتوناً ، ولم يكن اعتقادهم ذلك على النحو الذي يتخيله الأوروبي فيؤمن اعتقد هذه العقيدة من أنه تكلفة مستسلم لا يهتم بعمل ولا ينشط لدافع اعتماداً على القضاء والقدر

٣ ان العرب وان كانوا حديني عهد القتال والرحل ، ولكن القتال لذلك العهد كان يبدأ بالمبارزة غالباً فيبدأ الفارس بطلب قرناً ينازله . وخيل العرب أنجب من خيل الفرس والروم ، فهي تدرك الخصر اذا سكرت وتفتوته اذا فرت . وكانوا أقدر على تصريف اللاحته من سواهم « فرس الواحد منهم طوع يده وكانوا اسدً بالنبال رمياً ، وكان لذلك يقابل أن يفوز العربي بالقلب على مبارزة فيكسر

(١) يطلق هذا لفظ على أربعة توضع فيها المياه لاستعمالها عند الحاجة

ذلك من قلوب مقاتليهم ويوقع اربعهم في نفوسهم من أول الامر، وخاصة اذا كان المغلوب رئيس الجند أو من شهر الشجاعة فيهم

٤ ما كان للمسلمين من الثروة الواسعة في عطاء الرجال من القواد ذوي الحفكة والدرية قد خرجتهم الحروب ونفقتهم اوقئهم فبرزوا كايبرز السيف من الصقال . فن ما كان في طيبة العرب من حب الفز والاغارات والتلبب للصيال والحفاظ للجار كل ذلك اوش نار الحرب بينهم . وقد كانت وقائع الاسلام من غزوات ومرايا مدرسة عليا زادتهم تبصيرة بالحروب ومكائدها وعودتهم احرار الفوز

وقد جاءت حرب الردة فزادتهم في الحرب بصيرة وفي مكائدها حذقا ومهارة فاذا ذهنا نعد أمثال خالد بن الوليد وخالد بن سميد وأبي عبيدة بن الجراح وسميد بن أبي وقص وميزيد بن أبي سفيان وعلي بن أبي طالب ممن تتجلى فيهم البسالة والخذق في قيادة الجنود وجدنا عدداً جماعاً واذا أردنا أن نعد أمثال عمرو ابن العاص ومعاوية بن أبي سفيان والعبدة بن شمية ممن يغلب عليهم الدهاء وحسن السياسة وجدنا عدداً فوق السكينة وعلي رأس هؤلاء وأوائك أبو بكر وناهيك بالرجل في الحزم والتقوى وصدق المزية والمدل

ان أمة تقم حاشيتها أمثال من ذكرنا جديرة بأن تنبؤاً أعلى مراقب العظمة ونحو أقصى غايات الفخار

■ نجدة العرب واستمسالك كثير منهم بأسباب العصبية . ذلك ان العرب المنبشرين في نواحي الشام الخاضعين للروم ، وكذلك العرب الذين يناوحوون الفرس ، لم يبدؤ منهم كبير عناد في مقاومة المسلمين ومقاتلتهم وان كانوا على غير دينهم . فان الرابطة التي كانت تربط العرب في تلك الاصقاع بفارس والروم لم تكن مبررة لحفكة والقوم لم تزل أنفسهم تشعر بأن العرب قومهم وفنهم التي يرجعون إليها فلم

يكونوا يحتاجون الى كبير علاج في دخولهم في الاسلام أو الدخول في طاعته  
وكان ذلك من الاسباب التي سببت فتح بعض البقاع وقتت في اعضاء أعدائه

٦ حفظ خط الرجعة . فلا يؤغلون في البلاد قبل أن تدين لهم بالطاعة  
ويتقوا بأن العدو قد انقطع طعمه من مفاجاتهم من خلف ظهورهم . وكان ذلك في  
مبدأ الامر هيناً عليهم في جهات الشام . فان الصحراء من خلفهم تكون لهم ملجأ  
اذا خافوا أن يلحق بهم عدوهم ولا يتقدمون خطوة في أرض عدوهم الا اذا  
كانوا قد استولوا على ما على أيديهم وشمطهم من المدن والبلاد ودان لهم بالطاعة  
وسدوا كل نغر بالثقالة

وقد كانت تلك القاعدة مربية عندهم يحرمون عليها كل الحرص  
وقد قال المثنى بن حارثة الشيباني « قتلوا القرص على حدود أرضهم على أدنى  
حجر من أرض العرب ، ولا تقاتلهم بقر دارهم ، فان يظهروا الله المسلمين فلهم  
ما وراهم وان مات الاخرى رجعوا الى فئة ثم يكونون أعلم بديابهم وأجرأ على  
أرضهم الى أن يرد الله الكرة عليهم » وقد أقام سعد بن أبي وقاص بمداين كسرى  
بعد افتتاحها وكذلك عمرو بن العاص أقام بالاسكندرية . فقال عمر بن الخطاب  
« لا تجعلوا بيني وبينكم ماء ، متى أردت أن أركب اليكم راخى حتى أقدم عليكم  
قدمت » فتحول سعد الى الكوفة وتحول عمرو الى القسطنطينية

٧ ما كانت عليه أحوال الدولتين الفارسية والرومانية من الاعنلال والاختلال  
وقد أثبت على شرح تلك الأحوال في المحاضرات الماضية بما يعزك صورة  
مصفرة للدولتين في نفس القاري.

ذلك ان حال كل من الدولتين كان في انحطاط وتدهور فقد فسدت الاخلاق  
وانحطت الحياة الاجتماعية ويدا التحاسد والتباغض في بيت الملك وخبيثت النيات  
وكثرت الدسائس بين الاب وابنه والاخ وأخيه ، ونزاع على عروش الملك ابناء

السوقة والفاصيون . هذا فضلاً عن الاختلال في الأحوال الدينية ودوام المنازعة بين أهل الدولتين واستمرار نثر الحرب فما تكاد الدولة منها تُمد السيف من حرب في الخارج حتى تستله على الرعية في الداخل وكل ذلك دعا إلى تضعف حال الدولتين وأوجب اختلالها

هذا فضلاً عن استحكام الشحنة بين أهل البلاد الداخلة في حكم الدولة الرومانية وبين الرومانيين وبخاصة في مصر والشام . لاختلاف القوى في المذهب الذي يدينون به ومباينتهم للرومن في ذلك واستئلاهم على أهل البلاد بالمهم من السلطة وأخذهم بالعسف . ولإقباط في مصر فدء نواحكم الأجانب من فرس فيونان ورومان أجيالاً متطولة وقسوا من ذلك أهوالاً وينسوا من قيام الملك في أحد منهم وأيقنوا أنهم مأكولون على كل حال فهان عليهم الانتقال من سلطة إلى سلطة رجاء أن يجدوا فترة يجدون فيها راحة من الضغط والقلم . وكذلك أهل الشام وهم خليط من الآراميين والسريين والانساط واليهود وغيرهم فقد نلهم ما نال المصريين ، فلا يهم أحداً من هؤلاء أن يكون الحاكم عربياً أو رومانياً وإنما يهمهم أن يجدوا من الراحة . وبما لاختلاف فيه أن المزمع يميل بطبعه إلى اليعسدية عنه ويرجو أن ينال النفع منه ويتمتع به الخبير في انقادم الجهول أكثر مما يظنه في الحاصل المعلوم ، وبخاصة إذا كان الفرق بينهما ظاهراً كما كانت الحال ظاهرة الفرق بين الروم والعرب ؛ فقد كانت الرومان يومئذ في اذبار دولتهم وأخطاطهم وقد فسدت آدابهم وأحكامهم ، والعرب في ألبان اقبال دولتهم ودور نهضتهم وقد جعلوا العدل شعارهم والمساواة أساس أحكامهم فكان ذلك من العوامل المساعدة للعرب على افتتاح ما فتحوا في تلك الحيات

٨ كان الرومان مع انقسامهم إلى طوائف وأحزاب في الدين قد اجتمعوا على

اضطهاد اليهود ومضايقتهم مضايقة شديدة وقد بلغت البغضاء بين الفريقين أقصى نهايتها واليهود يودون بجمع الالف أن يصيبوا رغم الرومان فكانوا عونا للمرب يدلونهم على عورات القوم ويرشدونهم الى مقاتلتهم

وهذه مدينة السامرة افتتحها أبو عبيدة بن الجراح صلحا على أن يكون أهلها

عيونا للمسلمين على أعدائهم وأظهروهم أرضهم ووضع عنهم جزية رءوسهم

٩ ان المسلمين كانوا يمشون المدل في البلاد التي تدين بطاعتهم ، ويرفقون بالربة ويعفون عما في أيدي المحكومين ، وهذا شيء لم يألوه في حكمهم . فكان

شروع هذه الخلال عنهم بسبقهم وفتح لهم القلوب قل فتح المدن والحصون

١٠ ان العرب كانوا اذا دخلوا قرية أقرؤا أهلها على ما هم عليه من دين

ومعاملات ولا يتقاضون منهم سوى الجزية ثمناً لحايتهم والدفاع عن حوزتهم وتأمين

سبلهم وهي بالطبع ليست الا جزأ من الاناوة التي كانوا يؤدونها الى حكمهم من

الرومان ، فكان في ذلك تخفيف لأصعبهم وما عليهم من الاغلال . ويرى ذلك

واضحاً في قول عباد بن الصامت المذوقس والقط لما دعاه الى الاسلام : وان

أنتم الا الجزية فأدوها البنا عن بد وأنتم صاغرون وأن فاعلمكم على شيء نرضى

به نحن وأنتم في كل عام أبدا ما بقينا وبقيتكم ونقاتل عنكم من ذواكم وعرض لكم

في شيء من أرضكم ودمائكم وأموالكم ونقوم بذلك عنكم الخ

ولما دخلت حصص في ذمة المسلمين وأدوا الجزية واحتاج المسلمون بعد ذلك

الى الاجتماع في البيروك ردوا الى أهل حصص ما أخذوا من جزيتهم وقالوا : قد

شغلنا عن بصرنكم والدفع عنكم فأتتم على أمركم ، فقال أهل حصص : لو لايتكم

وعدكم أحب الينا مما كنا فيه من الظلم والظبير ، ولندفعن جند هرقل عن المدينة

مع عاملكم

وعلى الجملة ان المسلمين لم يحررهم على الفتح سوى الدين وصحة الاعتقاد

بالنصر مع ما كان فيهم من الميزات كالمهارة والقروسية وقوة أبدانهم ونشاطهم وما كانوا عليه من التفشيف وبجاعة الترف ومذاهبه ، وتبوغ كثير من القواد وذوي الرأي ، مع العدل والنسب والرفق ، واختلال أحوال دولتي الروم والفرس وملل المحكومين من حكامهم ، فلم يرض عليهم بضع عشرة سنة حتى اجتاحت فلسطين والشام ومصر وال عراق وفارس وأخذوا ينتقصون الأرض التي على الساحل الجنوبي للساحل الأبيض المتوسط بخطوات ثابتة ، وهو أمر لم يمر به التاريخ لغير العرب

## غزو الفرس

لو أن أبابكر حين فرغ من أمر أهل الردة أعاد الجيوش إلى بلادها وأفر السيوف في أعماقها لما استفاد له الأمر طويلا ، ولعاد بعد قليل إلى نشر ما طوى ولا حجاج إلى التنازع ما انتهى منه وانقر إلى إطفاء فتنة تشب في الأطراف وحروب تستمر نارها في أرجاء البلاد . لأن قوما شديدا وشابوا في الجلال والصدام لا يمكن أن يبدأ تناثر نفوسهم ، بل هم يحرسون على تخلف الأعداء في الداخل أن لم يجدوهم من خارج بلادهم . ولكن الله تعالى خلق لهم الاشتياك مع الفرس ثم الروم ليكون ذلك أدعى إلى توافق القوم وتوازرهم وتناصرهم فتقطعت الحروب فيما بينهم واتصلت بينهم وبين مجاورهم

كان ابتداء أمر فارس مع المسلمين أن الملك في فارس كان قد أفضى إلى بوزان بنت كسرى لفقدان من يصلح من بيت الملك لأن شيرويه كان قد قتل جميع إخوته سوى جوان شير فانه كان طفلا . فلما مات جوان شير وليت هي الملك بعده فشاع في أطراف الأرضين أن فارس لا ملك لها وإنما يلودون بباب امرأة ، وكان أمر فارس في اضطراب واختلال مُطمع لججير أن



خرج في تلك الايام رجلا من بني بكر بن وائل . أحدهما المثنى بن حارثة الشيباني ، وثانيهما سويد بن قطبة المعجلي وثلاثا فيمن جمعا من العرب بنحوم أرض المعجم فكانا يُغيران على الدّهاقين <sup>(١)</sup> فيأخذان ما قدرا عليه ، فإذا طُلِبَا أَمَعْنَا في البر فلا يتبعهما أحد . وكان المثنى يغير من جهة الحيرة وسويد من جهة الأبلّة وذلك في خلافة أبي بكر . فكتب المثنى الى الخليفة يعلمه ضراوته بفارس وينبئه بوهن القوم ويسأله ان يمدّه بجيش ليؤثر في فارس

كان خالد بن الوليد قد انتهى من أمر بني حنيفة حين ورد كتاب المثنى على أبي بكر فندبه لفرز بلاد فارس وأمره ان يبدأ بفر الهند وهو يومئذ الأبلّة ونذب عياض بن غنم ليقرّض فارس من الشمال ويبدأ بالخصيح في شمال العراق وأمرهما ان لا يستكرها أحداً من معهما إذا عزمّا فانقض عنهما جموع ممن معهما وأمرهما ان يستنفرا من قاتل أهل الردّة ان لا يستمينا برتد . ولما استمده خالد وعياض آمد الاول بالقمعاق بن عمرو التيمي وقال لمن راجعه بقوله أئمه برجل واحد : « لا يُقاب جيش فيه مثل هذا » وأمد الثاني بمد يثوث الحبري

ولما رأى خالد أنّ كتاب أبي بكر وهو بالجماعة كتب الى صاحب النقر وهو « هرّمز » كتاب ائذار يقول فيه « أما بعد فاسلم تسلم أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة واقرب بالجزية والا فلا تلومن الا نفسك فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة » ولم يحمل خالد عسكره في طريق واحد . بل جعلهم ثلاث فرق فسرح المثنى بن حارثة ( وكان قد وافد فيمن معه ) قبله بيومين . ثم عدي بن حاتم وعاصم ابن عمرو : أحدهما قبل صاحبه بيوم . وخرج خالد وقد أعدد لهم الحفير ليجتمعوا به ليصدعوا عدوهم مجتمعين

لما قدم كتاب خالد على « هرّمز » كتب بالخبر الى اردشير الملك وجمع جموعه ثم تعجل يريد السكواظم وهي من جدّة الجماعة فلم يجدّها طريق خالد ونبيّه انذ

(١) للعتقان ( يضم دال وكسر ها ) دميم فلاحى المعجم ورئيس الاقليم

اجوع المسلمين تواعدوا الخفير فيسبه يبادرهم اليه وعي به جيشه  
ولما علم خالد بأمره عدل عنه الى كاظمة ، تخف هرمز اليها ، وكان من أخبث  
الناس وأشدهم دهاء وأعظمهم شكاية تضرب العرب به المثل في الكفر والظلم لما  
كان منه من سوء الجوارهم ، وكلهم عدوله حقد عليه . وكان هرمز قد بقى في عسكره  
وقد قيدوا أنفسهم في السلاسل آية استيصالهم في القتال وعدم الهراخ ، وكان الماء  
في أيديهم . ولما وافى خالد نزل على غير ماء ، فقبل به في ذلك قتال : حطوا  
أقنالكهم ثم جالدوهم على الماء الممري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين  
ثم تبارز هرمز وخالد ، وكان هرمز قد اتفق مع أصحابه على القدر بخالد اذا بارره  
فلما انقلبوا صرعه خالد وخرج أصحاب هرمز لاستنطاق خالد فلبثه ذلك عن قتله  
وخف القمطاع في جماعة الى أصحاب هرمز فأناموهم وشدوا على القوم فانهمزوا  
ثم رحل خالد بجيشه حتى نزل قريبا من موضع البصرة وكانت لم تبق في  
ذلك الوقت

كان كسرى قد أمد هرمز بجيش تحت قيادة قرون بن قرياس فعصل عن  
المدائن حتى انتهى الى المذار ( على أربعة أيام من البصرة الى شمالها قرب واسط )  
فأدركه قتال جيش هرمز من الاهواز والسواد والجيل ، وضوى جميعهم الى جيش  
قرون وعسكر جميعهم حيث انتهى واستعمل قرون على مجتهدية قيادته وأنوشخان ،  
وكانا من قواد هرمز . وخف المشي وأخوه المقتى الى خالد بالخبر فقسم اليهم على  
من أفاء الله عليه ونقل من الخس ما شاء الله وبهت بيقينه وفتح الى أبي بكر مع  
الوليد بن عقبة ، وبهت معه بالخبر عن اجتماع القوم معهم ومقاتلتهم بالثني . وخرج  
خالد بجيشه حتى التقى وهو على تمية بجيش قرون فقتلوا على حقيق وحفيظة  
وبدأت الحرب بالمبارزة فكان أول صريع وقتل الاخوان أنوشخان وقباز وها

من ذرية أردشير الأكبر وقتلت الفرس مقنلة عظيمة وانهمزوا وأعطى خالد  
الاسلاب لـالبها باللغة ما بلغت وقدم الفتيمة وبعث بالجنس والفتح الى أبي بكر  
مع سعيد بن النعمان من بني عدي

انتهى خبر الخزيمة الى كسرى الملك فجهز جيشاً كبيراً بقيادة الاندلس زغر  
فسار حتى أتى كسكر ثم الى الوجلة وهي في شمال المدار ، ثم حجز بهم من جاذويه  
فصلك وسط السواد وحشر الى الاندلس زغر من بين الحيرة وكسكر من عرب  
الضاحية والدهاقين وعسكروا الى جنب جيش اندلس زغر

أما خالد فلما علم بأمرهم أذن بالرحيل على تمجية بعد ان خلف على القرى حامية  
نحوي ظهر جيشه وتحفظ عليه خط الرجعة ورتب المحرم على عدوه من ثلاث جهات  
جعل جهتين منهما كميناً وصادمهم عن معه فقاتلهم قتالاً شديداً حتى ظن الفريقان  
أن الصبر قد نفذ ، واستيقظ خالد كمينه ، ثم لما بشعر للقوم الا بالسكينة قد اكتشف  
العدو من جانيه فانهزمت صفوف الاعاجم وأخذهم السكينة من خائهم وخالد بن معه من  
بين أيديهم وانهمز اندلس زغر ومات عطشاً ، وأصيب في هذه الواقعة كثير من نصارى  
بكر بن وائل فتغلب احمية لغوهم وكانوا الفرس ليكوتوا لهم عوناً على العرب المسلمين  
واجتمعوا بالقيس وعلى العرب رؤسائهم وعلى الفرس جابان ، وقد أمره جاذويه أن  
لا يثاقل العرب حتى يصل اليه الا ان يعجلوه

ولما علم خالد باحتشاد القوم تعجل اليهم وهو لا يظن ان يلقى الا متحصرة  
العرب من عجل وانيم اللات وضيفة وعرب الضاحية ولا يظن ان جابان معهم .  
فلما أطل عليهم كان الفرس قد هبوا الطعام وتنادوا له ولم يظهروا الا كثرات  
لامر خالد ومن معه ، وكان خالد على تمجية فاجهضهم عن طعامهم وقاتلهم قتالاً شديداً  
وكانت جموع المشركين تزيد كآبة وشدة هزيمة منهم بأن يهزم جاذويه لاحق بهم في  
مدد عظيم ، وحرب المسلمون عليهم فكشف المشركون وكانت عليهم الهزيمة

وأخش خالد في قتلهم وغنم المسلمون طعامهم الذي كان مهياً لهم . وكان فيه الرقاق فلم يعرف كثير من المسلمين ما هو وقلوا ما هذه الرقاق البيضاء . فكان العارفون منهم يمزحون قائلين هذا رقيق العيش . وكانت هذه الوقعة في صفر من السنة الثانية عشرة الأومة الأبله فكانت في الحرم وكان جيش خالد قد بلغ ثمانية عشر ألفاً وكان لانصره واقعة الا كانت التي تليها أعظم منها نصراً وغنيمة . وكان يوصي باللاحين وأهل الاعمال ولا يظلمهم بل يترحم في عملهم ولا ينصدي الا لمقاتلة وأهلهم وكل ذلك عملاً بوصية أبي بكر له . وكان من أمر خالد انه بعد وقعة الوجعة حارب في جندته يرغبهم في بلاد العجم ويهدمهم في بلاد العرب . وقال :

« ألا ترون الى الطعام كرفع القرب وباقه لولم يلزمنا الجهاد في الله والدعاء الى الله عز وجل ولم يكن الا المناس ، لسكان الرأي أن تقارع على هذا الربح حتى نكون أولى به ، ونولي الجوع والاقبال من تولاه عن انفاق عما أنتم عليه »

ولما فرغ خالد من وقعة آليس نهض فأتى مغيثاً وتجد جلا أهلها عنها وذهبوا في السواد وكانت مصر كالحيرة وكان فرات يذئني ينتهي اليها وكانت آليس من مداخلها فأصاب المسلمون بها ولم يسيروا مثله فقد بلغ منهم الفارس ألفاً وخمسمائة درهم سوى المنفل الذي نفعه خالد أهل البلاد ثم أمر بهدمها وكل شيء كان في حيزها . ولما جاء خمس الفتيمة الى أبي بكر وبلغه ما صنع خالد أخبر قريشاً الخبر فقال « يا معشر قريش ، عدا أسعدكم على الاسد فقلبه على خراذيله . أعجزت النساء ان ينشعن مثل خالد ؟ »

لما علم الازادبة مرزبان الحيرة بما صنع خالد بامغيثيا أيقن انه غير تاركة قهياً للحرب وقدم ابنه أمامه ثم خرج في أثره على عسكر خارجاً من الحيرة وأمر ابنه بسد الفرات . وكان خالد قد حمل الرجل في السفن مع الانفال والانفال . فلم يفجأ الا والسفن جوائح . فارتاع المسلمون لهذا الامر . وقل لهم الملاحون ان الفرس قد

فجروا الانهار فملك الماء غير طريقه ولا يجري الماء البنا الا بسد الانهار . فنهض  
خالد في خيل نحو ابن الازاذبة . فلقى خيلا من خيله فجهت بهم وهم آمنون لغارة خالد  
في تلك الساعة فقاتلهم بالقرح ثم نهض من فوره وسبق الاخبار حتى لقي بجند من جند  
ابن الازاذبة على فرقات يادقلى فقاتلهم وهزمهم وسد الانهار وسلك المساء سبيلا .

ثم استلحق خالد عسكره ويمم الخيرة حتى نزل بين الطوروق والنخف  
أما الازاذبة فقد طرقة مصاب ابنه وحبر موت اردشير في وقت واحد فهاله الامر  
وكان معسكراً بين الغريين والقصر الابيض فاستخذه الفزع فغير العرات هارباً من  
غير قتال قبل ان تمام أصحاب خالد . فلحق بخالد عسكره سار حتى عسكر بهم  
مكان الازاذبة وجنوده . وأهل الخيرة منحصرون . فدخل الخيرة الخيل من عسكره  
وأمر ضرار بن الأزور بمحاصرة أهل القصر الابيض وبه أبياس بن قبيصة الطائي  
وضرار بن الخطاب بمحاصرة قصر العدسيين وفيه عدي بن عدي العبادي . وكان  
ضرار بن مقون المزني عشر عشرة اخوة له محاصراً قصر بني مازن وفيه ابن أكل  
والمثقي بن حارثة كان محاصراً قصر ابن بقلعة وفيه عمرو بن عبد المسيح وقد عهد  
خالد الى أمرائه ان يدعوا القوم الى الاسلام فان أجابوا قبلوا منهم وان أبوا ان  
يؤجلوه يوماً وقل لا تمكنوا عدوكم من ادانتكم فبصرتموا بكم الدوائر واسكن ناجزهم  
ولا تردوا المسلمين عن قتل عدوهم . ففعلوا فاختار القوم المناجزة وعهدوا للمرى  
المسلمين بالخزف فرشهم المسلمون بالنبل وبنوا غارتهم ففتحوا الدور والديارات  
فنادى القيسيون يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم . فنادى أهل القصور يا معشر العرب  
قبلنا واحدة من ثلاث فمكفوا عنا . وخرج رؤساء أهل القصور الى خالد فخلأ بأهل  
كل قصر على حدة ولاهم وكان مما قتلهم ويحكم ما أنتم ؟ أعرب فما تنقمون من العرب ؟  
أو عجم فما تنقمون من الالف والعدل ؟ ثم قل اختاروا واحدة من ثلاث ان تدخلوا  
في ديننا فلكم مالنا وعليكم ما علينا ان نهضم وهاجرتم وان أقمتهم في دياركم .

أو الجزية أو المأبذة والمناجزة فقد والله أتيتكم بنوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة. فقالوا بل نعطيك الجزية. وصالحوه على مائة وتسعين ألفاً وبعث خالد بالفتح والهدايا إلى أبي بكر. وكانوا أهدوا إلى خالد هدايا، فقبل أبو بكر الهدايا على أن تكون من الجزية، وكتب إلى خالد أن أحسب لهم هديتهم من الجزاء. وخذ بقية ما عليهم فقوم بها أصحابك. وقد كتب خالد لأهل الخيرة كتاباً هذا نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم. هدايا ما عهد عليه خالد بن الوليد عديا وعمرا ابني عدي وعمرو بن عبد المسيح وإيس بن قبيصة وحبري بن أكال وهم ثقباء أهل الخيرة ورطبي بذلك أهل الخيرة وأمرهم به. عاهدكم على مائة وتسعين ألف درهم تقبل في كل سنة جزاء عن أيديهم في الدنيا رهبانهم وقسيسهم إلا من كان منهم على غير ذي يد حبيساً عن الدنيا ناركاها، وعلى المنعة وإن لم يمنعمهم فلانني عليهم حق يمنعمهم وإن غدروا بفعل أو قول فالدعة منهم بريئة. وكانت كتابة هذا العهد في شهر ربيع الأول سنة ١٢ هـ.

ومن طريق ما يحكى في فتح الخيرة أن رجلاً من مناصرة العرب اسمه شويل كان قد أسلم على يد رسول الله ﷺ فسمع رسول الله ﷺ يشير المسلمين بأن قصور الخيرة ستفتح عليهم. فسأله أن يعطيه كرامة بنت عبد المسيح من سبي الخيرة حين تفتح. فقال النبي عليه السلام: هي لك. فلما أراد خالد صلح أهل الخيرة جاء شويل يستنجز خالماً عدة رسول الله ﷺ فشرط خالد عليهم أن يسلموا كرامة فشن ذلك على القوم وعلقت كرامة فقالت لهم لا يشق عليكم ذلك فإنه رجل أحق رأي في شبيبتي فظن أن الشباب يدوم فأسلموني فاني سأقتدي منه. فلما حصلت عند الرجل قالت ما أربك من عجوز كما

قري ٢ فاذني . قال لا الا على حكمي . قالت فلك حكمتك . فافلست لام شويل  
ان تقصتك عن الف درهم . فأظهرت انها تستكثر ذلك لتخذه ثم أتته بالالف  
ورجعت الى قومها . وتسامع الناس بما كان من شويل فنفذوا على ان لم يطلب  
أكثر من ذلك . فقال : ما كنت أرى ان هدداً يزيد على الف . وخاصم القوم الى  
خالد فقال كانت نيتي نهاية العدد وقد ذكروا ان العدد يزيد على الف . فقال خالد  
أردت امراً وأراد الله غيره فأخذ منك بما يظهر وتدعك وبذلك

ولما صالح خالد أهل الحيرة . جاء اليه صلوا بن نسطونا وهو صاحب قس  
الناطف فصالحه على باقيا وباروسا وضمن له ما عليهما وعلى أرضيهما من شاطي .  
الفرات على عشرة آلاف دينار . وكتب لهم خالد كتاباً فيه :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

« هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوا بن نسطونا وقومه ، اني عاهدتكم على  
الجزية والمنعة على كل ذي يد باقيا وباروسا جميعاً على عشرة آلاف دينار  
سوى الخرزة <sup>(١)</sup> القوي على قوته والمفل على قدر اقلاله في كل سنة وانك تقببت  
على قومك وان قومك قد رضوا بك وقد قبلت ومن معي من المسلمين ورضيت  
ورضى قومك فلك الذمة والمنعة فان منعناكم فلنا الجزية والا فلا حتى نمنعكم »  
كان الدهاقين يتربصون بخالد وينظرون ما يصنع بأهل الحيرة فلما استقام  
ما بينه وبين الحيريين ، أتته دهاقين البلاد فصالحوه على ما بين الفلاييج الى  
هرمز جرد على ألف درهم وكتب لهم بذلك كتاباً فيه :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

« هذا كتاب من خالد بن الوليد لراذ جيش وصلوا بن نسطونا . ان لكم الذمة  
وعليكم الجزية وأنتم ضامنون لمن تقبستم عليه من أهل البقيا والامفل والاوسط

(١) كتاب ابن جرير وفي معجم الامم لياقوت ( سنة باقيا ) كتاب بئر عند الصورة

على ألفي ألف تقبل في كل سنة عن كل ذي يد سوى ما على ياتقيا وباروسما وانكم قد رضيتموني والمسلمين والناقد رخيتمكم وأهل البهقياذ لاسفل ومن دخل معكم من أهل البهقياذ الاوسط على أموالكم ليس فيها ما كان لاك كسرى ومن مال ميلهم .

بعد ذلك بعث خالد مسالمة وعليها ضرار بن الازور وضرار بن الخطاب والمثنى بن حارثة وضرار بن مقرن والقمقاع بن عمرو ويسر بن أبي زهم وعنبية ابن النعمان . وأمرهم بالظاهرة والألحاح في لوجوه التي وجهوا اليها وكان قد أغزاهم ولما استقر خالد على أحد جاني السواد دعا برجل حيرى وآخر أبطى وكتب معهما كتابين أحدهما إلى ملك الفرس مع مرة الحيرى وقال اذهب اليهم للملأ الله يُمِر عيشهم أو يسلموا أو يفتبوا . وأعطي الباطلي حن قيل كتاباً وقال : اللهم اذهب نفوسهم . وكان إلى المرازبة . فَمَا كُتِبَ لَكَ فَو :

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس . أما بعد فالحمد لله الذي حل نظامكم ووهن كيدكم وورق كلمكم ولم يفعل ذلك بكم كان شراً لكم فادخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم ونجوزكم إلى غيركم والا كان ذلك وأنتم كارهون على غلب على أيدي قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة . وصورة الثاني :

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

من خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس . أما بعد فاسلموا تسلموا . والا فاعنقدوا مني الذمة وأدوا الجزية . وإلا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر .

وكان أهل فارس في ذلك الحين عقب موت أردشير مختلفين في الملك مجتمعين على قتال خالد متساندين ، وكانوا بذلك سنة والمسلمون يخشون ما دون .



دجلة وليس لاهل فارس فيما بين الخيرة ودجلة امره وليست لاحد منهم ذمة الا الذين كاتبوه واكتفوا منه وستر اهل السواد جلاء ومنحصنون ومحاربون . وكان الفرس ليس منهم سوى المدافعة عن شهرسير وهي احدى المدائن التي سميت بها مدائن كسرى واقعة في الجانب الغربي من دجلة امام الايوان الذي كان في الجهة الشرقية منها . فلما وردت كتب خالد احبوا أن يفرغوا من اختلافهم فوقع اختيارهم على رجل من غير بيت الملك يولونه الى أن يوجد من آل كسرى من يصلح له ذلك . وكان الذي ولوه هو الفرخزاذ خسرو ولم يستقر له الملك فلولوا يزاد جرد بن شهريار وكان في ملكه من الاحداث ما سباني

لما استقامت الامور في الناحية التي اتحن فيها لاجم السير لاغاثة عياض بن غنم الذي ارسله أبو بكر ليفتح العراق من شماله ويلحق بخالد فاستخلف على الخيرة القمعة بن عمرو وصار بجنده حتى وافى الانبار فوجد القوم قد امتنعوا بحصونهم وخندقا على انفسهم واشرفوا من أعالي الحصون فأمر جنداه أن يرشقوهم بالنبل فأصابوا في عدوهم . وكان خالد رجلا لا يصبر عن الحرب اذا رآها فقال لمن معه : اني أرى قوما لا علم لهم بالحرب فارشقوا في عيونهم ولا تحروا سواها . فأسبب في ذلك اليوم ألف عين

ولم يكتف خالد بما صنع بل عمد الى أضيق مكان في الخندق وعمد الى الضعاف من الابل في جيشه فتحرقها وأقع الخندق بجيشها واقتحم المسلمون الخندق وجسروا عليه جثث الابل وصاروا مع أعدائهم داخل الخندق فالتجأ المشركون الى الحصن

وكان رئيس القوم رجل يقال له شيرزاذ صاحب سباط و كان أعقل أعجمي يومئذ وأسوده واقعه في الناس العرب والعجم . فراسل خالد في الصلح على ما أراد فقبل خالد منه على أن يخليه ويلحقه بما منه في جريدة من الخيل ليس معهم من المتاع والاموال شيء . ووفى له خالد بما صالح عليه

ولما انتهى أمر الصلح مع انقوم صالح من خوفهم واستخلف الزبير بن بدر وسار الى عين النمر وبها يومئذ مهران بن بهرام جوبين في جمع عظيم من الفرس والعرب وعقة بن أبي عقة في جمع عظيم من النمر وقلب وإياد ومن أف لفهم . فلما سمعوا بقدوم خالد قال عقة لمهران : ان العرب أعلم بقتال العرب فدعنا وخالفنا . قال : صدقت لصري لاشتم أعلم بقتال العرب وانكم لمثلنا في قتال المعجم . وقد كان المعجم ينظرون الى العرب بعين الاحتقار والمهانة . فقل من مع مهران من المعجم : كيف تقول ما قلت لهذا الكلب ؟ فقال : دعوني فاني لم أورد الا ما هو خير لكم وشر لهم . انه قد جاءكم من قتل ملوككم وقتل حدكم فاقبته بهم . فان كانت لهم على خالد فهي لكم ، وان كانت الاخرى لم يملقوكم حتى يهتوا فتقاتلهم ونحن أقرباء وهم مضيقون . فحمدوا له رأيه . فلزم مهران العين ونزل عقة لخالد على الطريق وعلى ميمنته بجبر أحد بني عبيد بن سعد بن زهير وعلى ميسرته الهذيل ابن عمران وبين عقة ومهران غدوة أو روضة ومهران في الحصن في جند فارص وعقة كائنهم له بجندهم . فقدم خالد في تمبنته ، وقال للجنديته : اكفونا ما معي فاني حامل ووكل بنف حوامي ثم حل وعقة . فقيم صفوفه فاحتضنه فأخذه أسيراً فأنزله بجندهم قبل القتال ، وأمن المسلمون فيهم الأسرى ، وأمن كثير من المشركين في الحرب

لم يكنده انخير يصل الى مهران حتى وهنت قوته فترك الحصن ونجا فيمن معه من الفرس . وجاء للال جيش عقة الى الحصن فالتحموه واعتصموا به وكأما كان اعتصامهم به انما هو اعتقال وسجن ضرب عليهم حتى ينسلهم خالد . فانه لما قدم الى الحصن ومعه عقة وعمر بن الصق في الأسر نزل عليهم وكان القوم يظنون ان خالداً كغيرة العرب لا يلبث أن يعود ادراجاً اذا أصاب مغنا فلما رأوه غير تاركهم يتسوا من النجاة ونزلوا على حكمه . فأمر بمقة وعمر بن الصق فضربت أعناقهما

واجزر السيف بقية من كان معها وغنم ما حواه حصنهم وسبي السبي . وقد وجد في بيوتهم أربعين غلاماً يتعلمون الانجيل عليهم باب مغلق فكسره عنهم وقال : ما أنتم ؟ قالوا : رهن . قسمهم في أهل البلاد . منهم أبو زياد مولى نقيف . ومنهم نصير أبو موسى بن نصير . ومنهم أبو عمرة جد عبد الله بن عبد الأعلى الشاعر وسيرين أبو محمد بن سيرين . وجران مولى عثمان بن عفان وغيرهم . وكان خالد أرسل الوليد بن عتبة بالانخاس الى أبي بكر . فوجه به أبو بكر الى عياض بن غنم في جند مدداً له .

وبينا كان خالد يفتح الفتوح ويحرز النصر كان عياض لم يعمل شيئاً ولم يدرك غرضاً مما وجه اليه . فقد كان أبو بكر وجهه لفتح شمال العراق ويكون اجتماعه مع خالد بالحيرة وأيهما سبق اليها كان أميراً على صاحبه فأتى خالد ما نبط به وشرع يعمل في عمل عياض . ولما قدم الوليد على عياض بدومة الجندل وجده قد حاصر القوم وحاصروه وأخذوا عليه الطريق . فقال له : الرأي في بعض الحالات خير من جند كنيف ، ابث الى خالد فاستمده . ففعل . وقدم رسول عياض على خالد مستفتياً في اعقاب واقعة الدين . فكتب اليه : « من خالد الى عياض - اياك أريد »

ابث قليلاً نأثك الجلائب

يحملن آساداً عليها القاشب

كنائب يتبعها كنائب »

## خير دومة الجندل

خلف خالد على عين التمر - عويم بن السكاهل الاسلمي . وخرج في نهيبته التي دخل بها العين ويم دومة الجندل ، فلما علم أهل دومة بمسير خالد اليهم استنفروا أحلافهم من جهراء وكاب وغسان وتنوخ والضجاعم . ومن قبل وانام

وديمة في كلب وبهراء ومسانده ابن وبرة بن رومانس . وأتام ابن الجندرجان في الضجاعم وابن الایهم في طوائف من غسان وتثوخ فاشعجوا عياضاً وشجعوا به . وقد كان لقوم رئيسان : أحدهما أكيدر بن عبد الملك والجودي بن ربيعة ، فقال أكيدر : أنا أعلم الناس بخالد ، لا أحد أئمن طائراً منه ولا أحد في حرب . لا يرى وجه خالد قوم أبداً قتلوا أو كثروا لا انهزموا عنه ، فأطيعوني وصالحوا القوم . فأبوا عليه . فقال : لن أمالككم على حرب خالد . وتركهم وذهب لطبقة قد كان في رأي أكيدر كل الحزم وفي مخالفته الخطل والطيش والغرور لا يذهب من ذاكرتنا أن أكيدراً هذا كان قد صالح رسول الله ﷺ على الجزية ليلة أن أرسل خالداً إليه فجاء به في رجال من قومه إذ كانوا يصيدون البقر في ليلة نرا . وقتل في تلك الليلة أخا أكيدر . فلما مات رسول الله ﷺ كان فيمن عذر خاص بالعقد ، فلما علم خالد بخروج أكيدر أرسل إليه من عارضه في الطريق : أتى به فضرب عنقه جزاء غدره .

مضى خالد حتى نزل على دومة وعلى المشركين يومئذ الجودي بن ربيعة ودومة السكبي وابن رومانس وابن الایهم وابن الجندرجان فجعل خالد دومة بين عسكر . وعسكر عياض ، وكان مدده من متصرة العرب محيطاً بالحصن لأنه لم يحملهم . وخرج الجودي ودومة لخالد وابن الایهم وابن الجندرجان لعياض ، فأخلف الله المسلمين بالفريقين وأنحن كل فيمن يليه من المشركين ، وأخذ خالد الجودي أسيراً وأخذ عيينة ابن حصن ودومة أسيراً كذلك . وطلب المهزومة الحصن للالتجاء إليه فلم يحتملهم وأغلق أهل الحصن أبوابه وبقي المقيثون بالراء بادية مقاتلهم فأجار عاصم بن عمرو ومن معه من نعيم حلفاءهم من كلب فنجوا . وقتل خالد من كان خارج الحصن واقتلع يابه وقتل من كان فيه أقام خالد بدومة فظن الاعاجم به الظنون : كاتبهم عرب الجزيرة غضبا

لعقة نخرج زرمهر من بغداد معه وروزبه يريدان الانبار واتعدا حصيدا وانخافس . فكتب الزبير قن وهو على الانبار الى القمقاع خليفة خالد على الحيرة بما علمه من أمر المعجم والعرب . فبعث القمقاع أشبه بن فديكى وأمره بالحصيد . وبعث عروة بن الجعد وأمره بالخنافس . وقال لهما : ان رايانا مقدما فاقدا . نخرجنا لخلا بين زرمهر وروزبه وبين مقصديهما فلما قدم خالد الحيرة علم بالامر فمجل القمقاع وأبا ليلى بن فديكى الى روزبه وزرمهر فسيبناه الى عين النمر وقدم على خالد كتاب من امرىء النيس الكلبي يعلمه ان الهذيل بن عمران قد عسكر بالمضيح ونزل ربيعة ابن بجير بالشري وبالبشر في عسكر غضبا لعقة يريدان روزبه وزرمهر . نخرج خالد واستخلف على الحيرة عياض بن غنم وأخذ طريق القمقاع وأبى ليلى حتى قدم عليهما بالمين فبعث القمقاع الى الحصيد وأبى ليلى الى الخنافس . وكان من هم أن يزجيا القوم ليجتمعوا حتى ينازلهم يجمع كثير هم ومن هب لهما وقتهم من العرب . ولكن القوم لم يجمعوا ولعلهم فطنوا لنية خالد فأرادوا أن لا ينبلوه مراده

### ﴿ حصيد ﴾

لما رأى القمقاع أن زرمهر وروزبه لا يتحرران قصد الحصيد وعلى من به من المعجم والعرب وروزبه . فاستأثرت يزرمهر تخف اليه بنفسه وخلف على جيشه المهبوذان ، والتقى المسلمون بأعدائهم فقتل من المعجم مقتلة عظيمة وقتل زرمهر وروزبه وغنم المسلمون غنائم كثيرة وأحاز فلان جيش حصيد الى الخنافس

### ﴿ الخنافس ﴾

ولما قصد أبو ليلى بن فديكى الخنافس — وبها المهبوذان وجنده ومن ضوى اليهم من فل جيش الحصيد — وعلم به المهبوذان ، انهزموا ذون قتال وانضموا الى المضحج وبه الهذيل بن عمران ومن معه ( مضحج بنى البرشا ) . ولما انتهى الى خالد

ما كان بالحصيد والنفاس كتب الى قواده وواعد القعقاع ، وأبا ليلى ، واعبد ، وعروة ليلة وساعة يجتمعون فيها الى المضيح وهي بين حوران والقلت . فتوافوا اليها في موعدهم فانفقوا على أمرهم وبيتوا الهذيل ومن معه من ثلاثة أوجه وهم نائمون فأتوا عليهم وامتلأ الفضاء برمم القتلى فاشبهوا الا بضم مصرعة ولم ينج سوى الهذيل في نفر قليل . وقد أصاب جرير بن عبد الله يوم المضيح عبد العزى ابن أبي رهم وليد بن جرير ، وكان معها كتاب من أبي بكر بإسلامها فوداها أبو بكر ، وكان عمر رضي الله عنه يعتمد على خاله يقتلها وقتل مالك بن نويرة . وقد سمع عبد العزى في تلك الليلة يقول :

أقول اذ طرق الصباح بغارة    سيعانك اللهم رب محمد  
سيعان ربي لا اله غير    رب البلاد ورب من يتورد  
سكان أبو بكر يقول : كذلك يلنى من ساكن أهل الحرب في دارهم

وقد كان لرجلين متسع من الارض بأمان فيه وليس بهما من ضرورة تضطرهما الى المقام في مستنقع الموت وفي صف أعداء دينهم والمشاقين لأهل الاسلام . ومن ظن أنه يصنع صنيعها ولا يكون موطن نفسه على أن يكون طعاما للسيوف فقد ظن مجرا ، وليس لعمرو حق في الاعتماد بهما على خالد

( التقي والزميل )

لما أصاب خالد أهل المضيح بما أصابهم به تقدم الى التعتاع وأبي ليلى أن يرتحلا أمامه وواعدهما الليلة ليغترقا فيها للغارة على من بالنقى من ثلاثة أوجه ، كما فعل بأهل المضيح ، ففعلوا وأعملوا السيوف في أهل بيئاتهم فأمون فلم يفلت من الجيش مخبر ، ثم عطف بمنحها على من بالزميل وهو البشر وقد سبق الخبر اليهم ثم عطف من بالبشر الى الرضاب وكان هناك هلال بن عفة فانقسم عنها ولم يلق خالد كيدا

## ﴿ الفراض ﴾

وهي نخوم العراق والشام والجزيرة . قصدتها خالد بعد الرضاب ليكون على بينة من أنه لم يترك وراء جيشه عورة ينالهم العدو منها . وقد أفر في تلك السفرة في رمضان لما كان من تتابع الغزوات وانصافها والايام والوقائع قد نظمن فيها نظماً وقد أكثر الرُّجَّاز في هذه الغزوات

فلما اجتمعت المسلمون بالفراض حيث الروم واعتاضت واستعاضوا من يلهم من مساحل الفرس يستعينون بهم واستمدوا تغلب واياتاً والتمر فامدوهم وناهدوا خالداً حتى صار الفرات بينهم وبين المسلمين وأجال الرومان الرأي فقال بعضهم لبعض: هذا رجل يقاتل على دين وله عقل وعلم والله لينصرن ولنخذلن ، ثم لم ينتفعوا بذلك وعبروا أسفل من خالد وامناروا ليعلموا من يأتي بحسن ومن يأتي بقبيح . وناجزوا خالداً الحرب واقتتلوا قتالاً شديداً طويلاً ثم انهزمت جموع الروم ومن معهم من العرب . فقال خالد: الحوا عليهم ولا ترفعوا عنهم وقد أحش فيهم القتل . وكانت هذه الواقعة آخر حروب خالد بالعراق



يحق لنا أن ننظر نظرة متأمل الى ما صنعته خالد في سنته فاننا نجد قد فعل في هذه المدة القصيرة ما لم يفعل قائد من القواد في مثل عدة جند مع كثرة عديد أعدائه ومحاربيه وقوة عُدِّهم . فقد اقتطم من بلاد المعجم حوض نهر الفرات من شمالي الأبله الى الفراض وهي نخوم الشام والعراق والجزيرة شرقي الفرات وانحن في جيوش الفرس والعرب والروم في مواقع كثيرة لم تهزم له فيها راية ولم يشن سيقه عن ضريته وكان الرعب يسبقه الى كل قوم ويسير أمامه في كل موقعة أجمع عليها حتى ان اسمه كان بمثابة مدد للجيش . وكان في كل أعماله فاعماً موطداً لا ركان الملك والاستعمار ، لا مغيراً ناهياً . فلم تدن له بلد بالطاعة الا خلف عليها حامية لحفظ

نظامها ، وأميرا لاقمة السدل فيها ، وآخر يجبي خراجها من القمة على مقتضى كتاب صلحهم

ومن أحسن ما يؤثر لخالد من المحاسن الفراء انه لم يكن يتعرض للفلاحين بسوء ولا بهم بأذى . بل كان يشملهم برأفته ويهمهم برعايته ويعنهم ممن يريدهم بسوء لاعتقاده انهم مادة الامة وبهم قوام الدولة . ولهذا صاروا يفضلون حكمه على حكم الفرس لما كانوا يجدونه في عظمتهم من النبلظة عليهم والاعتناء لهم ويستعبدونهم ويدلونهم

وكما كان خالد رؤوفا بهؤلاء كان شديدا لاخذ المقاتلة وأهل الحرب لا يصبر على الميدان اذا رآه ولا يدع الجنود ينظر بعضهم الى بعض دون أن يشنها غارة شعواء . بل ممرعان ما يخرج طالبا كبش الكتيبة في بجوحة الميدان ويدعوه الى المبارزة ثم ينقض عليه انقضاض البازي على العصفور وفي ذلك بواره فكان عمله هذا يشرد من خلفه من عدوه وبوقع الرعب في قلوبهم ويكون سببا للفشل ثم الهزيمة

قال الاستاذ الحضري : وعلى الجملة فهذه السنة كانت تلك غرة في جبين تاريخه . ومما يبين عظم عمله ما قاله المهيم البكائي قال : كان أهل الأيام من أهل الكوفة يوعدون معاوية عند بعض الذي كان يبلغهم ويقولون : ما شاء معاوية ، نحن أصحاب ذات السلاسل ( وهي أول واقعة بين خالد والفرس ) ويسمون ما بينها وبين الفراض ما يذكرون ما كان بعد احتقاراً لما كان بعد فيما كان قبل واني ما عجبت من شيء لا يبلغ ذلك عجي من أمر أولئك القوم الذين كانوا يتهاقنون على حرب خالد تهافت الفراش على النار . قد يكون وجه العذر واضحاً في أهل ذات السلاسل وما بعدها بواقعتين أو ثلاث ، ولكن ما عذر أولئك الذين كانوا يعرفون أثره في غيرهم ويمسسه في آناف القبائل ثم لا يكون منهم إلا أن



يهجموا عليه هجوم الحمار على الأسد ؟ ان البهائم تعرف ريح الليث بما قدرت عليه ولكن هؤلاء القوم قد جهلوا ما عرفته البهائم فلم يكتفوا من الليث بريحه دون أن يذوقوه

أينكر ريح الليث حتى يذوقه وقد عرفت ريح الليث البهائم  
كان خالد في العراق من الولاة (١) ذات السلاسل (٢) والمدار (٣) والولجة (٤) واليس وامقشيا (٥) والمنقر وفي فرائد بذي قلى (٦) وقصور الحيرة (٧) وذات الميرون بالأنبار وكلاوذي (٨) وعين النمر (٩) ودومة الجندل وحصيد (١٠) (١١) والنفاس (١٢) ومضيح بني البرشاء (١٣ ، ١٤) النسي والزميل (١٥) الفرائض. وقد انتظم جميعها في صمت لاقل من سنة من خروجه لقتال. أما كان في الناس رجل رشيد يحثهم على المسألة وبذل ما يريه بمحقن على الناس هذا الدم الحمار ؟ ان الاعتماد عن طريق خالد نهاية الحزم ولا يمكن ان بهجس في خاطري ان الذين انقوا بالفراار من القرس كانوا جبناء أو ضعفاء لان الاقدام الذي لانفع منه الفاء بالنفس الى التهلكة

على ان القوم الذين كانوا يجمعون له ويرصدونه أو يهددون اليه كان يكون لهم شبه عذر لو ان الذي يقع في يده محاربا يجد منفعا الى النجاة أو طريقا الى السلامة فيكون القوم قد أقدموا على طمع في الفوز أو أمل في النجاة ، ان خاتم الظفر لم يختمهم هفو المنتصر . ولكن الرجل ما كان يقبل الخفول عنرة بعد ما أشرع الرمح وفوق النبل ، بل كان كما قل عمر بن الخطاب لابي بكر : ان في سيف خالد رهقا. ولو انني كنت القاتل لقلت : ان في سيفه قرما الى الحوم مخالفيه وزهدا في موافقيه



نعود الى خالد في الفرائض فنقول انه أقام بها بعد الواقعة عشرة أيام ثم أذن

في الناس بالرحيل الى الخيرة لحس بقين من ذي القعدة وأمر عاصم بن عمرو ان يسير بالناس وأمر شجرة بن الاعز أن يسوقهم واظهر أنه في الساقة . ثم خالف من معه الى مكة حاجاً بمنصف البلاد حتى أتى مكة على السمت في عدة من أصحابه فتأني له من ذلك ما لم يأت لئلا يخلل خريته ولا رثياله . وقد سلك بأصحابه طريقاً من طرق أهل الجزيرة لم ير طريق أعجب ولا أشد صعوبة منه . فما قضى نسكه خف مسرعاً الى جنده . فما توافى الجند بالخيرة الا وقد طلع عليهم في أصحابه مع ساقة الجند قدما معاً ولا يعلم الجند بحج خالد ومن معه الا بعد أن رأوه محلقين رؤوسهم الا ما كان ممن أفضى اليهم بذلك من أهل الساقة

وقد انتهى الى أبي بكر ما كان من خالده من ترك الجند ومخالفتهم الى الحج الأكبر ذلك واعتده اعجاباً منه بنفسه وبما أتيح له من الظفر واعتقاراً بمن يجاوره من عدوه واستضماماً لأشأنهم . وصادف في ذلك الحين ان أبا بكر احتاج الى أن يرعى الروم بمنزل ما رعى فارس ، وقد استعده أمرؤه فأحسب أن يرعى غرضين بمحجر ، فأمر خالد بالانصراف الى الشام مدداً لمن هناك من الامراء بنصف الجند وان يخلف المنفى بن حارثة على من معه من الجنود بالمرافق . فأرسل الى خالد كتاباً يماثيه فيه على ما كان منه ويعظه ويأمره بالانصراف الى الشام وكان في هذا الكتاب :

مر حتى تأتي جموع المسلمين بالبرءوك فانهم قد شجوا واشجوا . وإليك أن تعود لمنزل ما فعلت فانه لم يشج الجموع بعون الله من الناس شجيك ولم ينزع الشجى من الناس نزعك فليؤثرك أبا سليمان النية والخطوة فتم يتم الله لك ولا يدخلك عجب فتخسر وتخذل ، وإليك ان تبدل بعمل فن الله عز وجل له المن وهو ولي الجزاء .

وكان انصراف خالد في صبر سنة ١٣ هـ

## ابتداء حرب الروم بالشام

كان ابتداء حرب الروم متأخراً عن حرب الفرس . وأول ما كان من ذلك ان أبا بكر رضي الله عنه كان عند خالد بن سعيد على جيش حين بعث البعوث الى أهل الردة . وقد جهد عمر بن الخطاب يأي بكر أن يصرف خالداً عن العمل له وقال له انه لضعيف القروة مخدول فلا تستعسر به . فأطاعه أبو بكر في بعض أمره وخالفه في بعض . ذلك انه أمر خالد بن سعيد ان ينزل بتياء وأن يدعو من حوله للانضمام اليه . أن لا يقبل مرئياً ولا يقاتل الا من قاتله . وأن لا يبرح مكانه حتى يأتيه أمره .

وكان سبب حنق عمر على خالد بن سعيد ان خالداً كان عاملاً لرسول الله ﷺ على اليمن فقدم بعد وفاة رسول الله ﷺ بشهر والقوم في مصابرة أهل الردة . وكان لباساً جبة ديباج ، فقال عمر ان يليه : مزقوا عليه جبته . ألبس الحرير وهو في رجالنا في السلم مهجور . فوجدوها خالد في نفسه واتى علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان فقال : يا بني عبد مناف لقد طعنتم نفساً عن أمركم يليه غيركم . وترى بيعة أبي بكر مدة يقول قد امرني رسول الله ﷺ ثم لم يعزاني حتى قسده الله . فكان عمر يضطعن ذلك عليه وأبو بكر ولم يحفلها ولم يحتمل عليه

فصل خالد بن سعيد وجنده وصار حتى نزل على تيماء فاجتمع اليه جند كثير وبلغ الروم عظم ذلك العسكر فرأوا أن يقتلوا جلدواً بجلود وقلوا ذلك الجيش قبل أن يعظم بجموع من عرب الضاحية واحديد بالحديد يفلح

علم خالد بن سعيد بما صنعت الروم فكتب الى أبي بكر بهذا الشأن وبنزول من استغزت الروم وغفر اليهم من بهراء وكلب وسليخ وتنوخ وطم وجندام وغان . فكتب اليه أبو بكر أن أقدم ولا تحجم واستنصر الله . فهد اليهم خالد

في جموعه فلما داناهم تفرقوا واختروا منزلهم فترله ودخل عامة من تجمع له في الاسلام وكتب الى أبي بكر بما كان ، فكتب اليه : أقدم ولا تقتحم حتى لا تؤذي من خلفك ، فصار فيمن كان خروج معه من تيماء ومن لحق به حتى نزلوا فيها بين آيل وزيزاء والقسطل . فسيرت الروم اليه عسكرياً بقيادة بطريق منهم يدعى باهان فهزمه خالد وفض جموعه . وكان خالد رأى أن توالي نكايته في الروم يذهبهم الى شانه والجد في أمره فكتب الى أبي بكر يستمده حتى لا يفاجئه العدو بجيش لا قبل له به

وافق كتاب خالد بن سعيد الى أبي بكر ان قدم الى المدينة المستنفرون من اليمن ومن بين مكة واليمن وفيهم ذو الكلاع وقدم على أبي بكر أيضاً عكرمة قافلاً وقارياً فيمن كان معه من تهامة وعمان والبحرين والسرور فكتب أبو بكر الى أمراء الصدقات ان يبدلوا من استبدل فكلهم استبدل فسمي جيش البدال . وكتب أبو بكر الى عمرو بن العاص يخبره بين عمله الذي هو فيه أو بوجهه الى عمل آخر براه خيراً لدينا . وآخرته . فكتب اليه عمرو : اني منهم من مهام الاسلام وأنت بعد الله الراعي بها والجامع لها فانظر أشدها وأخشاه وأفضنها فارم بها شيئاً ان جاء من ناحية من النواحي . وكتب الى الوايد بن عتبة فأجابه بإبشاره الجهاد . فاعجب أبو بكر الى خالد بن سعيد جيشاً فيه الوايد بن عتبة وعكرمة بن أبي جهل وذو الكلاع وغيرهم فوافوا خالد بن سعيد . وعند ذلك احتاج أبو بكر الى الشام واعتزم على الجد في أمر الروم وأرسل الامراء والجنود لافتتاح الشام

في أواخر سنة ١٢ هـ اختار أبو بكر أربعة من خيرة قواد المسلمين لهم جد وهمة وغناء وهم (١) عمرو بن العاص (٢) ويزيد بن أبي سفيان (٣) وأبو عبيدة بن الجراح وهم قرشيون (٤) وشرحبيل بن حسنة وهو قلعاني وقد نخبه الكل واحد منهم جنده وأمر كل واحد أن يسير في الطريق التي

سماها له وعين لكل واحد منهم الولاية التي يتولاها بعد الفتح فجعل لعمر بن العاص فلسطين ولعزير بن أبي صفيان دمشق ولأبي عبيدة حمص وشرحبيل الاردن وكان عدد الجنود التي سبرت الى الشام سبعمائة وعشرين ألفاً على ما رواه الطبري رأى خالد بن سعيد انه قد عزى من أمده بهم أبو بكر وأن جنود المسلمين وقوادهم قد فصلوا لفتح الشام فأراد أن يدرك الفوز قبل مقدمهم ويحرز الفخار دونهم فبادر الاسراء بقتال الروم واستطرد له باهان وقصد فيمن معه قصد دمشق وانتمخض في الجيش ومعه ذو الكلاع وعكرمة والوليد حتى نزل مرج الصفر بين الواقصة ودمشق فانطوت عليه مـالح باهان وأخذوا عليه الطرق وهو لا يشعر وزحف له باهان وأصاب سعيد بن خالد قتيله ومن معه . وعلم خالد بالخبر فخرج هارباً في جريدة وأفلت من أصحابه من أفلت على ظهور الخيل والابل وقد أجهضوا عن عسكرهم ولم تشه بخالد وأصحابه المزيمة عن ذي المروة وأقام عكرمة رداً للناس يرد عنهم باهان وجنوده . وقد علم أبو بكر بما نكب به خالد بن سعيد فكتب اليه وهو بذي المروة أن أقم مكانك فلم يرد عليك مقدام محجام نجاء من الفمرات لانخوضها الى حق ولا تصبر عليه

ولما علم الروم بدخول امراء جيوش المسلمين كاتبوا هرقل فقدم حمص وأراد أن يشغل قواد المسلمين عن بعضهم بما عنده من الجنود الكثيرة . وأرسل الى كل قائد أمثال ما عنده ، فهاهم المسلمون ورأوا التريث حزماً وكاتبوا أبا بكر وعمر بن العاص فيما نزل بهم . فأرسل اليهم عمرو ان الرأي الاجتماع وذلك ان مثلنا اذا اجتمع لم يطلب من قلة واذا نحن تفرقنا لم يبق الرجل منا في عدد يقرن فيه لاحد ممن استقبلنا وأعد لنا فأتدوا اليرموك ليجتمعوا به وهو واد يصب في الاردن وقد طلع عليهم كتاب أبي بكر ان اجتمعوا فتكونوا عسكراً واحداً والقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين فانكم أعوان الله والله ناصر من نصره وخاذل من

كفره وان يؤتى مثلكم من قلة وانما يؤتى العشرة آلاف والزيادة على العشرة آلاف اذا أتوا من تلقاء الذنوب فاحترسوا من الذنوب واجتمعوا باليرموك متساندين وليصل كل رجل منكم بأصحابه

لما علم هرقل باجتماع المسلمين باليرموك كتب الى قواده ان اجتمعوا لهم وانزلوا بالروم منزلا واسع العطن واسع المضرب ضيق المهرب . وبين لكل قائد مكانه من الجيش من يكون على المقدمة والميمنة والميسرة ومن يكون قائدا عاما فصدعوا بأمره ونزلوا الواقوسة وهي على ضفة اليرموك وصار الوادي خندقا لهم وهو لخب لا يدرك غوره . وقد أراد قواد الرومان أن يستفيق الروم ويأتوا بالمسلمين حين يرون قاتهم وكثرة جند الروم وترجع اليهم أفئدتهم عن طاعتها . ولما نزل الروم منزلهم هذا انتقل المسلمون ونزلوا بمخازنهم على طريقهم وليس لهم طريق غيره . فقال عمرو بن العاص : أيها الناس أبشروا حصرتم والله الروم ولما جاء محصور بخير . فأقام المسلمون على حالهم هذا صفرا وشهري ربيع سنة ١٣ لا يقدررون من الروم على

شيء . ولا يخلصون اليهم اللهب وهو الواقوسة من ورائهم والخندق من أمامهم كان المسلمون في مبدأ اجتماعهم كتبوا الى أبي بكر واستمدوه فقال أبو بكر : والله لأنسرين الروم وسأوس الشيطان بخالد بن الوليد . وكتب الى خالد الكتاب الذي قدمنا فوافاه الى الحيرة منصرفه من حجه وأمره أن يسير الى الشام بشطر الناس وأن يخلف على الشطر الباقي المشي بن حارثة . وقال لا تأخذن نجدا الا تركت له نجدا فاذا فتح الله عليكم فرددتم الى العراق وأنت معهم ثم أنت على عمالك ولما أراد خالد أن يفصل بنصف الناس استأثر بأصحاب رسول الله فأنى المشي الا أن يكون الامر على ما كتب أبو بكر فلم يزل به خالد حتى أراضاه . وكان خالد يعتقد ان صرفه عن العراق وقارس الى الشام اما كان يسعى عمر حذاه أن يكون قاصح العراق وقارس . وقد كان ارسال خالد الى الشام توفيقا من الله تعالى لابي بكر لانه كان صاحب اليوم الذي حصلت فيه الصدمة الأولى وتتابعت الفتوح بعده

سار خالد بن معه من الجنود من الحيرة حتى نزل على عين النمر فأغار على أهلها فأصاب منهم ثم أغار على جموع من تغلب وتغلب على ماء يسمى قراقر . ثم أراد السير مُفَوَّزاً من قراقر إلى مَوْى وهو ماء بهراء من ناحية السماوة . وقراقر ماء لبنى كلب وبينهما خمسة أيام لراكب المفرد المخبئ وإنما أراد خالد هذا الطريق لأنه إذا مر في العمران ودار حول المنازة وجد جموع الروم في طريقه وذلك يدعو إلى منازلهم وفي ذلك ما يؤخره عن الموعد الذي يريدوه وهو اغاثة المسلمين باليرموك فالتبس دليلاً بذلك به المنازة فدل على رافع بن عميرة الطائي ، فأراد خالد على الانطلاق بالناس فقال رافع : انك لن تطيق ذلك بالخيول والانتقال والله ان الراكب المفرد يخافها على نفسه وما يسلكها الا مفقراً . انها تحبس ليال جباد ولا يصاب فيها ماء مع مضلتها . فقال خالد : وبحك انه والله ان لي بُدّاً من ذلك انه قد أتتني من الامير عزمة بذلك فمر بأمرك . قال : استكثروا من الماء ، من استطاع منكم أن يصراذن ناقته على ماء فليقبل فانها المهالك الا مادفع الله . أبقي عشرين جزورا عظاما ممانا ممان . فأتاه خالد بهن فظلماتهن ، حتى اذا أجهدهن عطشا أوردهن فشرين حتى اذا امتلأن عدايهن فكهن لثلاث مجتريين ثم أخلى أدبارهن ثم قال لخالد سر فسار بالناس مقداً بالخيول والانتقال فكلما نزل منزلاً اقتطع أربعة من تلك الشوارف فأخذ ما في اكراشها فخلطه بما كان من لبن ثم سقى الخيل وسقى الناس مما حملوا معهم من الماء . فلما كان آخر يوم خشي خالد على أصحابه فقال لرافع : ما عندك ؟ قال أدركت الرى ان شاء الله يطعن الناس . فلما دنوا من الهلبيين قال الناس : انظروا هل ترون شعيبة من عوسج كنعنة الرجل ؟ فوجدوا جذعها بعد جهد فأشار عليهم بأن يحفروا في أصلها فحفروا فخرجت لهم أوशल فشربوها وسقوا ظهريهم واتصلت بعد ذلك لخالد المنازل وقد قال بعض القوم في ذلك :

لله عينا رافع انى أهتدى      فَوْزٌ مِنْ قَرَأَرٍ إِلَى سَوَى  
خسا اذا ما سارها الجيش يكي      ما سارها قبلك أنسى يرى

ولم يكد خالد يصل الى سوى حتى صبح بهرا بالقتال وهم لا يظنون ان أحدا  
 يأتيهم من هذه المفازة المملوكة فدهمهم وبعضهم في صبحه . ثم أتى ارك فصالحوه  
 ثم أتى تدمر فحصن أهلها ثم صالحوه ثم أتى الفريتين على مرحلتين من تدمر فقاتلهم  
 فظفر بهم وغنم وأتى فاصم فصالحه بنو شعبة من قضاة وسار فوصل الى ثنية العقاب  
 عند دمشق فاشرا راية سوداء كانت لرسول الله ﷺ تسمى العقاب ثم أتى مرج  
 ابط فصبح غسان في يوم فصحهم فقتل وسبي ، ثم سار الى بصرى فقاتل من بها  
 فظفر بهم وصالحهم فهي أول مدينة فتحت صلحا بالشام على يد خالد وجند العراق  
 ثم بعث بالخمس الى أبي بكر ثم سار فاعطى على المسلمين في ربيع الآخر وطلع باهان  
 على الروم ومعه القسوس والشمامسة فكان كل حزب مستبشرا فرحا بإجاءه من المدد

## واقعة اليرموك

كان المسلمون في قلة من العدد بالنسبة الى عدد الروم فالقتل من المؤرخين  
 بمعلمهم أربعين ألفاً والمكثّر بمعلمهم ستة وأربعين ألفاً وأما الروم فعددهم أربعون  
 ومائتا ألف على رواية الطبري . وأقل ما قيل فيهم ما قاله ابن الأثير في إحدى روايته  
 أنهم كانوا مائة ألف . وكان قتال المسلمين على تساند ، كل أمير على جيشه ، وقد  
 مكث القيسيون شهراً يحرضون على القتال ويرغبون الروم فيه ويتعنون لهم النصرانية  
 حتى أحسوم . فخرج الروم في نصية لم ير مثلاً للقتال الذي ليس بعده قتال . فلما  
 رأى خالد هذا الأمر مع تفرق المسلمين على عدة أمراء وان القوة مجزأة بتعدد  
 الأمراء خشي أن يدخل على جيش الاسلام الوهن والضعف ، لأنهم إنما يقاتلون  
 عدواً كثير العدد قوي العدة موحد الرأي والسكامة ، ولا بد لئيل الظفر من حرامة  
 الرأي واجتماع السكامة . فقام خالد في الأمراء فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : هذا  
 يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي ، اخلصوا جهادكم وأرضوا الله بعملكم  
 فان هذا اليوم له ما بعده ولا تقاتلوا قوماً على نظام ونصية وأنتم متساندون فان ذلك



لا يحل ولا ينبغي. وإن من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا فاعملوا في ما لم  
تؤمروا به بالذي ترون أنه رأي من واليكم ومحبه. قالوا: هات فما الرأي؟ قال إن  
أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أننا سنباشر ولو علم بالذي كان ويكون لما جمعكم.  
إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشهم وأنتم للمشركين من أمدادهم ولقد  
عطت إن الدنيا فرقت بينكم، فافقه الله فقد أفرد كل رجل منكم ببلد لا ينقصه  
منه إن دان لأحد من أمراء الجنود ولا يزيده عليه إن دانوا له. إن تأمير بعضكم  
لا ينقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله ﷺ. هلموا فإن هؤلاء قد تبيشوا  
وهذا يوم له ما بعده إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردم وإن هزمونا لم نفلح  
بعدها. فلهوا فلتنهوا الأمانة فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غداً والآخر بعد  
بعد غد حتى يأمر كلكم ودعوني أياكم اليوم. فأمروه وهم يرونها كخرجاتهم وإن  
الأمر أطول مما صاروا إليه

صار خالد أمير المسلمين في ذلك اليوم. وقد قدما إن الروم خرجوا في تعبئة  
لم ير الراؤن أحسن منها ولا أهيب في العين، فخرج اليهم خالد في تعبئة لم تعبها  
العرب قبلها: فخرج في ستة وثلاثين كردوساً إلى الأربعين. والكردوس هو  
الجماعة من العسكر وظاهر أن كردوس المسلمين في هذه الواقعة لا يزيد على ألف مقاتل  
الأقليات. وقد قسم الجيش فجعل على كراديس المينة عمرو بن العاص وشر حبيب  
ابن حسنة وجعل على كراديس الميسرة يزيد بن أبي سفيان، وجعل على كراديس  
القلب أبا عبيدة. وأقام على كل كردوس قائداً من شجعانهم. وكان القاضي في  
ذلك الجيش أبو هريرة. والقاضي الذي يهبط الناس ويحرضهم على القتال أبو سفيان  
ابن حرب. فكان يقف على كل كردوس ويقول: «الله الله أنكم ذادة العرب  
وأنصار الإسلام، وأنهم ذادة الروم وأنصار الشرك. اللهم إن هذا يوم من أيامك  
الهم أنزل نصرتك على عبادك». وكان المسلمون يقرأون على الجنود وهم في الصفوف  
سورة القتال

وفيما المسلمون في المصاف قبل أن ينشب القتال خرج قائد القلب من جيش الروم طالبا خالد بن الوليد فجاء اليه وكلمه في بعض الشأن

ذلك انه لا بد في كل زمان ومكان من أناس يزيدون في الاخبار ويهرفون بما لا يعرفون ويؤولون الكلام على ما يخطر على قلوبهم بدون تدبر ولا تحقيق ولعل بعض القوم أشاعوا في بلاد الشام أن خالدا في يده سيف نزل من السماء يهزم به أعداءه أعطاه له رسول الله وأخذوا ذلك مما اشتهر به بين المسلمين أنه سيف الله . وبظاهر أن ذلك القائد ( ويسميه الطبري جرجة بن قودرة وله جورج بن ثيودور ) كان يعرف العربية لانه كلم خالدا بدون ترجمان

وقب ذلك القائد فقال : يا خلد لا تكذبني فان الحر لا يكذب ، ولا نخدعني من الكرم لا يخادع المسترسل . هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاكمه ؟ لا تسئل على قوم الا هزم منهم ؟ قل لا . قال : فم سميت سيف الله ؟ قال ان الله عز وجل بعث قيتا نبيه ﷺ فهدانا فنفرنا عنه وفأينا عنه جميعا ثم ان بعضنا صدقه وتابمه وبعضنا كذبه فكنت فيمن كذبه وباعده وقائله . ثم ان الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به فتابعناه ، فقال : أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين ، ودعالي بالنصر فسميت سيف الله بذلك فأنا من أتد المسلمين على المشركين . قال : صدقتي . ثم اعاد علي يسأله عن الاسلام وما يأمر به ، وما لا داخل فيه من الحقوق وما عليه من الواجبات ، وخالد يجيبه عن كل ما سأل عنه ، قال الرجل مع خالد الى صفوف المسلمين ودخل خيمة خالد فاغتسل واشهد وصلي ركعتين وخرج يقاتل مع المسلمين الى أن قتل عصر ذلك اليوم ماصلي سوى الركعتين

يعود الى شأن القتال فنقول : لما مال ذلك القائد مع خالد ظن الروم انها من قائدهم حملة فحملوا فأزلقوا المسلمين عن مواقعهم الى المحامية وعليهم عكرمة

وعنه الحارث بن هشام ، قتل عكرمة : قتلت رسول الله في كل موطن وأفر اليوم ؟  
ثم نادى : من يبايع على الموت ؟ فبايعه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور في  
اربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم قتلوا بين يدي فسطاط خالد حتى أثبتوا  
جراحة ففهم من برأ ومنهم من قتل . وقد اشتد القتال بين الفريقين النهار كله  
الى جنوح الشمس للغروب . فتهد خالد بالقلب حتى تصافح القوم : يسيف وصار  
خالد يمن معه بين خيل الروم ورجلهم وكان المسكان واسع المطرد ضيق المهرب  
وتضايقت خيل الروم فلما وجدت مذهبا ذهبت تشتد في الصحراء وأفرج لها  
المسلمون وترك فرسانهم الرجال في مصافهم وتفرقوا في كل مذهب لا يلوون على  
شيء وأقبل خالد والمسلمون على الرجل ففضوهم فكأنما هدم بهم حائط فانتحموا  
في خندقهم فانتحمه عليهم فعمدوا الى الواقوسة فهووا فيها . وقد زاد خسارتهم  
انه كان فيهم كثير من المقيدين وآخرون مسلمين للموت فكان الجماعة من المسلمين  
أو المقيدين اذا هوى واحد منهم في الواقوسة هوى بقيتهم بهوية فكان ذلك  
نكالا لهم وبالا عليهم اذ نهفت في الواقوسة أكثر القتلى

وقد ذكر الطبري انه قد هوى فيها من الروم عشرون ومائة ألف وهؤلاء  
سوى من قتلوا بالمعركة وقد استمر القتال طول النهار ومظلم الليل وأصبح خالد  
وهو في رواق رئيس جند الروم . وأني لأشك في عددهم ، ولكن لأشك في  
نصر المسلمين

وقد شق على كثير من عظام جنود الروم وشجعانهم وقوادهم أن يروا  
هزيمة جيشهم بأعينهم ففضلوا الموت على الحياة فترملوا وجلسوا ينظرون الموت  
حتى لا يروا اليوم البئيس فقتلوا على حالهم تلك . وهذه العادة لم تزل الى اليوم في  
بعض القبائل العربية : اذا غلب الجيش على أمره وحقت عليه الهزيمة عمد الرؤساء  
الى التزمل والجلوس حتى يأتي من يقتلهم ليربحوا أنفسهم من عار الهزيمة وتخرج  
غصص القل وقد أبلى المسلمون بلاء حسنا وقتل منهم نحو ثلاثة آلاف فيهم كثير  
من اجلاء أصحاب رسول الله ﷺ وقد شهد اليوم منهم ألف . وفي ذلك اليوم معهم

خالد رجلاً يقول : ما أكثر الروم وأقل المسلمين ! فقال خالد : ما أقل الروم وأكثر المسلمين . ان الجيوش انما تكثر بالنصر وتقل بالخذلان ، ولوددت أن الأشقر يري مما به من الوجى وقد أضعف الروم جيوشهم

وفي أول هذا اليوم ورد كتاب عمر بن الخطاب بوفاة أبي بكر رضي الله عنه ويقولى عمر الخلافة وفيه عزل خالد عن إمارة جيشه وتولية أبي عبيدة بن الجراح . ولما جاء الرسول سئل عما وراءه فأخبر بالمدد وبسلامة الأمة وأعطى الكتاب بخالد : أسر إليه ما وراءه فأحسد خالد رأييه ولم يشأ أن يظهر الأمر للناس وهم على حالهم تلك حتى اذا ما انتهت الوقعة سار الكتاب الى أبي عبيدة وسلم عليه بالإمارة وفي الصباح بعد انتهاء الوقعة أتى خالد بمكرمة وابنه عمر فوضع رأس عكرمة على فخذه رأس عمر على ساقه وصار يقطر في حلقها ويمسح وجهها ويقول : زعم ابن حنمة أن لا تستشهد - يريد عمر رضي الله عنه - وقد قاتل النساء في ذلك اليوم قتالاً شديداً في بعض الجبلات وكان يقمن بقي الجند الماء ومداواة الجرحى وتمريضهم

ومكان العبدة بعد هذه الوقعة هو ان جيشاً عدته أربعون ألفاً قد غلب جيشاً به خمسة أمثاله ، يقتش الناس عن الاسباب التي دعت الى ذلك

أنا لا أبعد بكم الى شيء ناء ، وانما أحيلكم على ما قدمنا من الاسباب . أريدكم ان جيش المسلمين كان فيه العدد المدرب على الحرب وهم قريبو عهد بالانتصار على الجيود الفارسية فأورثهم ذلك ضراوة عليهم وقد أحبوا أن ينتظموا الروم مع فارس في ملك ليكون لهم نخر الأتخان في الدولتين

قد كان في حكم المقبول ان يقال ان الانتصار في كل من الناحيتين ( العراق و الشام ) سببه ارتباك الدولتين ، غير ان هذا الارتباك لم يمنع الطائفتين عن حشد الجنود التي تفوق المسلمين أضماً مضاعفة ورمى كل ثغر بما يسده من المقاتلة وذوي النجدة . فالامر الذي ساعد المسلمين كما قدمنا وراء العدد وهو ان الجندي المسلم انما كان يخوض المعامع وقلبه متأثر بأمر من :

أولها - ثقته بأن العاقبة له لما قرأه في الكتاب من عدة النصر وما سمعه من الرسول من التبشير بهذه الفتوح . وهذه الثقة في قلبه بمنزلة مدد من الله تعالى يؤيده نائبها - انه واثق بالعافية في الأخرى فهو ان قتل شهيداً فخر بالحسنى وزيادة ، واذا عاش ظافراً فذلك خير عجلته الله له ، والآخرة خير وأبقى ولا تنس براعة القواد وحسن تدبيرهم . فان أولئك القواد الذين قتلوا بهذه الفتوح قد اعجزوا من بعدهم أن يقدم أقدامهم في مثل حالهم وان أمثالهم في تاريخ الشرق قليل

أما خاله فكان واسطة عقد هؤلاء القواد وزينة تاريخ أبي بكر وبانتهاء وقعة اليرموك تمت الأعمال الكبرى التي قامت بين دولة الاسلام في مقابلة دولتي الفرس والروم في عهد أبي بكر . وانما عهدنا اليرموك من الأعمال في عهد أبي بكر لانها بدأت ونهيات في زمنه وبسمه وان كان تمامها في عهد عمر . وان الأعمال الكبرى التي تمت في هذا التاريخ القصير الذي لم يمتد الى أكثر من سنتين وأربعة أشهر - وهي مدة خلافة أبي بكر - تشهد بأن الرجل كان صادق المزيمة قوي الإرادة كبير المنة . لانه لا يحمل العظيم من الأمور ويستقل به الا العظيم

## ادارة البلاد في عهد أبي بكر

لم يكن للمسلمين بلاد في عهد أبي بكر سوى شبه جزيرة العرب وهي التي كانت تابعة للإدارة الاسلامية نهائياً . وقد كان أبو بكر جزأها الى ولايات وجعل على كل ولاية أميراً من قبله . وكان الأمير يقيم الصلاة ويقضي في القضايا ويقيم الحدود . فكان أميراً وقاضياً ومنفذاً يقوم بعمل الشرطة ، ولم يول أبو بكر قضاء بتولون القضاء دون الامراء . وهذه ولايات الجزيرة وولاتها لهذه :

(١) مكة : وأميرها عثاب بن أمية وهو الذي ولاه رسول الله ﷺ واستمر مدة أبي بكر

(٢) الطائف : وأميرها عثمان بن أبي العاص ولاه رسول الله ﷺ وأقره أبو بكر

(٣) صنعاء : وأميرها المهاجر بن أبي أمية وهو الذي فتحها ووليا بعد انتهاء

أمر الردة

(٤) حضرموت : وواليا زياد بن لبيد

(٥) خولان : وواليا يعلى بن أمية

(٦) زبيد ورمع : وواليا أبو موسى الأشعري

(٧) الجند : وأميرها معاذ بن جبل ، وبها مسجد من بناء معاذ ، وقد كانت

المرب تحج بمسجد الجند قبل الاسلام

(٨) نجران : وواليا جوير بن عبد الله

(٩) جرش : وواليا عبد الله بن ثور

(١٠) البحرين : وواليا العلاء بن الحضرمي

أما العراق والشام فكان أمراء الجند هم ولاية الامر فيها ، ولم يكن أمر التولية في نواحيها راجعاً الى أبي بكر بل كان كل أمير يولى واحداً من قبله على الناحية التي فتحها ليكون نائباً عنه فيها ، ولم يكن الامر قد استقر في تلك النواحي استقراً نهائياً

ولم يتخذ أبو بكر وزيراً وانما كان عمر يلى له القضاء بالمدينة ولم يكن قاضياً وكان أبو عبيدة أميناً على بيت المال قبل أن يسير الى الشام

ولم يتخذ أبو بكر كاتباً بعينه ، بل كان يكتب له زيد بن ثابت ، وكان يكتب له الاخبار عثمان بن عفان ، وكان يكتب له من حضر كليل وغيره

## جمع القرآن

وفي عهد أبي بكر جمع القرآن . وذلك ان القتل قد استحر في القراء في حروب  
البيعة وأهل الردة فرأى عمر أن يجمع القرآن في مصحف خشية أن يهلك الحفاظ  
فيضيع القرآن فلم يزل بأبي بكر حتى رضى بذلك فدعا زيد بن ثابت فلم يزل به  
أبو بكر حتى رضى وهو الذي قام بجمع القرآن . أخرج البخاري عن زيد بن ثابت  
قال : « أرسل الي أبو بكر مقتل أهل البيعة وعنده عمر فقال أبو بكر : ان عمر أتاني  
فقال : ان القتل قد استحر يوم البيعة بالناس ، واني لآخشى أن يستحر القتل  
بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن الا أن يجمعه . واني لارى أن  
يجمع القرآن »

قال أبو بكر : فقلت لعمر كيف افعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ . فقال  
عمر : هو والله خير . فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك فرأيت  
الذي رأى عمر . قال زيد : وعمر عنده جالس لا ينكلم ، فقال أبو بكر : انك  
شاب عاقل ولا تهمل ، وقد كنت تكتب الوحي ارسول الله ﷺ فتضيع القرآن  
فاجعه . فوالله لو كلفني قل جبل ما كن انقل على مما كلفني به من جمع القرآن ،  
فقلت : كيف تفعلان شيئاً لم يفعله النبي ﷺ ؟ فقال أبو بكر : هو والله خير . فلم  
أزل أراجع حتى شرح الله صدرى للذي شرح الله صدر أبي بكر وعمر فكتبمت  
القرآن أجمعه من الرقاع والاكتاف والنسب وصدور الرجال حتى وجدت من  
سورة التوبة آيتين عند خزيمه بن ثابت لم اجدهما مع غيره . « لقد جاءكم رسول من  
أنفسكم » الى آخرها فكانت المصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى  
توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها .

وسند ذكر عند الكلام على عثمان انه هو الذي استنسخ المصاحف وفرقها في الامصار وكان القرآن قبل ذلك محفوظاً مرتباً في الصدور مكتوباً آيات وسوراً ليست بجمعة

## رزق الخليفة

كان أبو بكر يرتزق من استغلال ملكه وعمل يده . وقد ظل مدة ستة أشهر بعد خلافته وهو على حاله تلك ، لا ينفق على نفسه من بيت مال المسلمين شيئاً ، فأصبح ذات يوم وعلى ساعده إبراد وهو ذاهب الى السوق . ففقيه عمر فقال: اين تريد؟ قال: الى السوق . قال: تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال: فمن اين أطعم عيالي ؟ فقال انطلق يفرض لك أبو عبيدة ( أمين بيت المال ) فلما ذهب اليه قال افرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضاهم ولا أركسهم وكسوة الشتاء والصيف اذا أخلقت شيئاً رددته وأخذت غيره . ففرضا له كل يوم نصف شاة وما كساه في الرأس والبطن . أخرجه ابن سعد عن عطاء بن السائب

وقال الطبري : قالت عائشة : كان منزل أبي السُّنَّح عند زوجته حبيبة ابنة خاتجة وكان قد حجر عليه حُجْرَةٌ من سَمَفٍ فما زاد على ذلك حتى تحول الى منزله بالمدينة فأقام هناك بالسُّنَّح بعد ما يبيع له ستة أشهر يقدر على رجليه الى المدينة وربما ركب على فرس له وعليه ازار ورداء ممشوق فيوافي المدينة فيصلي الصلوات بالناس فاذا صلى العشاء رجع الى أهله بالسُّنَّح . فكان اذا حضر صلى بالناس واذا لم يحضر صلى بهم عمر بن الخطاب . فكان يقيم يوم الجمعة صدر النهار بالسُّنَّح يصنع رأسه ولحيته ثم يروح لقدر الجمعة فيُجْمَعُ بالناس وكان رجلاً تاجراً . فكان يقدر كل يوم الى السوق فيبيع ويتاع . وكانت له قطعة غنم تروح عليه وربما خرج هو بنفسه فيها وربما كفيها فوعيت له . وكان يجلب للحى أغنامهم فلما



بومع له بالخلافة قالت جارية من الحلي اليوم لا تحلب لنا منافع دارقا فسمعها أبو بكر  
 قال : بلى ، لمصري لا حليبها لكم وآتي لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن خلق  
 كنت عليه . فكان يحلب لهم فريعا قال للحارية من الحلي إيجارية انحين ان أرض  
 لك أو أصريخ ؟ فريعا قالت أرغ وربعا قالت صرح ، فأني ذلك قالته فعل . فكث  
 كذلك بالسنح ستة اشهر ثم نزل الى المدينة فأقام بها . ونظر في أمره فقال : لا والله  
 لا تصلح أمور الناس على التجارة وما يصلحهم الا التفرغ لهم والنظر في شأنهم ولا بد  
 لمبالي بما يصلحهم . فترك التجارة واستنق من مال المسلمين ما يصلحه ويصلح  
 عياله يوماً بيوم ويبيع ويعتمر وكان الذي فرضوا له في كل سنة ستة آلاف درهم فلما  
 حضرته الوفاة قل : ردوا ما عندهما من مال المسلمين فاني لا أصيب من هذا المال  
 شيئاً . وإن أرضي التي بمكان كذا وكذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم . فدفع  
 ذلك الى عمر ولقوا حاهداً صيقلًا وقطيفة ما تساوي خمسة دراهم . فقال عمر : لقد  
 اتعب من بعد

وروى عن عائشة انها دخلت على أبيها في مرضه الذي توفي فيه وطلبت اليه  
 أن يهد بالامر وهي حزينة كشيبة . فرفع رأسه وقال : اي أمه هذا يوم يجئني لي عن  
 غطائي وأشاهد جزائي : ان فرحاً فدايم وان ترحاً فقيم . اني اضطلعت بأمانة هؤلاء  
 القوم حين كان النكوص اضاعة ، والخلخل تخريطاً . فشهدي الله ما كان يقبطني اياه  
 فتبيلنت بصحفتهم وتعلت يديرة إقحتهم . فأقت صلاتي معهم لا غتلاً أشرأ ،  
 ولا متكازراً بطراً . لم أعذ من الجوعة ووزي العورة وقواته القوام <sup>(١)</sup> . حاضري  
 الله من طوى ثمضي نفو منه الاحشاء وتحيب له الامعاء ، فاضطرت الى ذلك  
 اضطرار المريض الى المتعفف الآجن . فاذا أنا مت فردي اليهم صحفتهم وعبدكم  
 وقمحتهم وروحهم ودثارة ما فوق اتقيت بها البرد ودثارة ما تحتي اتقيت بها نزالارض

(١) القول ما يكثر

كان حشوها قطع السعف اهـ

وكان أبى بكر يرى انه ليس له حق فى أن يأخذ من بيت مال المسلمين شيئاً ، فلقد أوصى بأرضه للمسلمين فى نظير ما أخذه من أموالهم ومناقب أبى بكر كثيرة . منها قول النبي ﷺ « مادعوت أحداً الى الاسلام الا كانت له عنه كىوة غير أبى بكر » وقد شهد له بالجنة وبعثته من النار . وأخبر بخلافته تمرىضاً لانصا بقوله لامرأة « ان لم تعجدينى فأنتك تعجدين أبى بكر » . وشهد المشاهد كالم مع رسول الله ﷺ واعتق سبعة نفر كلهم كانوا يمدبون فى الله : بلال ، وهامر بن قهبره ، وزنبرة ، والنهدية ، وابنها ، وجارية بنى مؤمل ، وام عيسى . وكان بيت المال معه فى داره . ولما فتح بيت المال بعد وفاته لم يجدوا فيه درهما ولا ديناراً الا ديناراً واحداً سقط من غرارة

وقال أبو صالح الفخاري : كان عمر يتعهد امرأة عمياء بالمدينة بالليل فيقوم بأمرها فكان اذا جاء وجد غيره قد سبقه ، فرصده فاذا هو أبو بكر وهو خليفة وقيل ان زوجته اشتكت حلوا ، فقال لها : ليس لنا ما نشترى به . فقالت : أنا استفضل من نفقتنا فى عدة أيام ما نشترى به . قال : افعل . ففعلت ذلك فاجتمع لها فى أيام كثيرة شيء يسير فلما عرفته ذلك ليشتري به حلوا أخذه فردده الى بيت المال وقال : هذا يفضل من قوتنا واسقط من نفقته بمقدار ما نقصت كل يوم وغرمه من بيت المال من ملك كان له

وهو أول من سمى ما كتب فيه القرآن مصحفاً ، وأول من فرض له رعيته نفقة ، وأول من سمى خليفة ، وأول خليفة ولى وأبوه حى

كان يسوى فى قسمته بين السابقين الاولين والمتأخرين فى الاسلام وبين الحر والعبد والذكر والانثى \* من اين الانبى

## ﴿ أرزاق الجند ﴾

كان جند المسلمين في عهد أبي بكر متطوعين لا يكلفون الخليفة ولا بيت المال شيئاً وإنما ينفقون من أموالهم ابتداءً ثم مما يصيرون من الغنائم فإن المقاتلة لهم أربعة أخماس التنيمة سوى ما يناله القاتل من سلب القتل . وكان الأمير ينفل أهل البلاء المتأزبن بالقنا في الحرب والضرارة على العدو . ولقد كانت الغنائم في العراق والروم مما يفري الخلفين بالحقاق باخوانهم لأنها كانت شيئاً كثيراً لأعهد لهم به . وحسبنا من ذلك خطبة خالد التي أقرام فيها على العراق وافتتاحه وحيارته دون فارس وإن الأمر لو لم يكن ديناً ولم يكن إلا المماش لكان في الحق أن يجالدهم على ما في أيديهم . وقد كان أبو بكر يسوي في العطاء بين الناس ولا يميز أحداً عن أحد . فقبل له كيف تسوي بالسابقين الأولين غيرهم فقال أولئك قوم عملوا لأنفسهم وسبقوا إلى الدخول في الدين ابتغاء مرضاة الله فرفع أجراً على الله . أما أنا فلا أفضل أحداً على أحد . وعنده في ذلك أن رسول الله ﷺ إنما كان يفاضل بين الناس في العطاء لأنه كان أعلم بوجود المصلحة وأمر العطاء مردود إليه يصنع فيه ما شاء والناس يرضون منه بكل ما يجي . به فإذا حرم أحداً من أهل البلاء رجع وهو راض مكتفياً برضى الله ورسوله عنه وليس لأبي بكر ما لرسول الله ﷺ

## ﴿ أرزاق المال ﴾

كان يرد لبيت المال خمس الغنائم وصدقات المسلمين وجزية أهل الذمة وذلك كله مادة الخلافة يرزق الخليفة منها المال ويعين منها المجاهدين في سبيل الله ويفض ما بقي على أهلها المصنين في كتاب الله تعالى

## ﴿ وفاة أبي بكر ﴾

مرض أبو بكر بالحمى لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ . ومكث  
 نحو ما ١٥ يوما وتوفي في مساء ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ ( ٢٢ أغسطس  
 سنة ٦٣٤ م ) فكانت مدته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال ودفن في حجرة عائشة  
 بجوار رسول الله ﷺ ببل عنه قليلا الى الجهة الشرقية



## انتخاب عمر للتخليفة

لما اشتد على أبي بكر مرضه وأحس بدنو أجله خاف على المسلمين أن ينتشر أمرهم وتنتحل عقدة اجتماعهم بتنازعهم حبل الخلافة . وقد رأى الناس يوم وفاة رسول الله ﷺ قد انقسموا ففتن كل منها يجذب الخلافة إلى حيزه فكان ذلك حادياً له على النظر للمسلمين ولاحتياطاً لاجتماع كلهم ولم يشغل ما هو فيه عن النظر في مصلحتهم من بعده وجمع كلهم ، ولو أن أبا بكر ترك مركز الخلافة شاغراً لكان للاتصاؤل عليها مجال ولشغل المسلمون عن أعدائهم بأنفسهم ولكان وجه التنازع تغير عما هو عليه اليوم ، ولكانت فتنة القوم بالخلافة أنكى واشد من فتنة الردة ولما دلت فتنة الردة جذعة وانسع الفتق على الرائق

أدار أبو بكر عيونه في أصحابه يتخير منهم لهذا المنصب رجلاً يكون شديداً في غير عنف ، ليناً في غير ضعف ، فوجد كثيراً من أصحاب رسول الله ﷺ على ما يجب غير أن عمر كان أفضلهم في نفسه وأقربهم إلى الصفة التي يجب أن يكون عليها خليفة المسلمين . وكذلك كان عمر في نفوس من استشارهم أبو بكر في أمر الخلافة ومن يليها

يقول صاحب أشهر مشاهير الإسلام رحمه الله : « ومن توفرت فيهم هذه الصفة من الصحابة الكرام عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ، إلا أن الأول كان ربما يريد الأمر فيرى في طريقه عقبة فيدور إليه ، والثاني يرى الاستقامة فلا يبالي بالعقبة تقوم بين يديه » فهو إلى الشدة أميل منه إلى اللين »

أقول إن ما ذكره حضرة الفاضل في وصف الرجلين صحيح ، غير أن عدول أبي بكر عن علي إلى عمر لم يكن سببه ما ذكره غصب ، والذي اعتقد أن تروث علي في بيعة أبي بكر واحتجاجة على أخيه للأمر بقربائه من رسول الله

عليه السلام هو الذي حدا بأبي بكر إلى العدول عنه إلى غيره لأنه خشى أن يحملها ميراثاً للأعقاب على نظام الأوسقراطية، في حين أن أبا بكر كان يراها غير خاصة بيني هاشم كما يرى علي. بل قد صرح بأنه كان يود أن لو كان سأل رسول الله ﷺ عن الأنصار هل لهم في هذا الأمر شيء، حتى لا يكون قد غلبهم يوم السقيفة بأن كان ألحق منهم بحجته فهو يود أن لو كان استبرأ لنفسه. ومن كانت هذه حاله كان أحرص على إبعادها عن يراها تراثاً وطعمة لأهل خاصة. هذا هو الذي أظنه سبباً لما ذكر

هزم أبو بكر على اختيار عمر وأحب أن يستوثق للأمر ويوطن أصحاب رسول الله وأهل السابقة على هذا الأمر حتى لا يكون في نفس أحد منهم حفيظة وإثلاً يكون قد استخلف عليهم من لا رضونه. فسأل عبد الرحمن بن عوف فقال أخبرني عن عمر بن الخطاب فقال: ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني. فقال وإن. فقال عبد الرحمن: هو أفضل من رأيك فيه من رجل، ولكن فيه غلظة. قال أبو بكر ذلك لأنه يراني رفيقاً، ولو أنصت الأمر إليه لترك كثيراً مما هو فيه. ثم دعا عثمان بن عفان فقال: أخبرني عن عمر. فقال أنت أخبرنا به. فقال علي ذلك يا أبا عبد الله، أخبرني عن عمر. فقال: اللهم علمي به أن سريره خير من علانيته وأنه ليس فينا مثله. فقال أبو بكر رحمك الله يا أبا عبد الله. لا قد كرم ما ذكرت لك شيئاً. قال أفعُل. فقال له بكر لو تركته ما عدت لك وما أدري لعله تاركه، والخيرة له ألا يلي من أموركم شيئاً، ولوددت أني كنت خلوا من أموركم وأنني كنت فيمن مضى من سلفكم. وسأل أسيد بن حضير فقال أسيد: اللهم أعلمه الخير بعدك يرضى للرضى ويسخط للسخط الذي يسر خير من القبي يعلن ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه. واستشار غيره هؤلاء. سعيد بن زيد وجماعة من المهاجرين والأنصار فكلهم قال خيراً وأنتي عليه

ولما نهياً لأبي بكر ما أراد دعا عثمان بن عفان فأملى عليه:

«بسم الله الرحمن الرحيم» هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين أما بعد «ثم أغنى عليه فكتب عثمان» فني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً «ثم أفاق أبو بكر فقال اقرأ على. فقرأ عليه فبكى أبو بكر وقال أراك خفت أن يختلف الناس إن أفلت في غشيتي. قال نعم. قل جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله. وأقرأها أبو بكر من هذا الموضع

قال الطبري ثم أشرف على الناس وزوجه اسماء بنت هبش ممسكة فقال لهم: أنرضون بين استخلف عليكم أفاني والله ما ألوت من جهد الرأي ولا وليت ذا قرابة. وإني قد وليت عليكم عمر بن الخطاب فسمعوا له وأطيعوا. فقالوا: سمعنا وأطعنا

ثم دعا أبو بكر عمر خالياً فقال: إني مستخلفك من بعدي وموصيك بتقوى الله. إن الله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وأنه لا تقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة فأما نفلت موازين من نفلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا ورفقه عليهم. وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلاً وأما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً. إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فإذا ذكرتهم قلتي إني أخاف أن لا أكون من هؤلاء، وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ولم يذكر حسناتهم فإذا ذكرتهم قلتي إني لأرجو أن لا أكون من هؤلاء، وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون المبد راعياً راهباً ولا يتمنى على الله غير الحق ولا يلقي بيده إلى التهلكة فإذا حفظت وصيتي فلا يكن غائب أحب اليك من الموت وهو آتيك وإن ضيعت وصيتي فلا يكن غائب أبغض اليك من الموت ولست بمعجز.

ولما خرج عمر من عنده رفع يديه وقال: اللهم إني لم أورد بذلك إلا صلاحهم وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت أعلم به واجتهدت لهم رأياً فوليت عليهم

خيرهم وأقوالهم عليهم وأحرصهم على ما أرشدهم وقد حضرني من أمرك ما حضر  
فأخلفتني فيهم فبهم عبادك ونواصيهم بيدك . أصلح اللهم لهم ولاتهم واجعلهم من  
خلفائك الراشدين وأصلح له وعيته

وكان بدء خلافة عمر بن الخطاب يوم الثلاثاء ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٩٣هـ ( ٢٣  
أغسطس سنة ٦٣٤ م )

## ترجمة عمر بن الخطاب

هو عمر بن الخطاب بن نفيل من بني عدي بن كعب من بني لؤي . وأمه  
حنمة بنت هاشم بن المغيرة من بني مخزوم بن يقظة بن مرة . ولد لثلاث عشرة  
سنة من ميلاد رسول الله ﷺ . كان عمر ذا شهامة ونجدة وجراة وشجاعة .  
وكانت الشجاعة الأدبية أخص أوصافه لا يخف في الحق لومة لائم ولا يقر على  
كتمان ولا يمطي هواة في باطل يستعد بطلانه

كان عمر في صغره يرعى على أبيه غنمه وبضم اليهن غنمات لخالات له وقد  
روى ابن عساکر بسنده أن عمر مر بصحنان ( اسم مكان ) فقال كنت أرعى  
للخطاب بهذا المكان فكان فظا غليظا فكنت أرعى أحيانا وأحطب أحيانا  
فأصبحت أضرب الناس ليس نوقي أحد إلا رب العالمين . ثم قال :

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته يبقى الآله ويودي المال والولد  
ولما كبر عمر اشتغل بالتجارة في ماله وكان يذهب أحيانا إلى الشام متجرا .  
وقد روى ابن عساکر أن بطريقا أمره بالشام واستعمله في بعض عمله فتفقه  
عمر وقتله وخرج هاربا من الشام . ولم يكن لعمر وفر من المال بل كان مقلدا من  
ذلك وحرفته التجارة في الجاهلية والإسلام إلى أن ولي الخلافة

كان عمر عزيز الجانب في قومه مشهورا بالشدة وصدق العزيمة وقوة  
الشكينة ، وكانت سنة حين البعثة صيفا وعشرين سنة . ولم يكن قد أشرق نور  
الآباء ان على قلبه فكان ينال المسلمين بالاذى



كان رسول الله في مبدأ أمره يتمنى أن يكون له بين المسلمين رجل له عز وشرف وصدق عزيمته يكف عنهم المشركين ويكون للمسلمين ردةً من الأذى ويرى أن قريش هذه الصفات أعما هو عمر بن الخطاب وعمر بن هشام فكان يدعو الله أن يمز الإسلام بأحدهما فاستجاب الله له في عمر

ذكر في أسد الغابة بسنده قال : قل لنا عمر بن الخطاب أحبون أن اهلك كيف كان بدء اسلامي ؟ قلت نعم . قال كنت من أشد الناس على رسول الله ﷺ فبينما أنا يوماً في يوم حار شديد الحر بالهجرة في بعض طرق مكة إذ لقيني رجل من قريش فقال : أين تذهب يا ابن الخطاب ؟ أنت تزعم أنك هكذا وقد دخل عليك هذا الأمر في بيتك . قلت وما ذلك ؟ قال أختك قد صابت . قال فرجعت مضطرباً وقد كان رسول الله يجمع الرجل والرجلين إذا اسلما عند الرجل به قوة فيكونان معه وبصبيان من طعامه . وكان قد ضم إلى زوج أختي رجلين . قال : فبحثت حتى فرغت الباب فقيل من هذا ؟ قلت ابن الخطاب . قال : وكان القوم جلوساً يقرأون القرآن في صحيفة معهم فلما سمعوا صوتي تبادروا واختفوا وتركوا أو نسوا الصحيفة من أيديهم فقامت المرأة ففتحت لي فقلت يا عدوة نفسها قد بائني أنك صبوت . قال فأرضع شيئاً في يدي فأضربها به فسال الدم . فلما رأت المرأة الدم بكيت ثم قالت يا ابن الخطاب ما كنت فاعلاً فأفعل فقد اسلمت . قال فدخلت وأنا مضطرب فجلست على السرير فتظرت فإذا بكتاب في ناحية البيت فقلت ما هذا الكتاب أعطانيه فقالت لا أعطيك أنت من أهله أنت لا تقتل من الجنابة ولا تطهر وهذا لا يحسه إلا المطهرون . قال : فلم أزل بها حتى أعطانيه فإذا فيه ( بسم الله الرحمن الرحيم ) فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورَميت بالصحيفة من يدي ثم رجعت إلى نفسي فإذا فيها ( سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ) قال فكلمنا مررت باسم من أسماء الله عز وجل ذعرت ثم ترجعت إلى نفسي حتى إذا بلغت ( آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه )

حق بلغت الى قوله « إن كنتم مؤمنين » قل : فقلت اشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله فخرج القوم يتبادرون بالكبير استبشاراً بما سمعوه مني وحمدوا الله عز وجل ، ثم قالوا : يا ابن الخطاب ابشر فإن رسول الله دعا يوم الاثنين فقال اللهم اعر الاسلام بأحد الرجلين : اما عمرو بن هشام ، واما عمر بن الخطاب . وانا نرجو أن تكون دعوة رسول الله لك الخ . وقد قدمنا فيما سبق نحو هذا مع الخلاف يسير ولما أعلن عمر اسلامه في قريش اشتد الامر على القوم وكادوا يقتلونه لولا أن أجاره منهم العاص بن وائل السهبي وناله ما كان يناله المسلمون من الاذى غير أنهم لم يبلغوا به مبدئهم

ولما كانت المحرة كان الناس يخرجون منسولين لا يعلم بخروجهم أحد حتى لا تمنعهم قريش أما عمر فأعلن انه مهاجر وقله من أراد أن تشكك له أمه وتسم عرسه فليلقني خلف هذا الوادي » ثم خرج مهاجراً فلم يبعه أحد

وقد شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها . وكان موفق الرأي ملها بالصواب : كثيراً ما كان يشير على رسول الله ﷺ بالامر ثم ينزل القرآن موافقاً لما أشار به وكان هو وأبو بكر بمنزلة وزيرين لرسول الله ﷺ وقد تزوج رسول الله ﷺ ابنته حفصة وله مقامات حسان في الحذب على رسول الله ﷺ والقبب عنه والشفعة على من ناواه . وقد قال رسول الله ﷺ « لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فهو عمر »

ومن مقاماته المحمودة في الاسلام يرم سقيفة حين اختلفت الآراء وخشي أن يتفرق أمر المسلمين وأشب نار الفتن فأخدها باليادرة الى مبايعة أبي بكر فكان عمله هذا سبباً لنجاة المسلمين من أكبر كارثة كانت تحمل بهم لولا عين تقيته وصحة نظره بعد دعوة الله تعالى . وقد كان لأبي بكر بمنزلة الوزير الاول يؤازره ويعينه ويشير عليه وكان أبو بكر يحيل عليه النظر فيما يرفع اليه من القضايا بالمديسة ،

فكان قاضياً له وإن لم ينسب إليه قاض

### ﴿ أول خطبة لعمر ﴾

بعد أن بويع عمر بخلافة بعد وفاة أبي بكر صعد المنبر فقال كلمة قصيرة اشتملت على سياسته التي اعتزم أن يمسوس بها الناس فقال بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله :

« إنما مثل العرب كنزل جل آتف اتبع قائده فليُنظر قائده ابن يعقوب  
أما أنا فغروب السكبة لاحتكم على الطريق »

والجل الآتف هو الجمل للدلول الموائى الذي يأنف من الزجر والضرب ويهبط ما عنده من السير عفوا سهلا . وهذا تشخيص حسن للأمة الإسلامية امهده فلها كانت سامعة مطوعة اذا أمرت ائتمرت ، واذا نهيت انهت . ويتبع ذلك المسؤولية الكبرى على قائدها فانه يجب عليه أن يرئد لها ويصدر في شأنها بعقل وبورء بتسيير حتى لا يورطها في خطر ولا يقحمها في مهلكة ولا يهمل شأنها اهمالا يكون من ورائه البطل . وقد أراد بالطريق الطريق الاقوم الذي لا هوج فيه . وقد نثر بما اقسم به

### فتح فارس وما كانه بعد خالد

رحل خالد عن العراق كما أمره أبو بكر وشيعة المنى ثم قال له خالد : ارجع الى سلطانك غير مقصر ولا وان . وقد استقام أمر فارس على رأس سنة من مقدم خالد على شهر براز بن أردشير بن شهر يار فوجه الى المنى جنداً كثيراً بقيادة هرمز جاذويه ومعه فيل . وكتب الى المنى باقبال ذلك الجيش فخرج المنى من الحيرة لقاء الجيش وضم اليه مسلح وجبل على مجنبتيه اخويه المنى ومعهوداً وأقام ببابل . وأقبل هرمز وعلى مجنبتيه الكوكبة والخلوكية . وقد كتب شهر براز الى المنى

كتاباً يقول فيه : « اني قد بعثت اليك جنداً من وخش أهل فارس . ١٦٦ هـ رعاة الدجاج والطنازير ولست أقاتلك الا بهم » فاجاب المثنى : انما أنت أحد رجلين إما باع فذلك شركك . وإما كاذب فأعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله وفي الناس الملوك . وأما الذي يدلنا عليه الرأي فأنك انما اضطررتهم اليهم فالحمد لله الذي رد كيدهم الى رعاة الدجاج والطنازير ، فجزع الفرس لذلك وقالوا للملكهم : جرأت يا بناعدوننا بالذي كتبت به اليهم ، فاذا كانت أحداً فاستشر

الثقت جموع الفرس وجموع المسلمين ببابل بعدوة الصرّاة الدنيا وقاتلوا قتالاً شديداً . ثم ان المثنى قصد الفيل في جمع من المسلمين وكان يفرق بين الصفوف الكراديس فأصابوا مقتلة فاهزم الفرس وتبع المسلمون فظهر حتى جازوا بهم مسالحهم . ثم يقتلون ويأسرون فيهم حتى انتهوا الى المدائن

وقد رأى المثنى ان الفرس غير تاركيه ولا يده لهم من مناجزته بمجنود لا قبل له من نطف الى المدينة ليخبر أبا بكر بالمسلمين وما تم لهم وما يشقون ويستأذنه في الاستماعة بأهل الردة ممن قد ظهرت توبته ونده ، وكان المثنى قد خلف على من كان معه بشير بن الخصاصبة ، ووافق انصراف المثنى الى المدينة اضطراب الفرس في شأن ملكهم فشغلهم ذلك عن المثنى وجيشه الى أن عاد من وجهه ذلك

ولما قدم المثنى على أبي بكر وجده قد اشتد به المرض فلما أخبره الخبر قال علي بن عمر فلما حضره قال اني لارجو أن أموت في يومى هذا فان أنا مت فلا تمسين حتى يندب الناس مع المثنى ولا تشغلنكم مصيبة وان عظمت عن أمر دينكم ووصية ركن وقد رأيتني متوفى رسول الله ﷺ وما صنعت ولم يصب الخلق بمثله ووالله لو اني أني عن أمر الله ورسوله تخذلتنا وآماقنا فاضطربت المدينة ناراً . وان فتح الله على أمراء الشام فأرود أصحاب خالد الى العراق فانهم أهل وولاء أمره وحداء وأهل

الضاربة بهم والجرأة عليهم

فما فرغ عمر من أبي بكر فندب الناس مع المشي قبل صلاة الفجر من الليلة التي مات فيها أبو بكر ، ثم أصبح فبايع الناس ، ولما فرغ من أمر البيعة عاد فندب الناس إلى فارس

كان الناس قد وقر في نفوسهم عظم ملك الفرس وقوة شوكتهم وظفرهم في الحرب في الجاهلية فكان حرب الفرس أثقل شيء على نفوسهم فاثاقلوا فلم ينتدب أحد لذلك الوجه وما زال عمر ينتدب الناس إلى اليوم الرابع فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفي وسعد بن عبيد الانصاري ، ثم تناب الناس بعد ذلك وتكلم المشي بن حذرة فقال : أيها الناس لا يعظم عليكم هذا الوجه فانا قد تبعنا ريف فارس وغلبناهم على حير شقي السواد وشاطرنهم والمناعمهم واجترأ من قبلنا عليهم ولما إن شاء الله ما جدها . وقام عمر فقال : ان الحجاز ليس لكم بدار الا على النجعة ولا يقوى عليه أهل الا بذلك . أين الطراء المهاجرون عن موهود الله ا سيروا في الارض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها ، فانه قال « ليظهره على الدين كله » والله مظهر دينه وممزن ناصره ومولى أهله وموارث الأمم . أين عباد الله الصالحون ؟

فكان بعد ذلك انتداب أبي عبيد . ثم ثنى سعد بن عبيد أو سليط بن قيس لما اجتمع ذلك البحث قبل لعمر الله عليهم رجلا من السابقين من المهاجرين أو الانصار فقال : والله لا أفعل ان الله انما رفعكم بسببكم ومصرعتكم الى العدو فاذا جئتم وكرهتم اللقاء فابلى بالرباسة منكم من سبق الى الدفع وأجاب الى الدعاء ، والله لا أؤمر عليهم الا أولهم اقتديا . ثم دعا أبا عبيد وسليطا وسعدا فقال : أما انكما لو سبقتماه لوليتكما ولأدركتماها الى مالكا من القنعة . فامر أبا عبيد على الجيش وقال له : اسمع من أصحاب النبي ﷺ واشركهم في الأمر ولا تجتهد مسرعا حتى تبين ، فانها الحرب ، والحرب لا يصلحها الا الرجل المكثيث الذي يعرف

الفرصة والكف

عجل المثنى الى عسكره وأبو عبيد بن معه وكانوا خمسة آلاف في انزه وصار  
أبو عبيد يستنفر من يمر به من العرب لقتال الفرس فأجابه بشر كثير وقد وصل  
المثنى الى الحيرة في عشر ليل وجاء أبو عبيد بعده بشهر

## التفارق

كانت الفرس مشغولة عن المسلمين بموت شهر براز وصارت تولى وتعمل الى أن  
عاد المثنى من المدينة الى الحيرة . وكان الفرس قد ولوا رستم أمر حرب المسلمين  
فكتب الى دهاقين السواد أن يشوروا المسلمين ودس في كل رستاق رجلا لينور  
أهله فبعث جابن الى البغداد الاسفل وبعث نزمي فتل زقدور وثار أهل  
الرصاتيقي من أعلى الفرات الى أسفل . فعبر المثنى اليه مسلحه وحذر . وعجل جابن  
فنزل التفارق ونزل المثنى بمخفان حتى لا يقطع عليه خط الرجعة الى أن قسم عليه  
أبو عبيد ونزل حتى جم الناس وماءهم من الظهير ثم أعى ونزل على جيش جابن  
التفارق فاقننوا قتالا شديدا ثم انهزمت الفرس وأمر جابن ومردان شاه . فأما  
آسر مردان شاه فقتله ، وأما آسر جابن فقد خدعه جابن فقال له : انكم معاشر  
العرب أهل وفا ، هل لك أن تؤمنني وأعطيك كذا ؟ قل نعم . قال فادخلني على  
ملككم حتى يكون ذلك بمشهد منه . ففعل . واجاز أبو عبيد أماته . ولما علم بنو  
نهم انه الرئيس قالوا لابي عبيد اقتله . قال ما روني فاعلا معاشر بيعة <sup>(١)</sup> ؟ أيؤمنه  
صاحبكم وأقتله انا ؟ معاذ الله ما لزم بعض المسلمين فقد لزمهم كلهم . وكان آسر  
مقار بن فضة التميمي

(١) كذا في ابن الاثير ولعل صحتها مخر لان آسرهم تميمي وهم من مخر لآمن ربيعة

قسم أبو عبيد الغنائم وبعث بالحُس إلى عمر تم فادى بالرحيل إلى كسكر حيث ينزل نَزْرَمِي وهو ابن خلة كسري . وكسكر قطعة له وقد ضوى إليه فل جيش جابان وقد وجه إليه وسنم وهوران بجيش على رأسه الجالانوس حين بلغها هزيمة جيش جابان فرجائرسى ومن معه أن يدركه المدد قبل منازلة المسلمين له . ولكن أبا عبيد عجلهم وكان المثنى على تعبته التي لقي بها جابان فاقتتلوا أسفل من كسكر فكان يقال له السقاطية قتالا شديدا فانهزمت الفرس وفرزسى وغلب على عسكريه وأرضه وأخرى أبو عبيد ما كان حول عسكريه من كسكر وجمع الغنائم فوجد من الامامة شيئا كثيرا وأخذت خزائن رُمِي فلم يكنوا بشيء مما في خزائنه أفرح منهم بالترسيان لانه كان يحميه لا يأكله بشر ولا يفترسه سواء وأهل بيته أو ملك الفرس فقتلوه وجعلوا يطعمونه الفلاحين وبعثوا بخمسة إلى عمر وكتبوا ان الله أطعمنا مطاعم الا كاسرة يحمونها وأحببنا أن تروها لتذكروا أنعام الله وأفضاله وأقام أبو عبيد بكسكر وسرح المثنى وغيره من الأفراد يقيمون على النواحي ويقولون عصائب الجنود التي كانت متفرقة هناك وصالحه أهل بعض تلك النواحي وجاء فروخ وفرأو نداذ من أهل الصلح إلى أبي عبيد بآنية فيها أطعمة فارمى من الالوان والخبصة وغيرها فقالوا هذه كرامة أكرمناك قبي لك . قال : أأكرمتم الجنود وقر يتسوم منه ؟ قالوا : لم يتيسر ونحن فاعلون . قال لاحاجة لنا في ما لا يسمع الجنود وقدم اليه آخرون مثل ذلك فأبى وقال : بشئ المرء أبو عبيد ان صحب قوما من بلادهم امرأوا دهم دونه أو لم يهريقوا فاستأثر عليهم بشئ . يصبه لا والله لا يأكل مما أفاء الله عليهم الا مثل ما يأكل أو ساطمهم



## وقعة الجسر

جاء خبر الهزيمة الى رستم فجهز جيشا آخر عظيما . عليه بهمن جاذويه وأعطاه الراية الكبرى الفارس وهي المسماة درفش كايان وعرضها ثمانية أذرع وطولها اثنا عشر ذراعا من جلود الثور . وأقبل أبو عبيد وقزله المروحة ، موضع البرج والعاقل ، فعدت اليه بهمن اما أن تعبروا اليينا وقدعكم والعبور واما تخلوا بيننا وبين العبور - فقال من مع أبي عبيد دعمهم بعبورنا اليينا فأبى ولج وقال لا يكونون أجرا على الموت منا . فعبروا على جسر نصبوه في مكان ضيق المطرد والمذهب فاقتتلوا يوما حتى اذا كان آخر النهار واستبطأ رجل من ثقيف الفتح ألف بين الناس فتصالحوا بالسيوف وقصد أبو عبيد الفيل وضربه نخط الفيل أبا عبيد وقد أمرت السيوف في أهل فارس وأصيب منهم ستة آلاف . فلما خبط أبو عبيد انهزم المسلمون ونموا على هزيمتهم وعمد رجل من ثقيف الى الجسر فقطعه . فأنتهى الناس الى الجسر والسيوف فأخذهم من خلفهم فهافتوا في الفرات فاصيب من المسلمين أربعة آلاف من بين غريق وقتيل . وقام المثنى من خلف الناس في أهل النجدة يحمون ظهورهم ويدافعون عنهم حتى أصلح الجسر وعبر الناس ثم عبر بمن معه الى المروحة وهو جريح ومعه عدد من حاة الناس جرحى وهذه عاقبة اللجاج والمجازفة في الحرب

كان المثنى قد نصح لأبي عبيد وقال له: انك تقدم على أرض المسكر والخديعة والخطيئة والجبرية، تقدم على قوم قد جردوا على الشر فقلوه وتناصوا الخير فجهاؤوه، فانظر كيف تكون واخزن لسانك ولا تفشين سرك فان صاحب السر ما ضبطه متحصن لا يؤذي من وجه يكرهه واذا ضيحه كان بمضبعة

هرب من الناس بشر كثير على وجوههم واقتضحوا في أنفسهم واستنجحوا



عما نزل بهم وبلغ عمر من بعض من آوى الى المدينة فلم يعنف الفارين وخفف عنهم مصابهم وقال : عباد الله الله ان كل مسلم في حل مني انا فية كل مسلم . برحم الله ابا عبيد . لو كان عبر فاعتصم أو تحبب اليانا ولم يستقتل لكان له فئة

أراد أهل فارس العبور للمسلمين لما رأوا من قلتهم وضعفهم بمن قتل منهم أو شردوا وأحبوا أن يستأصلوهم . فدعهم خبر أهمهم وصرفهم عن بينهم . وهو أن الناس بالمداائن قد ثاروا برسهم ونقضوا الذي بينهم وبينه فصاروا فرقتين : الفلوج على رستم وأهل فارس على الفيرزان . وقد كان بين وقعة اليرموك ووقعة الجسر أربعون يوماً

وقد أخطأ أبو عبيد رحمه الله في عبور النهر ومخالفته أصحابه وقد أمره عمر بأن ينشروهم وينتهي الى رأيهم وهم أصحاب رسول الله وبخاصة سليط بن عمرو ، ولم يسمع نصيحة المثني وهو رجل قد خرجته الوقائع وزاده علما ما رآه من خالد اذ كان معه . وخطأ ثان ما صتمه ممرئد الثقفي من قطع الجسر على الناس فان العدو لم يحدث بهم من النكاية ما أحدثه فيهم بمعه . فكان الصديق الجاهل ولا ينفعه اعتذاره بأنه أراد أن يقاتل الناس على ما قتل عليه امرأهم فان اكل مقام مقالا . ومثل هذا القول لا يصلح في وقت الجولة . وأما يقال لقوم وصفوفهم ثابتة وآذانهم مصفية وهم في سعة من التدبر واجالة الرأي ، فأما وقت المزيمة فلا كلام

## البويب

ان وقعة الجسر قد أكلت جيش المسلمين وعلم عمر أن ليس بالقوم امتناع ولا قوة اذا نازلهم العدو فشرع يبعث الامداد الى المثني منهم جرير بن عبد الله البجلي في بجيلة وعصبة بن الحارث فيمن تبعه من قومه بني ضبة . وكتب الى أهل الردة

ولم يوافه في شعبان أحد الا رمى به المثنى فتوافى المتجدون اليه في جمع عظيم . وبلغ  
 رسم والغيرزان ما عليه المثنى وما ينتظر من المدد . فاجتمعا على أن يبعثا مهران  
 الهذاني الى الحيرة . وعلم المثنى تخف الى البويب لموعده من كان بالحيرة من  
 المسلمين وخرجوا منها حين علموا بجنود مهران وقد توافقت جنود المثنى ومددهم الى  
 ذلك المكان مما يلي موضع الكوفة وبينه وبين مهران النهر . فكاتبه مهران بخبره  
 في العبور ولكن المثنى رأى العبدة في أبي عبيد وجيشه فلم يرض أن يكون هو  
 الذي يهرب . فبعث مهران بجوده وكان ذلك في رمضان . فنادى المثنى انهذوا  
 اعدوكم . وكان قد عي جيشه نعية خالدية . وخطب المثنى في المسلمين فقال : انكم  
 قوم صوام والصوم مرقاة مضطعة . وإني أرى من الرأي أن تنظروا ثم تقفوا  
 بالطعام على قتال عدوكم فانظروا . ورأى رجلا يستوف ويستقتل من كردوسه  
 فقال : ماشانه ؟ قلوا قد فر يوم الجسر ويريد أن يستقتل ، فقرعه بالرمح وقال :  
 لا أبالك الزم موقفك فاذا أتاك فرقتك فأغنه عن صاحبك ولا تستقتل . قال اني  
 بذلك الجدير . واستمر وزم الصف . وسار المثنى على الرايات يقف بها راية راية  
 بعضهم ويأمرهم بأمره ويهزم بأحسن ما فيهم ويقول لكل قوم : اني لأرجو أن لا  
 نؤتى العرب اليوم من قبلكم ، والله ما يسرني اليوم لشيء الا وهو يسرني  
 اعمتكم . فيجيبون : بئذ ذلك . وأنصفهم المثنى في القول والفعل وخلص الناس في  
 المكروه والمحبوب فلم يستطع أحد أن يعيب له قولاً أو عملاً . وقال اذا كبرت الراية  
 فاحلوا فأعجلهم أهل فارس عند التكبرة الأولى وحمى القتال بين الفريقين واشتد  
 معمد المثنى الى أنس بن هلال وقال له : انك امرؤ عربي وان لم تكن على ديني فاذا  
 رايتني حلت على مهران فاحل معي . وضم قوما معه وأوصى القواد بأمره وبأن  
 لا يزالوا أمكنتهم لئلا يتكشف الجيش وحمى المثنى وخلفه القوم وأوغل في صفوفهم  
 وصير المسلمون صبرا جميلا . ولم يزل المثنى يعمل ومن معه في قلب الفرس حتى

افناء قويات مجنبيات المسلمين على من يليهم وصار المثنى يذمرهم ويخصهم حتى  
هزم الفرس وسبقهم المثنى الى جسرهم فقطعه لئلا يبره أحد منهم  
كلن عمل المثنى هذا خطأ ، لان القوم وان كانت الهزيمة قد حقت عليهم فانهم  
في عدد كبير وقوة عظيمة اذا قوام قلوبهم في مكان ووجدوا من يقودهم وهم واجدون  
للاخطأ ، عادت لهم قوتهم وقاب اليهم نشاطهم الى القتال ويصبرون بعد ذلك  
كالشوك في جنب جيش المسلمين

قتل في هذه الواقعة مهران ، قتله بعض فتيان ثعلب وكانوا مع المسلمين ، وامت  
الهزيمة على الفرس بقتله ، اخذ فل المنهزمين يصدده ويصوب اذ حلاهم المثنى عن  
الجسر وخيل المسلمين تنههم ويقتلون منهم فلم تكن وقعة من الوقائع اتى رمة منها .  
وقد أصيب من حدة المسلمين عدد كبير بين قتيل وجريح . وبما يؤثر عن المثنى  
حكاه على نفسه في قطعه الجسر وإحراجه العدو - قال : لقد عجزت عجرة وفي الله  
شرها عساقتي ايام الى الجسر وقطعه حتى أخرجتهم فاني غير عائد فلا تعودوا ولا تقتدوا  
بي ايها الناس فانما كانت مني ذلة . لا ينبغي إخراج أحد الا من لا يقوى على الامتناع  
ثم أرسل في أثر المنهزمين من انبيهم حتى وصلوا الى السيب - كورة من سواد  
السكوفة - بعد ان عقد لهم جسراً . وكانت هذه الواقعة من الوقائع الكبرى التي  
أوقعت الرعب في قلوب أهل فارس ، واستمكن المسلمون من الفars في السواد  
وانتقصت مسالح الفرس ونشئت أمرهم في تلك الناحية واجترأ المسلمون عليهم وشنوا  
الغارة عليهم فيما بين سورا وكسكر والصرافة والغلاليج والاستانات . وقد قال عروة  
ابن زبيل الخليل في هذه الواقعة والطبري ينسبها الى الاعور الشني :

هاجت امروء دار الحى احزاننا واستبدلت بعد عبد القيس همدانا  
وقد آرائنا بها والشمل مجتمعا اذ بالنخيلة قتلى جنده مهرانا  
أيام سار المثنى بالجنود لهم فقتل القوم من رجل ورجلا  
مما لأجناد مهران وتيمته احق ابادهم مثنى ووجدانا

ما أن رأينا أميراً بالعراق مضى مثل المثنى الذي من آل شيبانا  
 أن المثنى الأمير القرم لا كذب في الحرب أشجع من ليث بخفانا  
 وقد كان عمر من أول أمره حريصاً على تعرف حال المسلمين والوقوف على  
 ما عليه الجند من الشؤون . فكان يهود إلى قوم من المسلمين بالكتاب إليه بكل  
 شؤونهم وأحوالهم حتى إذا رأى خللاً أو خطلاً بأدوم بما يصلحهم لا تأخذه في ذلك  
 هوادة . لأن الجند والرعية إنما يؤتون من قبل الإهمال والاستهانة بالخلل حتى  
 يقوى ضعفه ويكظم صغيره

من ذلك أن المثنى أرسل رجلين من بكر بن وائل في جند للاغارة على صفين  
 وبها التمر وتغلب على ثمان . فأغار جند المسلمين على القوم حتى أقموا طائفة  
 منهم في الماء فنادى بهم أن يذهبوا عنهم وينادونهم الفرق العرق . وأخذ عتبية  
 وفرات البكر يان وبهما قائد الجند يذمران الناس ويناديانهم : تغريق بتحريق  
 يذكر انهم بما كان من التمر وتغلب في أيام الجاهلية إذ حرقوا قوماً من بكر بن وائل  
 في إحدى الفياض . وبمسد أن فرغوا من أمر القوم رجعوا إلى المثنى ، وقد كانت  
 لهم عيون في كل جيش ، فكتب إليه العيين . يا قال عتبية وفرات يوم بني تغلب  
 والفر على صفين . فاستقدمها أمير المؤمنين وأخبره بأنها قالا ذلك على وجه أنه  
 مثل وأنهما لم يقول ذلك على وجه طلب دحل الجاهلية فاستحلفهما على ذلك فحلفا  
 أنهما ما أرادا بذلك إلا المثل واعزاز الاسلام فقبل منهما وصدقهما ورددتهما إلى  
 المثنى . فبهكذا يكون حرص الأمراء على صيانة أخلاق الرعية وحياطينها من تسرب  
 الفساد إليها

كان المثنى اتخذ دليلين أحدهما انباري والآخر جبري فدلّه الانباري على  
 الخنافس وكانت هذه السوق عظيمة يؤمها تجار فارس والسواد فاتمها المثنى . ثم  
 قدم على سوق بغداد ، أسرى إليه من ليلته ثم صبح السوق فلأ أصحابه أيديهم  
 من الذهب والفضة وحر المتاع وتفرق الناس عن بضائعهم وقتل من كانوا يخفرون

السوق من ربيعة وقضاة، ثم عاد إلى ممسكه وكانت عسكره تصيب وتصد ولا حامي لبلاد منهم

ولما بلغ سويد بن قطبة العجلي ما أتبع للمثنى بن حارثة من الظفر يوم هيران أحب أن يكون له من الفخر ما للمثنى فكتب إلى عمر يخبره به عن الناحية التي هو فيها ويسأله أن يمدد بجيش يفرض به الفرس في ذلك الوجه . فندب عمر لذلك الوجه عتبة ابن غزوان المازني من أصحاب رسول الله ﷺ وأمره على جيش فيه الفامقاتل من المسلمين وكتب إلى سويد بن قطبة يأمره بأن ينضم إلى عتبة . وقد خرج عمر لتشجيع الجيش وأوصى عتبة فقال : يا عتبة إن اخوانك من المسلمين قد غلبوا على البصرة وما يليها وعبرت خيلهم الفرات حتى وطئت بابل مدينة هاروت وماروت ومنازل الجبارين وإن خيلهم اليوم أتت بر حتى تشارف المدائن وقد بعثت في هذا الجيش . فاقصد قصد أهل الأهواز فاشغل أهل تلك الناحية أن يمددوا أصحابهم بناحية السواد على اخوانكم الذين هناك وقاتلهم مما يلي الأبله فسار عتبة حتى أتى مكان البصرة . ولم تكن هناك يومئذ لا الحرابية . وكانت منازل غريبة وبها مسالخ الفرس تنعم الأعراب من الغيث في تلك الناحية . وموضع البصرة إذ ذاك حجارة سود وحصى ثم سار حتى نزل على الأبله وافتتحها عنوة بعد قتال شديد وكتب إلى عمر رضي الله عنه : أما بعد فإن الله وله الحمد فتح علينا الأبله وهي مرقى سفن البحر من عمان والبحرين وفارس والهند والصين . واغنمنا ذهبهم وفضتهم وذراريهم . وأنا كاتب اليك ببيان ذلك إن شاء الله .

ثم إن عتبة سار حتى أتى إلى المنذر وأظهره الله على أهله ووقع مرزبانه في يده ففرض عتقه وأخذ يرضه وفي منطقته الزمرد والياقوت وأرسل بذلك إلى عمر . وقد تياثر المسلمون بذلك وأكبوا على رسول عتبة يسألونه عن أهل البصرة ( وكان

ذلك ابتداء اختطاطها ونزول المسلمين بها ) فقال انهم يهلون الذهب بها هبلا فرغهم  
 ذلك في القدوم اليها وكان ذلك قبل تصير البصرة  
 ثم خرج عتبة الى فرات البصرة فافتتحها ثم الى دست ميسان فافتتحها بعد ان  
 قاتل مرزبانها وقتله وهزم من بها من العجم ثم الى ابرقباد فافتتحها كذلك ثم عاد  
 الى مكانه من البصرة . وكان عمر يستأذنه في العود الى المدينة فاذن له . ثم ارسل  
 بعده المغيرة بن شعبه بالبصرة مدة ثم استبدل به ابا موسى الاشعري

### امر القادسية

انظر الفرس فيما دعهم من امر العرب الذين يجيئون خلال ديارهم وبغضون  
 المسلمين ويغيرون على أسواقهم ويحتنون متاجروهم وامتنعهم وضيقوا على فارس السبل  
 في الوجه الذي هم فيه . فقالوا لرسر والغيوزان ما تلتظرون والله الا أن ينزل بنا  
 ونهلك ، والله ساجر هذا الوهن علينا غيركم يا معاشر القواد : لقد فرقتم بين أهل  
 فارس وثبتموهم عن عدوهم ، والله لولا ان في قبلكم هلاكنا لمجملنا لكم بالقتل  
 الساعة ولئن لم تذهبوا انهاركمكم ثم نهلك وقد استغفينا منكم وانه لم يبلغ من خطر كما  
 ان نهر كما فارس على ما أنتم عليه وان تعرضاها لاهلكة . ما بعد بغداد وساباط  
 وتكريت الا المدائن ، والله لتجتمعان أو لنبدأن بكما قبل أن يشمت بنا شامت

تفاوض الرجلان ومن معها من وجوه فارس في الامر وعطوا أن كلام أهل  
 فارس الذين كانوا حق وقالوا انما أتينا من تملك النساء علينا قتالا لبوراث بنت  
 كسرى ( وكانت عدلا في فارس نلي ملكهم مدة الاختلاف الى أن يتفقوا ) اكتب  
 لنا نساء كسرى وصرايه ونساء آل كسرى وسر اربهم ففعلت وأرسلت اليهن فلم  
 يبق منهن امرأة الا أتوا بها فأخذوهن بالرجال ووضعوا عليهن العذاب يستدلوتهن

على رجل من آل كسرى . فقلان لم يبق الا وله يدعي بزد جرد من وله شهربار بن كسرى وأمه من أهل بادورينا . فأنوا بها فدلتهم عليه وكان ابن احدى وعشرين سنة فاطمأنت قارص واستوثقوا وملكوه عليهم وتبارى الرؤساء في طاعته ومعونه . فأخذ أمر القوم بعزيمة وهمة وجيش الميوش وكتب الكتائب وسمى الجنود لكل مسلحة من المسالح التي كانت لكسرى وسد الثغور وسير جندا الى الحيرة والانباء علم المثنى علم القوم فكانت عمر بشأنهم وما ينتظر من انتفاض من دان له بالطاعة ممن بين ظهرانيهم . فلم يصل الكتاب الى عمر حتى انتفض أهل السواد وكفروا من لم يكن في يده عهد ومن كان له عهد فخرج المثنى على حاميته حتى نزل يدي قار وتنزل الناس بالطف حتى جاءهم كتاب عمر وفيه : أما بعد فأخرجوا من بين ظهري الاعاجم ونزقوا في المياه الى نلى الاعاجم على حدود أرضكم وأرضهم ولا تدعوا في ربيعة احدا من أهل النجدات ولا قارصا الا اجتلبوه فان أتى طائعا والا حشروه اهلوا العرب على الجدا اذ جد المعجم فلتا . اجدد بمجدهم . فاقام المثنى بمن معه بدي قار ونزل الناس بالحل وعرفوا الى غصني : حبال البصرة . فكانوا في أمواه العراق من أولها الى آخرها مسالح بعضهم ينظر الى بعض ويغيث بعضهم بعضا أن كان كون وذلك في ذي القعدة سنة ١٣ هـ وصكتب عمر - الى عماله على السكود والقبائل - أن لا تدعوا احدا له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأي الا انتخبتموه وجهتموه الى العجل العجل وكان ذلك في ذي الحجة سنة ١٣ فلم يقفل من حجة حتى وافته الجنود من كل وجه وفاحية . فأما القبائل التي طرقها على مكة والمدينة فقد اجتمعوا عليه بالمدينة وأما من كان على أكثر من نصف الطريق من المدينة فقد لحق بالمثنى

والقبين وافوا عمر أخبروه فيمن وراهم بالحث وترادف ورود الجنود الى ان جاء المحرم سنة ١٤ هـ فخرج عمر بمن اجتمع اليه الى ماء يدعى حرار على ثلاثة أميال

من المدينة فمسكر به ولا يدري الناس ما يصنع عمر: يسير بهم أم يرجع الى المدينة ويؤمر عليهم رجلاً آخر ، وقد رغب الناس في الوقوف على نيته

كان الناس اذا أرادوا علم شيء من عمر فهاجروه أن يسألوه رموه بعبد الرحمن بن عوف أو عثمان بن عفان . وكانوا يدعون عثمان رديفاً . والعرب تقول ذلك للرجل يرجونه بعد رئيسهم . فاذا أعياء عليهم ما ذلك الأمر فزعوا الى العباس بن عبد المطلب . فلما أرادوا معرفة نيته كلوا عثمان . فقال لعمر ما الذي تريد ؟ فنادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس اليه . فأخبرهم الخبر وانظر ما يشيرون به . فقال العامة : سر وسر بنا ملك

رأى عمر ذلك منهم والصواب في خلافه غير انه لم يرد أن يخالفهم لأول أمرهم بل دخل في أمرهم الى أن يخرجهم من ذلك الرأي برفق . فقال : استمدوا واعدوا فاني سائر الا أن يحبي . أي هو أشمل من ذلك . ثم بحث الى أهل الرأي فاجتمع اليه وجوه أصحاب النبي ﷺ وأعلام العرب فقال : احضروني الرأي فاني سائر . فاجمع ملؤهم على أن يبعث رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ويقيم عمر ويرميه . لجنود فان كان الذي يشتهي من الفتح فهو الذي يريد ويريدون والا أهاد رجلاً وقدس جنداً آخر وفي ذلك ما يفيظ العدو ويقرعون المسلمون ويحبي . نصر الله بانجاز مواعوده ، فنادى عمر : الصلاة جامعة . فاجتمع الناس اليه وأرسل الى علي كرم الله وجهه وكان قد استخلفه على المدينة . فأتاه الى طنجة وقد بحث على المقدمة فرجع اليه وعلى المجنبتين الزبير وعبد الرحمن بن عوف ، فقام في الناس فقال : ان الله عز وجل قد جمع على الاسلام أهله فألف بين القلوب وجعلهم فيه اخواناً ، والمسلمون فيها بينهم كالجسد لا يخلو منه شيء من شيء أصاب غيره وكذلك يحق على المسلمين أن يكونوا وأمرهم شوري بينهم بين ذوي الرأي منهم فالناس تبع لمن قام بهذا الامر ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعاً لهم ومن أقام



بهذا الامر تبع لأولي وأبهم ما رأوا لهم ورضوا به فله من مكيدة في حرب كانوا فيه تبعاً لهم . يا أيها الناس أفي أنما كنت كرجل مسك حتى صرفني ذوو الرأي منكم عن الخروج . فقد رأيت أن أقيم وأبش رجلاً . وقد أحضرت هذا الامر من قدمت من خلفت ( يريد علياً وطلحة )

أخذ عمر في اجالة الرأي في شأن من يتولى ادارة الجيش وقال : أشيروا على رجل . وكان سعد بن أبي وقاص على صدقات هوازن وقد كتب اليه عمر قبل ذلك بانتخاب ذوي النجدة والرأي والصلاح فجاء كتاب سعد الى عمر وهو يستشير الناس فيمن يسمعه يقول فيه : قد انتخيت لك ألف فارس كلهم له نجدة ورأي وصاحب حجة . يحوط حرم قومه ، اليهم انتهت احساب قومه ورأيهم . فلما قرأ عمر الكتاب قول القوم : قد وجدته . قال من هو ؟ فقلوا : الأسد عاذياً ، سعد ابن مالك . فانهى عمر الى قومه واحضره وأمره على حرب العراق . ووصاه فقال : لا يفر بك من الله ان قيل خذ رسول الله ﷺ وصاحب رسول الله ، فان الله لا يمحو السيء بالسيء . ولكنه يمحو السيء بالحسن . ليس بين الله وبين أحد نسب الا طاعته ، فالتاس في ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الأمر الذي أيت رسول الله ﷺ يلزمه . ووصاه بالصبر ، وسرحه فيمن احضرم اليه وهم أربعة آلاف . وكان في ذلك الجيش حد الأمانة العربية وجدوها ونجدها ورأيها . فان عمر لم يسمع رئيساً ولا ذا رأي ولا ذا سلطة ولا ذا نجدة ولا خطيباً ولا شاعراً الا دماهم به ، فكانت حاشيتا الجيش تضمان وجوه الناس وغررهم

وقد أمر سعداً بالمسير وقال له : اذا انتهيت الى زرد فأنزل بها . وهي رمال بين النعلبية والخرمية على طريق الحاج الى الكوفة . فلما نزل بها تفرق البعثة فيما حولها من امواه نعيم وأسد . وانتظر اجتماع الناس وأمر عمر . وفي ذلك الوقت توفي المثني ابن حارثة من جراحة كانت أصابته قبل ذلك

وقد كان الثني الباديء بأمر فارس من تلقاء نفسه وكان فلوساً مغلولاً صاحب  
مكيدة وغناه في الحرب بصيراً بقيادة الجند شديد الخنز نافذ الرأي قوي الارادة  
موفقاً في الحرب مظفراً على العدو حريصاً على نصرته الاسلام وظهور المسلمين على  
الفرس . فلما أحس بدنو أجله كتب وصيته الى سعد بن أبي وقاص يبصره فيها بأمر  
المعجم ويلقى اليه بزيادة الوقائع التي منحضها ونتيجة خيبرته وتجاربه قبله . فأوصاه  
أن يقاتل الفرس على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب وأدنى مدر من  
أرض المعجم فإن يظهر الله المسلمين عليهم قلمهم ما وراءهم وإن تكن الأخرى فادوا  
في فئته ثم يكونون أعلم بسبيلهم وأجراً على أرضهم الى أن يرد الله السكره لهم . وهي  
سيرة انضجتها الخبرة وسيكنها التجربة

سار سعد من زردود حتى نزل بشراف وأرسل المغيرة بن شعبه الى ناحية الابله  
من أرض العرب وكتب الى عمر بن الخطاب وبناتل الناس ، فكتب اليه عمر : اذا جاءك  
ثاني هذا فمشر الناس ( اجعلهم عشرة عشرة ) وعرف عليهم وأمر على أجنادهم  
منهم ومر رؤساء المسلمين فليشهدوا وقد تروهم وهم شهيد ، ثم وجههم الى أصحابهم  
وراعدهم القادسية واضمم اليك المغيرة بن شعبه في خيله واكتب الي بالذي ستفر  
عليه أمرهم . فأرسل سعد الى المغيرة فانضم اليه ودعا برؤساء القبائل فأتوه . فقدر  
الناس وحباهم بشراف وعرف العرفاء فعرف على كل عشرة رجلاً كما كانت العرافات  
أيام رسول الله ﷺ وأمر الأمراء . وأمر على الرايات رجلاً من أهل السابقة . وعشر  
الناس وأمر على الأعشار رجلاً من الناس لهم وسائل في الاسلام وولى الحروب  
رجالاً فولى على مقدماتها ومجنبياتها وسافقتها ومجرداتها وطلانها ورجلها وركبانها

فكان أمراء التعبئة يلون الأثير . ويلهم أمراء الأعشار ثم أصحاب الرايات  
ثم للقوادس . وس القبائل ، ولم يفصل سعد من شراف الاعلى تعبئة وبأذن من  
عمر . وقد بعث عمر اليهم الاطباء وجعل على قضاء الناس عبد الرحمن بن ربيعة

الباهلي وجعل اليه الاقباض وقصة النبي وجعل داعيتهم ورائدهم سلمان الفارسي فلما فرغ سعد من تعيينه وأعد لكل شيء من أمره جماعة ورأسا كتب الى عمر بذلك . وكان في تلك الاثناء - قبل اذن عمر في الانحلال الى القادسية - قدوم المعنى بن حارثة وسلمى بنت خصفة الى سعد بوصية المثنى . وكان السبب في ابائهما مع أمر المثنى لها بالتعجل الى سعد ان الازاد مرء بث قابوس بن قابوس بن المنذر الى القادسية وقال : ادع العرب وانت ملك على من أجابك كما كان أبوك . فلما علم المعنى به أمرى اليه حتى ينته ومن معه فأتاهم فشفله ذلك هن الاسراع الى سعد برؤود فلما وقف سعد على الوصية ترجم عليه وولى المعنى على عمله وأوصى بأهل بيته خيراً . وتزوج سلمى بعد انقضاء عدتها . وكان في جيش سعد بضعة وسبعون بدويًا وثلاثمائة وبضعة عشر ممن كانت له محبة فيما بين بيعة الرضوان فما فوق وثلاثمائة ممن شهد الفتح وسبعمائة من أبناء الصحابة من جميع أحياء العرب

وكان كتاب عمر الى سعد وهو بشراف « أما بعد فسر من شراف نحو فارس بمن ملك من المسلمين وتوكل على الله واستمن به هل أمرك كله . واعلم فيما لديك انك تقدم على أمة عددهم كثير وعدتهم فاضلة وبأسهم شديد ، وعلى بلد منيع وان كان سهلاً كؤود لبحوره وفيوضه ودأدته الا أن توافقوا قبضاً من فيض . واذا اقيم القوم أو أحداً منهم فابذوهم الشد والضرب وإيأكم والمناظرة بمجموعهم ولا يخذل عنكم فانهم خدمة مكورة أمرهم غير أمركم الا أن تهادوهم . واذا انتهيت الى القادسية والقادسية باب فارس في الجاهلية ، وهي أجمع تلك الابواب لما دثهم ولما يردونه من تلك الاصول وهو منزل وغيب خصيب حصين دونه قناطر وانهار مقعة . فتكون مسالكك على اقطابها ويكون الناس بين الحجر والمدبر على حافات الحجر وحافات المدر والجراخ بينهما . ثم الزم مكانك فلا تبرحه فانهم اذا أحسوك انقضهم ورموك يجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحدثهم وجددهم فان أنتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله

ونؤيّم الأمانة وجوت أن تنصروا عليهم ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبداً إلا أن يجتمعوا  
وليست بهم قلوبهم . وإن تكن الأخرى كان الحجر في أدياركم فانصرفتم من أدنى  
مدرة من أرضهم إلى أدنى حجر من أرضكم ثم كنتم عليها أجراً وبها أعلم وكانوا  
عنها أجبن وبها أجمل حتى يأتي الله بالفتح عليهم ويرد لكم الكرة  
وكتب إليه أيضاً باليوم الذي يرتحل فيه من تبرأف - وكانت الكتب  
متواصلة مترادفة بين سعد وعمر رضي الله عنهما

وفد جاء إلى سعد كتاب عمر يقول له فيه « واكتب إلى ابن بلع جميعهم ،  
ومن رأسهم الذي يلي مصادمتكم . فإنه قد منعي من بعض ما أردت الكتاب به  
فله على ما هجمتم عليه والذي استقر أمركم عليه . فصف لنا منازل المسلمين والبلد  
الذي بينكم وبين المدائن صفة كأنني أنظر إليها . واجعلني من أمركم على الجلية »  
فكتب إليه سعد بصفة البلدان يقول : القادسية بين الخندق والمقيق <sup>(١)</sup> وإن ما  
عن يسار القادسية بحر أخضر في جوفٍ لآح <sup>(٢)</sup> إلى الحيرة بين طريقين فأما أحدهما  
على الظهر ، وأما الآخر فعلى شاطئ النهر يدعى الحوض <sup>(٣)</sup> يطعم بمن سلكه  
على ما بين الخورتق <sup>(٤)</sup> والحيرة . وإن ما على يمين القادسية إلى الوثبة فيض  
من فيوض مياههم . وإن جميع من صالح المسلمين من أهل السواد قبلي وإلي  
لأهل فارس . قد خفوا لهم واستعدوا لنا وإن الذي أعدوا لمصادمتنا رُشتم في  
أمنال له منهم . فهم يحاولون انفاضنا وإفحامنا ونحن نحاول انفاضهم وإبرازهم وأمر  
الله بعد ما مضى وقضاؤه مسلم إلى ما قدر لنا وعلينا . فسأل الله خير القضاء وخير  
القدر في عافية

(١) الخندق صغير السابور للملك بركة الكوفة ، والمقيق نهر

(٢) ضيق (٣) كمبود نهر كان بين القادسية والحيرة

(٤) كفسوكس قصر للثمان الأكبر « مغرب خورتك » أي موضع الاكل

فكتب اليه عمر : قد جاءني كتابك وفهمته . فاقم بمكانك حتى ينفض  
 الله لك عدوك وأعلم أن لما ما بهدها ، من منعتك الله أجاره فلا تنزع عنهم حتى  
 تقنع عليهم المدائن فانه خرابها ان شاء الله . ثم كتب الى سعد : اني قد ألتقي في  
 رومي انكم اذا لقيتم العدو و هم مشغولون فاطرحوا الشك وآثروا الثقة عليه فان  
 لا لعب أحد منكم أحداً من الصحب بامن أو قرأه بأشارة أو بلسان كان لا يدري  
 الاعجمي ما كلمه . وكان عندهم أمانا فأخروا ذلك له مجرى الامان و اياكم والصحت  
 والوفاء الوفاء ، فان الخطأ بالوفاء بقية وان الخطأ بالقدر المصلحة وفيها وهنكم وقوة  
 عدوك وذهاب ربحكم واقبال ربحهم . واعلموا اني أحذركم ان تكونوا شيئاً على  
 المسلمين وسبباً لتوهينهم

ولما نزل سعد عذيب المجانات بث الغارات وكان من ذلك سرية فيها الشماخ  
 الشاعر القيسي في ثلاثين مروجين بالنجدة والبأس وأميرهم بكير بن عبد الله  
 اللقي ومرحوم في جوف الليل وأمرهم بالقارة على الخيرة فمروا حتى جاوزوا  
 السليحين وقطعوا جسرهما يريدون الخيرة فسمعوا جلبة فأحجموا عن الاقدام  
 وأقاموا كيناً فمرت بهم خيل تقدم تلك القوم فتركوها فنفذت الطريق . واذا  
 أخت أزاذ مرزبان أزاذه مرزبان الخيرة تزف الى صاحب الصناديق وكان من  
 أشرف العم . فلما انقطعت الخيل عن الزواف والمسلمون كين في النخل وجازت  
 بهم الاقال حمل بكير على شيرزاد من أزاذه فقصم صلبه وطارت الخيل على  
 وجوهها . واحتوى المسلمون الاقال وابنة الازاذه وثلاثين امرأة من نساء الدهاقين  
 ومائة امرأة من التوابع وبما لا يدري قيمته ثم عاجوا فصبحوا سعدا بعذيب المجانات  
 بما أفاء الله على المسلمين فكبر المسلمون تكبيرة شديدة . فقال سعد أقسم بالله لقد  
 كبرت تكبيرة قوم عرفت فيهم العز . ثم فض الغنيسة في المجاهدين بمد ان نفل الخمر  
 وأعطاهم بقينه ، فوقع ذلك منهم موقفاً

كان كثير من المسلمين يرحلون الى الغزو بحريهم وعيالاتهم وذراتهم فانزل سعد حريمهم في حامية وآمة عليهم غالب بن عبد الله الهيثمي ونزل سعد بالقادسية كانت الفرس تنظر الى رسمه نظر المستغيث الى مفتحه وكانت العرب من حين نزوله الى القادسية يشنون سرايا فتغير على النعم والدواب وكانوا في قزم الى اللحم أما الشعير والحنطة وما يتفجع من الحب فقد كان عندهم من ذلك ما يفتنيهم أياما طويلة ولم يأتهم منه شيء . وكانوا يسمون الايام بأسماء ما يأتهم من القمحان كيوم الأباقر ويوم الخيطان . فلما تواترت منهم الاغارات في السواد على دواب الفرس ومن مهمهم واغتنام مواشيهم ، كتب أهل السواد وعظماء فارس ممن كان له ملك بياحيهم الى يزديجرد وعجوا اليه بالشكوى من العرب وما يعترضهم به من النكبات قائلين : ان العرب قد نزلوا القادسية بأمر ليس يشه الا الحرب وان فعل العرب مد نزلوها لا يبقى على شيء . وقد أخربوا ما بينهم وبين القرات وليس فيما هناك أنيس الا في الحصون وقد ذهب الدواب وكل شيء . لم تحتمله الحصون من الاطعمة ولم يبق الا أن يستنزلونه ، فان أبطأ عنا الفيت أعطيناها بأيدينا

وكتب اليه بذلك الملوك الذين لم ضياع بالطف وهيجوه على بعثة رسمته أرسل يزديجرد الى رسمه فلما جاء قل له : اني اريد أن أوجهك في هذا الوجه وأما بعد للامور على قدرها وأنت رجل أهل فارس اليوم وقد نرى ما جاء أهل فارس من أمر لم يأتهم مثله منذ ولي آل أودشير . فأراه ان قد قبل منه وأثنى عليه أن اشترك الملوك مع القواد في شؤونهم اذا كانوا غير مضطلمين بالحرب عارفين بكل ما يلزم لما لا يعود الا بالخطية والخسار . وهذه العادة الرديئة قد خدلت قوادا من أحسن القواد خبرة وأعزهم علما بالحرب وفنونها ومكايدها . فكانت وبالا على القبول . ونحن لم نزل نسمع ما يقوله الخبراء عن ادارة الحرب الروسية العثمانية سنة ١٢٩٤-١٢٩٥ م انما كان أكبر أسباب الخذلان فيها أن القواد لم يكونوا أحرارا

في علمهم من تقدم أو تأخر بحسب ما يستلزم الميدان وتقضيه الاحوال . بل كانت  
الاورام تصدر الى القواد من الاستانة

من ذلك أن يزددجرد قال لرستم : صف لي العرب و فعلهم منذ نزلوا القادسية  
وصف لي المعجم وما يلقون منهم . فقال رستم : صفة ذئاب صادفت غرة من رعاة  
فأفدت . فقال : ليس كذلك اني انما سألتك رجاء أن تعرب صفتهم فأقويك لتعمل  
على قسر ذلك فلم تصب . فافهم عني . انما مثلهم ومثل أهل فارس كشل عقاب  
أوى على جبل يأوي اليه الطير بالليل فتبيت في سفحه في أوكارها . فلما أصبحت  
تجلى الطير فأبصرته يرقبها فان شذ منها شيء اختطفه فلما أبصرته الطير لم تنهض  
من مخافته . وجعلت كلها شذ منها طائر اختطفه . فلو نهضت نهضة واحدة رده .  
وأشد شيء يكون في ذلك أن تنجو كلها الا واحدا وان اختلفت لم تنهض فرقة  
الا هلكت . فهذا مثلهم ومثل الاعاجم ، فاعمل على قسر ذلك فقال له رستم :  
أيها الملك دعني فان العرب لا تزال تنساب المعجم مالم نضربهم بي ولعل الدعوة أن  
تثبت بي فيكون الله قد كفى ونكون قد أصبنا المكيدة ورأى الحرب . فان الرأي  
فيها والمكيدة أنفع من بعض الظفر . فأبى عليه وقال : أي شيء بقي ؟ فقال رستم :  
ان الاناة في الحرب خير من الصحة : الاناة اليوم موضع . وقتال جيش بعد جيش  
أمثل من هزيمة بجمه وأشد على عدونا . فليج وأبى فخرج حتى انزل عسكره بساباط  
رأى رستم انه يسير في الحرب برأي غيره ويسل فيها بمشورة سواء الغائب  
عنها الجاهل بها فأراد ان يستعني يزددجرد من قيادة الجيش في هذا الوجه واختلفت  
منه الى الملك الرسل ليرى موضعا لاعتفائه وصلة غيره فلم يئنه الملك بأمره

قد يقال ان عمر كان يوافق سعدا بالنصائح والاورام ولا يفتزل من موضعه الذي  
يكون فيه الا بأمر منه ، فلماذا لم يكن هذا نوهينا لامر سعد ؟ والجواب على هذا أن  
عمر كان من أهل المكيدة في الحرب والرأي الراجح والبصر النافذ فيها . وهو يخشى

أن يتورط سعد فيما تورط فيه أبو عبيد يوم الجسر . فكان يحذره مثل ذلك . ولما صار سعد مع العجم وجهاً لوجه . لم يكن ليأمره بشيء من أمر الحرب لأنه أعلم بها من الغائب عنها . والله ايل على أن عمر كان ضليعا بالحرب ذا كفاءة للقيادة أن أبأ بكر رضي الله عنه كان يتقدم على أنه حين صرف خالد بن الوليد عن العراق إلى الشام لم يكن قد ولى عمر مكانه فجعله بحيال فارس . وكانت كل أوامر عمر تصدر إلى القائد أخذ الحيلة والاحتراس والتأني والحث على الصبر والعدل والزهد في الدنيا ونحو ذلك مما هو بمنزلة المدد للجيش . والفرق بين الغرضين واضح

خرج رستم حتى نزل ساباط واجتمع إليه الحشد . وجاء العيون إلى سعد بذلك . ن قبل الميرة وبقي صلوبا . فاعلم عمر بذلك . وكثرت الاستغاثة على يزدرج من أهل السواد وعليهم إلا زاذمرد بن الازاذ به القدي جثمت نفسه وكان ضيقا لوجها فاستحث رستم فقال له : أيها الملك لقد اضطرني تضيق الرأي إلى اعظام نفسي تركبتها ولو أجد من ذلك بدا لم اتكلم به فأشدك الله في أمرك ونفسك وملوكك . دعني اقم بصكري واسرح الجاليثوس : فإن تكن لنا فذلك ، والا فأنا على رجل وأبعث غيره حتى إذا لم نجد بدأ ولا حيلة صبرنا لهم وقد وهناهم وحسناهم ونحن جامئون . فأي إلا أن يسير . فكتب إلى فارس وعظماؤها أن يرموا حصونهم وأن يمدوا ويستعدوا . وقال في كتابه فكانكم بالعرب قد وردوا بلادكم . وقارعوكم من أرضكم وأبنائكم

ولما بلغ عمر أن كسرى ولى رستم بن الفرخزاذ حرب المسلمين وفصول رستم بالجند إلى ساباط كتب إلى سعد : لا يكرهينك ما يأتيت عنهم ولا ما يأتونك به واستعن بالله وتوكل عليه وأبعث إليه رجالا من أهل المنظرة والرأي يدعونه فإن الله جاعل دعاءهم توهينا لهم وقلجا عليهم . واكتب إلي في كل يوم . ولما جاء أمر عمر إلى سعد اختار من جنده قوما عليهم نجات وأخبرين لهم آراء .



فلما الاولون فالنعمان بن مقرن - وسُرى بن أبي زم، وحاتمة بن جوية الكناني،  
 وحظلة بن الريم النخعي، وفرات بن حيان المعلي، وعدى بن سبيل، والمقبرة بن زرار،  
 وأما الآخرون، فعمارة بن حاجب، والاشعث بن قيس، والحارث بن حسان، وعاصم  
 ابن عمرو، وعمرو بن مديكرب، والمقبرة بن شعبة، والمُعنى بن حارثة فبعثهم دعاة الى  
 الملك كسرى يزجروا فصار القوم - حتى وصلوا الى المدائن واستأذنوا فحبسوا، وبعث  
 يزجروا الى وزرائه ووجوه أرضه يستشيرهم فيما يصنع بهم ويقول له لم - وسمع بهم  
 الناس فحضروهم ينظرون اليهم وعليهم المقطعات والبرود وفي أيديهم سياط دقاق وفي  
 أرجلهم النعال وبعد ان اجلسهم قال لفرجنان: سلمهم ما جاء بك وما دعاكم الى غزوفا  
 والولوع ببلادنا؟ امن اجل انا أجمنناكم وتشاغلنا عنكم اجترأتم علينا؟ فرد عليه  
 النعمان بن مقرن وكان رئيس الوفد: ان شقتم أحببت عنكم ومن شاء آثرته. فقالوا  
 بل نكلم. وقالوا للملك: كلام هذا الرجل كلامنا. فقال النعمان: ان الله رحمتنا فارسل  
 الينا رسولا يد لنا على الخير ويأمرنا به ويعرفنا الشر وينهانا عنه ووعدنا على اجابته  
 خبر الدنيا والآخرة فلم يتدع الى ذلك قبيلة الا صاروا فرقين فرقة تقاربه وفرقة  
 تباعدته ولا يدخل معه في دينه الا الخواص، فكث بذلك ما شاء الله أن يمكث ثم  
 أمر ان ينفذ الى من خالفه من العرب وبدأ بهم وفعل فدخلوا معه جميعاً على وجهين  
 مكروه عليه فاقبض وطائع أثناء فزداد، فمرقنا جميعاً ففضل ما جاء به على الذي كنا  
 عليه من العداوة والضيق. ثم أمرنا بأن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوم الى الانصاف  
 فنحن ندعوم الى ديننا وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح كله فان أيمن فامر من  
 الشر هو أهون من آخر شر منه الجزاء فان أيمن فالمناجرة فان أجبت الى ديننا خلفنا  
 فيكم كتاب الله وافقناكم عليه على ان تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم  
 وان اتهمونا بالجزاء قبلنا ومنعناكم والا قاتلناكم. فقال يزجروا: اني لا أعلم في  
 الارض أمة كانت اشقى ولا أقل عددا ولا اسوأ ذات بين منكم. قد كنا نؤكل

بكم نرى الضواحي فيكم فوننا اياكم لا تغزوكم فارس ولا تطعمون أن تقوموا لهم فان  
كان عدد خلق فلا يغرنكم منا وان كان الجهد قد دعاكم فرضنا لكم قوتاً الى خصمكم  
واكرمنا وجوهكم وكونناكم ومليكنا عليكم ملكا يرفق بكم. ففخت القوم

فقام المغيرة بن زرارة الاسدي فقال : أيها الملك ان هؤلاء وذؤوس العرب  
ووجوههم وهم أشرف يستحيون من الأشراف ، وأما بكم الأشراف والأشراف  
ويعظم حقوق الأشراف والأشراف ، ويعظم الأشراف والأشراف . وليس كل  
ما أرسلوا به جمعه لك . ولا كل ما تكلمت به أجابك عليه . وقد أحسنوا ولا  
يحسن بمثلهم الا ذلك ، جأؤني لا كون الذي أبغضك وبشبهين على ذلك أما  
ماذا كرت من سوء الحال لما كان أحدنا سوءاً ، أما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع  
كنا نأكل الخنافس والجعلان والمقارب والحيات فمرى ذلك طعامنا . وأما المنازل  
فأما هي ظهر الأرض ولا ملابس إلا معارك من أوبار الابل : أشعار الغنم . ديننا  
أن يقتل بعضنا بعضاً ويغير بعضنا على بعض وان كان أحداً ليدوس ابنه حية  
كرامية أن تأكل من طعامنا فكانت حالنا قبل اليوم على ماذا كرت فبعت الله الينا  
رجلاً معروفاً يعرف نسبه ويعرف وجهه ومولده . فأرضه خير من أرضنا وحسبه  
خير من حسبنا ودينه أعظم بيوتنا وقبيلته خير قبائلنا وهو بنفسه كان خيرنا في  
الحال التي كان فيها أصدقنا وأخلصنا . فدعانا الى أمر فلم يجبه أحد أول من ترب  
كان له وكان الخليقة من بعده فقال وقتلنا وصدق وكذبنا وزاد ونقصنا ، فلم يقل  
شيئاً الا كان . ففدق الله في قلوبنا التصديق له واتباعه . فصار فيما بيننا وبين رب  
العالمين فما قال لنا فهو قول الله وما أمرنا فهو أمر الله فقال لنا ان ربك يقول : اني  
أنا الله وحدي لا شريك لي كنت اذ لم يكن شيء وكل شيء هالك الا وجهي وأنا  
خلفت كل شيء . والي يصير كل شيء وان رحمتي أرحم كنكم فبعثت اليكم هذا الرجل  
لادلکم على السبيل التي بها انجيکم بعد الموت من عذابی ولا حلکم داری . دار

السلام فتشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق . وقال من تابعكم على هذا فله مالكم وعليه ما عليكم . ومن أبى فعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه مما تمنعون منه انفسكم ومن أبى فقاتلوه فانما الحكم بينكم فمن قتل منكم ادخلته جنح ومن بقى منكم اعقبته النصر على من ناواه . فاختار ان شئت الجزية عن يد وأنت صاغر ، وإن شئت فالسيف ، أو نسلم فتنبج نفسك

أصابك الكلمات مكان المرة من نفس كسرى يزجرجد ورأى كبيراً عليه ان يتأذى اليه بالقتال - وهو شاهان شاه الواسع الملك العزيز الجانب المهيب السطوة - من قوم ظلوا مستضعفين لا يأثم طول حياتهم لا يأبه لامتلاك أرضهم طامع . ولا ترغب نفس أحد الملوك في التقلب عليهم لقحولة أرضهم وقلة ريفها وسوء عيشهم فيها وقتهم وفنائهم . وأقل عبد من عبيده أبهى منهم رواء وأحسن منظراً وهو أقوى منهم ناصراً وأكثر عدداً - وهاجه منهم أن يستقبلوه بطلب الجزية يؤذيها صاغراً فعل الدليل المستضعف ، والمقير المستضعف . فقال مخففاً : أنتقبني بمثل هذا ؟ فقال : ما استقبلت الا من كلني ولو كلني غيرك لم استقبلك به . فقال كسرى : لولا ان الرسل لا تقتل اقتلتكم ، لاشي . اكم عندي . ثم قال : اثتوني بقر من آراب فاحملوه على أشرف هؤلاء . ثم ساقوه حتى يخرج من المدائن . ارجعوا الى صاحبكم فاعلموه اني مرسل اليه رستم حتى يدفنكم ويدفنه في خندق القادسية وبشكل بكم وبه من بعدهم اوردكم بلادكم حتى اشغلكم في انفسكم بأشد مما نالكم . ثم قال : من اشرفك ؟ فقال عاصم بن عمرو : أنا . فحملوه وقر التراب على عنقه فحمله حتى أتى راحله فحمله عليها ثم سار هو وأصحابه حتى أتى الى سعد بالتراب متفائلين بالظفر متأولين ان كسرى اعطاهم أرضه . وانما قصد كسرى أن يعطيهم التراب من الجزية ولا يذالون منه الا المنة التي تكون بحمل التراب

وقد جهده رستم حين بلغه ما صنع كسرى أن يلحق عسكراً بحامل التراب ليأخذوه منه فأخبر بأنه فاتهم الى المسلمين فاحم ذلك ورآه قال سوء عليهم . وكان

بتعاطل الصيافة والتنجم واعتداهما من سوء فعل الملك  
وفي الوقت الذي قرب فيه جيش رستم كان سعد قد بث الطلائع لاستطلاع  
أحوال الفرس وتقدم اليهم أن يأتوه برجل من الفرس يعلمه علمهم وكان فيمن ذهب  
الى هذا الوجه عمرو بن معد يكرب الزبيدي وطلبة بن خويلد الاسدي الذي كان  
متنبئاً في بني أسد أيام الردة - فلما رأوا عسكر الفرس وكانوا لا يعلمون بمقدمهم لم  
يشأ طلبة أن يعود الى معسكر المسلمين ، فقال له أصحابه ما تريد ؟ قال أريد أن  
أخاطر القوم أو أهلك . فقالوا : أمت رجل في نفسك غدر ولن تفلح بعد قتلك  
عكاشة بن محصن . فارجع بنا . فأبى ومضى حتى دخل عسكر رستم وبات فيه  
يجوسه وينظر وينوسم . فلما أدير الليل أتى في ناحية العسكر فاذا فرس لم ير في  
خيل القوم مثله فانتضى سيفه فقطع مقود الفرس ثم ضمه الى مقود فرسه ثم حرك  
فرسه فخرج بمدو به . ونذر به عسكر الفرس فتناحوا وركبوا الصعبة والذلول في  
طلبه ، وأصبح وقد لحق فارس من الجند فبعده مصالوة قليلة قتله طلبة ثم لحق به  
آخر فسفاه بكأس الاول ثم لحق به ثالث فما زال يصاول حتى استأسر الفارسي  
فسار حتى غشي عسكر المسلمين فجاء الى سعد . فلما انتهى اليه قال له : ما وراءك ؟ قال  
دخلت عسكرهم وجسستها منذ الليلة وقد أخذت أفضلهم توهماً وما أدري أصبت أم  
أخطأت ؟ وما هو ذا . فاستخبره وأمنه الى دمه أن صدقه فأسمح له بذلك . فقال  
أخبركم عن صاحبكم قبل أن أخبركم عن قبلي . يائسرت الحروب وغشيتها وسمعت  
بالأبطال ولقيتها منذ أنا غلام الى أن بلغت ما ترى . ولم أر ولم أسمع بمثل هذا . ان  
رجلا قطع عسكرين لا يجتريه عليهما الأبطال ( وكان طلبة قد جاز عسكر  
الجالينوس وعسكر ذي الحجاب الى عسكر رستم ) الى عسكر فيه سبعون ألفاً بخم  
الواحد منهم خمسة الى العشرة فما دون ، فلم يرض أن يخرج كما دخل حتى سلب  
فارس الجند وهتك أطناب بيته فأنذره فأنفرتا به فطلبناه فأدركه الاول وهو فارس  
الثامن يعدل ألف فارس فقتله فأدركه الثاني وهو نظيره فقتله ثم أدركته لا أظنني

خلقت بسدي من بعدني وأنا الكافر بالقتيلين وهما ابنا عمي فرأيت الموت فاستأسرت.  
ثم أخبره عن أهل فارس بأن الجند عشرون ومائة ألف وإن الاتباع مثلهم خدام  
لهم ، وأسلم الرجل وصحى مسلما وكان من أهل البلاء .

كان بين خروج رستم من المدائن إلى أن لقي سعداً أربعة أشهر لا يقدم  
ولا يقال رجاء أن يضجر المسلمون بمكانهم وأن يجهدوا فينصرفوا وكره قتالهم  
مخافة أن يلتقي ما لقي من قبله وطاولهم . حمل الملك يستحثه وينهضه ويقدمه  
حتى أقعته .

كان على مقدمة سعد زهرة بن الخوية وعلى مجنبيه عبد الله بن المغيرة  
وشرحبيل بن السمط السخدي وعلى مجردته عصم بن عمرو وعلى المرامية والرجل  
قائدان من أهل السجدة وعلى الطلائع سواد بن مالك . وعلى مقدمة رستم  
الجالينوس وعلى مجنبيه الهزبان ومهران وعلى المحردة ذو الحجاب وعلى العلائع  
الغبرزان وعلى الرجالة زاذ بن بهيش . فلما انتهى رستم إلى العميق نزل عليه بجبال  
عسكر سعد وتلاحق به العسكر حتى تكاملوا وأخذوا منازلهم والمسلمون بمكان  
شهم ، وكان مع رستم ثلاثة وثلاثون فيلاً مضراً بالحرب .

لما أصبح رستم سار العميق ليقترب من المسلمين ويعرف مقدار عددهم حتى  
انتهى إلى مقطع العسكر . وأرسل إلى زهرة قائد مقدمة المسلمين تفرج إليه حتى  
واقفه . فآذنه على الصلح ويحمل له جملاً على أن ينصرفوا عنه وجعل يقول :  
أنتم جيراننا وقد كانت طائفة منكم في سلطاننا فكنا نحسن جوارهم ونكف الأذى  
عنهم ونواليهم المرافق الكثيرة ونحفظهم في أهل أدينتهم . فترعيبهم مراعيين وأمرهم  
من بلادنا ولا نمنعهم من التجارة في شيء من أرضنا وقد كان لهم في ذلك معاش .  
يُقرض لهم بالصلح ولا يصرح . فقال له زهرة : صدقت قد كان ما تذكر وليس  
أمرنا أمر أولئك ولا طلبتنا طلبتهم . إنما نأتمكم لطلب الدنيا إنما طلبتنا وهمتنا .

الآخرة كنا كما ذكرت يدين لكم من ورد عليكم منا ونصرع اليك بطلب ما في ايديكم . ثم بعث الله نبارك وتعالى اليه رسولا فدعانا الى ربه فأجبتنا فقال الله لنبيه ﷺ اني قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدين بيدي فانا منتقم بهم منهم واجعل لهم الظلمة عليهم ما داموا مقرين به وهو دين الحق لا يرغب عنه أحد الا ذل ولا يستصم به أحد الا عز . فقال رسنم : وما هو قال أما عموده الذي لا يصلح منه شيء الا به شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله والاقرار بما جاء من عند الله تعالى . قال : ما أحسن هذا ؟ وأي شيء أيضاً ؟ قل واخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة الله . قال حسن وأي شيء أيضاً ؟ قل والناس بنو آدم وحواء اخوة لاب وأم . قل ما أحسن هذا . ثم قال له رسنم : أرأيت لو أتني رضيت بهذا الامر وأجبتكم اليه ومي فومي ، كيف يكون أمركم ؟ أترجمون ؟ قال أي والله ثم لا تقرب بلادكم أبداً الا في تجارة أو حاجة . قل صدقتي

لم يكن استرسال رسنم معه في الكلام هذا الاسترسال عن اقتناع أودى يقول وإنما كان خديعة ليأتي زهرة ما عنده ويمرض عليه منتهى أمانيه وأمانى القوم الذين هو منهم ، ويدل على ذلك قول رسنم له بعد ذلك : والله ان أهل فارس منذ ولى أردشير لم يدعوا أحداً يخرج من عمله من السقطة . كانوا يقولون اذا خرجوا من أعمالهم أتبعوا طرورهم وعادوا الى أشراقهم . فقال له زهرة نحن خير الناس للناس فلا نستطيع ان نكون كما تقولون . نطيع الله في السقطة ولا يضركنا من عصى الله فينا

ان الكلام الحق لا بد ان يترك في النفس انزاعاً مهما حاول الانسان مقاومته ، فلما انصرف رسنم الى قومه دعار جال فارس فدنا منهم مآدار بينه وبين زهرة فحمرأ من ذلك وانفوا ونالوا منه ونال منهم

أرسل سعد الى المغيرة بن شعبه وبسر بن أبي رهم وعرفجة بن هرثة وحذيفة ابن محصن وربيع بن عامر . وقرفة بن زاهر الوائلي . ومذعور بن عدي السجلي .

ومعبد بن مرة المعلى . والمضارب بن يزيد المعلى . وكان معبد من دهاة العرب فقال اني مرسلكم الى هؤلاء القوم فما عندكم ، قالوا جميعاً تابع ماأمرنا به وننتهي اليه فاذا جاءنا أمر لم يكن منك فيه شيء . نظرنا أمثال ما ينبغي وانفقه للناس فكلمناهم به ، فقال سعد : هذا فعل الحزمة . اذهبوا فتمياؤا . فقال ربيعة بن عامر : ان الاعاجيم لهم آراء وآداب ومق جنتاهم جميعاً يروا ان قد احتفلنا بهم فلا تزدهم على رجل فماؤوه على ذلك ، فقال : مرحوني ، فسرجه حتى دخل على عسكر رستم فحبسه العسكر حتى جاء اذن رستم فيه وقد أظهر رستم الزينة وسط البسط والتمارق وجلس رستم على سرير الذهب وليس زينته . وأقبل ربيعة على فرس له زباد قصيرة ومعه سيف مشوف وغمد لفافة ثوب خلق ورجحه معلوب . ومعه حنفية من جلود البقر على وجهها قرص جلد حجر مثل الرغيف ومعه قوسه ونبله ورجحه وعليه درع له كأنها اصابة ويلعة . عباءة بغيره قد جابها وتدرعها وشدها على وسطه يسلب وقد شد رأسه بمجرته . وهي اسمة بغيره ولرأسه أدية صفائر كأنها قرون الوعلة . ولم ينزل من فرسه الا على البساط : ثم أرادوه على وضع سلاحه فأبى أن يأثمهم الا كما يريد والا رجع . وأراد أن يستخرجهم فأقبل يمشي وهو يتوثأ على رجحه وزججه لنصل قارب الخطلو وزجج الرمح بهتلك التمارق والبسط

ولما دنا من رستم نملق به الحرس وجلس على الأرض . وركز رجحه بالبساط فقالوا له : ماحكك على هذا ؟ فقال : لانتحب الجلوس على زينتكم هذه ، فقال له رستم : ما جاء بكم ؟ فقال الله ابتعثنا والله جاء بشا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام . فأرسلنا بدينه الى خلقه ابتدعوهم اليه . فمن قبل ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا ، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي الى موعود الله . قال وما موعود الله ؟ قل : الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر من بقي . فقال رستم قد سمعت مقالكم . فهل لكم أن تؤخروا هذا الامر حتى ننظر فيه وننظروا

قال نعم ، كم أَحَبَّ اليك ؟ أيوماً أم يومين ؟ قال : لا بل حتى نكتب أهل وأينا ورؤساء قومتنا . وأراد مقارنته ومدافعته . فقال : بما سن لنا رسول الله ﷺ وعمل به أئمتنا أن لا يمكن الاعداء من آذاننا ولا توجاههم عند اللقاء أكثر من ثلاث فنحن مترددون عنكم ثلاثاً فانظار في أمرك وأمرهم واختار واحدة من ثلاث بعد الاجل . اختر الاسلام وتدعك وأرضك أو الجزاء فنقبل ونكف عنك وإن كنت عن نصرنا غنياً تركناك منه . وإن كنت اليه محتاجاً متعتناك . أو المذاينة في اليوم الرابع ولسنا نبدؤك فيها بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا أنا كقيل لك بذلك على أصحابي ، وعلى من ترى . وكان رسمه عد غريباً أن يضمن له هذا الرجل الزري الهيئة سكون الجيش الى اليوم الرابع ، فقال له : أسيدهم أنت ؟ قال : لا ، ولكن المسلمين كلهم بعضهم من بعض يجبر أديانهم على اعلامهم

كان رسمه قد قارن بين ما قال زهرة وما قاله ربيعي بن عامر . فرأى اتحاداً في الكلمة وصداقاً في الالهام . وفي اعتقادي انه أراد أن يصرف القوم عن بلاده بأي الوسائل وفي نيته أن يخذلهم بقبول دينهم ويصرفهم عن وجههم بكامة يتطهاتهم يكون على ما عليه قومه . ولو وجد من فارس من يصينه على رأيه أقبل . ولكنه خلص الى أهل فارس وروسائهم فقال مازون ؟ هل رأيتم كلاماً قط أه . . . لا أعز من كلام هذا الرجل ؟ قالوا مماذ الله لك أن تميل الى شيء من هذا . دع دينك لهذا الكلب . أما ترى الى ثيابه ؟ ثم أخذوا يبيعون رثائته وتناولوا سلاحه واداة حربه فعمدوا الى تجربتها فاستبان فضل ذلك على سلاحهم . فلما رأى منهم ربيعي ذلك قال يا أهل فارس انكم عظمتم اللباس والطعام والشراب وأنا صغرناهم ثم رجع الى ان ينظروا الى الأجل

فلما كان اليوم الثاني طلب رسمه أن يرسل اليه المسلمون الرجل القدي كان عنده بالامس ( ربيعي ) فأرسل اليه سعد حذيفة بن محصن وكان منه ما كلن من ربيعي لا يكاد أمرهما يختلف ثم في اليوم الثالث طلب رسمه أن يرسل اليه سعد رجلاه عقل ورأى يكلمه ، فأرسل اليه المغيرة بن شعبة



جاء المغيرة الى رسم ومعه وجوه قومه عليهم التيجان والسياب المنسوجة بالذهب وبسطهم على غلوة من مجلس رسم . وأقبل المغيرة وله أربع صفائر يمشي حتى جلس معه على ممريره ووسادته فوثبوا عليه فمترروه وأنزلوه . فقال : كانت قبلنا عنكم الاحلام ولا أرى قوماً أسفه منكم . إنا معشر العرب سواء لا يستعبد بعضنا بعضاً الا أن يكون محارباً لصاحبه فظننت انكم تتواسون بينكم كما توامى - وكان أحد من الذي صنعتم أن نخبروني ان بعضكم أرباب بعض . وان هذا الامر لا يستقيم فيكم فلا نصنعه . ولم آنكم ولكن دعوتوني . اليوم علمت ان أمركم مضطحل وانكم مغلوبون . وان ما كالا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول . فقال السقلة : صدق والله هذا العربي ، وقالت المهاقين : والله اقدرى بكلام لا يزال عبيداً يترعون اليه . قاتل الله اولينا ما كان أحقهم حين كانوا يصفرون أمر هذه الامة . وقد رأى رسم أن بأسوا ما صنعت حاشيته وأن يطيب خاطره ليستخرج ما عنده فحازحه ليخبر ما صنع . فقال له : يا أمراي ان الحاشية قد تصنع ما لا يوافق الملك فيترأى عنها مخافة أن يكسرها عما ينبغي من ذلك ، فالامر على ما نحب من الوفاء وقبول الحق ، ما هذه المنازل التي معك ؟ ( يريد السهام ) قال ما ضر الجرة أن لا تكون طويلة ، ثم رامهم . قل : ما بال سيفك ؟ قال رث السكوة حديد المضرمة ثم عاطاء سيفه

بعد ذلك أراد رسم أن يكلمه فيما استقدمه لاجله . فقال له : تكلم أو أنكلم ؟ فقال المغيرة أنت الذي بشت الينا فتكلم . فأقام الترحمان بينهما وتكلم رسم فحمد قومه وعظم أمرهم وطولته وقال : لم تزل متمكنين في البلاد ظاهرين على الاعداء أشرافاً في الامم فليس لاحد من الملوك مثل عزنا وشرفنا وسلطاننا فنصر على الناس ولا ينصرون علينا الا اليوم واليومين أو الشهر والشهرين فذنوب ، فإذا انتقم الله فرضى رد علينا عزنا وجهنا لعدونا ثم لم يكن في الناس أمة أصغر عندنا

أمرنا منكم كنتم أهل قشف ومعيشة سيئة لا نراكم شيئا ولا نعدكم وكنتم اذا قحطت أرضكم وأصابكم السنة استغثتم بناحية أرضنا فنأمر لكم بالشيء من التمر والشعير ثم زدكم وقد علمت أنه لم يعملكم على ما صنعتم الا ما أصابكم من الجهد في بلادكم وأنا أمر لأميركم بكسوة وبغل والفرس وأمر لكل رجل منكم بوقر تمر ويشوين وتنصرفون عنا فاني لست أشتهي ان أقتلكم ولا أمركم . فكلم المغيرة بن شعبه فحمد الله وأثنى عليه وقال : ان الله خالق كل شيء ورازقه فمن صنع شيئا فلما هو بصنعه والذي له وأما الذي ذكرت به نفسك وأهل بلادك من الظهور على الأعداء والتمسك في البلاد وعظم السلطان في الدنيا فمنع نعرفه ولنا نكره فالله صنعه بكم ووضعكم فيكم وهو له دونكم

وأما الذي ذكرت فينا من سوء الحال وضيق المعيشة واختلاف القلوب فمنع نعرفه ولنا نكره والله ايتلانا بذلك فصبرنا اليه ، والدنيا دول ، ولم يزل أهل شدائدها يتوقعون الرخاء حتى يصيروا اليه ولم يزل أهل رخائها يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم ويصبروا اليها ولو كنتم فيما آتاكم الله ذوي شكر كان شكركم يقصر عما أوتيتكم وأسلمكم ضعف الشكر الى تغير الحال . ولو كنا فيما ابدلنا به أهل كفر كان عظيم ما تتابع علينا مستعجلبا من الله رحمة يرفه بها عنا . ولكن الشأن غير ما نذهبون اليه أو كنتم نعرفوننا به . ان الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولا (ثم ذكر ما ذكره سابقه حتى انتهى الى قوله) وان احببت الينا ان نمنعك منعناك فكان لنا عبدا تؤدي الجزية عن يد وأنت صاغر والا السيف ان أبيت

فاستشاط رستم غضبا ، وحلف بالشمس : لا يرتفع لكم الصبح غدا حتى أقتلكم أجمعين . فانصرف المغيرة

ثم بعد ذلك أرسل سعد بقية ذوي الرأي الى رستم وحبس الثلاثة القين ذهبوا اليه فكلهم بمثل ما تكلم به وكلوه بمثل ما تكلم به ما يقوم وضرب لهم الامثال

وضربوا له الأمثال كذلك ثم تهيأ الفريقان للحرب

وقد سأل رستم ذلك الوفد : أتعبرون النيا أم فبر اليكم ؟ فقالوا بل اعبروا  
النيا . وأخذ سعد في الاستعداد . ولما أرادوا عبور العقيق على القنطرة وكانت في  
يد المسلمين أبوا عليهم ذلك وقالوا شيء غلبناكم عليه لا تعيده اليكم أبدا بل انظروا  
لكم معبرا آخر فباتوا ليلتهم يسكرون العقيق ثم أصبحوا فعبروه على ما سكروا به  
من قصب وبراذع وقراب

عين رستم جيشه ورتب الفيلة في مواقعها وعليها الرجال في الصناديق وكان  
يزدجرد قد رتب الرجال بينه وبين رستم بين كل رجلين مقدار ما يسم أحدهما  
صوت الآخر فكلموا نزل أو ارتحل أو حدث أمر قاله فقال له الذي يليه حتى يقوله  
الذي يلي باب الايوان وفيه الملك . وهكذا إذا أراد الملك اصدار أمر وصل الي  
رستم على هذا النمط . فكانت الاخبار تمل ساعة حدوثها لا يثيب عنه شيء . حدث  
في ليل أو نهار

كان بسعد عرق النسا وحبون قامت له ، لا يستطيع معها الركوب ولا  
الجلوس . فختلف على الناس خالد بن عرفة . فشغب عليه بعض وجوه الجند . فقال  
سعد احملوني واشرفوا بي على الناس . فارتقوا به فأكب مطلعا عليهم ونحت صدره  
وسادة . وأتى عن شغب على خالد فهم بهم وشتيمهم وقال : أما والله لولا ان عدوكم  
يحضرتمكم لجعلتكم نكالا لقبركم ولا يعود أحد بعدها يحبس المسلمين عن عدوهم  
ويشاكلهم وهم بازائه الاُسُفَت به سنة يؤخذ بها من بددي - ثم كتب الي الرايات  
اني قد استخلفت عليكم خالد بن عرفة وليس بمنعني ان أكون مكانه الا وجهي  
الذي يهودني وماني من الحبون فاني مكب على وجهي وشخصي لكم باد فاسمعوا  
له وأطيعوا فانه انما يأمركم بأمري ويصل برأيي . ففرى أمره على الناس فأتوها  
الي رأيه وقبلوا منه ونحاثوا على السم والطاعة والرضا بما صنم سعد . فكان سعد  
يرى بالرقاع فيها أمره ونبيه الي خالد بن عرفة وخالد يبلخها من قصد بها لينفذها

( فكان أركان حرب لسعد ذلك اليوم )

وقبل أن تنشب الحرب بين الفريقين أرسل سعد إلى الذين انتهى إليهم رأي الناس والذين انتهت إليهم نجاتهم ومن أحرزوا أصناف الفضل ، فكان منهم ذو الرأي النافذ الذين أتوا رسم : الخيرة بن شعبة ، وحذيفة بن محصن ، وعاصم بن عمرو ، وبسر بن أبي رهم ، وعرفجة ابن هرمة ، وربيع بن عامر ، وقرقة بن زاهر ومنصور بن عدي ، ومعبد بن مرة ، والمضارب بن يزيد ، وطليحة وقيس الأسديان وغالب بن عبد الله الأسدي ، وعمرو بن معد يكرب وأمثالهم ، ومن الشعراء : الشياخ والحطيئة وأوس بن مقرن وعبيدة بن الطيب وأمثالهم . وقال انطلقوا فقوموا في الناس بما يحق عليكم و بحق عليهم عند مواطن البأس فانكم من العرب بالمكان الذي أنتم به وأنتم شعراء العرب وخطباءهم وذوو رأيهم ونجاتهم وساداتهم ، فسيروا في الناس فذكروهم وحرصوهم . فها شئت في ذلك اليوم من خطيب حشوها الحث على الحرب والحض على الطمان والاستبسال بكلام تستأسد منه الأوعال ويستنسر به البغاث ويقلي به دم القلوب وتتور له الأعصاب . ومن شعر يورث الشر ويوغر الصدور ويهون الموت ولو تبعنا ذلك لأمند بنا القول وانسم بحال الكلام وخرجنا عن عهدنا ما نحن بصدد

أتمد سعد مع جفده أن يكبر لهم ثلاث تكبيرات ، والثالثة علامة بدء الحرب والراية علامة الزحف العام وإن ذلك يكون بعد صلاة الظهر . فلما أذن المؤذن بصلاة الظهر وأدوا المكتوبة كبر سعد ثلاث تكبيرات ، فلما كبر الثالثة برز أهل النجدات فانشبوا القتال . وبرز غالب بن عبد الله الأسدي وهو يقول :

قد علمت واردة المسامح ذات اللبان والبسان الواضح  
أني سمام البطل المشايخ وقارج الأمر المهم القادح  
وبرز عاصم بن عمرو وهو يقول :

قد علمت بيضاء صفراء اللبب مثل العجين اذ قفشاء الذهب

أني امرؤ لا من بعينه السبب من على مثلك يفر به العنب

ثم كبر سعد التكبير الرابعة وهي علامة الهجوم العام فزحفت الجنود واصطدموا  
صدمة من أشد صدمات الحروب هولا . وكان أشد شيء لقي منه المسلمون عناء  
لا يطاق الفيلة : فلما حل أصحابها خافتها الخيل فتفرقت عن الرحلة وكان مبدأ  
أمرها في بحيلة فكادت بحيلة تؤكل حين فرت عنها خيلها فرقا من الفيلة . فلما رأى  
سعد ما حل بهم أعانهم ببني أسد فصمدوا لها وكانت حلبة الفرص تدور على بني  
أسد قبل الهجوم الماء . فلما رأى سعد ما حل ببني أسد من الفيلة أرسل إلى عاصم  
ابن عمرو التميمي وقال : يا مشر بن تميم ، أما عندكم لهذه الفيلة من حيلة ؟ قالوا : بلى  
ثم نادى رجال من قومه ومائة وآخرين لهم ثقافة فقال للمائة ذبوا ركبان الفيلة عنهم  
بالنبل وقال لاهل الثقافة استديروا الفيلة وقطعوا وضئوها ، ففعل كل فريق ما أمر  
به ووقعت الصناديق عن ظهور الفيلة فلم يبق من ركبان الفيلة راكب الا قتل .  
ولما أحرثت الفيلة من ركبائها عادت إلى مواقفها ونفس ذلك العمل الكرّاب عن  
بني أسد بسعد ما قتل منهم في ذلك اليوم خمسمائة مقاتل وكانوا ردة للناس . واستمر  
القتال حتى غربت الشمس ثم حتى ذهبت هدأة من الليل . وقد كان الظفر ظاهراً  
ذلك اليوم في صفوف الفرص وهذا اليوم يسمى يوم ارمات . وكان فيه عاصم عادية  
الناس وحاميتهم . وكان ذلك اليوم في المحرم سنة ١٤ هـ يوم الاثنين

### ﴿ يوم أغواث ﴾

ولما أصبح القوم من الغد أصبحوا على تعبئة و وكل سعد قوماً بنقل القنلى إلى  
مُشَرَف وهو واد بين العذيب وبين عين الشمس ، و كل آخرين بحمل الجرحى  
إلى العذيب ليقوم النساء بتمريضهم ومداداتهم وبينما القوم على هذا الحال ولم ينشب

القتال اذ طلعت نواصي خيل الاسلام قادمة من الشام . وذلك أن عمر أرسل الى أبي عبيدة بن الجراح بعد فتح دمشق أن يرد الجند الذين جاءوا من العراق الى الشام مع خالد بن الوليد ليكوثوا عونا اجنود سعد على قتال الفرس . فكان وصولهم الى جيش المسلمين ذلك اليوم قبل انقشاب القتال وكانوا ستة آلاف . منهم خمسة آلاف من ربيعة ومضر وألف من اخفاء اليمن . وكان خالد قد فصل بهم وهم تسعة آلاف قبل اليرموك . وكان الامير على هذا الجيش عتبة بن أبي وقاص وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو وعلى مجنبيه قيس بن هبيرة والحزهاز بن عمرو العجلي . وقد جعل القعقاع فطوى حتى قدم على المسلمين بالقادسية صبيحة ذلك اليوم

وقد أراد القعقاع أن يوقع الرعب في قلوب الفرس فقسم جيشه عشرة أقسام ليردوا على المسلمين قسما بعد قسم ليعلم الفرس أن المدد متواصل على المسلمين فيكون ذلك أدهى الى انكار نفوسهم . ثم قدم هو في القسم الاول ولم يلبث أن باشر القتال ذلك اليوم . وكان قدومه سببا لتنشط المسلمين واستبشارهم حتى كأن لم تكن فيهم مصيبة بالامر . وقد كان القعقاع فارس يوم اغواث . فانه حين ورد ساحة الحرب طلب البراز فبرز اليه ذو الحاحب يهمن جاذويه وهو صاحب يوم الجسر الذي قتل فيه أبو عبيدة فقتله القعقاع ثم برز اليه البيزان واليندوان . فقتل القعقاع أولهما ، وقتل الحارث بن ظليان ثانيهما وباشر المسلمون المعجم بالسيوف فاجتلدوا الى النساء وأكثر المسلمون فيهم القتل ولم ير أهل فارس في قتال هذا اليوم ما يعجبهم ولم نباشر فيلتهم الحرب لان صناديقها كانت قد تكسرت فلم تصلح حتى أمسى المساء . وفي هذا اليوم قدم رسول عمر بأربعة أسياف وأربعة أفراس لتقسم على أهل البلاء ان كان سعد لقي حريا فقتلها سعد في أهل البلاء وفي ذلك يقول الدبيل بن عمرو :

لقد علم الاقوام أنا احقهم      اذا حصلوا بالمرهقات البواتر  
وما قتلت خيلي عشية اومتوا      ينودون رهوا عن جموع العاثر

لبن غدوة حتى أتى الليل دونهم وقد أفلحت أخرى الليالي الغوار  
وقال القمقام :

لم تعرف الخيل العرب سواءنا عشية اغواث بجانب القوادس  
عشية وحنا بالرماح كأنها على المقوم ألوان الطيور الرسارس

ومما صنعه المسلمون في ذلك اليوم أن بنى عم القمقام حلوا عشرة عشرة من  
الرجال على ابل قد البسوها الجلال والبراقم وطافت بهم الخيل تحميها في حمتها  
على خيول المعج بين الصفيين ينشبهون «ليلة لجمت تلك الابل لا تصمد» لقليل  
ولا كثير الا فرقت بهم حياتهم وركبتهم خيول المسلمين وقد امتن بهم الناس في  
عدهم فلقى الفرس منها ما لقيت خيل المسلمين من الفيلة في اليوم الأول وقد استحر  
القتال الى نصف الليل وكان الظفر للمسلمين واضح الفرة ذلك اليوم

وفي ذلك ابل أبو محجن الثقفي بلاء حسنا . وذلك انه كان محبوسا في منزل  
سمد بن أبي وقاص لشعبه على خالد بن عرفة ، فلما كان يوم اغواث قال لسلي زوج  
سمد هل لك أن تخليني وتبريني البلقاء ، فله ان سلى الله أن أرجع اليك حتى  
أضع رجلي في قيدي : فابت ، فقال :

كفى حزنًا أن ترثي الخيل بالقنا وأترك مشدودا على وثاقها  
إذا فت عنائي الحديد واغلقت مصاريع دولي قد تصم المناديا  
وقد كنت ذا مال كثير واخوة فقد تركوني واحدا لا أخا ليا  
ولله عهد لا أخيس بعدهم لأن فرجت أن لا أزور الحوافيا

فرقت له سلى وأطلقته وأعطته البلقاء فرس سمد فركبها فحمل على الفرس  
وكان يقصف الناس قصفا منكرا . وتعجب المسلمون منه وهم لا يعرفونه وكان سمد  
يقول : لو لا محبس أبي محجن لقلت أبو محجن وهذه البلقاء . حتى اذا انتصف الليل  
أقبل وأعاد رجليه في القيد وقال أيا نانا منها :

وليلة قانس لم يشعروا بي ولم أشعر بمُخْرِجِي الزُحُوفِ  
 فان أحبس فذلکم بلانی وان اترك اذيقهم الحقوفا  
 و آخر آياته الأولى يدل على انه انما حبس في الحر كما هو المشهور وبديل  
 قوله زوجة سعد وقد سأله عن حبس جبهه: انى كنت صاحب شراب في الجاهلية  
 و أنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لسانى ، قلت :

اذا مت فادفنى الى جنب كرمه نروى عظامى حين نسقى عروقها  
 ولا تدفنى فى الفلاة فانى أخاف اذا ماتت ان لا أذوقها  
 ولعله كان قد اجتمع عليه الامران . ولما علم سعد بأمره أطلقه وقال : اذهب  
 فما أنا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله . فقال لاجرم لا أجيب لسانى الى صفة  
 فيصح أبدا

### ﴿ يوم عماس ﴾

وفي اليوم الثالث أصبح القوم وهم على مواقفهم وقد أصيب من المسلمين  
 الفان مابين قتيل وجريح وأحرز المسلمون قتلاهم خلف ظهورهم ووكواهم من  
 يدقهم وبالجرى من يلغهم مكان النساء لقرىضهم وكان النساء والعبيان يحفرون  
 للقبور في يومى اغوات وأرمات

وقد بات القمعاق يسرب أصحابه وأمرهم أن يعودوا من النهار مائة مائة  
 ليجدد نشاط المسلمين وكان قتلى فارس بين الصغين لم يوارهم أحد فكان ذلك مما  
 أشجى الفرس وقت في عضدهم . وزاد ذلك ما صنمه القمعاق بجوده وطلوعهم  
 مددا للمسلمين واقتدى به عاصم بن عمرو ووصل هاشم بن عتبة في سبعمائة من  
 جند عتبة بن أبى وقاص فصنع صنم القمعاق وكلما جاء جماعة كبر المسلمون  
 أما للفرس فقد أصبحوا على مواضعهم وقد أصلحوا ثوابيت القبلة فاقبلت



ومعها رجال يحمونها أن تقطع وحشها ومن خلفهم رجال تحميهم اذا أرادوا كتيبة  
 دلفوا لها بفيل وأتباعه لينفروا بهم خيلهم . وقد ظن الفرس أن ذلك يكون كما  
 حصل في يوم الرماث ولكن خيل المسلمين لم تنفر من الفيلة فعلموا في ذلك اليوم .  
 لان الفيلة فيه كانت وحدها فلما كانت في هذا اليوم والفيلة معها الرجال أنست  
 الخيل ولم تنفر . واستمر القتال شديدا بين العرب والعجم كل فريق منها صابر  
 على شدة القتال والنجادات تصل الى الفرس ويزدجرد يزجها ويعدم بأهل النجدة  
 والبأس من قومه والامداد تصل على البرد وهم يقوون بها كما قوى المسلمون بهاشم  
 ابن عتبة ومن معه ، وكان البلاء فيه من الجانبين على السواء

رأى سعدان الفيلة قد عادت الى قملها في اليوم الأول فارسل الى جماعة  
 من سبعة الفرس أسلموا قبيل الحرب فسألهم هل للفيلة مقاتل ؟ قالوا نعم مشافرها  
 وهيئتها فارسل الى القمقاع وعاصم ابني عمرو وقال لهما اكنياي الفيل ، الابيض  
 وارسل الى الربيل وجمال الاسديين وقال لهما اكنياي الميل الاجرب ، وكانت  
 الفيلة كلها آلفة لانيهما . فحمل القمقاع وأخوه على الفيل الذي وجه له فوفقا عينه  
 ونفحه بالسيف فرمى بعشفره فلم يكن من الفيل الا أن يقضى على من خلفه ثم ينقلب  
 بمن على ظهره فيقتلهم المسلمون ، وأما الآخران فعورا الاجرب ورميا بعشفره  
 فزروا ثوب في المعيق فتبعت الفيلة وخرفت صفوف الفرس وألقت من عليها وعبرت  
 المعيق في أثر الاجرب حتى أمت المدائن بنوايتها

ولما ذهبت الفيلة وخلص المسلمون بأهل فارس ومال الفضل نزاحف  
 المسلمون وحامهم فرسانهم الذين قاتلوا أول النهار فاجتلدوا على حراد بالسيوف ،  
 وهم في ذلك على السواء

ولما جاء الليل خرج القمقاع بن عمرو القيس في جند وزاحف الفرس بغير

اذن سعد ثم تبعه كثير من القبائل حتى زحف الجيش كله واشتد القتال وخشمت  
الاصوات فلم يكن يسمع في تلك الليلة سوى صليل السيوف كأنه صوت مطارق  
الحداد على الحديد ورأى العرب والعجم امرا لم يروا مثله قط وانقطعت الاخبار  
والاصوات عن سعد ورستم وبات سعد بليلة لم يبت مثلها وأقبل على الدعاء للمسلمين  
بالنصر . فلما أصبح الصبح انتسب الناس فعلم انه الأعلون وأصبح الناس وهم  
حسرى لم تفض عيوتهم ليلتهم كلها

ولما أصبح القوم أخذ القمعاع يحرض الناس ويقول : ان الدائرة بعد ساعة  
لن بدأ القوم فاصبروا ساعة واحلوا عليهم من النصر مع الصبر فاجتمع اليه جماعة  
من الرؤساء ونحاضوا على الموت وحلوا في من يلبسهم . فاقبلوا أشد قتال الى أن  
جاء الظهر ، وحشد بدأ الخلل في صفوف الفرس فتأخروا وتارت عاصفة فالقت  
طيارة رستم في العقيق ، انتهى القمعاع اليها فلم يجده لانه قام عن مكانه حين قلعت  
طيارته الى بقال كانت مهيأة فاستظل بمحمل بقل منها وضرب هلال بن علفة الحمل  
الذي تحته رستم وهو لا يدري به فسقط عليه العيقل وضربه هلال فلم يقتله فرمى  
بنفسه في العقيق فأخذ هلال برجله فأخرجه وقتله ثم نادى : قتلتم رستم ورب  
السكبية . فأطاف به الناس وكبروا وانهمز قلب الفرس وتناوبت الهزيمة وغنم  
المسلمون راية الفرس وهي ( درفش كايان ) ثم تبع المسلمون المهزمين حتى  
أجلوم الى ماوراء القنطرة . وليلة الحرير لم يمر بالمسلمين ليلة أشد منها هولاً مع  
الفرس ولا غيرهم وقتل فيها من المسلمين نحو ثمانية آلاف ومن الفرس ثلاثون الفا  
قال الطبري فأما المقترون فانهم جشموا قتهافتوا في العقيق فوخرهم المسلمون  
برماحهم فما أفلت منهم مخبر وهم ثلاثون الفا وكان الذي أخذ ( درفش كايان )  
ضرار بن الخطاب فموض منها ثلاثين الف درهم وكانت قيمتها الف الف ومائتي

الف . وقد قتل في اليوم الذي تلا ليلة الهرب عشرة آلاف سوى من قتل في الأيام قبله

أما الاسلاب والقنائم في تلك الرقعة لم يأخذ المسلمون غنيمة مثلها قبلها ولا بعدها . وقد كان سلب رستم قيمته سبعين ألف درهم . ولو وجدت قلنسوته لكان ثمنها مائة ألف درهم . وقد تعقب المسلمون المنهزمين فلم يكن بهم منعة ولا مدافعة ولا نجاه . وقد صمد للقتال بعد الهزيمة بضع وثلاثون كتيبة استحيوا من الفرار فعمد لكل كتيبة رئيس من رؤساء المسلمين في جنده فن هذه الكتائب ما استوصل ومنها ما هرب

### ﴿ ما بعد الموقعة ﴾

بعد أن انتهت الموقعة كتب سعد إلى عمر : أما بعد فإن الله نصرنا على أهل فارس ومنحهم سنن من قبلهم من أهل دينهم بعد قتال طويل وزلزال شديد وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراؤن مثل زهاتها ألم يرفعهم الله بذلك بل سلبهموه ونقله عنهم إلى المسلمين ، وأنبعمهم المسلمون على الأنهار ، وعلى طغراف الآجام ، وفي الفجاج . وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القاريء وفلان وفلان ورجال من المسلمين لا نعلمهم ، الله أعلم بهم ، كانوا يدوون بالقرآن إذا جن عليهم الليل دوي التحل وهم آساد الناس لا يشبههم الأسود . ولم يفضل من مضى منهم من بقي إلا بفصل الشهادة إذ لم نكتب له .

كان عمر حريصا على تعرف أجناد المسلمين في القادسية وكان كل الناس في شبه جزيرة العرب يرونها الحد الفاصل بين العرب والفرس . ولا يرون أن الإسلام تقوم له قاعة وينتظم للامة العربية حال إلا بالظفر فيها ، يشترك في هذا الاعتقاد كل أهل الجزيرة من عدن أبين إلى ابلة إلى البحرين إلى حدود الشام . حتى أن الرجل منهم إذا كان له عمل أحجم عنه حتى يرى ما يكون من شأن حرب القادسية . فلاخرو

إذا كان عمر مشغول القلب والبال بها

كان يخرج كل يوم ينسب الاخبار من حين يصبح الى انتصاف النهار ثم يرجع الى منزله. وبينما هو بسبيل ذلك ذات يوم لقي البشير عمره فسأله من أين فأخبره . قال يا عبد الله حدثني . قال : هزم الله المدو وحرر يثرب معه ويستخبره والبشير يسير على ناقته ولا يعرفه حتى دخل المدينة . فاذا الناس يسلمون عليه بأمره المؤمنين . فقال الرجل هلا أخبرني رحمتك الله أنك أمير المؤمنين وجعل عمر يقول لأهلك يا أخي . فهكذا يكون أمراء المؤمنين والخلق الراشدون

قرأ عمر الكتاب على الناس وقال : اني حريص على أن لا أضع حاجة الا سددتها ما اتسم بعضنا لبعض فاذا نجز ذلك عنا تأمينا في عيشنا حتى يستوي في الكفاف. ولو ددت أنك علمت من نفسي مثل الذي وقع فيها لكم . ولست مملكم الا بالعمل ، اني والله ما أنا بمثل فاستعبدكم ، وانما أنا عبد الله عرض على الامانة فان أبيتها وردتها عليكم واتبعتم حتى تشبعوا في بيوتكم وتروا سعدت وان أنا حلفت واستتبعتها الى يتي شقيت ففرحت قليلا وحزنت طويلا وبقيت لا أقل ولا أزد فاستعيت

وكتب سعد الى عمر يقول « ان أقواماً من أهل السواد ادعوا ولم يتم على عهد أهل الأيام لنا ولم يف به أحد علمناه الا أهل مائقيس وبارصا وأهل اليس الآخرة وادعى أهل السواد أن فارسا أكرههم وحشروهم فلم يخالموا اليها ولم يذهبوا في الارض » ثم كتب كتاباً آخر يقول فيه « ان أهل السواد جلوا لحداد من أمك بعهد ولم يجلب علينا فتممنا لهم ما كان بين المسلمين قبلنا وبينهم . وزعموا أن أهل السواد قد لحقوا بالحدادين فاحدث اليها فيمن تم وفيمن جلا وفيمن ادعى انه استكره وحشر فهرب ولم يقاتل ، أو استسلم . فاننا في أرض رغبة والارض خلا من أهلها وعددنا قليل وقد كثر أهل صلحتا وان أعمر لها وأوهن لمدونا تألفهم »

فقام عمر في الناس واستشارهم فيها طلبه سعد . فأجمعوا على أن الوفا لمن أقام

وكف ولم يزد كفه الا خيرا . وان من ادعى نصدق أو وفي قبيحهم وان من كتب  
نبيذ اليهم وأعادوا صلحهم وأن يجعل أمر من جلا اليهم فان شاموا دعومهم وكانوا لهم  
ذمة وان شاموا نموا على منعه من أرضهم ولم يعطوهم الا القتال . وأن يخبروا من  
أقام واستسلم الجزاء أو الجلاء . وكذلك الفلاح . فكتب عمر جواب الكتاب  
الاول يقول : « أما بعد - فان الله جل وعلا أنزل في كل شيء رخصة في بعض  
الحالات الا في أمرين : العدل في السيرة ، والذكر . فأما الذكر فلا رخصة فيه في  
حالة ولم يرض منه الا بالكثير . وأما الثاني العدل فلا رخصة فيه لقريب ولا بعيد  
ولا في شدة ولا رخاء وان روى لبناً فهو أقوى وأحقاً للجور وأقم لياطل من الجور  
وان روى شديداً فهو افش للكفر . فمن تم على عهده من أهل السواد ولم يمن  
عليكم بشيء فلمم الذمة وعليهم الجزية . وأما من ادعى انه استكره عن لم يخالفهم  
اليكم أو يذهب في الارض فلا تصدقوه بما ادعوا من ذلك الا أن نشاموا فانبيذ اليهم  
وابلقوهم مأمنهم » !

وكتب اليه جواب الكتاب الثاني :

« أما من أقام ولم يجعل وليس لهم عهد فلمم ما لاهل العهد بمقامهم لكم وكههم  
عنكم اجابة عدوكم . وكذلك الفلاحون اذا فعلوا ذلك . وكل من ادعى ذلك وصدق  
فلمم الذمة وان كذبوا نبيذ اليهم . وأما من أعان وجلاً فذلك أمر جعله الله لكم فان  
شتم فادعوه الى أن يقيموا لكم في أرضهم ولمم الذمة وعليهم الجزية وان كرهوا  
ذلك فاقسموا ما افاء الله عليكم منهم »

وهنا أقول لسنا في حاجة الى بيان ما تضمنته الكتب وأجوبتها من الامور  
الادارية والنظام البديع وطرق الاستعمار . وانما المعجب أن يصدر عن قوم لاعهد  
لهم بهذه الامور وانما يصل اليها الناس بعد القدر واليبحث والتجارب الطويلة  
فلما عادت كتب عمر عرضوا على من يليهم ممن جلا وتحنى عن السواد ان  
يراجعوا ولمم الذمة وعليهم الجزية فراجعوا وصاروا ذمة كمن تم ولزم عهده الا أن

خراجهم انقل . وانزلوا من ادعى الاستكراء وهرب منزلتهم وعقدوا لهم . وانزلوا من أقام منزلة ذي العهد . وكذلك الفلاحون . ولم يدخلوا في الصلح ما كان لآل كسرى ولا ما كان لمن خرج معهم ولم يجهم الى واحدة من اثنتين : الاسلام أو الجزاء فصارت فينا لمن أفاء الله عليه فهي والصوابي الأولى ملك لمن أفاء الله عليه وصائر السواد ذمة . وأخذوهم بخراج كسرى . وكان على رؤوس الرجال على ما في أيديهم من الخصة والاموال

ولم تنأق قسمة ما كان لآل كسرى ومن أقام معهم لانه كان متفرقا في السواد فكان يليه لاهل الفتي من وثقوا به وتراضوا عليه

### ما بعد القادسية

أقام سعد بالقادسية شهرين بعد انتهاء الموقعة . وذلك أمر طبيعي بعد موقعة اسي فيها الجيش شهداء عظاما وأهوالا جساما واصطلى بنارها جميع الجيش فكانوا بعد ذلك كله في حاجة الى الحمام والراحة . ولو كان عند سعد جيوش احتياطية لم شهد الحرب ولم تمكنوا بنارها لكان في حكم الحزم أن يرعي الفرس بها قبل أن أخذوا راحتهم ويدبروا أمرهم . لان المعالجة في مثل هذه الحال حزامه . ولكن تقوم كانوا على ما علمنا من قلة عدد وقد قاتلوا عدوا يفوقهم اضعافا وقد غالوا منه ونال منهم . فلابد أن يكونوا في حاجة الى الراحة والمدد . ومع هذا فما كان احتياج القوم الى الراحة ليحبسهم شهرين في القادسية . بل كان أكثر ما لبثهم تطهير النواحي التي غلبوا عليها من الاعداء حتى لا يتركوا وراءهم عورة يخافونها وان يقتبوا مع من داتوا لهم بالطاعة على حال وان يستأثروا عمر في شأنهم وفي الوجه الذي يريد أن يرميهم به والعمل بما ينبغي

أمرهم رضي الله عنه سعدا ان يؤم المدائن وعهد اليه ان يخلف النساء والعيال بالعقيق ويجعل معهم كثفا من الجند وان يشرهم في كل مقام ماداموا يخلفون

المسلمين في عيالانهم - فقدم زهرة بن الحوية الى اللسان الذي أدله البر في الربف  
وعليه الكوفة اليوم والخيرة قبل اليوم وكان النخيرة جان معكرا به فار قاض ولم  
يقيم فلحق بأصحابه

## برس

وبعد تقديم زهرة الى اللسان اتبعه بعبد الله بن المغم ، ثم شرحبيل بن السمط  
ثم هاشم بن عتبة وقد ولاء عمل خالد بن عرفة وجعل خالدا على الساقة ثم اتبعهم  
وكل المسلمين فارس مؤد<sup>(١)</sup> قد نقل الله اليهم ما كان في عسكر فارس من سلاح  
وكراع ومال وكان اوتحاله لا يام بقين من شوال فلما وصلت مقدمة المسلمين (برس)  
لقيمهم جمع من الفرس عليهم بصي<sup>(٢)</sup> . فلم يكن بين الفريقين كبير قتال حتى انهزموا  
الى بابل ، وبها قل القادسية وجميع رؤساء الفرس كالتخيرة جان ومهران الرازي  
والهرمزان واشباههم وعليهم الفيرزان . ولما رأى إسحاق دهنقان برس ان المسلمين  
قادمون على بلاده وقد هزموا من بازاء بلده من الفرس بعد ان هزموا عسكرهم  
الا كبر بالقادسية وقتلوا قائدهم الاعظم وعلم ان بلاده حاصل في قبضتهم وخاف معرفة  
دخولهم عليه عنوة وخشى أن يمتريه أحد منهم سوء باجر الى زهرة فاعتقد منه ذمة  
وعقد له الجسور وأتاه بغير الدين اجتمعوا ببابل لمواقفة المسلمين

(١) للؤدى هراكتام عنة الحرب القوي

## يوم بابل - وكوفي

فلما علم زهرة بما أنباء به بسطام كتب الى سعد يطلبه بما أجمع عليه الفرس وما أعدوا له . وقد قال الفرس فيما بينهم : نقاتلهم دستا (طائفا) قبل ان نفرق . وذلك ليلوا عذرا امام الامة حتى لا يقال انهم تفرقوا وتشقت جمعهم وهم في عدة تفوق المسلمين تمكنهم من ان يرافقوهم فخلوا بينهم وبين البلاد جينا وعلما . ومعلوم ان جيشا يقاتل على مثل هذه النية لا يكون ما له سوى الهزيمة ولا تقية كثرة العدد شيئا لان توطيد الجند العزيمة على النصر وانفاسح الآمال بالفوز أمامهم وعظم الثقة بالنصر مدد لا يعادله مدد . وأما ضد ذلك اذا جال في رؤوس القواد والجنود فهو هزيمة معجلة ودخلان تافوه .

التقى الجمعان ببابل بعد ان زجى سعد الجيوش اليها . وفي رؤوس الفرس ما بيننا والمسلمون كما قد علمنا وأفكارهم ما بينوه ليزدجرد ورستم ورؤساء فرس . فلم يكن الا كلفت الرداء حتى انهزم الفرس ثم لم يكن لهم م سوى الاقتراع . فخرج الحرّ مزان الى ناحية الاهواز فأخذها وأكلها ومهرجان قذق . وخرج الفيرزان حتى نزل على نهاوند وبها كنوز كسري فاحتواها وأكل الماهين . وولى النخیرجان ومهران الرازي وجيبهما شطر المدائن حتى عبرا (بزرسير) الى جانب دجلة الآخر ثم قطعوا الجسر .

أقام سعد أياما ببابل وبلغه أن النخیرجان ومهران قد خلفا شهریار دهقان كوفي لقتال المسلمين في جمع من الجنود . فقدم سعد اليه الجيوش . فالتقى أوائل جموع المسلمين بجنود شهریار فلم يلبثهم ان طلب البراز وقاله الأدرجل ، الأفراس منكم شديد عظيم يخرج الي حتى أنكل به . فأخرج له زهرة أبا قيس بن فائل بن جشم الأعرجي فخرج اليه وكلاهما وثيق الخلق الا أن شهریار مثل الجمل ظنا



تلاقيا فجاءا ثم تعاقبا . فصرع شهريلار ابا نباتة وأراد أن يحتز رأسه بمخضجره فوقعت إهلام الفارسي في شدة أبي نباتة فلاكها فاسترخى الفارسي وفتر فانقلب عليه واحتز رأسه واستلبه وأخذ يردونه . وكان يلبس ملابس ورتحل بجلاه ويلبس أساوره عند الحرب . وهو أول مسلم تزيا بذلك الذي بأمر من سعد بن أبي وقاص

### بهرسير

بهرسير إحدى المدائن السبع التي سميت بها المدائن وهي في هذوة دجلة القريبة تجاه ابوان كسرى ولم يبق من المدائن سواها الى عهد صاحب معجم البلدان قدم سعد زهرة من كوثى الى بهرسير . فتلقاه شيرزاد بساباط بالصلح وتأدية الجزاء فأرسله الى سعد حتى قدم معه . ثم سار زهرة حتى أتى الى المظلم وكان به كتيبة لكسرى تسمى بوزان ولعلها منزلة ما يسمونه الحرس الملوكي . وكان أهل هذه الكتيبة مدلين بأنفسهم ويقسمون بأن ملك فارس لا يزول ما عشنا ، يفعلون ذلك كل يوم . فلقبهم زهرة بجنوده فقتلهم . ثم جاء هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الى المظلم ووقف حتى لحق به سعد ووافق ذلك رجوع ( المشرط ) وهو أسد كان لكسرى قد ألغى ونخيره من أسود مظلم ساباط قبادر المقرط الناس حتى انتهى فخرج اليه هاشم فقتله بسيفه . وقيل سعد رأس هاشم . فقيل هاشم قدم معه سعد ولما جاء سعد الى المظلم قرأ : أولم تكونوا اقستم من قبل ما لكم من زوال . وقدم سعد على بهرسير . وكلما قدمت خيل من خيول الاصلاح اليها كبروا الى أن تمام الجند وكان ذلك في السنة الخامسة عشرة

أقام سعد على بهرسير شهرين يحاصرها ويرميها بالمجانيق ويذب اليها بالدياباب ويقاوتهم بكل عدة . وكان الفرسان البادئين بالرمي بالمجانيق والعرادات

فاستصحبها - مد وأقام عليها عشرين من جنيناً فشق لهم بها - ولما طال الامد على الفرس خرجوا في رجالة وفاشبة وتجردوا للمرب وتبايدوا على الصبر فقاتلهم المسلمون فلم يثبتوا لهم

ولما رأى الفرس ان البقاء في هذه المدينة لا يستقيم تركوها ودخلها المسلمون فلم يجدوا فيها غير نفر قليل وقموا أسرى في أيديهم - وفي مقام سعد على بهرسير .  
 ووصل سراياه فأغارت في سواد الفرات فأنت بناس من الفلاحين لا عهد لهم ولا ذمة .  
 فكانوا مائة ألف فقال شيرزاد : ان هؤلاء علوج لأهل فارس لم يحرصوا عليكم فآثر كرم حق يفرق لكم الرأي . فتركهم سعد بعد أن كتب عليه اسماءهم ثم كتب الى عمر يقول « انا وورثا بهرسير بعد الذي لقينا فيما بين القادسية وبهرسير فلم يتنا أحد لقتال قبشت الخيول فجمعت الفلاحين من القرى والآجام فرأيت «  
 فاجابه « ان من أتاكم من الفلاحين اذا كانوا مقيمين لم يسيئوا عليكم فهو امانهم .  
 من هرب فادر كتموه فشانكم به « فلما ورد كتاب عمر خلى سعد عن أولئك الملاحين فلم يطلبهم ، ودعاه الى الاسلام والرجوع أو الجزاء ولم اللمة والمنعة فراجعوا على الجزية والمنعة فلم يبق في غربي دجلة الى أرض العرب سواى الآمن اغتبط ملك الاسلام واستقبلوا الخراج

## المداين الفصوى

ولما دخل سعد بهرسير وكان ذلك في شهر صفر سنة ١٦ طلب السفن ليحبر عليها الى عدوة دجلة الشرقية فلم يجد سفيناً يجيز الناس عليهن فبقي على ذلك أياماً من صفر . فجاء بعض أهل فارس ودلهم على مخاضة نحتى سعد ذلك ثم بداه أن يجيز بهم في دجلة وقد جاء المدد . فقام في الناس فقال « ان عدوكم قد اعتصم منكم

بهذا البحر فلا تخلصون اليهم معه وهم يخلصون اليكم اذا شأموا فينارثوكم في سفنهم وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤثروا منه فقد كفاكم أهل الأيام وعطلوا ثغورهم وافنوا ذاتهم . وقد رأيت من الرأي أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا . الا اني قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم . فقالوا جميعاً : عزم الله لنا ولك على الرشد . ثم انتدب الناس ليحموا الفراض حتى يعبر الناس ويتلاحقوا حتى لا يمنعم الفرس العبور فانندب انجاد الناس وأولهم عاصم بن عمرو ذو اليأس وانتدب معه ستانة من أهل النجدات فجعل عاصم عليهم فارسهم عاصم وانتدب منهم ستون ليكونوا أوليين . فاقحموا دجلة بخيلهم وراحم الفرس فاقحموا خيلهم دجلة ليلاقوهم ويمنعهم فلقوا عاصم في السرعان فصاح عاصم : الرماح الرماح ، اشروعوها وتوخوا الميرون . فطعنوهم في أعينهم فمن لم يقتل منهم صاروا عورانا فساحلوا بخيلهم فلم تصل الى الشاطئ حتى ولت مدبرة وذلك الستون الفراض وتلاحق سائر الستانة ثم اقتحم المسلمون دجلة حتى صاروا بالعدوة الشرقية مع الفرس . والذي يظهر ان الفرس باحتوائهم السفن كانوا آمنين أن يعبر اليهم المسلمون في زمن قريب ، وأن ذلك لا يكون الا بعد أن يحصلوا على سفن يميزون فيها اليهم ، فلم يكن بالقوم استعداد لقائهم في ذلك الحين ولا على تلك الحال . فاجبضهم المسلمون واعجلوهم عن جمهور أموالهم واقتحموا عليهم مدينتهم على هذا الوجه واستولوا على كل ما بقي في بيوت كسرى من الأموال

وقد قال الطبري : فيها هيج سعدا على دعاء الناس لعبور دجلة . ان علجا فارسياً أتى سعدا فقال : ما بقيت لك ؟ لا يأتي عليك ثالثة حتى يذهب يزدجرد بكل شيء في المدائن

والذي يفهم من ذلك أن سعدا كان على ثقة من أن القوم قد ينسوا من المقام في المدائن وان حاميتهم لاتصلح للمقاومة ، والا كان عمله مخاطرة لاتصح من قائد

حريص ولا تلتئم مع تحذير عمر له ذلك التحذير الذي علمناه  
 كان يزجره قد أحس سوء الحال فرحل عياله الى حلوان حين فتحت  
 بهرسير . ولما علم بعبور المسلمين خف حتى لحق بعياله وخلف مهران الرازي  
 والتخيزجان وخرجوا معهم بما قدروا عليه من حر مناعهم وخفيته وما قدروا على  
 استخلاصه من بيت المال والنساء والدراري وتركوا في الخزان من الثياب والمتاع  
 والآنية والفضول والأطراف والادهان شيئاً لا تعلم قيمته لكثرة ما أهدوا  
 المحصر من البقر والغنم والاطعمة والاشربة . وكانت كنيبة الاهوال أول داخل  
 المدينة وهي كنيبة عاصم بن عمرو ثم اتخرساء ، وهي كنيبة القفصع بن عمرو وتقال  
 ابن مالك والريل بن عمرو . فأخذوا في سككها لا يجدون أحداً الا من كان بالقصر  
 الابيض . وقد استجابوا على الذمة وقد نزل سعد القصر الابيض . وصلى فيه صلاة  
 الفتح وجعله مسجداً ودخله وهو يقول : « كم تركوا من جنات وحبون وزروع ومقام  
 كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوماً آخرين ، فابكت عليهم  
 السماء والارض وما كانوا منظرين »

في مثل هذا المدخول الفجائي الذي دخل به المسلمون مدائن كسرى ، وبخاصة  
 اذا كانت بحالة غريبة ، يستولى الفزع على الافئدة وتجيئ النفوس الى  
 الفرار ومفارقة الديار . ولكن كثيراً ممن يستولى على نفوسهم الملح ويحلون عن  
 أوطانهم لا يذهبون بعيداً عنه حتى تضيق الدنيا في وجوههم وتخرج صدورهم  
 وتسمى عليهم السبل ثم تنازعهم نفوسهم الى ما ألفهم القديم ثم لا يلبثون أن يعودوا به  
 ولا سيما اذا عرفوا أن من ملا الخوف قلوبهم منه وظنوه فتاكاً سفاكاً لا يأخذ الناس  
 بمنف ولا يسوسهم بسف ، بل يسطر العدة ويتوخى حسن السيرة . فانهم حينئذ  
 يعودون الى وطنهم ويشوب اليهم رشدهم . كذلك كان حال أهل المدائن فانهم  
 تراجعوا الى مدينتهم ودخلوا في ذمة المسلمين الا من كان من آل كسرى ومن معهم

ثم جمع سعد ما وجد في خزائن كسرى من الأموال والغنائم فكان شيئاً كثيراً  
 فقسمه وقسم أربعة الاخماس على المقاتلين ، فكان نصيب الفارس اثني عشر  
 ألف درهم. وهوشي لم يكن أحد من العرب يظن أن يراه في منامه. وكان كل المسلمين  
 فرساناً وبعضهم معه الجنائب. ثم قسم سعد دور المدائن على الناس وأنزلهم بها .  
 ثم جمع الخس وادخل فيه كل شيء أراد أن يصحب منه عمر من ثياب كسرى وحليته  
 وسيفه وما كان يصحب العرب أن يقيم اليهم وكان في ما أرسله الى عمر أيضاً بساط  
 درعه ستون ذراعاً في مثلها فيه طرق كالصور وفصوص كالانهار وخلال ذلك كالدير  
 وفي حافاته كالارض المزروعة والارض المبقلة بالنس في الربيع من الحرير على  
 قضبان الذهب . وقواره بالذهب والفضة واشياء ذلك . فلما قسم سعد الغني في  
 العسكر فضل هذا البساط عنهم ولم تستقر قسمته . فجمع سعد المسلمين فقال :  
 « ان الله قد ملا أيديكم وقد عسر قسم هذا البساط ولا يقوى أحد على شرائه ،  
 فأرى أن نطيلوا به نفساً لامير المؤمنين يصمه حيث شاء . ففعلوا . فلما قدم البساط  
 على عمر بالمدينة جمع الناس واستشارهم . فمن مشير بقبضه وآخر مفوض اليه وآخر  
 مرفق . فقام علي حين رأى عمر يأتي حتى انتهى اليه فقال : لم تجعل عليك  
 جهلاً ويفينك شكاً ؟ انه ليس لك من الدنيا الا ما أعطيت فأمضيت أو لبست  
 فأبليت أو أكلت فأفانيت . قال : صدقتي ، فقطعه وفرقه في الناس . وفي رواية  
 أخرى انه قال له : يا امير المؤمنين الامر كما قالوا ولم يبق الا التروية . انك ان  
 تقبله على هذا اليوم لم نعدم في غد من يستحق به ما ليس له . فقال : صدقتي .  
 وقطعه وقد أصاب عليها قطعة منه فباعها بشرين ألفاً وما هي بأجود تلك القطع<sup>(١)</sup>  
 . نوى سعد الإقامة بالمدائن وصنى فيها صلاة المقيم وأول جمعة صليت في العراق  
 كانت بالمدائن في صفر سنة ١٦ هـ . ثم بث السرايا تغير فيها حول المدائن في الوجوه

(١) لم يكن من ثان العرب الاحتفاظ بمنزل هذه الدخائر . ولو أنهم من أهل هذا العصر للتسرع للائثار  
 والتفاس قدرها لا حفظوا به على الدهر

كلها . وصدر الامر من عمرو وبولاية سعد بن أبي وقاص صلاة ما غلب عليه وحرّبه  
 وولى النعمان وسويد بن عمرو انخراج أولها على ما سقت درجة وثانيهما على ما سقى  
 الدفات . ولما جئنا الى عمر بنك الاخماس من القنينة وقبها زينة كسرى وتاجه  
 وحلاه وأزيائه التي كان يلبسها للمباهاة وبساطه ، أكرم الناس الكلام في فضل  
 أهل القادسية وحق لهم أن يكتروا ، فقال عمر : أولئك أعيان العرب وغررها  
 اجتمع لهم مع الاخطار الذين . هم أهل الايام وأهل القوادس

يقول ابن الاثير : كان في بيت المال ثلاثة آلاف ألف ألف ثلاث مرات  
 أخذ منها رسم عند سيره الى القادسية النصف . بقي النصف

والذي أراه ان هذا المقدار يزيد على عشرات المقدار الذي كان موجوداً لانه  
 ينبغي أن يكون في خزائن كسرى ثلاثة آلاف بليون وهو مقدار لا يمكن أن يتفق  
 مثله لدولة في ذلك العهد مع كل عمارها مستبحراً وخراجها وافر

وما لنا والكلام ؟ لا بد أن نرجع الى الارقام فانها لا تكذب

قال ابن الاثير نفسه : ان سهم الفارس بلغ في المدائن اثني عشر ألف درهم وكان  
 المسلمون جميعاً فرساناً ، فإذا فرضنا أن المسلمين كان عددهم في ذلك اليوم هو  
 عددهم يوم القادسية بزيادة الريم كان عدد المسلمين الذين كان لهم حظ من غنيمة  
 المدائن مئتين ألفاً

فعلى ذلك يكون عدد النفود التي قسمت على الفائزين ٧٢٠ مليوناً

فاذا أضيف الى ذلك الخمس ( ١٨٠ مليوناً ) كان مجموع ذلك ٩٠٠ مليون

واذا كان رسم أخذ مقداراً مساوياً له كان ما في الخزائن من قبل ١٨٠٠  
 مليون . وبمباراة أخرى بليوناً واحداً ومئتي مليون . فأين هذا من ثلاثة ترليونات  
 وهو يزيد عما أدى اليه الحساب مع التسهل ترليونان وتسعون بليوناً  
 ومئتا مليون

## ﴿ما جمع من غنائم أهل المدائن وقسمتها﴾

كان سعد قد جعل على الأقباض عمرو بن عمرو بن مقرن وعلى القسمة سلمان  
 ابن ربيعة الباهلي فجمع ما في القصر والابوان والدور وأحصى ما يأتيه به الطلب  
 وكان أهل المدائن قد تهبوا عند المزيعة وهربوا في كل وجه ، فما أفلت منهم أحد  
 بشيء . الا أدركهم الطلب فأخذوا ما معهم . ورأوا بالمدائن قبايا تركية مخلوعة سلالا  
 مخنومة برصاص فحسبوه طعاماً فاذا فيها آتية الذهب والفضة وكان الرجل يطوف  
 ليبيع الذهب بالفضة متعائلين ورأوا كافوراً كثيراً فحسبوه ملحاً فمضوا به فوجدوه  
 مرّاً وأدرك الطلب مع زهرة جماعة من الفرس على جسر النهر وان فازدحموا عليه  
 فوقع منهم بقل في الماء فمجلوا وأكوا عليه فقال بعض المسلمين : ان لهذا البقل  
 شأنًا فاللهم الملقون عليه حتى أخذوه وفيه حلية كسرى : ثيابه وخزائنه ووشاحه  
 ودرعه التي فيها الجوهر . وكان يجلس فيها للمباهاة ولحق الكلثم بقلين معها فارسيان  
 فقتلها وأخذ البقلين فأبلغها صاحب الأقباض وهو يكتب ما يأتيه به الرجال فقال  
 له : قب حتى تنظر ما ملكت فمط عنها فاذا سفظان فيهما تاج كسرى ودرعاً وكان  
 لا يحمله الا الاسطواناتيان وفيه الجوهر وعلى البقل الآخر سفظان فيهما ثياب كسرى  
 التي كان يلبس من الديباج المنسوج بالذهب المنظوم بالجواهر وغير الديباج منسوجاً  
 منظوماً . وأدرك القمقاع بن عمرو فارسياً فقتله وأخذ منه عيبتين في احدهما خمسة  
 أسياف وفي الأخرى ستة أسياف وأدرك منها درع كسرى ومغافره ، ودرع هرقل  
 ودرع خاقن ملك الترك ودرع داهر ملك الهند ودرع بهرام جوبين ودرع  
 سياوخش ودرع النعمان استلبها الفرس آباء غزاهم خاقن وهرقل وداهر  
 وأما النعمان وجوبين فحبس هرما من كسرى . والسيوف من سيوف كسرى  
 وهرمز وقباد وفيروز وهرقل وخاقن وداهر و بهرام وسياوخش والنعمان فأحضر

الفتح الجميع عند سعد فغيره بين الاسياف فاختر سيف هرقل وأعطاه درع بهرام ونفل سائرهما في الخرساء الا سيف كسرى والنعمان بعت بهما الى عمر بن الخطاب لتسمع العرب بذلك . حسبوها في الاخماس وبعثوا بتاج كسرى وحليته وثيابه الى عمر ليراه المسلمون وأدرك عصمة بن خالد الضبي رجلين معها حماران فقتل احدهما وهرب الآخر فأخذ الحمارين فألقى بهما صاحب الاقباض فاذا على احدهما سمطان في احدهما فرس من ذهب بمرج من فضة وعلى تفره ولباته الياقوت والزمرد المنظوم على الفضة ولجام كذلك وفارس من فضة مكمل بالجواهر . وفي الآخر ناقة من فضة عليها شليل من ذهب وبطان من ذهب ولها زمام من ذهب وكل ذلك منظوم بالياقوت ، وعليها رجل من ذهب مكمل بالجواهر . وكان كسرى يضمها على اسطوانتي التاج

وأقبل رجل بحق الى صاحب الاقباض فقال هو والذي معه ما رأينا مثل هذا ما يبدله ما عندنا ولا يقار به . فقالوا : هل أخفت منه شيئاً ؟ فقال : والله لولا الله ما أتيتكم به . فقالوا : من أنت ؟ فقال : والله لا أخبركم فتعبدوني ولكني أحمد الله وأرضى بتوابه فأتبعوه رجلاً فسأل عنه فاذا هو عامر بن عبد قيس . وقال سعد : والله ان الجيش لنؤامانة ولولا ما سبق لاهل بدر لقلت انهم على فضل اهل بدر . لقد تبعت منهم هناة ما أحسبها من هؤلاء

وقال جابر بن عبد الله والذي لا إله إلا هو ما اطلعنا على أحد من أهل القادسية انه يريد الدنيا مع الآخرة فلقد اتهمنا ثلاثة نفر فما رأينا كما اتهمهم وزعمهم وهم طليحة وهرو بن معد يكرب وقيس بن المشوح

وقال عمر لما قدم عليه بسيف كسرى ومنطقته وبزبرجده : ان قوما أدوا هذا لنؤوامانة . فقال علي : انك عفتت فعتت الرعية . فلما جمعت القنائم قسم سعد الفري



بين الناس بعد ما قسمه وكانوا ستين ألفاً فأصاب الفارس اثني عشر ألفاً وكلهم  
كان فارساً ليس فيهم راجل

## وقفه جلولة

قال ياقوت : طسوج من طساسيج السواد في طريق خراسان بينها وبين  
خاقين سبعة فراسخ ، ثم حكاها بالقصر والمد في قول القمقاع :

ونحن قتلنا في جلولا أناراً ومهران اذ عزت عليه المذاهب  
ويوم جلولا الوقيمة افئبت بنو فارس لما حوتها السكتائب

وسبب هذه الوقعة أن الفرس لما اتهموا الى جلولا في حربهم من المدائن الى  
هذا الموضع وفترفت الطرق بأهل أذربيجان والباب وأهل الجبال وفارس -  
ويظهر أن جمهور جيش الفرس كان مجتمعاً من هذه الأقاليم - فقال رؤوس القوم :  
إنا اذا افترقنا لم نجتمع أبداً وهذا مكان يفرق بيننا . فلهذا فلنجتمع للعرب  
ولنقاتلهم . فإن كان الظفر لنا «ذاك الذي نحب» وان كانت الاخرى نكون قد  
قصينا الذي علينا

ويظهر ان القوم في هذه المرة كانوا قد وطنوا أنفسهم على الاستماتة في القتال  
وصدق الحلة فاجتمعوا تحت امرة مهران الرازي واحتفروا خندقاً حول حصنهم  
وأحاطوه بحصك الخشب أول أمرهم ثم استدلوا به حصك الحديد الا طرقتهم .  
وعلم سعد بأمرهم فاستأمر عمر فأمره أن يسرح اليهم هاشم بن عتبة في اثني عشر ألفاً  
وأن يجعل على مقدمته القمقاع بن عمرو . فسار هاشم في جيشه وفيه وجوه المهاجرين  
والانصار وأعلام العرب ممن كان ارتد وعن يثبوا على اسلامهم الى أن نزل على الفرس  
بمكانهم هذا

كاتب الفرس كبرى يز جرد وهو بحلوان يملونه بأمرهم الذي أجمعوا عليه فأمدهم بالأموال والرجال وجعل يستنفر الفرس فيما يليه وكما اجتمع اليه جند بعضهم اليهم مدداً ، وقد عزم الفرس على المطاوعة لا يخرجون الى القتال الا اذا شاعوا والمسلمون يحيطون بحصنهم . فزاحقهم المسلمون ثمانين زحفاً وهم في كل مرة يسألون من الفرس . وأمد سعد المسلمين فامر أي الفرس أن الامداد متواصلة الى عدوهم خافوا أن يصير المسلمون الى حال قوة يضعف الفرس عن منازلتهم معها . وذلك أن الفرس كانوا أكثر من محاصريهم أضغاث كثيرة وازدياد المدد على المسلمين يغير من تلك الحال فاعتزموا على القتال . فقاموا بالنار على أن لا يفرّوا وجعلوا في الخندق من ناحيتهم طرقاً لطيلهم فأسدوا بذلك حصنهم ثم خرجوا للقتال فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يقاتلوا المسلمين مثله في موطن من المواطن حتى أتاهم ما معهم من نبل ونشاب واطعنوا بازمارح حتى تقدمت ثم صاروا الى السيوف والطائر زينات فكافوا على هذه الحال صدر النهار الى الظهر ، وصلى المسلمون اجماعاً وقد كل المسلمون وبلغ الغيب بهم أشده . فجاء القعقاع بن عمرو الى الناس فقال : هاهناكم هذه قالوا : نعم ، نحن كلون وهم مريمون والكل يخاف للمعجز الا أن يغيب فقال إنا حاملون عليهم ومجاهدون وغير كافرين عنهم حتى يفتح الله بيننا وبينهم . فاحلوا حلة وجل واحد حتى نخالطوهم ولا تكذبين . ثم حمل وحلوا معه وانفروا فما ذب أحد عن باب الخندق والبسهم الليل سواده فأخذوا بمنة ويسرة وجاء الى المسلمين أمداد فيهم طليحة وقيس بن المكشوح وعمرو بن معد يكرب وحجر بن عدي فوافقوا القوم وقد تماجزوا لما أجنبهم الليل ، غير أن القعقاع لم يكف بل أمر مناديه أن يقول يا معشر المسلمين هذا أميركم قد دخل الخندق . وقصد أن يقوهم بذلك فحملوا لا يشكون أن هاشميا في الخندق فاذا هم بالقعقاع قد أخذه وانهزم الفرس بمنة ويسرة فوقعت خيلهم فيما أهدوا من الحسك فقترت وصاروا رجالة . واتبعهم

المسلمون فلم يهلك منهم إلا عدد يسير وذهب جمع العرس طعمة لل سيف وصاروا  
مصرعين في المجالات وتلك النواحي حتى تجملت الأرض بهم  
وصار القعقاع في طلب الفألة حتى وصل إلى خافقين وقتل بها مهران ثم أخذ  
ناحية حلوان في جيش من الافناء والحرأ . فوجد الملك يزجرجد قد اجفل منها إلى  
الري عند ما بلغه خبر الهزيمة بجولاء فنزل القعقاع بحلوان وكانت هذه الوقعة في  
ذي القعدة سنة ١٦ . ولم يلق القعقاع كبير قتال دون حلوان وبقي بها إلى أن تحول  
سعد إلى الكوفة أما غنائم جولاء وما ساء المسلمون من النساء والذرية فكان  
شيئاً يخرج عن الوصف فكانت مهبام المقاتلة تسعة آلاف وتسع دواب وفي رواية  
اثنى عشر ألفاً . وأما السبي فكان شيئاً كثيراً من أحرار فارس حتى أن عمر  
استعاض بالله من ذرية سبي جولاء .

ولما ذهب الجرس إلى عمر كان على حسابه زياد بن أبيه . فقص على عمر أخبار  
الوقعة وما كان فيها من الأهوال وما فتح الله على المسلمين . فقال له عمر : هل  
نستطيع أن نقوم في الناس بما نل ما كلفني به ؟ فقال : والله ما على وجه الأرض  
شخص أهيب في صدري منك فكيف لا أقوى على هذا من غيرك . فقام زياد في  
الناس وقص عليهم ما فتح الله عليهم وما كان منهم في حربهم وما صنعوا وما  
يستاذنون فيه من الاسياع في بلاد عدوهم فأحسن في ذلك ما شاء الله أن يحسن .  
فقال عمر : هذا الخطيب المصقع . فقال زياد : « ان جئنا أطلقوا بالفعال لماندا »  
وكان زياد شاباً حدثاً في ذلك الوقت

ثم كتب عمر إلى سعد بأقرار الفلاحين على حالهم إلا من حارب أو هرب  
منك إلى عدوك فأدركته وأجر لهم ما أجريت للفلاحين قبلهم وإذا كتبت إليك  
في قوم فأجروا أمثالهم مجراً . ثم كتب إليه سعد في غير الفلاحين .

فكتب اليه « أما من سوى الفلاحين فذلك اليكم ما لم تقسموه - يعني قست -  
ومن ترك أرضه من أهل الحرب فخلاها فهي لكم فان دعوتهم وقبلتم منهم  
الجزاء ورد دعوتهم قبل قسمتها فذمة ، وان لم تدعهم فهي لكم لمن آفاه الله  
ذلك عليه

## فتح تكريت

علم سعد أن الفرس قد جموعوا جموعاً بتكريت اجتمعوا من الموصل - فصرح  
اليهم عبد الله بن المعتم في جيش قوامه خمسة آلاف - فسار أربما حتى نزل  
على تكريت وفيها جموع الفرس ومعهم جموع من الروم وإباد وتغلب والنر وقد  
خندقوا بها فحصرهم بها أربعين يوماً وقد تراخفوا أربعة وعشرين رجلاً وكانوا  
أهون شوكة وأخف أمراً من أهل جلولا . ولما أحس الروم أنهم لا يخرجون  
مرة الا نال منهم المسلمون تركوا أمراءهم ونقلوا أمتعتهم الى السفن - ورأى  
العرب الذين معهم ذلك وعلموا أن القوم منفض جمعهم عنهم وانهم لا يقرون  
على المسلمين بعد ذلك ، فجاءت العيون من إباد والنر وتغلب الى عبد الله بن  
المعتم بالخبر وسألوه السلم للعرب فدعاهم الى الاسلام فاستجابوا له سرّاً واتفق  
معهم على أن يأخذوا على القوم الأبواب من ناحية النهر اذا أخذها بجندهم  
من ناحية البر . ففعلوا . ونهد المسلمون لما يليهم وكبروا علامة ما بينهم وبين  
مُسلمة ليتعلم فأخذ جنود الفرس والروم من كل ناحية ولم ينبج الا من أسلم في  
تلك الليلة من العرب

ولم يلبث عبد الله بن المعتم أن أرسل الى الحصنين قوة ممن معه عليها  
الافكل العزى الى الحصنين وبهما جموع من فارس . وقال له اصبق الأخبار وصر

مادون القيل وأخي القيل - وسرح معه من كان مع الفرس بتكريت من إباد والفرس  
وتغلب فقدمهم وعليهم عتبة بن الوعل وغيره من أمرائهم فادعى عتبة بالظفر  
والنقل والقفل ثم جاء من يده من أمرائه حتى أخذوا الأبواب وأقبلت سرعان  
الخيال مع ربي بن الأفكل ففتحوا الحصنين فأجاب من استجاب وهرب من لم  
يستجب ثم عاد القوم وتراجع الحراب واعتبط المقيم وصاروا جميعا ذمة ولهم المنعة

### ﴿ ماسبدان ﴾

ماسبدان عن عيين حلوان إلى حمذان

وأرسل سعد بن أبي وقاص فصيحة أخرى من المسدائن يقودها ضرار بن  
الخطاب لفتح ماسبدان - وذلك أنه قد بلغ سعد أن أذين بن الهرمزان قد جمع  
جمعا فخرج بهم إلى السهل فأرسل إليه ذلك الجيش فالتقى ضرار بن الخطاب بعين  
معه بالفرس فأخذ أذين وضرب عنقه وشتت شمل جيشه وانحن فيهم القتل ثم  
خرج في طلب الفأفة حتى انتهى إلى مسبروان فأخذت ماسبدان عنوة فنتطاب  
أهلها في الجبال ثم عادوا وصاروا ذمة للمسلمين وعليهم الجزاء

### ﴿ قرقيسيا ﴾

بلدة على نهر الخابور وهو يصب في الفرات - فهي بين الخابور والفرات  
كان سبب حمله الغزوة أنه لما رجع هاشم بن عتبة عن جلولا اجتمعت  
جموع أهل الجزيرة فأمدوا هرقل بمجندين يساعدونه على أهل حمص وبعثوا جندا إلى  
أهل هيت - فوجه إليهم سعد بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف في  
جند وعلى مقدمته الحارث بن يزيد العامري في غيره من القواد فسار عمر حتى  
زل على هيت وقد خندق من بها عليهم خندقا واعتصموا به - فلما رأى عمر

امتناع القوم حتى أن يطول عليه الأمد . فخرج في نصف الجند وكتب خروجه عن الاعداء وأمر أن لا يقوضوا خيامهم حتى لا يعلم الاعداء بقله المسلمين المحاصرين . لم ثم خلف على من أقام الحارث بن يزيد وذهب هو بمن معه حتى نزل على قريسيه على حال فرقة من القوم وهم لا يشعرون به فأخذها عنوة . فطلب أهلها أن يقيموا على الجزاء فرضى منهم بذلك . فلما رأى من بهيت ذلك جزعوا . وكتب عمر إلى الحارث يقول له : انهم ان استجابوا تخيل عنهم قليخرجوا ، والا تخندق عليهم خندقا يحيط بخندقهم وأبوابه مما يليك حتى أرى رأيي . فسمحوا بالاجابة وانضم الجند إلى عمر ، والاعاجم إلى أهل بلادهم .

بعد هذا صار السواد كله في يد المسلمين فهدموا طريق ادارته وأقاموا الجنود رابطة في الثغور بينهم وبين الجبال فكان الفلاحون للطرق والجسور والحرب . الدلالة مع الجزاء عن أيديهم على قدر طاقتهم . وكانت الدعايق للجزية عن أيديهم والعمارة ، وعلى كاهل الارشاد وضيافة ابن السبيل من المسلمين ، وأما من أفاء الله عليهم البلاد فالضيافة لهم خاصة كانت ميراثا . وكان في صلح عمر لم انهم ان غشوا المسلمين لعدوهم برئت منهم الذمة وان صَبَّوا مسلما أن ينهكوا عقوبة وان قاتلوا مسلما أن يقتلوا وعلى عمر منعتهم وبرى . عمر إلى كل ذي عهد من معرة الجيوش

## مخصر الكوفة

لما فتح على المسلمين ما فتح من العراق وفارس وأوطان المسلمين بمختلف البلدان عنها . وكان كل أمير على ناحية يبعث بالوفود إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فكان عمر يرى في أوجه من يرد عليه نفيرا . فقال لهم والله

ما هيئتكم بالهيئة التي أبدأتم بها ولقد قدمت وفود القادسية والمدائن وانهما لكانا  
أهدوا فما غيركم ؟ فأجاباه القوم بأن وخومة البلاد قد أثرت فيهم هذا الاثر وأراد  
عمر أن يتعرف الاسباب التي أثرت فيهم هذا الاثر وأهمه ذلك فكتب الى سعد  
يسأله عن ذلك الذي غير ألوان العرب ولحومهم ، فكتب سعد اليه يقول : ان  
العرب خددهم وكفى ألوانهم وخومة المدائن ودجلة . فكتب اليه عمر ان العرب  
لا يوافقها الا ما وافق اهلها من البلدان فابعث سلمان رائدا وحذيفة - وكانا رائدي  
الجيش - ولم يكن أمر في الجيش الا أسند الى من يقوم به - فليمر تادوا منزلا يريا  
بحريا ليس ينفى وبينكم فيه بحر ولا جسر - فبعثهما سعد لذلك فسارا مرتادين  
غربي الفرات حتى أتيا موضع الكوفة وهو حصاء ورمل مختلطان فأعجبتهما وفيها  
أديار ثلاثة : دير حرمة - دير أم عمرو - دير سلسلة . وبينها خصائص خلال ذلك .  
فتزلا فيها وصليا ودعوا ثم كتبوا الى سعد بالخبر فابلفه عمر . فأمره ان يسير بالجنود .  
فطلب سعد الى أمراء الجنود بالثغور ان يستخلفوا عليها ويقفلوا اليه ففعلوا وأرسل  
سعد بالناس حتى عسكر بالكوفة في المحرم سنة ١٧ هـ ( يناير سنة ٦٣٨ ) وكان بين  
وقعة المدائن ونزول المسلمين بالكوفة سنة وشهران وقد ترك سعد من رضي بالاقامة  
بالمدائن ليكونوا مسلحة للمسلمين في نواحيهم

كان عمر يريد ممن نزلوا الكوفة ان يكونوا في خيامهم لان ذلك امر ع في انتقالهم  
اذا مست الحاجة الى ذلك وليكون ذلك اصيل في عين عدوهم وأدعى الى احكامه  
عن امرهم به ان كان في رأسه شيء من ذلك . ثم بعد ذلك استأذنوه في اخذ  
البيوت من القصب فاذن لهم في ذلك بعد ان عرفوه انه هو المكش اذا روي  
ثم أصاب الكوفة بعد ذلك حريق أتى على نماذج بيتا فيها فاستأذنوا في البناء  
بالبطين فاذن فيه وقال اقموا ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة ابيات ( حجرات ) ولا

تطاولوا في البنيان والزموا السنة تلتزمكم الدولة . فرجع المستأذنون الى الكوفة بذلك وكتب الى أهل البصرة بمثله . وكان على تنزيل الكوفة أبو هيثج بن مالك وعلى تنزيل البصرة عاصم بن دلف أبو الجرباه . وقد قدر عمر لها المناهج أو بين ذراعا وما بين ذلك عشرين ذراعا والاذقة سبع اذرع والقطائع ستين ذراعا . وأول شيء خطه فيها وبني المسجدان مسجد الكوفة ومسجد البصرة وقام في وسطهما رجل شديد النزع فرمى في كل جهة بسهم وأمر أن يبنى فيما وراء ذلك وبني حُطلة في مسجد الكوفة على أساطين رخام في مقدمته كانت في بعض ابلية الاكسرة بالحيرة وبشوا لسمد دارا بجبال المسجد وهي قصر الكوفة بينها وبين المسجد طريق منتصب بناها رؤوس من آجر بنيان الاكسرة بالحيرة . وجعل الاسواق على شبه المساجد من سبق الى مقعد فهو له حتى يقوم منه الى بيته ويفرغ مما فيه

بلغ عمر أن سمعا قال وقد سمع أصوات الناس من الأسواق صكّوا هني الصوت وإن الناس يسمونه قصر سعد فبعث محمد بن مسلمة الى الكوفة وأمره أن يحرق باب القصر ثم يرجع . فحرق باب القصر واستدعاه سعد فلم يفعل فخرج اليه وعرض عليه نفقة فأبى . وبلغه كتاب عمر اليه وفيه « بلغني أنك اتخذت قصرا جعلته حصنا ويسمى قصر سعد . بينك وبين الناس باب . فليس بقصرك ولكنه قصر الخبكال . انزل منه مما يلي بيوت الاموال واغلقه ولا تجلس على القصر باها يمنع الناس دخوله » خلف له سعد ما قال الذي قالوا فرجع محمد فأبلغ عمر وصدقه

كأني بصائحين يصيحون ما هذا الحرز الذي استقر عمر الى أن يزعم محمد ابن مسلمة ويكلفه أن يذرع ما بين المدينة والكوفة لاحتراق باب قصر أو باب بيت اتخذه أمير ليكون حجابا بينه وبين من لا يروق منظره ومن لا يجب مقابلته ؟ وهل يرى عمر أن يسكن الناس في القبور وهم أحياء ؟ ومن ذا الذي حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ وأي حرج على الناس إذا اشتغلوا



في البناء وجعلوا دورهم **بما** تسع له حلقم التي صاروا إليها ؟ ومن المعلوم عند علماء الاقتصاد انه اذا لم يوجد في الناس أهل الثراء الذين يروقه ثأل القصور واتخاذ الشامخ من البنيان والرائع من الزينة والزخرف لا يمكن أن يكون للامة رقي ولا يوجد فيها من يتعاطى الفنون الجميلة فضلا عن البراعة فيها . فكيف يضيق عمر على الناس واسما ولا يأذن لهم في اتخاذ البنيان من الابن الا بعد مؤامرة ثم هو بعد ذلك يأمرهم بعدم الاستطالة في البنيان وذلك تعطيل للفنون الجميلة ومعارضة لرقى الامم الذي هو الغاية من العمران

أما أنا فاعرض عن أولئك العاصحين - وإنما أقول لكم - ان القوم على أثر من رسالة قد بهرتهم عجائبها وفي عقب نبوة قد أخذت بنواصيهم وعلى بينة من دين استغرق أفئدتهم ومالك عليهم مشاعرهم وهم حديثو عهد بأخوة قد أحكمت عراها واستحصدت مرثها ولم تنجل عن قلوبهم تلك الروعات التي كانوا يسمعونها في قوله تعالى « إنما المؤمنون أخوة » وفي قوله تعالى « فاصبحتم بنعمته اخوفا » وهذه يد عمر لم تنفل من دماء الاعاجم والروم الذين كانوا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله وملكهم يتخذون المصانع الشائخة والقصور المزخرفة فخرتهم الحياة الدنيا وسوغوا لأنفسهم استعباد الرعية وتسخير الكافة في توفير لذاتهم وشهواتهم فأدال الله منهم هؤلاء القوم وهم على حال اخوة وتواس فيما بينهم لا ميزة لاحد منهم على الآخر الا بحسن البلاء أكرمهم عند الله وفيما بينهم اتقاهم لم تبهرهم الدنيا بزخرفها ولم تختلب قلوبهم بنقشها ورقشها . فقل عمر يخشى أن ينفس أمثال سعد ابن أبي وقاص ومن على شاكلته أيديهم فيما غمست فارس والروم أيديهم فيه فيدبل الله من أهل الاسلام ■ أداهم من جيرانهم بالامس

واتخاذ الابواب دون الامير وصمودية الوصول اليه أمر لم تجر به عادة العرب ولم يألوه فيما بينهم إلى اليوم وعمر يخشى أن يكون مبدأ جبرية يققرقها سعد تحت ظل

عمر ويأخذ الناس بها باسمه سرت اليه من اهل فارس . اذا رخص له عمر في  
خذ الناس بها كان شريكاً له في انعامها ومساها له في جزائها . وهم انما كانوا يعمرون  
المعجم بالامس ويحجونه بمنزل ما يتخوف عليهم عمر ميثته اليوم ولا يحسن في القالة  
أن يكونوا ممن يأمرون الناس بالبر ويسون انفسهم

ان الامر الذي اخذ به سعدا مما فطرت له فبره هل لا شعرا كية المعتدلة  
انصفي اليه مسامح الفئات التي تشبه المساواة والتخفيف ويلات الانسانية وتطهير  
تختم من ادوان المدينة الجائرة القاسية . تفسد له وجهه اهل لاثرة وعباد  
لانانية ومن يؤمن الالهة ويقدمون الخيل

اما تحجيرهم على اهل المصريين ان يشتروا بيوتهم في اول الامر ثم تسويهم  
انك على شرط القصد في البناء وعدم الاستطالة فسيب ان القوم هم جند الاسلام  
واعياد الجهاد وحملة تلك النواحي وذدة الله وهم على امة النجعة وعلى  
منز الاغاثة ان دعا داع في ناحية من النواحي . فنجدي اذا قاتل العقار  
سحب في اتخاذ الدور المنجعة انواع الزخرف والزينة كان ذلك ادعى الى نقل الجهاد  
على نفسه من غيبته عن مرابطة مستقر راحته واذا ازعج من مكانه هذا الى وجه  
الوجوه او ناحية من النواحي كان قلبه دائم الالتفات الى ما خلف وراعه من  
هم وما فارق من مال هو عدل نفسه وشقيق روجه . فاني انصهر على هذا  
ترك الحكم بالانصاف في ميم امير المؤمنين واذا استطاع واحد منكم ان  
يقيم الصالحين فليفعل وله الاجر

ومهما كان الشأن في ذلك . فان عمر وضع تخطيط المصريين على قاعدة صحيحة  
حككة فقد وضع طرقها وجعلها على نظام جميل وهي في شكلها العام تشبه ان تكون  
كحلوان في نظامها واتساع طرقها اذا قرنا بين ارتفاع الجيطان فيها وسعة المداخل  
والطرق لافي الرواء والزينة . فكانت الكوفة تجمع بين سكنى المدن وهواء  
البادية وترتبتها . وذلك ادعى الى صحة الاجسام وجودة الهواء لان سعة الطرق

للملاد بمثابة الرثة للجسم

ومن المدن التي خضعت على نظام أم مدينة الخرطوم الحالية وقد قسمت درجاتها إلى النيل الأزرق الدرجة الأولى ووراءها الدرجة الثانية والثالثة فالرابعة وهي في سعة الشوارع على هذا الترتيب

وقد بنيت البصرة والسكة في سنة واحدة وإن كان أهل البصرة قد نزلوها قبل ذلك وبهذا يحسم بين الأقوال المختلفة في تحديد العام الذي أسست فيه البصرة فن قل إن ذلك كان سنة ١٤ هـ فذلك مبدأ نزولها ومن قال سنة ١٧ هـ فذلك هم منسبها والماء فيها على التخطيط الذي وصفنا

وكانت ثغور السكوة في ذلك الزمن أربعة : حلوان وما سبيلان وقريش والموصل وأميرها سعد بن أبي واصل وكانت البصرة ثغراً له أمير خاص يسمى أمير المؤمنين . وقد صار كل من السكوة والبصرة مركزاً حربياً تفصل بينهما الجفوة لحرب العجم ، ولكل منها جنود خاصة تراط فيه حين الحاجة

## فتح الجزيرة

يراد بالجزيرة هنا ما بين دجلة والفرات من جهة الشام ويسمى جزيرة أفعور وهي تشمل على ديار مصر وديار بكر ومن أمهات مدنها حران والرها والرافقة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور وماردين وآمد وميافارقين والموصل وغير ذلك

وكان الذي أثار فتحها أن عرب الجزيرة قد أمدوا الروم بمجموع كثيرة يعاونونهم على المسلمين الذين كانوا يقاتلون الروم بشاحبة حصن - فأراد عمر أن يخالفهم إلى ديارهم وبلادهم ليشغلهم في أنفسهم وأهلهم عن نصرة الروم وقد نقل ابن جرير الطبري خبر فتح الجزيرة فقال أول ما أذن عمر لعبيد

الكوفة بالانساح أن ازوم خرجوا وقد تكاثروا هم وأهل الجزيرة يريدون  
أبا عبيدة والمسلمين بمحصر فضم أبو عبيدة اليه ماله وعسكره وافتاء مدينة حص  
أقبل خالد من رقتسرين والضم اليهم فيمن انضم من أمراء المالح فاستشارهم  
أبو عبيدة في المناجزة أو التحصن إلى محي. الفيات. فكان خالد يأمره أن  
يتأجرهم وكان سائرهم يأمره بأن يتحصن ويكتب إلى عمر طائعهم وعصى خالد  
كتب إلى عمر بخروجهم عليه وشقايم أجناد أهل الشام عنه وقد كان عمر اتخذ  
على كل مصر على قدره خيولا من فضول أموال المسلمين عدة لكونه إن كان  
سكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فرس. فلما وقع الخبر أمر كتب إلى سعد  
بن مالك أن اتدب الناس مع القمع بن عمرو ومصرحهم من يومك الذي بأنيك  
به كنياني إلى حصن أبي عبيدة قد أحيط به. وتقدم اليهم بنطد والحث  
كتب إليه أيضا أن مسرح سهيل بن عدي إلى الجزيرة في الجند وليأت الرقة فان  
على الجزيرة هم الذين استشاروا الروم على أهل حصن وإن أهل قرقيسيا لهم سلف  
مسرح عبد الله بن عتيان إلى نصيبين فإن أهل قرقيسيا لهم سلف ثم لينفضا  
عمران والوها. ومسرح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ  
مسرح عياض فان كان قتل قد جعلت. رهم جميعا إلى عياض بن غنم. وكان عياض  
بن أهل العراق الذين خرجوا مع خالد بن الوليد منجدين لأهل الشام ومن  
عصر أيام لتصرف أهل العراق معدين لأهل القادسية وكان يرافد أبا عبيدة  
نضى القمعاق في أربعة آلاف من يومهم الذي أناهم فيه الكتاب نحو حص  
ورخرج عياض بن غنم وأمراء الجزيرة فأخذوا طريق الجزيرة على الفراض وغير  
الفراض وتوجه كل أمير إلى الكورة التي أمر عليها فأتى سهيل الرقة وخرج عمر  
من المدينة مغنيا لابي عبيدة يريد حصن حتى نزل الجابية. ولما بلغ أهل

الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حصص واستاروهم وهم معهم مقيمون عن حديث من الجزيرة منهم بأن الجلود قد ضربت من الكوفة ولم يدروا : الجزيرة يريدون أم حصص ؟ أجفوا ففرقوا إلى بلدانهم وأخوانهم وخلقوا الروم . ورأى أبو عبيدة أم آلا انفضوا غير الاول فاستشار خالدا في الخروج فامر به بالخروج ففتح الله عليهم . اهـ

وعلى هذا الوجه فتحت الجزيرة على الصلح وما جرى مجراه ولم تكن بلد أمير منها أمراً ولا أسهل منها فتحاً

كان رسول الله ﷺ قد عاهد وقد انقلب على أن لا يُنصروا ولبدأ فكان ذلك الشرط على الوفد وعلى من أوفدهم ولم يلتزمه غيرهم . فلما جاء عمر ووجه اليهم الوليد بن عتبة وأبى أن يقبل منهم الا لاسلام حاجوه بأنهم لاسبيل عليهم لانهم لم يعطوا عهداً بذلك ولا شأن له عليهم . فكتب الوليد إلى عمر في شأنهم فكتب اليه عمر : انما ذلك في جزيرة العرب لا يقبل منهم فيها الا الاسلام فبعثهم على أن لا يُنصروا ولبدأ وأقبل منهم اذا أسلموا . فقبل منهم على أن لا ينصروا ولبدأ ولا يمنعوا أحداً منهم من الاسلام . فاعطى بعضهم ذلك فاحضوا به . وأبى بعضهم الا الجزاء فرفض منهم . رضي من العباد وانوخ . على أن رضي القوم بالجزاء انما كان باسم صدقة أئمة منهم . ن يساموا جزيرة . وذلك أن الوليد أرسل رؤسائهم وديانهم إلى عمر فقال لهم عمر : ادبروا الجزيرة . فقالوا له ابلغنا ما أمنا والله ان وضعت علينا الجزاء لندخلن أرض الروم والله لتضعنا من بين العرب . فقال أنت فضحت نفسك وخالفك أمتك فيمن خالف وانقض من عرب الضاحية وثالث لنؤذن وأنتم صخرة قناة . ولئن هربتم إلى الروم لا كتين فيكم ولا سبينكم . فقالوا أخذ منا شيئاً لا نسميه جزاء . فقال انما نحن فليس فيه جزاء وسموه أنت ما شئتم . فقال علي بن أبي طالب : يا أمير المؤمنين ألم يضعف عليهم ساعد بن

مالك الصدقة . قل بلى واصفى اليه ورضي منهم بالجزاء على أن يسرى صدقة .  
 وكان في بني تغلب عز وامتناع وكانوا ينادعون الوليد فهم بهم وقال :  
 اذا عصبت الرأس متى يمشوذي ففيتك في تغلب ابنة وائل  
 تخاف عمر ان يخرجوه فيخرجوه الى أن سطوا عليهم فمزله وولى عليهم سواء

(١١)

## فتح الاهواز

الاهواز تلتحق حدود البصرة وكان بها الهرمزان وكان من أحد بيوتات  
 فارس وامته بذلك التابعة فمكأن بغير على البلاد التي دانت لحكم المسلمين فلما  
 علم بذلك عتبة بن غزوان وهو بالبصرة استمد سعد بن أبي وقاص قائده بنعم بن  
 قرن ونعيم بن مسعود في عسكر وأمرهما أن يأتيا ميسان ودستميسان حتى  
 يكونا بينهما وبين نهر تيرى وأرسل عتبة بن غزوان سلمي بن القين وجرملة بن  
 ربيعة في جند وأمرهما أن يكونا بين ميسان ودستميسان وبين مناذر . وقد دعوا  
 في العم بن مالك وكانوا من حاضري تلك الجهة فأجاب رؤسائهم إلى أن يكونوا  
 عوناً للمسلمين وانفقوا على أحداث ثورة مناذر ونهر تيرى والهرمزان يومئذ بين  
 نهر تيرى وبين دلت . فلما التقت جيوش المسلمين بجيوش الهرمزان واشتد القتال  
 بين الفريقين كان بنو العم قد أخذوا مناذر ونهر تيرى هفت ذلك في عضده وهزم  
 جنده فقتل المسلمون منهم ماشعوا وأمروا منهم عدة ثم عبر الهرمزان بن بقي معه  
 دُجَيْمَلاً أمام سوق الاهواز وصار دُجَيْمَلاً بين المسلمين ومن معهم من بني العم  
 . بيته ثم طلب الهرمزان الصلح فمقد منه الصلح على الاهواز كلها ورمزجان فندق

(١١) الاهواز مجموع كور عدا ياقوت عشر وهي سوق الاهواز والهرمز والنج وعسكر تكوم ونج  
 حندي - أبور وسوس وسرق ونهر تيرى ومناذر . وهي مقابلة البصرة

ماعد ما فتحه المسلمون عنوة . واتخذ المسلمون مفاذر ونهر تيرى مسلحين بالبصرة  
فيهما الجنود مرابطون

أقام بنوالم مسلحة للمسلمين بذلك الناحية . ثم شجر اختلاف بين بعض  
رؤساء بني الم غالب وكليب وبين الهرمزان على حدود الارضين ورؤساء بني الم  
يومئذ سلمى وحرملة وغالب وكليب الوائليان . فقدم سلمى وحرملة ليتظرا اختلاف  
فوجد الهرمزان ظالماً لغاليل وكليب فحالاً بينه وبينهما . فنقض الهرمزان صلحه  
ومنع ما قبله واستعان بالاكراذ فكثف جنده وانتهى الامر الى عتبة بن عروان  
فكتب بذلك الى عمر فأمره أن يعدم بجند من عنده عليهم حرقوص بن زهير  
فالتقى بنوالم وهم على ساداتهم مع جند المسلمين بجنود الهرمزان على جسر سوق  
الاهواز فانهمز الهرمزان وجنده وفر الى رامهرمز وانفتح حرقوص سوق الاهواز  
ونزل الجبل وانسقت له بلاد سوق الاهواز الى أسير ووضع الجزية على أهل البلاد  
التي انتصها وجد في عمارتها ثم أرسل الهرمزان في الصلح فأجابوه الى الصلح على  
ما لم يفتح عنوة وهو رامهرمز وأسير والسوس وجندي ساوير والبنيان ومهرجان ففنى  
كان عمر يخاف أن يكون قض أهل الذمة ما يأيدهم من اليهود عن غير من  
المسلمين أو ظلم منهم لأهل الذمة فكتب الى عتبة أن يوفد عليه عشرة رجال من  
صلحاء جند البصرة . فأوفدهم وفيهم الاحنف بن قيس . فسأله عمر عن حال  
الجند وعن انتفاض من ينتفض بذلك الناحية أعين ظلم هو ؟ فقال لا بل لغير ظلم  
والناس على ما تحب فصدق عمر فيما قل . وقل عمر وقد رأى في نياي الاحنف فضولا  
خصوا وضعوا الفضول مواضعها تريحوا أنفسهم وأموالكم ولا تسرفوا فتخسروا  
أنفسكم وأموالكم . وكتب عمر الى عتبة : أعزب الناس عن الظلم واتقوا الله  
واحذروا ان يدال عليكم لقد يكون منكم أوبى فانكم إنما أدركتم بأقمة ما أدركتم  
على عهد عاهدكم عليه وقد تقدم لكم فيما أخذ عليكم فادفوا بهد الله وقوموا على

أمره يكن ليحكم عوفاً وناصراً

## غزو فارس من البحرين

كان المسلمون في ناحية البصرة والكوفة يراء الفرس وقد استقامت الاحوال في الغالب والفرس في تلك الناحية يؤدون الخراج للمسلمين لا يدخل عليهم وطم الذمة والمثمة . وكان عميد الصلح في تلك الناحية من البصرة الهرمزان . وكان عمر يريد الاكتفاء بما في أيدي المسلمين ويقول : وددت لو أن بيننا وبين فارس جيلاً من فار لا يصلون إلينا ولا نصل إليهم

كان العلاء بن الحضرمي عاملاً لعمر على البحرين وكان له ذكر وشهرة في أيام حرب أهل الردة لبست اسمعدين أبي وقاص . فلما فتح سعد العراق والفرس وظفر بالقادسية وأزاح الأكامرة وورث المسلمين أرضهم وديارهم . عني ذلك على ما كان للعلاء من شهرة وبلاء وكان العلاء يباريه . فسر العلاء أن يبلى بلاء يكون في وزان . صنفه سعد ثلثاً يذهب عليه بالشهرة والصيت

ندب العلاء أهل البحرين إلى فارس فاسرعوا في إجابته ونزلوا عند مايسره ورفقهم اجناداً على أحدها الجارود بن المملى وعلى الآخر السوار بن همام ، وعلى الثالث خايد بن المنذر بن ساوي وجعله قائداً عاماً وحملهم على السفن وأجازهم في البحر إلى فارس دون أن يكون قد أذن له عمر في ذلك ولم يستأذنه في شيء من هذا الامر وكان عمر يكره أن يفرق بالمسلمين أو يجهزهم إلى عدوهم في ماء قبل أن يشغفوا في ناحيته ويكسروا شوكته

عبثت تلك الجنود فخرجوا وبازاتهم أهل فارس وعليهم الهريد فاجتمعوا على الجند وحالوا بينهم وبين سقتهم . فقام خليلد في الناس فخطبهم وحضهم وقال :



أما بعد فإن الله إذا قضى أمرًا اجرت به المتنادير حتى تصيبه ، وإن هؤلاء القوم لم يزيدوا على أن دعوكم إلى حربهم وانما جئتم لمحاربتهم والسفن والارض لمن غلب فاستمعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين - فلما صلوا الظهر شبوا القتال بينهم وبين الفرس فقتل من فواد المسلمين السوار والجارود - وجعل خيلهم يذمر القوم ويحرضهم واشتد القتال فقتل الفرس مقتلة لم يقتلوا مثلها قبلها ولم يجد المسلمون مبيلا إلى الرجوع في البحر لأن الفرس أغرقوا سفنهم فخرجوا يريدون البصرة فوجدوا بشرك قد أخذ عليهم الطرق فمكروا وامتنعوا

وصل الظهر إلى عمر فتذكر ما قدم على حدث وخشى أن يصيب هذا العسكر ما أصاب عسكر أبي عبيد فاشتد غضبه على العلاء فمزملة وكتب يتوعده وأمره بأمر يشق عليه حمله وهو أن يلحق فيمن معه بجند سعد بن أبي وقاص - وكتب إلى عتبة ابن غزوان : إن العلاء بن الحضرمي عمل جنداً من المسلمين فأقطعهم أهل فارس ومصافي وأظنه لم يرد وجه الله بذلك نفثت عليهم أن لا ينصروا وأن يغلبوا وينشؤا فانتدب الناس واضممهم اليك قبل أن يحتاجوا

انتدب له أنجادا من الناس كعاصم بن عمرو وعرقعة بن هرم والاحد ابن قيس وسوام من أنجاد أهل الاسلاء في اثني عشر ألفاً على البغال يجنبون الخيل وعليتهم أبو سبرة بن رهم والمسلح على حالها - لاهواز فسار لايلقاه معارض إلى أن التقى بجيش خليلد وقد كان أهل امسطخر وحدهم وشذاذ من غيرهم هم الذين أخذوا الطرق على جيش خليلد - فلما أقام المسلمون معكائهم طارت الاخبار إلى أهل فارس فطاروا اليهم من كل فجير وناحية وتوافقت إلى الفرس امدادهم وتوافقت إلى المسلمين امدادهم كذلك فاقفوا قتالا شديدا حالف المسلمين فيه الظفر والوا من الفرس ما شاءوا قتلا وامرا - وكانت هذه الغزوة سبباً قبيحاً طار بين الناس من شرف نابتة البصرة وكانوا أفضل نوابت الامصار وأفضل المصريين نابتة ثم انكفأوا بما أصابوا

وعاد المنقذون من أهل هجر والبحرين الى قبائلهم من البصرة  
 هنا نلفت نظركم الى خطأين . فأما أولهما : فن الملاء بن الحضرمي لانه أجاز  
 جنده البحر الى قوم لهم قوة وشوكة وليسوا بدون حنده عدداً وعدة دون أن يكون  
 له بتلك العدو وزر أو فئة . ولم يكن عند السفن من يمنة من الاعداء أن يعثروها  
 بسوء . فلو أن المزيمة كانت على جنده لاستوصلوا وكانت نكبة دونها نكبة جسر  
 أبي عبيد

الخطأ الثاني : ما حصل من أهل فارس باخراج جنده في قوة ومنعة وقد نال  
 منهم . ولو أن القوم وجدوا سفنهم لاجازوا فيها وخلعوا القوم ديارهم . ولكن القوم  
 هم في قوة عمدوا الى المكاشرة وامتنعوا حتى جاءهم المدد وتقدم ولم يجدهم  
 صمدود من اغراق الدهن ولا أخذ الفارق عليهم ، بل كانت خسار أهل فارس  
 مضاعفة

ولما أحرز عتبة الاهوار وذل انفيس في ناحيته استأذن عمر في الحج فأذن له .  
 ولما قضى نسكه استعفاد فأبى أن يعفيه وعزم عليه ليرجمن الى عمله فانصرف مات  
 ببطان تحلة فدفن به . وبلغ عمر خبره فمر به زائراً وقال : أنا قتلتك ، لولا انه أجل  
 منكم وكتاب مرقوم . وأئني عليه بفضل وولى عمر بدله المفيرة بن شعبة مفتوح  
 سنة ١٨ هـ

## فتح رامهرمز والسوس وتسز

كان يزجد بمرزوي يد ما بقي من بلاد فارس وهو رقعة فسيحة كان في  
 يدسوره أن يدبر أمرها لو فتح والقوم وادعون راضون به ، وعمر بن الخطاب رضي  
 الله تعالى عنه مقصر المسلمين من عناهم لا يرضى لهم بالانسياح فيها وراهم من

فارس . غير أن الله تعالى إذا أراد أمراً يسهره . فان يزدجرد لم يسه الفصة التي رعى بها . فلم يقر له قرار عن استرجاع بلاده فأخذ يحبس أهل فارس ويستشير جميعهم ونحوهم ويهزم لاستنفاد بلادهم ومسح المار اللاحق بهم . فتحركوا لذلك . وكانت بعضهم بعضاً ودخل أهل الأهواز في أمر فارس وتماقدوا وتماهدوا وتواتقوا على النصر . وجاءت الأخبار إلى عمر وإلى المسلمين بالبصرة . فكتب إلى سعد أن ابث إلى الأهواز متاً كثيفاً مع النعمان بن مقرن ومجمل وابث سويد بن مقرن وعبد الله بن ذى السهمين وجريز بن عبد الله البجلي فليزلوا بأزاء الهرمزان حتى يفرغوا من أمره . وكتب إلى أبي موسى أن ابث إلى الأهواز جنداً كثيفاً وأمر عليهم سهل بن عدي وابث معه البراء بن مالك وعاصم بن عمرو ومجزة بن ثور وكعب بن سور وعرجة بن هرثة وحذيفة بن محصن وعبد الرحمن بن سهل والحسين بن معبد . وعلى أهل السكوة وأهل البصرة جميعاً أبو سبرة بن أبي وهم وكل من أناه محمداً له . تخف النعمان في أهل السكوة على النفال يجنبون الخيل حتى انتهى إلى تيري فجاوزها ثم جاوز منازل وسوق الأهواز قاصداً رامهرمز . فلما سمع الهرمزان بقصده طمع في نصر أهل فارس وأراد أن يقطع النعمان ومن معه وبأدبه القتل بأربك وقد وجدت أوائل الفرس تسير فافتلوا قتالاً شديداً فانهزم الهرمزان وأخلى رامهرمز ولحق بتسيرة وأخذ النعمان رامهرمز . ولما وصل أهل البصرة إلى سوق الأهواز جاءهم خبر الواقعة وإن الهرمزان لحق بتسيرة قالوا انحوها وراغ النعمان إليها من رامهرمز وفقدتها المسالغ التي تركوها خلفهم وكان عليها حرقوس وجزء ولحق بهم سلمي وحرملة من بني العم ونزل جميعهم على تسيرة وبها الهرمزان وجنوده من أهل فارس . ثم جاء أبو موسى الأشعري مدداً للمسلمين فحاصروا الفرس أشهراً وقتل كل من البراء بن مالك ومجزة بن ثور وكعب بن ثور وأبو نميلة ونفر سوام في براز الفرس مائة مقاتل سوى من قتل منهم في غير براز

وقد زاحف المسلمون الفرس في حرب نسترمانين زحفا يكون ذلك لهم مرة  
 عليهم أخرى . فلما كان آخر زحف قال المسلمون يا برآء أقسم على ربك ليهزمهم  
 لنا فقال اللهم أهزمهم واستشهدني فهزموهم واقتحموا عليهم خنادقهم ففرغ الفرس  
 الى المدينة وأحاط المسلمون بها وقد ضاقت بهم المدينة  
 وبينما المسلمون على ذلك اذ خرج الى النعمان رجل من المدينة فاستأمنه على  
 أن يدهله على مدخل المدينة

وقال أبو حنيفة الدينوري في الاخبار الطوال ان الرجل أعيا كأم أباموسى  
 الاشعري وكان اسم الرجل سمينة وكان من أشراف المدينة فقال تؤمنني على نفسي  
 وأهلي وولدي ومالي وضياعي حتى أعمل في أخذك المدينة عنوة فجعل له ذلك  
 فقال امش معي رجلا من أصحابك فدب أبو موسى الناس لذلك الوجه . فقال  
 الاشرس بن عوف الشيباني أنا قضى معه حتى خاض به دجيلا ثم أخرجه في سرب  
 حتى انتهى إلى داره ثم أخرجه من داره وقد ألقى عليه طيلسانا وقال امش  
 ورأيي كائنك من خدي ففعل ومرو به في أقطار المدينة طولا وعرضا حتى انتهى به الى  
 أحراس أبواب المدينة ثم انطلق حتى مر به على الهرمزان وهو على باب قصره ومعه  
 ناس من مرابزته وسمع امامه حتى نظر الرجل الى جميع ذلك ثم انصرف الى داره  
 وأخرجته من السرب وعاد الى أبي موسى فأخبره الاشرس بجميع ما رأى وقال  
 وجه معي مائتي رجل حتى أقتل الحرم وأفتح الباب فانتدب مائتي رجل مع  
 الاشرس وسيمينه حتى دخلوا من ذلك النقب وخرجوا في دار سمينة وتأهبوا  
 للحرب ثم خرجوا والاشرس امامهم حتى اتوا الى باب المدينة وأقبل أبو موسى  
 في جميع الناس حتى وافوا الباب من خارج فواقى الاشرس بمن معه وقتلوا حرس  
 الباب وضربوا القفل حتى كسروه ودخل المسلمون ووضعوا السيف فيهم وهرب  
 الهرمزان في عظماء مرابزته حتى دخلوا الحصن الذي في جوف المدينة واستنصروا

به - ولما أخرج الهرمزان طلب أن يسلم على حكم عمر يصنع به ما شاء فرفضوا منه بذلك ثم ذهبت طلائع المسلمين في اتباع الفلالة وأخذ ما أحاط بتستر من البلدان أما الرجل الذي دل المسلمين على عورة بلاده فلا أدري سبب فعلته وليس من شأن القرم هذا فهل كان له نأر قبل الهرمزان ؟ لم أقف على ذلك وأرسل أبو سبرة الهرمزان الى عمر فلما قدموا به الى المدينة وكان في الوفد أنس بن مالك والاحنف بن قيس ، ألبسوه كوته من الديباج الذي فيه الذهب ووضعوا على رأسه تاجا يسمى الازين وألبسوه حليته كما يراه عمر فلما دخلوا المدينة قصدوا بيت عمر فلم يجدوه فقبل لهم أنه في المسجد مع وفد جاءوا اليه فقصدوا المسجد فلم يجدوه فذهبوا يسألون عنه فقال لهم ولدان المدينة ما سألدكم تريدون أمير المؤمنين انه نائم في ميمنة المسجد متوسد برأسه فذهبوا اليه فوجدوه ■ وصفوا ودرته معلقة في ذراعه فجلسوا دونه وليس في المسجد نائم ولا يقظان غيره - فقال الهرمزان ابن عمر ؟ فأشاروا اليه فقال وأين حرمه وحجابه عنه . فقالوا ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب ولا ديوان فقال ينبغي ان يكون نبيا - قالوا لا . بل يعمل عمل الانبياء . وكثر الناس واستيقظ عمر على الجلبة فاستوى جالسا ثم قال الهرمزان ؟ قالوا نعم . فتأمله وتأمل ما عليه ثم قال أعوذ بالله من النار وأستعين الله . وقال الحمد لله الذي أذل بالاسلام هذا وأشباهه . يامعشر المسلمين - سلكوا بهذا الدين واهتدوا بهدى نبيكم ولا تبطلنكم الدنيا فانها غرارة - وقال الوفد هذا لك الاهواز فسلمه . فقال لا خي لا يبقى عليه من حليته شيء . فرى بكل شيء عليه إلا شيئا يستره وألبس ثوبا صفيقا . فقال عمره به يا هرمزان . كيف رأيت وبال القدر وعاقبة أمر الله ؟ فقال يا عمر إنا كنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فقلنا كم إذا لم يكن معنا ولا معكم . فلما كان معكم غلبتمونا - فقال عمر انما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا ثم قال عمر ما حجتك

في انتفاضك مرة بعد مرة فقال أخاف ان تقتلني قبل ان أخبرك. قال لا تخف ذلك  
واسسقي ماء. فأنى به في اثناء غليظ. فقال لو مت عطشا ما شربت في هذا. فأنى  
به في اثناء برضاه فجعلت يده ترتجف وقال أخاف ان أقتل وأنا أشرب الماء. فقال  
عمر لا بأس عليك حتى تشربه فأ كفأه. فقال عمر لا نجوعوا عليه بين القتل  
والعطش. فقال لا حاجة لى في الماء. فقال له عمر انى قاتلك. فقال آستفى. فقال  
عمر كذبت. فقال أنس بن مالك صدق يا أمير المؤمنين. فقال عمر ويحك منى  
يا أنس أنا أو من قاتل البراء وبجزة بن ثور. والله تأتيني بمخرج أو لا عافيتك.  
قال قلت لا بأس عليك حتى تخبرني. وقات لا بأس عليك حتى تشرب. وقال له  
من حو له مثل ذلك فأقبل عمر على الهرمزان وقال خدعتنى والله لا أنخدع إلا لمسلم  
فأسلم الهرمزان ومرض اه عمر في العطاء على الفين وأنزله المدينة

والذي اعتقده ان عمر لما أنزله المدينة ليكن في المسلمين عواقب غدر الرجل  
ومكره فانه كان واسع الحيلة خداعا كما يقدر من عمله هذا وما كان منه مع المسلمين  
في الاهواز. والرجل لم يترك دسائسه وهو بالمدينة حتى كان من أموره ما كان حين  
قتل أبو اؤلوة الجومسي عمر. ولو انه اقام بعد عمر لتحيل حتى يرجع الى بلاده ثم  
يكون له مع المسلمين شأن آخر فاسلامه كما اعتقد انما كان تقية ودسيسة على  
الاسلام والمسلمين وقد بلغ من قوة مكيدة الرجل ان كان يتحجب الى عمر وبوجهه  
انه يخلص النصيح له حتى يكسب ثقته

خلص عمر الى الوفد يسأل عن المسلمين وما يعاملون الناس به وخشي أن  
يكونوا قد اعتروا أحدا من أهل الذمة بسوء وان يكون الانتفاض له سبب من ذلك  
فقال للوفد اهل المسلمين يفضون الى أهل الذمة بأذى وبأمور لها ما ينتفضون بكم  
فقالوا ما نعلم الا وفاء وحسن ملكة. قال فكيف هذا؟ فقال له الاحنف يا أمير  
المؤمنين اخبرك انك نهيتنا عن الانسياح في البلاد وأمرتنا بالاعتصام على ما في أيدينا  
وان ملك الفرس حي بين أظهرهم وانهم لا يزالون يساجلوننا ما دام ملكهم فيهم ولم

يجتمع ملكان فاتفقا حتى يخرج أحدهما صاحبه . وقد رأيت أنما لم تأخذ شيئا بعد شي . الا بأنبيائهم وان ملكهم هو الذي يبعثهم ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا فلننسخ في بلادهم حتى نزيله عن فارس ونخرجه من مملكته وعز أمته . فهناك ينقطع رجاء أهل فارس . فقال عمر صدقتني والله وشرحت لي الامر عن حقه . ثم قدمت الكتب على عمر باجتماع أهل نهاوند على قتال المسلمين . فكان ذلك سببا لأذن عمر للمسلمين بالانسياب في بلاد فارس

## فتح نهاوند

كان الفرس قد اجتمعوا بنهاوند من بلاد الجبل جنوبي همدان واستشار عمر الهرمزان . فقال ان فارس اليوم رأس وجناحان فاقطع الجناحين بين الرأس وذكر له أن الرأس بنهاوند وهو يتدار فان معه اساورة كسرى وأهل اصبهان . فقال عمر كذبت يا عدو الله بل أعمد الى الرأس أقطعه فاذا قطعه الله لم يعص عليه الجناحان وكتب الى أبي موسى ان سر بأهل البصرة . والى حذيفة بن اليمان ان سر بأهل الكوفة فاذا التفتيم فأميركم النعمان بن مقرن المزني . وكتب الى النعمان « بسم الله الرحمن الرحيم من عند الله عمر أمير المؤمنين الى النعمان بن مقرن سلام عليك فاني أحمد الله اليك الذي لا إله إلا هو . أما بعد . فانه بلغني ان جموعا من الاعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند فاذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله وسون الله وينصر الله بمن ملك من المسلمين ولا توطنهم وعرا تؤذيهم ولا تمنعهم حقهم فكفرهم ولا تدخلهم غيضة فان رجلا من المسلمين أحب الى من مائة الف دينار والسلام عليك » فسار النعمان في جند المسلمين وفيهم أعيان الصحابة ووجوه العرب وانجادهم . فلما انتهى الى نهاوند يث الصيون ليتعرفوا له حال ناحيتها فاجبروه بأن القوم قد ألغوا حولهم الحسك وهم ممنعون

حط المسلمون في تلك الناحية وانشبوا قتال مع الفرس أياماً ثم انجحروا في  
 خنادقهم لا يخرجون الا اذا شاءوا . وخاف المسلمون أن يطول بهم المقام عليهم  
 فكلّموا النعمان في الامر فجمع أهل الرأي والجدّة في الجند وأجال معهم الرأي  
 فيما ينبغي أن يصنعوا والقوم معتمدون أشد اعتصام بالمحصون والخنادق والمدائن  
 والمسلمون لا يدرون على المناضلة وانبعث منهم وانه انما يريد أن يحبسهم ويستخرجهم  
 الى المناذرة وترك التطويل . فقال عمرو بن ثعلبة وكان أكبر الناس سناً وكانوا  
 يبدؤون بدوي الاسنان . فقال : التحصن عليهم أشد من المطاولة عليكم فدمهم  
 ولا تخرجهم وطاولهم وقاتل من أذك منهم فردوا عليه جميعاً رأيه . وقال عمرو بن  
 معد يكرب : ناهدكم زكائهم ولا نخذّهم . فردوا عليه رأيه وقالوا انما تناطع بنا  
 الجدران والجدران لهم أعوان علينا . وقال طليحة الاسدي : قد فلا ولم يصدا  
 ما أرادوا . واما أنا فأرى أن نبعث خيلاً مؤدية فيمحقوا بهم ثم يرموهم لينشبوا  
 القتال ويحسوم فإذا استحمسوا واختالوا بهم وأرادوا الخروج أروا البنا  
 استطراداً فانا لم نستطرد لهم في طول ما قتلناهم وانا اذا قتلنا ذلك ورأوا ذلك منا  
 طمءوا فبنا ولم يشكوا في هزيمتنا فخرجوا فجادونا وجادتناهم حتى يقضي الله فبنا  
 وفيهم ما أحب فرضى منه هذا القول . وأمر القعقاع . ففعل وانشب القتال فأنفضهم  
 ثم نكص ونكص وظلها الاعاجم هزيمة فاعتصموا وخرجوا حتى لم يبق منهم سوى  
 من يحرس الابواب ونفق القعقاع الى المسلمين حتى اقتطع الفرس عن حصنهم  
 وقد أمر النعمان الناس بأن يلزموا الارض ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم وقد رماهم  
 الفرس وفشت فيهم الجراحات وجعلوا يستأذنون في الهجوم وهو يلبنهم ثم أمر  
 بالهجوم وصار يمشي في الرايات ويقول : قد علمت ما أعزكم الله به من هذا الدين  
 وما وعدكم من الظهور ، وقد انجز لكم هواذي ما وعدكم وصدوره ، ولم يبق  
 الا أعجازه وأكادعه والله منجز وعده ومنيع آخر ذلك أوله واذكروا اذ كنتم أذلة



وما استقبلتم من هذا الامر وأنتم اعزة . فأنتم اليوم عباد الله حقاً وأولياؤه . وقد علمتم انقطاعكم من اخوانكم من أهل الكوفة والذي لم في ظفركم وعزكم والذي عليهم في هزيمتكم وذلكم . الى آخر ما تكلمهم وأطال به

بعضهم فانبعثوا الى الاعداء فاقتتل الناس بالسيف اقتتالا شديدا لم يسمع الناس بوقعة يوم قط كانت أشد هولاً منها . وقتل من الفرس فيما بين الزوال والعمه ما طوى أرض الميدان وما يزاق الناس ، الدواب . وأصيب النعمان فأخذه أخوه سواد وسجاء بشوبه . وتناول الزبابة حديفة بن النعمان ولا يعلم الناس بمصائب النعمان وكنتم ذلك من علمه اثلاً بين الناس حتى اذا قل ليل انكشف الفرس ولزم المسلمون مجالدهم فمعي السبيل على الفرس وهو في حاوية كانت هناك بعيدة الغور ولم ينبج من جموع الفرس سوى الشريد . وكان فيهم العيرزان فرب من بين الصرعى وقبعه القمفان وهو يتعقب الفلال حتى أحده ووصل القمفان الى عذبان . وقد حال ذلك أهل البلاد القريبة من نهاوند فصاحوا ودخل المسلمون نهاوند واحتلوا ما فيها من الاموال وكان ضيقاً كثيراً واقبل الفريد صاحب بيت النار يطلب الامان لنفسه ولمن يريد على أن يؤدي اليهم ما وضع عنده للخير جان من ذخائر كسرى وهي جواهر كل اعداء لثواب الزمان فاجمع رأي المسلمين على رفعه الى صرمع الاخماس وخارج بذلك السائب بن الاقرع وأدى اليه ذلك . ولم يقبل عمر سقطين الدربل ردهما على حديفة ليقسم اثمهما بين المسلمين ولم يرض بشيء . خصوصاً به وهو كنوز كسرى وقد بكى عمر لاستشهاد النعمان بكاء شديداً حتى سمع له نحيب . وبعد انتهاء الموقعة أذن عمر للمسلمين بالانسحاب في بلاد الفرس لقطع مادة الشغب وايئاس الملك من عود ملكه اليه حتى لا يكون كالثوكة في جنب المسلمين . فبين رؤساء الجنود التي تذهب لافتتاح البلدان وأرسل اليهم بالالوية وهم :

(١) الاحنف بن قيس التيمي ووجهه الى خراسان

(٢) مجاشع بن مسعود السلمي ووجهه الى اردشير خزره وسابور

- (٣) عثمان بن أبي العاص الثقفي ووجهه الى اصطخر  
 (٤) سارية بن زئيم الكنتاني ووجهه الى قسا وداريجرود  
 (٥) سهيل بن عدي ووجهه الى كرمان  
 (٦) عاصم بن عمرو ووجهه الى سجستان  
 (٧) الحكم بن عمير الثقفي ووجهه الى مكران  
 وقد استعدت هذه الجنود الى وجهها مفتتح سنة ١٨ •

## فتح أصبهان

أصبهان إقليم من نواحي الجبل تجمع بها جمع للفرس فسار اليهم عبد الله بن عبد الله بن عتبة في جند من المسلمين وصار يقلب على البلاد حولها وبصالح من طلب الصلح منهم حتى انتهى الى أصبهان وكان بينه وبين ملكها الفاذوسيان زخوف وكان ذلك بقاعدة هذا الاقليم وهي (تجي) ثم خرج الفاذوسيان وقال لعبد الله : لا تقتل أصحابي ولا أقتل أصحابك ولكن ابرز لي فان قتلتك رجم أصحابك وان قتلني سالمتك أصحابي وان كان أصحابي لا يقع لهم أمانة . فبرز له عبد الله وقال اما أن تحمل علي واما أن أحمل عليك . فقال أحمل عليك . فوقف له عبد الله وراحته الفاذوسيان فاصاب قربوس سرجه فكسر وقطع السرج واللبب والحزام وأزال اللبد والسرج وعبد الله على الفرس فوقه قائماً واستوى على الفرس عرياً وقال له انبت ، فهاجره وقال ما أحب أن أقاتلك قد رأيتك رجلاً كاملاً ولكن أرجع معك الى عسكرك فأصالحك وأدفع المدينة اليك على أن من شاء أقام ودفع الجزية وأقام على ماله وعلى أن تجري من أخذتم أرضه عنوة معراهم ويقراجون . ومن أبي أن يدخل فيما دخلنا فيه ذهب حيث شاء ولكم أرضه فان لكم ذلك

ودخل أهل جبي في الدمة الا ثلاثين رجلا من أهل اصبهان خالفوا قومهم وتجمعوا  
فلحقوا بكرمان

قال الطبري وقدم أبو موسى الاشعري من ناحية الاهواز وقد صالح الفاذوسبان  
عبد الله ثم قال : ودخل أبو موسى وعبد الله جبي وقد جاء كتاب عمر الى عبد الله  
أن سر حتى تقدم على سهيل بن عدي على قتال من بكرمان

وكان كتاب صالح اصبهان « بسم الله الرحمن الرحيم » كتاب من عبد الله  
للفاذوسبان وأهل اصبهان وحواليها . انكم آمنون ما أدبتم الجزية وعليكم من الجزية  
بقدر طاقتكم في كل سنة تؤدونها الى النبي بلي بلادكم عن كل حاكم ، ودلالة المسلم  
واصلاح طريقه وقراه يوما وليلة وحملان الراجل الى مرحلة ولا تسلطوا على مسلم  
والمسلمين نصحتكم وأداء ما عليكم ولحكم الامان ما فصلتم فاذا خبرتم شيئا أو خبره  
مغير منكم ولم تسلموه فلا أمان لكم ومن سب مسلما بلغ منه فإن ضربه قتلناه  
وكتب وشهد عبد الله بن قيس ، وعبد الله بن ورقاء ، وعصمة بن عبد الله »

## فتح اذربيجانه

صُنع جليل ومملكة عظيمة الغالب عليها الجبال وحدها من برذعة مشرقا الى  
ارزنجان مغربا ويتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الجبل والديلم وقصبتها تبريز  
وكانت أقبل مدينة المراغة

وذلك أن نصير بن مقرن كان في همدان بعد أن فتحها فبلغه أن الفرس تجمعوا  
بواج روذ بين همدان وقزوین . فخرج اليهم وأنشب القتال معهم في ملحمة كبرى  
كانت تعدل وقعة نهاوند وهزمهم هزيمة منكرة

## فتح الري

الري قصبة بلاد الجبال بينها وبين نيسابور ١٦٠ فرسخا والى قزوین ٢٧ فرسخا وكانت مدينة عظيمة جداً ويقال في التسمية اليها رازي لما فرغ نعيم من أمر واج الروذ قصد الري فحضر المجتمعين في تلك الناحية ثم دانوا له بالصلح وكان الذي ولى الصلح عنهم رئيسهم الزينبي أبو الفراء خان وبعد أن تم صلحهم بعث أخاه سويد بن مقرن الى قوس وفسار اليها وأخذها سلماً ومن هناك كاتبه ملك جرجان (وهي مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان) بالصلح يكتب له كتاب صلح وتابعهم على ذلك أهل طبرستان

## فتح الباب

الباب مدينة عظيمة على بحر طبرستان (بصرة دین) وهي ثغر عظيم سار سراقه بن عمرو على رأس جيش الى الباب وعلى مقدمته عبد الرحمن ابن ربيعة فلما أحاط عبد الرحمن على الباب كاتبه ملكها شهر براز مستأمناً ليأتيه فأمته عبد الرحمن فجاء الملك اليه وبظهر ان هذا الملك كان حكيماً عاقلاً رأى الصبرة في غيره فلم يقبل أن يكون عبدة لسواه وقد رأى المسلمين قد غلبوا فارس على العراقيين والاهواز وغيرها وأنه وإن كان في بلد منيع وثيق الحصون وعنده من الحماة من يقدر على الامتناع مدة غير ان ذلك ينهك قوته ويضعفه عن يتأخون حدوده من الاعداء وليس له بعد سوى التسليم لحكم قاهرية وليس وراء ذلك سوى القتل وصبي القرية فأحب أن يقي على نفسه ومن معه من الرجال والقرية والنساء وأن يتركوا على حال عاقبة ليصكون ذلك أبى لهم عاقبة وأهون على مصالوة من وراءهم من الاعداء

قال الملك لعبد الرحمن : أتى بأزاء عدو كاذب وأمم مختلفة لا ينسبون إلى أحساب ، ولا ينبغي لذي الحسب والمثل أن يعين أمثال هؤلاء ولا يستعين بهم على ذوي الأحساب والأصول ، وذو الحسب قريبٌ ذي الحسب حيث كان ولست من القبيح في شيء . ولا من الأرمين وأنكم قد غلبتم على بلادني وأمتي وأنا اليوم منكم وصغوى معكم وبارك الله لنا ولكم وجزيتنا إليكم النصر لكم والقيام بما يحبون ، فلا تدلونا بالجزية فتوهنونا لعدوكم

كلام جميل وعبارة ناصعة تدل على عقل وبعد غور في السياسة . وما كان جواب عبد الرحمن إلا أن قال له : فوقي رجل قد اظلك . وجوزة . فسار إلى سراقه فلما جاءه بكلمة بمثل ما كلمه عبد الرحمن وقع ذلك من سراقه موقعا فقال له : قد قبلت ذلك فبمن كان معك على هذا مادام عليه ، ولا بد من الجزاء بمن يقيم ولا ينهض . فقبل ذلك وصار سنة فبمن كان يحارب العدو من المشركين وفبمن لم يكن عنده الجزاء إلا أن يستنفر فتوضع عنهم الجزاء تلك السنة . وكتب بذلك سراقه إلى عمر فاجازوه وحسنه . وكان في كتاب صلحهم الأمان على أنفسهم وأموالهم . وأن ينفروا الكل غارة وينفقوا لكل أمر نائب أولم ينسب وآه الوالى صلاحاً على أن توضع الجزاء عن أجاب إلى ذلك إلا الحشر والحشر عوض عن جزائهم . ومن استغنى عنه منهم وقعد فعليه مثل ما على أهل أذربيجان من الجزاء والدلالة والنزل يوما كاملا فان حشروا وضع ذلك عنهم وإن تركوا أخذوا به . وهذه سنة حسنة في عهد عمر بن الخطاب ، فليست الاستمانة بالخالفين ووضع جزية الحماية عنهم بدعة جديدة

ثم وجه سراقه بعد ذلك فصائل إلى الجبال المحيطة بآرمينية موقان وتغليس وجبال اللان فلم يمتنع أحد منهم في غزاه سوى بكير بن عبد الله الذي توجه إلى موقان من جبال القبيح وأعطاه الأمان على الجزاء عن كل حالم والدلالة والنزل

للمسلم يوماً وليلة - وكان غزو سرقة ومن معه على هذا الوجه لم يخطر لعمري ولا  
 لغيره ببال - لأن جيشا ليس بالضخم يخرج الى مثل هذا الوجه يغير زاد ولا  
 مؤونة ثم يلاقي هذه السهولة في الفتح والنجاح أمر يمتع به ، وبخاصة ان هذه  
 الناحية نقر عظيم حافل بالجند ، والفرس كانوا يتوقعون ان تكون نكابة جند  
 الاسلام في هذه الناحية ، فجاء الامر على مالا يشتهون - وقد مات سرقة بعد  
 ان استوثق اهل هذه الناحية واستسلموا الاسلام - وكان قد استخلف  
 عبد الرحمن بن ربيعة فاقروه عمر - وقد غزا عبد الرحمن فيها وراه الباب - فلما  
 قطعه لوجه ذلك قل له شهر براز ماتريد أن تصنع ؟ قال اريد بئذنجر - فقال انا  
 نرضي منهم أن يدعونا - قال ولكننا لانرضي منهم بذلك حتى تأتيهم في ديارهم  
 وتا الله ان معنا لاقواما لو يأذن لنا أميرنا في الامعان لبلغت بهم الردم - قال ومن  
 هم قل : اقوام صحبوا رسول الله ﷺ ودخلوا في هذا الامر بنيه كانوا  
 أصحاب حيا ، وتكرم فازداد حياؤهم وتكرمهم فلا يزال هذا الامر دائما لهم ولا  
 يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يقاتلهم وحتى يافتوا عن حالهم بمن غيرهم - ثم  
 اخذ عبد الرحمن طريقه حتى غزا بئذنجر غزاة لم تكن فيها امرأة ولم يبت فيها  
 سبي - وبلغ بخيله البيضاء على مائتي فرسخ من بئذنجر - فذلك أن أهل البلاد لما  
 رأوا هؤلاء القوم قد ظلموا عليهم حال الله بين الترك اهل تلك الناحية وبينه  
 وأوقع الرعب في قلوبهم فقالوا : لولا ان الملائكة تنمهم من الموت لم يجهروا  
 علينا - فتحصنوا منهم ورجع عبد الرحمن بالقسم والظفر



## فتح خراسانه

(بلاد واسعة في شرق الفارسية وقصبتها مرو . وبها نيسابور وهرات وبلخ وطالقان ونسا وابيورد ومرخس وغير ذلك من المدن التي دون نهر جيحون )

سبب هذه الغزوة ان كسرى يزديجرد لما وقعت هزيمة جلولا خرج يريد الري وقد حمل له حمل واحد يطبق ظهر بعيره فاذا سار نام فيه ولم يعرض بالقوم فلما انتهى الى الري وعليها أن جاذويه وثب عليه فأخذه . فقال له أنتفري بي ؟ قال لا ولكن قد تركت ملكك وصار في يد غيرك فاحييت ان أكتب على ما كان لي من شيء وما أردت غير ذلك . ووصل الأدم وأكتب الصكاك وسجل السجلات بكل ما أعجب ثم ختم عليها ورد الخاتم . وكره يزديجرد المقام معه فخرج الى كمان والنار معه . ثم عزم على خراسان فأتى مرو فترها وقد نقل النار فبقي لها بيتا وأخذ بشتاقا وبني أزجا فرسخين من مرو الى البستان والمان في نفسه وأمن أن يؤذي وكاتب الاعاجم فيما لم يفتحه المسلمون فدافعوا له حتى أثار أهل فارس والهرمز ان فنكتوا وثار أهل العجبال مع الفيرزان فكان ذلك سببا لتغيير عهده في الانسياح في بلاد الفرس فانساح أهل البصرة والكوفة حتى ألتحموا في الأرض وتوجه الاحنف بن قيس الى خراسان فأخذ على مهران فذق ثم الى اصفهان وأهل الكوفة محاصروا جي . فدخل خراسان من الطبستين فافتتح هرات عنوة واستغلف عليها صحار العبدي ثم سار نحو مرو والشاهجان وأرسل مطرف بن عبد الله بن الشخير وأيس دونها قتال وأرسل الخارث بن حسان الى مرخس . فلما دنا الاحنف من مرو والشاهجان خرج منها يزديجرد الى مرو الروذ حتى نزلها وحل الاحنف بمرو والشاهجان

كتب يزديجرد وهو بمرو الروذ الى خاقان ملك الترك يستمدد جنداً يقاتل بهم العرب فأمد . وكتب الى ملك الصفد كذلك وإلى ملك الصين يستعينه

أما الأحنف بن قيس فاستخلف على مرو والشاهجان حارثة بن النعمان الباهلي  
 بعد أن لحقت به امداد الكوفة على أربعة أمراء وهم : علفمة بن النصر النصري ،  
 وربي بن عامر التميمي ، وعبد الله بن أبي عقيل الثقفي ، وابن أم غزال الحمداني .  
 ثم خرج الأحنف سائراً نحو مرو الروذ فخرج منها يزيدجرد ومراً على وجهه إلى بلخ  
 فأقام الأحنف بمرو الروذ وقدم جنود أهل الكوفة إلى بلخ ثم اتبعهم الأحنف  
 فالتقت جنود أهل الكوفة بيزدجرد ومن معه فانهزم بيزدجرد وتوجه عن يمينه من  
 القصر إلى النهر فمهره ولحق الأحنف بأهل الكوفة وقد فتح الله عليهم وحصلت  
 بلخ في أيديهم وتتابع أهل خراسان من شد أو تخص على الصلح فيما بين نيسابور  
 إلى طخارستان وعاد الأحنف إلى مرو الروذ واستخلف على طخارستان وربي بن  
 عامر . ثم كتب الأحنف إلى عمر يفتح خراسان ، فكتب : لوددت أني لم أكن بعثت  
 إليها جنداً ، ولوددت أنه كان يبتا ويدها بحر من نار . وكتب عمر إلى الأحنف :  
 « أما بعد فلا تجاوزن النهر ، واقتصر على ما دونه ، وقد عرفت بأي شيء دخلتم  
 خراسان فداوموا على الذي دخلتم به خراسان باسم حكم النصر وإياكم أن تمسروا  
 فتغضبوا »

كان عبور زدجرد قبل أن يستتب لحاقه وعوزك ملك الصفد أنجاد زدجرد والملك  
 نرى حقاً عليها أنجاد الملك . فأقبلت جيوش الترك وحشر أهل فرغانة والصفد وعاد  
 بهم زدجرد إلى خراسان فلما عبر إلى بلخ خف أهل الكوفة الذين بها إلى مرو الروذ  
 وجاء إليها المغيشون والأحنف بها . وكان الأحنف حين بلغه عبور القوم يخرج  
 يتسمع ليلاً فرجلين يتغيان علفاً واحدهما يقول للآخر : لو أن الأمير جمل هذا  
 الجبل خلف ظهورنا وتركنا نقاتل العدو من وجه واحد رجوت أن يكون النصر لنا .  
 فأخذها الأحنف وعمل بها . وجاءت جموع الترك وسواهم فصاروا يقاتلون حتى إذا  
 جاء الليل انشمر إلى مكان بعيد . ولم يهدأ للأحنف روع حتى علم أن يكونون .



ثم خرج ليلة وحده حتى اذا كان مكان قريب منهم وقف فلما كان وجه الصبح خرج فارس منهم ومعه طبل فطبل به ثم أخذ مكافأً وقف فيه فجاء الاحنف فقتله . ثم خرج الثاني ففعل فعله ثم وقف فقتله الاحنف . ثم خرج الثالث ففعل فعلها فالحقه بهما وانصرف لا يشعر به أحد من المسلمين . فلما خرج الترك وجدوا فرسانهم قتل فقتلوا ورجعوا عودهم على بدنتهم يؤمون بلادهم وقالوا : لاخير لنا في قتال هؤلاء .

وفي تلك الاثناء ذهب يزجرجد فيمن معه من الفرس الى مرو الشاهجان والاحنف لا يعلم . فتحصن منه حارث بن النعمان ومن معه فحصرهم واستخرج كغزاً كانت له فاعجل عنها . وأراد أن يستقل فأراد أهل فارس صرفه عن قصده وقالوا له ان هذا رأي سوء منك انك انما تأتي قوماً في مملكتهم وتدع مملكتك وأرضك وقومك ولكن ارجع بنا الى هؤلاء القوم فنصالحهم فانهم أوفياء وأهل دين وهم يولون بلادنا . وان عدواً بلينا في بلادنا أحب اليينا ملكة من عدو بلينا في بلادنا ولا دين لهم ولا ندرى ما وفاقهم . فأبى عليهم وأبوا عليه وقتلوه وهزموه وكتبوا الاحنف بالخير فافترضهم المسلمون والفرس ينازعونه فاعجلوه عن الاثقال ومضى حتى قطع النهر الى فرغانة والترك على جبل فيها هناك زمان عمر . وأقبل أهل خراسان على الاحنف يصالحونه بدفعوا اليه الخزائن وتراجعوا الى بلادهم وأموالهم على أفضل ما كانوا في زمان الاكامرة كانوا في ملكهم الا أن المسلمين أوفى وأعدل عليهم فاقبلوا وعقبوا ولما عاد رسول يزجرجد الذي بعث الى ملك الصين أخبره انه أهدى اليه هدايا وانه سأله عن القوم الذين قلبوهم على بلادهم وقال له انك تذكر قلة منهم وكثرة منكم ولا يعلم أمثال هؤلاء القليل الذين نصف منكم فيما أجمع من كثيركم الا بخير عندهم وشر فيكم ، فقلت : سألني عما أحببت . فقال : أيقون بالعهد ؟ قلت : نعم . قال : وما يقولون لكم قبل أن يقاتلوك ؟ قلت يدعونا الى واحدة من ثلاث : إما دينهم فان أجبناهم أجرونا بحراهم ، أو الجزية والمنعة ، أو المناينة . قال : فكيف طاعتهم أمراءهم ؟ قلت : أطوع قوم لم رشدهم . قال : فما يحلون وما يحرمون ؟

فأخبرته فقال : أبحرمون ما يحلون أو يحلون ما يحرمون ؟ قلت : لا . قال : فإن هؤلاء لا يهلكون أبداً حتى يحلوا حرامهم ويحرموا حلالهم . ثم قال : أخبرني عن لباسهم فأخبرته . وعن مطاياهم فقلت اتخيل الدراب ووصفها فقلت : نعمت الحصون هذه . ووصفت له الأبل وبروكها وأنبعاثها بحملها فقال : هذه صفة دواب طوال الأعناق . وكتب مع الرسول إلى يزيد جرد أنه لم يمنعني أن أمت اليك بجيش أوله يمر و آخره بالصين . أجهالة بما يحق عليّ ولكن هؤلاء القوم الذين وصفهم لي رسولك لو يحاولون الجبال طودوها ولو خلا لهم سرابهم أزالوني ماداموا على ما وصف فسألهم وأرض منهم بالمساكنة ولا تمجهم ما لم يبرحوك

## فتوح أهل البصرة

كان مما فتحه أهل البصرة من البلاد الفارسية - نوح - فتحها سارية بن زعيم الدؤلي - ثم فتح قساو داريجود - وفتح عثمان بن أبي العاص اصطخر - وفتح سهل ابن عدي كرمان - وفتح عاصم بن عمرو سجستان - وفتح الحكم بن عمرو الثغلي مكران

قد نقل الأستاذ الخطري حديثاً طريفاً هو حديث فيس بن سلمة وكان عمر قد ولاء قيادة جيش لمقاتلة الأكراد ، فسار اليهم وهزمهم . ولما قصر على الجند الفل رأى شيئاً من حاية . فقال : ان هذا لا يبلغ فيكم شيئاً فتطيب قلوبكم أن تبعث به إلى أمير المؤمنين فإن له برداً ومؤونة ؟ قالوا نعم ، قد طابت أنفسنا . فجعل تلك الحلية في سبط ثم بعث برجل من قومه يرسل ذلك إلى عمر . قال الرسول : فأنت إلى المدينة فإذا عمر يفدي الناس منكناً على عصا كما يصنع الراعي وهو يدور على القصاع . فلما دفعت إليه قال : اجلس . فجلست في أدنى الناس فإذا طعام فيه خشونة - طعام الذي معي أطيب منه ، فلما فرغ الناس ، قال يا برقا : ارفع فصاعك

ثم أدبر ، فاقبعتنه ، فدخل داراً ثم دخل حجرة ، فاستأذنت ، وولدت ،  
فأذن لي فدخلت عليه فإذا هو جالس على مسح منكبي على وسادتين من ادم  
مخشوتين ليفاً فنبذ إلي باحداهما فجلست عليها . فإذا هو في صفة فيها بيت عليه  
سُتبر فقال : يا أم كلثوم غداً نا ، فأخرجت اليه خبزة بزيت في عرضها ملح لم  
يدق فقال : يا أم كلثوم ، ألا نخرجين البنا فتأكلين معنا من هذا ؟ قالت : اني  
أسمع عندك حس رجل ، قل نعم . ولا أراه من أهل البلد . قالت : لو أردت  
أن أخرج الى الرجال لسكوتني كما كان ابن جعفر امرأته ، وكما كان الزبير امرأته ،  
وكما كانت طلحة امرأته . قل : أو ما يكتفيك أن يقال أم كلثوم بنت علي بن  
أبي طالب وامرأة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . ثم قال : كل فلو كانت  
راضية لأطعمتك أطيب من هذا . قال : فأكلت قلبلاً وطعامي الذي  
معي أطيب منه وأكل . فما رأيت أحداً أحسن أكلأ منه . ما يتلبس طعامه  
بيده ولا فيه . ثم قال : اسقونا . فجاءوا بفس من سُلت . فقال اعطى الرجل  
قال : فشربت قليلاً ثم أخذه فشرب حتى فرغ القدر جهته ، فقلت حاجتي  
بأمرير المؤمنين ، أنا رسول سلمة بن قيس . قل : مرحباً بسلمة بن قيس ورسوله  
حدثني عن المهاجرين كيف هم ؟ قلت هم كما تحب من السلامة والظفر على هديهم .  
قال : كيف أسامهم . قلت : أرخص أسامهم ، قل : كيف اللحم فيهم فاتها شجرة  
العرب ولا تصلح العرب الا بشجرتها ، قلت : البقرة بكدا والشاة بكذا . ثم أدى  
اليه رسالته وأخبره خبر الحلبة التي اختص بها سلمة . فلما نظر الى قصوصها وثب  
ثم جمل يده في خاصرته . ثم قال : لا أشبع الله اذن بطن عمر . ثم قال : كفف  
ما جئت به ، أما والله لئن تفرق المسلمون في مشائهم قبل أن يقسم هذا فيهم لافعلن  
بك وبصاحبتك الفارقة . قال : فارتحلت حتى أتيت سلمة . فقلت : ما بارك الله لي  
فيما اختصصني به . أقسم هذا في الناس قبل أن يصيبي وإياك فافرة . فقسمه عليهم  
هنه الحكاية لا تخبرنا بمحدث لا نعلمه عن عمر في زهده وتقشفه في منزله

وأخفده أهل بذلك ولكنها بقيت عن زهد في الدنيا وقد عرضت عليه وخروجه منها وقد تلبست به وتشبثت بأهدابه وذلك ينبيء عن قوة ارادة لا تبلغ الا بعونة الله تعالى . فقد كانت الخلية حلاً بلائاً له جاءت عن طيب خاطر من أمهاتها رضية بها نفوسهم . ولكنه يرى القوم جند الاسلام وعزه فهو يريد توفير السعادة لهم وإبشارهم بالغنى ليزدادوا رغبة فيهم بسيله وهو لا يريد تغيير حاله التي هو فيها لئلا تشغله الدنيا عنهم وتصدف به عن الالتفات الى أحوالهم . وفوق ذلك فانه يريد قطع مادة الطموح الى غنائم المسلمين وقلمهم لئلا يكون أخذ مثل هذه اليوم بحق مدرجة لا امتداد بد غيره من بعده الى امتالها بفقر حق متولين في تناول ما يتناولون ما كان من عمر من أخذ بعض الغنائم ولا يبعد أن يتأولوا أن ذلك كان صفياً له . فيأخذوا بحقه ما هو باطل ويستحلوا ما هو محرم . فيكون ذلك مدرجة للفساد وفشو الطمع وحسب الاثمة وفي ذلك هلاك الراعى والرعية

وبما تقدم من الفتوح التي سردها سقطت مملكة فارس نهائياً بيد المسلمين وصار لهم قطعة من الأرض بمحدها من الغرب نهر الفرات والخليج الفارسي ومن الشرق نهر جيحون والسند ومن الجنوب المحيط الهندي ومن الشمال بلاد أرمينية . وكان افتتاح ذلك كله في زمن لم يتجاوز سبع سنين . وكان النصر لهم رقيقاً في كل الوقائع التي واقفوا فيها الفرس الا قليلاً . وكان للمسلمين اسم جميل عند عامة الفرس لما رأوا فيهم من العدل والوفاء وحسن المصلحة . وكيف لا يكون ذلك دأبهم وعمر بواليتهم بالتصامح والعطفات ولا يترك فرصة تمر دون تذكريهم بالوفاء والعدل وحسن السيرة فيما بينهم وفي أهل ذمتهم

وقد كان شهر براز مع عبد الرحمن بن ربيعة وجاءت شهر براز ياقوتة نيمية ، فتأولها لعبد الرحمن فنظر فيها ثم ردها اليه . فقال شهر براز وهو صاحب الباب : لهذه خير من هذا البلد - يعني مدينة الباب - وأيم الله لانتم أحب اليّ مملكة من

آل كسرى ، ولو كنت في سلطانهم ثم يلقهم خبرها ( الياقوتة ) لانزعوها مني وأيم الله لا يقوم لكم شيء . ماوفيتهم ووفى ملككم الأكبر  
والى هنا تنقل الكلام الى ما حصل في أرض الروم في عهد عمر رضي الله عنه

## الفتوح في بلاد الروم

لم يتفق المؤرخون على ترتيب الوقائع في مملكة الروم فبعضهم يقدم بعض الوقائع على بعض مع اتفاقهم على حصول تلك الوقائع ونشأتها . والسبب في هذا الاختلاف تلاحق الوقائع وتواليها فيها بين السنة ١٣ والسنة ١٤ . وربما كان حصول واقعتين في وقت واحد فيذكر الراوي إحدى الواقعتين ثم يأتي بالأخرى فينتلف الكاتب ذلك ويرتبهما على حسب ترتيبهما في الفكر ويندم أحدهما على الأخرى . فإذا جاء راو آخر وعكس الترتيب في الذكر تبعه مؤرخ آخر وصار على طريقته . وربما فتح البلد الواحد مرتين وفتح بلد آخر بينهما فيذكر الراوي الفتح الأول ثم يذكر فتح البلد الآخر - ثم يأتي راو آخر ويذكر فتح البلد الآخر ثم يذكر الفتح الثاني . وهكذا

قال صاحب أشهر مشاهير الاسلام : أما أمراء المسلمين فقد أوغلوا بجيوشهم في أحشاء البلاد . فنزل أبو عبيدة الجابية ، ونزل شرحبيل الازد ، ونزل عمرو ابن العاص العربية من فلسطين . وكان يريد البلقاء . ومن ثم اختلف المؤرخون في كيفية ترتيب الوقائع . فمن قائل ان أول وقعة كانت بين المسلمين والروم وقعة اليرموك ، ومن قائل غير ذلك . والذي قال بالأول بنى قوله على أن المسلمين لما تفرقوا في البلاد وراعهم ما جمعه لهم هرقل من الجوع استشاروا عمرا فأشار عليهم

بالاجتماع فاجتمعوا باليرموك وكتبوا الى أبي بكر فأمدتهم بخالد بن الوليد . ولما وصل اليهم وجد الامراء متساندين فتأمر عليهم . الى أن قال :  
مع أن ايمان الامراء بجيوش المسلمين في الجزء الجنوبي والجنوب الغربي من البلاد ووصول بعضهم الى الأردن قرب طبرية والبعض الآخر الى فلسطين . ثم اختلاف المؤرخين في عزل خالد بن الوليد هل كان وهم على دمشق أم في اليرموك . كل هذا يؤيد أن واقعة اليرموك التي كانت بعد وقائع كثيرة كواقعة مرج الصفر وواقعة اجنادين التي بشر أبو بكر بظفر المسلمين فيها بآخر دمشق وواقعة العربة من فلسطين وغيرها ، وأن المسلمين افتتحوا كثيراً من البلاد قبل اليرموك صلحاً أو حرباً . ويؤيد هذا ما ذكرناه سابقاً عن البلاذري من أن أهل حصص عاهدوا المسلمين على الوفاء لما انحلت حاميتهم عن حصص بفصد الاجتماع مع بقية الجيوش على اليرموك

ويدل على أن الجيوش المسلمين مع بعض مدن الشام وبلادهم وقائع قبل اليرموك قول القعقاع بن عمرو وقد كان في جيش خالد الذي جاء من العراق :  
بدا أنا بجهم الصقرين فلم ندع  
انسان انفاً فوق تلك المناخر  
صبيحة صاح الحارثان ومن به  
-وى نفر نجتهم بالبوائر  
وجئنا الى بصرى وبصرى مقيمة  
فألقى البنا بالحصى والمعاذر  
فضضنا بها أبوابها ، ثم قابلت  
بنا العيس في اليرموك جمع العشائر

## فتح دمشق

قدما أن واقعة اليرموك كانت في أول خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وإن الرسول جاء بموت أبي بكر ونوابة عمر يوم الواقعة وأمر الى خالد بالامر وإن خالداً كتم الامر الى تمام الواقعة وانتهائها بالفتح

فلما انتهى أمر اليرموك ، استخلف أبو عبيدة عليها بشير بن كعب الحيري وصار حتى نزل بالصفراء ، فأثناء الخيرة بأن فلة الروم نزلوا بفحل وإن الروم قد توافى مددهم إلى دمشق ، فكتب إلى عمر بذلك ، فأمره عمر بأن يسير فيبدأ بدمشق فإنها حصن الشام وبيت ملكهم وأن يشغل من فحل بخيل تكون بازائهم حتى إذا فتح دمشق عاد إلى فحل فنازل من بها . وقد كتبت في سنة ١٢٣٦ (١٩١٨م) ما يأتي :

البدء بالقوة الكبرى أمر تسير عليه قواد الجيوش وأهل الفنون الحربية في هذا الزمن . فقد كان من هم قواد الألمان في الحرب التي اتاروا عجاجها سنة ١٩١٤ والعالم لم يزل يصطلي بنارها إلى اليوم . أن يبدأوا بالقوة الفرنسية وهي القوة الحربية الحقيقية في ذلك اليوم ليسحقوها غير حاسبين للقوة الروسية التي كانت تتجمع في شرق مملكتهم حساباً لانتها بطيئة الحشد لفلة المواصلات واحتياجها إلى الزمن الفصيح لتستكمل عدتها وتتهيأ لخوض أهوال الحرب حاسبين أنهم يفرغون من الجيش الفرنسي في زمن يسير ثم يتبأون للجيوش الروسية على هينهم . فلما قامت الجيوش البلجيكية في سبيلهم وصدتهم عن مباغثة الجيش الفرنسي وعوققتهم نحو سبعة عشر يوماً فاستعد الجيش الفرنسي فيها استعداداً كاملاً وصار أداة حرب صالحة ولم يدركوا أربتهم منه ، ورأوا روسيا جادة في مفاجأتهم على حالهم تلك بجيشها العامل ، كفوا عن الأيغال وعمدوا إلى حرب الخنادق ثم وجهوا إلى الجيش الروسي المائل جيوشاً نازلة وفهرته ثم صارت الحرب إلى الحال التي هي عليها الآن ونحن في يوم ٥ مارس سنة ١٩١٨ .

صعد أبو عبيدة بأمر عمر وهو أن يذهب إلى الشام أولاً فيبدأ بها فإذا فتحت صار إلى فحل فإذا فرغ من أمرها صار هو وخاله إلى حصن وترك إشر حبيل بن حسنة وعمراً بالاردن وفلسطين . فترسل جيش من المسلمين على فحل وخشي الروم أن يصل المسلمون إليهم فبتقوا الماء حولهم فوَحِلَت الأرض وحصروا أنفسهم

بأيديهم وسهلوا للمسلمين المقام على حصارهم وكانوا أول محصور . قام  
أبو عبيدة عسكرا بين حصص ودمشق لئلا يأتي المدد من حصص إليها وأرسل جندا  
آخر ليكون بين دمشق وفلسطين ليصد المدد إن جاء منها . ونزل أبو عبيدة على  
ناحية من دمشق وخالد على ناحية وعمرو على ناحية وكان هرقل نازلا قريب حصص  
حصر المسلمون دمشق على هذه الصورة وطمع أهلها في أن يمدم هرقل  
بالجنود فصاروا المسلمين وصبروا على هذا الحصار الشديد سبعين ليلة والمسلمون  
يزاحفونهم ويرمون عليهم بالحجارة وهم معتمضون بالمدينة يرجون الفياث . وأرسل  
هرقل لانتجادم خيلا فتمتها خيول المسلمين التي عند حصص وبنس القوم من المونة  
كان خالد لا ينالم ولا ينم ولا يبيت إلا على تعبئة ولا يخفى عليه من أمر الروم  
بدمشق شيء . وقد اتخذ جبالا كهيئة السلايم وأوهانا . وقد علم أنه ولد للبطريرق  
الذي على دمشق مولود فصنع طعاما ودعا إليه حجة المدينة فأكلوا وشربوا وزالوا  
عن مواقفهم أمانة منهم وثقة بمنعة حصونهم . فاستمر خالد هذه القرصة ونهض فيمن  
معه من جنده . وتقدمهم هو والقمقاع بن عمرو ومذهور بن عدى وأمثالهم وقالوا  
إذا سمعتم تكبيرا على السور فارقوا البنا واقصدوا الباب . فلما انتهى إلى الباب  
الذي يليه هو وأصحابه رموا الشرف بالحبال وعلى ظهورهم القرب التي قطعوا بها  
الخدق . فلما ثبت لهم وهما نسلق القمعاق ومذهور وابنا الاوهاق بالشرف  
فتسلق خالد وأصحابه . وكان المكان الذي اقتحموا منه أحصن مكان يحيط  
بدمشق وأشده مضخلا . ولما استولوا على السور حذر خالد عامة أصحابه وانحدر  
معهم وخلف من يحيي مرتقام وأمرهم بالتكبير فكبر القدين على رأس السور فنهض  
المسلمون إلى الباب ومال إلى الحبال جند كثير فارقتوا فيها . وانتهى خالد فيمن  
معه إلى أول من يليه فأنامهم وانحدر إلى الباب فقتل البوابين وثار أهل المدينة  
لا يبرون ما دهمهم واشتغل أهل كل ناحية بمن يليهم خشية الاقترحام فلم ينجموا



أهل الناحية التي بها خالد وأصحابه وكسر خالد ومن معه اغلاق الباب بسيوهم  
 وفتحوا للمسلمين وأعملوا سيوفهم في المقاتلة الذين في ناحية خالد فلم يبق منهم أحد الا قتل  
 لما شد خالد على من يليه وادرك منهم ما اراد غنوة اجتمع من أقلت منهم الى  
 الابواب التي تلى غيره . وكانوا قبل ذلك قد أرسلوهم على المشاطرة فأبوا عليهم  
 ذلك . فلم يدر أهل تلك الابواب من المسلمين الا بالروم قد ألقوا اليهم بأيديهم  
 يبدلون ما امتنعوا من الاقرار به من قبل وهو الصلح على المقاسمة وهم لا يدرون  
 سببا لهذا الرضا بعد التأني والامتناع . فلما قبلوا منهم قلوبا لهم : ادخلوا فامنعوا عنا  
 من الجانب الآخر . فدخل أهل باب بصلح مما يليهم : دخل خالد مما يليه غنوة ،  
 فالتقى الفواد في وسط دمشق هذا استمراضا وانتهايا وهذا صلحا وتسكينا . واجروا  
 ناحية خالد على صلح أهل الابواب الاخرى . وكان صلح دمشق على المقاسمة في  
 الدينار والعقار ودينار عن كل رأس . هكذا ذكر كثير من المؤرخين والظاهر أن  
 رواية المقاسمة على العقار ليست صحيحة بدليل قول عمر لابي عبيدة «وأما الخنطة  
 والشعر التي وجدتوها في دمشق وكثر مشاجرتكم فيها فهي للمسلمين وأما الذهب  
 والفضة ففيهما الخمس»

وبعد انتهاء فتح دمشق جاء أمر عمر لابي عبيدة بأمره بصرف جيش العراق  
 الى العراق فصرفه مع هاشم بن عتبة وأبقى خالد ضاية

## غزوة فحل

لما فتح المسلمون دمشق كان وراءهم جنود الروم في فحل ولا يتسنى لهم الايصال  
 في تلك البلاد ووراءهم في ذلك المكان قوة رومية لا يستهان بها . فقد قالوا انهم  
 كانوا ثمانين الفا قد حصرتهم المياه والوحول والمسلمون بازائهم من وراءها .

ففضل أبو عبيدة بالجيش وخلف يزيد بن أبي سفيان على دمشق وعلى الناس شرحبيل بن حسنه لانه ولي الحرب في الاردن . وجعل خالد على المقدمة وأبا عبيدة وعمرا على المجنبتين ، وضرار بن الازور على الخيل ، وعياض بن غنم على الرجل . ولما انتهوا الى أبي الاعور السلمي وكان بين الاردن ودمشق ليصد المدد فقدموه الى طبرية فحاصرها ونزل سائر الجيش على رطل

ولما رأى المسلمون أن الروم في حرز حرز من الوحل الذي جعل الوصول اليهم مستحيلا كتبوا الى عمر ليأمرهم بأمره . والمسلمون ناعون في ريف الأردن وخيواته والروم في حرزهم كأنهم دودة القز في رجبها الحريري ، فهم عرومون من كل شيء فيه أنهم ولا يقدمون على الخروج الا على غرر

ضافت على روم المذاهب فرجوا أن يصيبوا من المسلمين غرة ويوقعوا بهم يظنوا بالمسلمين الفعلة فخرجوا بقيادة قائدهم سقلار . غير أن شرحبيل كان حازماً شديد اليقظة ، فكان لا يبيت الا على نسيئة واستعداد للحرب . فلما هجم الروم على المسلمين خارج الوحل والماء لم ينظروهم المسلمون بل بادروهم بالشدة وقتلهم أشد قتال ليقتلهم ويومهم الى الليل . فلما جن عليهم الليل حار الروم وأرادوا الرجوع الى مكانهم الاول فضلوا ولم يبتدوا الى الطريق الذي خرجوا منه فانهزموا حيارى وقتل قائدهم الاول (سقلار) وقائدهم الثاني فوق فيهم الاختلاط وانهزموا فالتهموا في هزيمتهم الى الوحل الذي صنعوه بأيديهم ليتقوا به الموت فكان موتهم في ذلك الذي جعلوه وقاية لهم . فانهزم لما تورطوا في الرداغ ركبهم المسلمون وهم لا يردون يد لا يسر وكان الوحل الذي كرهه المسلمون أكبر عون لهم على الفلك بأعدائهم

ومن هنا وما كان باليرموك فلم أن القيادة في جيوش الروم لم تكن من الحفكة والندرية على الحرب ومكائده في وزن القيادة في الجيوش العربية لان النزول بهم على الواقوسة كان أشد وبالا عليهم من سيوف أعدائهم

وكذلك بثق الماء حول الجيش في محل كان حصاراً لهم في مقامه وشركاءهم في حربهم . والله يحكم لا معقب لحكمه

### ﴿الوقعة بمرج الروم﴾

علم هرقل بما أصاب جنده في دمشق والاردن وما عزم عليه أبو عبيدة من قصد حمص فأراد أن يشغل المسلمين بجيش مع قائده ثيودور وآخر بقيادة القائد شنس . ويظهر أن القائدين كانا على اتفاق فيما يستعان بأن يقف أحدهما لشغل جيش المسلمين في الوقت الذي يخالف الآخر الى دمشق وهي في قلة من الحامية ليأخذها وينقض على المسلمين ما أئرموا

وقد التقى الجيشان بجيش المسلمين في مرج الروم غربي دمشق فنزل أبو عبيدة بأزاء شنس ونزل خالد بأزاء ثيودور . ولما أصبحوا فاز لهم شنس ولم يجد خالد لثيودور أثراً . وعلم أنه قصد دمشق فأمر أبو عبيدة خالدًا باقتفاء أثره

وعلم يزيد بن أبي سفيان بمقدم جيش الروم فخرج لقتالهم . ولم يشعر الروم بخلافه ومن معه الا وقد أتوهم من ورائهم فأخذوا من بين أيديهم ومن خلفهم فلم ينج منهم الا التمريد . ونازل أبو عبيدة ثيودور فقتله وهزم جيشه وتبعهم المسلمون يقتلونهم ووصل فل ذلك الجيش الى حمص

تحقق هرقل أنهم بعد ذلك موافوه الى حمص فيثس من بقاء الشام في يده فودعها الوداع الأخير بقوله ( Adieu Siria ) وأمر علمه على حمص بالنحصر وأن يطاول المسلمين حتى يأتي الشتاء وأن لا ينازلهم الا في يوم بارد فلا يمر الشتاء الا وقد أهلكتهم البرد

## فتح حمص

حمص مدينة بين دمشق وحلب

فصد أبو عبيدة حمص عن طريق بعلبك وقدم إليها السبط بن الاسود الكندي وقدم خالد إلى البقاع فافتتح خالد بلاد البقاع . ونزل أهل بعلبك إلى أبي عبيدة فصالحوه على أن يكون لهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وكنسب لهم بذلك كتاباً ثم توجه إلى حمص فنزل عليها وقايلهم قتالا شديداً وكانوا يفسدون المسلمين القتال ويرأوحوهم في كل يوم شديد البرد ولقي المسلمون برحاً شديداً وطال على الروم الحصار . ولما رأوا أن الشتاء قد انصرمت مدته ولم ينصرف المسلمون عنهم شدد عليهم الأمر ورجعوا إلى ما كان يدعوهم إليه بعض مشايخهم . هم يأبون منه وهو الصلح فطلبوا من أبي عبيدة ذلك فصالحهم على صلح أهل دمشق . ونزل بها السبط بن الاسود الكندي في بني معاوية والأشعث بن ميناك في السكون والمقداد في آلي ونزل بها غيره . وقد كان نزول المسلمين في كل مرفوض جلا أهل أوصاحة مقروكة

وقد بعث أبو عبيدة بالاحماس والفتح إلى عمر مع عبد الله بن مسعود فكتب إليه عمر أن أقم في مدينتك وادع أهل القوة والجلد من عرب الشام باقي غير تارك الدمشك إليك بمن يكافئك إن شاء الله

وغرض عمر من ذلك أن يكون أبو عبيدة في قوة ومنعة تكفي عادة الروم لأن بلده أقرب إلى بلادهم وهي مظنة لأن تكون غرضاً لهم ثم بعث أبو عبيدة خلافاً إلى الحاضر - حاضر حلب - وكان اصناف من العرب ينزلونه وكان جمع من الروم عليهم ميناك وهو أعظمهم بعد هرقل فلا قام خالد بالحاضر فزعمهم وقتل قائدهم ولم يفلت من هذا العسكر أحد

أما عرب الحاضر فاعتقدوا الى خالد بأنهم حشروا كرها ولم يكن من نيتهم أن يقاتلوا فقبل منهم وتركهم . ولما بلغ عمر ذلك قال : أمر خالد نفسه برحم الله أبا بكره . كان أعلم بالرجال مني . وقال في حقه وفي حق المنفى بن حارثة : أني لم أعزلهما عن ريبة ولكن الناس عظموهما فخشيت أن يوكلا اليهما

ثم سار خالد حتى نزل على قنطرة بن فتحص أهلها منه فقال لهم : لو كنتم في السحاب لخلنا الله اليكم أو لأنزلكم اليها . فنظر القوم في أمرهم وعلموا أنهم ليسوا بأقوى من أهل الامصار قبلهم ، فصالحوه على صلح أهل حص

ثم فتحت قيسارية على يد معاوية بن أبي سفيان

ثم فتحت اجنادين على يد عمرو بن العاص وكان بها قائد يقال له ارطبيون هو أدهي الروم وأبعد رجالهم قورا وانكلامهم قعالا . ولما بلغ عمر بن الخطاب قال : قد رمينا ارطبيون الروم بارطبيون العرب فانظروا عم تنفرج . وكان الارطبيون قد أراد تفريق جنود العرب فوضع بالرملة جندا عظيما ، وبأبليا جندا عظيما . فكتب عمرو الى عمر بذلك ووجه جنودا الى كل ناحية فيها جند للروم وكتب عمر الى يزيد أن يوجه معاوية الى أهل قيسارية لبشغلهم عن عمرو بن العاص فافتتحها كما قسمنا . وتناوبت الامداد على عمرو فأرسل يمد من أقامهم بأزاء جنود الروم بالرملة وأبلة . ومكث مدة لا يقدر من الارطبيون على سقطة ولا تشفيه الرسل . فوليه بنفسه فدخل عليه كآته رسول ، فأبلغه ما يريد وسمع كلامه وتأمل حصونه حتى هرف ما أراد

وقم في نفس الارطبيون ان الرسول عمرو بن العاص ، أو الرجل الذي يستشيره عمر في أمر الحرب . فدعا برجل من جنده وأسرا اليه كلاما . وطمأن عمرو للأمر . فقال له قد سمعت مني وسمعت منك فأما ما قلته فقد وقع مني موقعا وأنا واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالي لسكافته ويشهدنا أموره

فارجع فأتيتك بهم الآن فن رأوا في القدي عرضت مثل الذي أرى فقد رآه أهل  
السكر والامير، وان لم يروه رددتهم الى ما منهم وكنت على رأس أمرك . فقال  
نعم . ودعا رجلا فساره وقال اذهب الى فلان فردده فارجع اليه الرجل وقال امرو  
انطلق فجيء بأصحابك ، فخرج ورأى ان لا يعود الى مثلها . وبلغت عمر فقال  
عليه عمرو ، لله عمرو . وقد استبعد الاستاذ الخطري ان يفر رجل حذوكمرو  
بنفسه ويترك جيش المسلمين وهو قائده وروحه ويجمعه تحت الخطر ، واني أواقفه  
وأقول ما كان ليقبل هذا التفرير ووراءه رجل يقظ حذر كمر

اقتتل الروم والمسلمون في اجنادين قتالا شديدا وكثرت بينهم القتل حتى  
كان هذا القتال في شدته يشبه القتال في البرموك ثم انهزم الارطوبون بجنوده حتى  
آوى الى ايليا وأفرج المسلمون الذين عليها حتى دخلها وأقام بها الى ان فتحت  
: نزل عمرو اجنادين

## فتح بيت المقدس

لما انتهى عمرو من أمر اخدين ترك أهل ايليا . وهي بيت المقدس في  
الحصار وأخذ يتم فتح مدن فلسطين وقراها : فتح غزة ، ولُد ، ونابلس ،  
وبيت جبرين ، ومرج عيون ، ويافا . فلما أتم هذا الفتح قصد بيت المقدس  
والارطوبون عمتنع بها ، فأخذ يخاطبه في تسلیم المدينة فأبى

وقد جاء في الطبري أن عمر آ دعا برجل يعرف الرومية وأمره أن يأتي  
ارطوبون بكتاب من عمرو فيه : جاءني كتابك وأنت نظيري ومثلي في قومك  
لو أخطأتك خصلة ، تجاهلت فضيلتي . وقد علمت أي صاحب فتح هذه البلاد  
وأستعدي عليك فلانا وفلانا وفلانا . لوزرائه . وأمر الرسول ان يقرب وينكر

وقال استمع ما يقول حتى تخبرني به اذا رجعت - فلما جمع ارحطيون ووزراءه وقرأ عليهم الكتاب اغربوا في الضحك . وقالوا له من أين علمت أنه ليس بصاحبها - فقال صاحبها رجل اسمه عمر ثلاثة أحرف . فككتب عمرو الى عمر يستعده ويقول اني أعالج حرباً كؤوداً صدوماً وبلاًفاً قد أدخرت لك قرأيتك . في هذه الرواية غرابة ولا يمكن المؤرخ ان يستند اليها لانها لم تبين على أساس متين . والذي أراه انصح رواية أخرى عن الطبري ؛ هي أن أبا عبيدة حصر أهل بيت المقدس فطلب منه ان يصالحهم على صلح أهل مدن الشام وان يكون المتولى للعقد عمر بن الخطاب . فكاتب اليه بذلك فسار عن المدينة ممداً لهم بعد ان استخاف عليها عليها وقد قال له علي أين تخرج بنفسك انك تريد عدواً كلياً . فقال اني أبادر بجهاد العدو موت العباس . انكم لو فقدتم العباس لانقض بكم الشر كما ينقض أول الحبل

وكان خروج عمر الى الشام في هذه المرة أول خروجه خرجها وكاتب الى أمراء الشام ان يستظفروا على ما بأيديهم ويوافوه بالجارية فلقوه بها . فكان أول من اقبله يزيد بن أبي سفيان ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وخلفه بن الوليد على الخيول عليهم الديباج والحزير ، فلما رأى عمر ذلك كبر عليه ان يرى القوم في زينة وزخرف وهم قريبو عهد برسول الله وخاف عليهم ان يكونوا قد اقتنوا بالدنيا وزينتها . فنزل عن دابته وأخذ الحجارة ورمم بها لا يمحزها عنهم ماله من مكانة شاحخة وهز باذخ . وقال : سارع ما أنقشتم عن رأيكم . ايدي وتستقبلون بهذا الزي واتما شعبكم منذ سنتين . سارع ما نددت بكم البطنة وثاقله لو فعاتبوها على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم . فلم يكن من القوم الا ان قالوا يا أمير المؤمنين انها بلازمة وان علينا السلاح . قال فنعم اذن وركب حتى نزل الجارية وبينما عمر بالجارية اذ فزع الناس الى السلاح فسأل عن شأنهم فقالوا ألا ترى الخيل والسيوف فنظر فاذا

كردوس يلهون بالسوف ، فقال : هذه مستأمنة فلا ترعوا وأمنوهم . فاذا هم أهل ايلياء قد جاءوا للصلح

ذلك أن أهل ايلياء قد اشتد عليهم الحصار وصاروا به في ضنك شديد وآيقنو بعد انقطاع المدد عنهم واستيلاء المسلمين على أطراف الشام ومدتها أنهم مأخوذون ولا مطعم لهم في انقاذ دولة الروم ايام بعد أن دالت في هذه الناحية دوائهم وزالت عن البلاد سلطتهم وأشفقوا أن لا يعطيهم المسلمون ما أعطوا غيرهم من أهل المدن الأخرى من الأمان لما أسلفوا من شدة قتال وقوة مراسي ، ولما بذله المسلمون في حربهم من الدماء . وربما كان القوم قد ظنوا أن المسلمين يرون أن مدينتهم بها البيت المقدس الذي يرى المسلمون تعظيمه . تخافوا أن يفلتوهم عليه ويزيلوا منه معالم الأديان الأخرى وينزعوا منهم كنيسهم المظلي وقبائهم المقدسة ويحرموهم ذلك بحق الفتح فأرأوا توكيلاً للأمان وزيادة في توثيق عرى العهد أن يباشروا ذلك مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

ولما ورد أهل ايلياء الى الجابية أخبروا أنهم نواب الصلح وأن أمير الجيوش الرومي قد لحقاً بمصر . فصالحهم عمر على ايلياء وحيزها واليملة وحيزها وكتب لهم بذلك كتاباً . وكتب لأهل ايلياء كتاباً خاصاً وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم \* هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها لا تسكن كنائسهم ولا تهتم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود . وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم والقصوت ( وفي رواية الصوص ولها الصبحية ) فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يفلتوا منهم . ومن



أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بينهم وصابهم فأنهم آمنون على أنفسهم وعلى دينهم وعلى صابهم حتى يبلغوا مأمنهم . ومن كان بها من أهل الارض قبل مقتل فلان ( هكذا في جميع ما رأيت من التواريخ ) فمن شاء منهم فقد وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ومن شاء صار مع الروم ومن شاء رجع الى أهله فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم . وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذي عليهم من الجزية . شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمر بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان وكتب وحضر سنة ١٥ هـ .

ولما بئث عمر بأمان بيت المقدس وسكنها الجند شخص الى بيت المقدس من الجالية وكان فرسه قد وجى فأتى يردون فركبه فلما صار جعل يتخطى به فزل صه وضرب وجهه بطرف رداءه وقال لا علم الله من علمك هذا من الخيلاء . ودعا بفرسه فركبه حتى جاء الى المسجد الأقصى ليلا فدخله وصلى في محراب داود ولم يلبث أن طلع الفجر فأمر المؤذن بالاقامة وتقدم فصلى بالناس بسورة ص وصدر بني اسرائيل ثم انصرف فقال علي بكعب ( كعب الاحبار ) فلما أتى به قال : أين ترى أن نجعل المصلى ؟ فقال الى الصخرة . فقال ضاهيت والله اليهودية يا كعب . وقد رأيتك وخطك نطيك . فقال : أحببت أن أبشره بقدمي فقال : قد رأيتك بل نجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله قبلة مساجدنا صدورها اذهب اليك فانا لم نؤمر بالصخرة ولكننا أمرنا بالكعبة . ثم قم الى كنيسة كانت قد كانت الروم دفنت فيها بيت المقدس وهو الهيكل في زمان بني اسرائيل وقال : يا أيها الناس اصنعوا كما أصنع وجنا في أصلها وحنّا في قبائه . وسمع تكبيرة من خلفه . فقالوا ما هذا : فقالوا كعب فكبر الناس بتكبيره فقال : على به . فأتى فسأله عن

سبب تكبيره . فقال : يا أمير المؤمنين انه قد تنبأ على ما صنعت نبي منذ خمسمائة سنة ، وسرد له خبرا ذكره الطبري كله من الاسرائيليات التي ابتدعها هو وسواه ولا أصل لها

ان كعبا - ككل يهودي - فرح بدخول المسلمين الى بيت المقدس وافتتاحه لان ذلك يشفي بعض مافي صدورهم من الغلة والحقد على المسيحية والفاثمين بها ، وقد كان بيت المقدس محرما عليهم دخوله والحدوث منه . وهم بذلك الفتح يناولون حرية اداء العبادة فيه وهو معيدهم الاول وبلدهم العتيق فلا غرو ان كانوا أكثر الناس فرحا بهذا الفتح الذي ينيلهم الحرية الدينية

والمهرة من هذا الفتح تظهر جليلة واضحة من كتاب عمر بالامان الذي حشوه الرفق والعدل والحرية وصيانة الدماء والحقوق فن بيت المقدس لم يدخل مدينته أحد من الفاتحين كما دخلها خليفة المسلمين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب منذ خلقت الى ذلك العهد . بل كان القاتح يدخلها مخربا مبيدا مدمرا عاتيا جارا سفا لا رحمة عنده ولا شفقة عليهم لديه . فهذا يختصر في الخراب الاول . واطيطوس في الخراب الثاني على رأس سبعين سنة ميلادية قد فعلا الافاتيل وخربا المدينة والمسجد تخريبا ذريما . وأما عمر فقد دخلها كما وصفنا وأعطى أهلها من الامان ما ينال ولما جاءها بعد ذلك ( غودوفروا دويون ) قائد الجيوش الصليبية استن بأهلها سنة وثني بابل ووثني رومة تقرب المسجد وأجزر السيف تسعين الفا من أهلها المسلمين

ولما جاء صلاح الدين الايوبي وأخذها من الصليبيين دخلها دخولا عمريا وأمن أهلها على نفوسهم وأولادهم ونسائهم وخرجوا منها على فداء طفيف يؤدونه . وقد تجاوز أخوه أبو بكر العادل عن ذلك المقدار لكثير من النساء وكان الشناء عليه عاماً في أوروبا وعلى أخيه صلاح الدين

وفي سنة ١٧ هـ أراد عمر رضي الله عنه أن يزور الشام للمرة الثانية فخرج اليها  
ومعه المهاجرون والانصار حتى اذا نزل يسرع على حدود الحجاز والشام لقيه امرأ  
الاجناد فأخبروه أن الأرض مقيمة وكان الطاعون بالشام . فقال عمر لابن عباس :  
اجمع لي المهاجرين الاولين ، قال : فجمعتهم فاستشارهم فاختلفوا عليه ، فمنهم القائل  
خرجت لوجه تريد فيه الله وما عنده ، ولا ترى أن يصدك عنه بلاء عرض لك .  
ومنهم القائل : انه ليلاء وفناء ما ترى أن تقدم عليه . فلما اختلفوا عليه قال :  
قوموا عني ، ثم قال لابن عباس اجمع لي مهاجرة الانصار . فجمعهم له ، فاستشارهم  
فاسكوا طريق المهاجرين فكأنما سمعوا ما قالوا فقالوا مثله فلما اختلفوا عليه قال  
قوموا عني . ثم قال : اجمع لي مهاجرة الفتوح من قريش ، فجمعهم له فاستشارهم فلم  
يختلف عليه منهم اثنان وقالوا ارجع بالناس فانه بلاء وفناء . فقال عمر يا ابن عباس  
اصرخ في الناس فقل ان أمير المؤمنين مصبح على ظهر ، وأصبحوا عليه فلما اجتمعوا  
قال : أيها الناس أتى راجع فارجموا . فقال أبو عبيدة بن الجراح : أفراراً من قدر  
الله ؟ قال : نعم فراراً من قدر الله الى قدر الله ، أرايت لو أن رجلاً هبط وادياً له  
عدوان احدهما خصبة والاخرى جديبة ، أليس يرعى من رعى الجديبة بقدر الله  
ويرعى من رعى الخصبة بقدر الله ؟ لو غيرك يقول هذا يا أبا هبيدة . ثم خلا به  
بناحية دون الناس ، فبينما الناس على ذلك اذ أتى عبد الرحمن بن عوف وكان متخلفاً  
عن الناس لم يشهد بالامس . فلما أخبر الخبر قال : عندي من هذا علم ، قال عمر :  
فأنت عندنا الأمين المصدق ، فماذا عندك ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول  
« اذا سمعتم بهذا الرباء ببلد فلا تقدموا عليه واذا وقع وأنتم به فلا تخرجوا فراراً  
منه لا يفرجنكم الا ذلك » فقال عمر : لله الحمد ، انصرفوا أيها الناس . فانصرفوا  
الطاعون في ذلك الوقت بعد المجازر البشرية وكثرة القتل وتفنن  
الجور . • بذلك الخيف أمراً طبيعياً وبخاصة اذا عرفنا أن وسائل الوقاية الصحية

تكن معروفة في ذلك الزمن . على أن مجرد اجتماع الجيوش الكثيرة في مكان واحد  
 دأب الى فشو الامراض والابوثة . وقد اجتمع في تلك البلاد كثير من الجنود  
 بين روم وعرب فكان لابد من حصول الابوثة

وبعد انصراف عمر حصل الطاعون الجارف المعروف بطاعون قمقواس وكانت  
 شدته بالشاء فهلك به خلق كثير منهم أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير الناس ، ومعاذ  
 ابن جبل ، ويزيد بن أبي سفيان ، والحارث بن هشام وقيل استشهد باليرموك .  
 وسهيل بن عمرو وعقبة بن سهيل وانصراف الناس . ولم يرتفع عنهم الوباء الا بعد  
 أن وليهم عمرو بن العاص فخطب الناس وقال لهم : أيها الناس ان هذا الوباء اذا وقع  
 قائما يشتمل اشتعال النار فتجنبوا منه في الجبال . فخرج وخرج الناس ففارقوا  
 حتى رفعه الله عنهم فبلغ عمر ما فعله عمرو فما كرهه

أما السر في اشتداد الطاعون في دمشق دون سواها من بلدان سورية ، فهوان  
 أهل دمشق انما يشربون من النهر ( نهر بردى ) وهو عرضة للتلوث ببرائيم الوباء  
 وتقل المدوى بواسطة سهل جداً وانتشارها مصحون . أما بقية البلاد فيغلب أن  
 يكون شربهم من العيون وهي أقل قابلية للتلوث ونشر المرض وتعميمه وهو السر  
 أيضاً في انهم لما ارتفعوا في الجبال كان ذلك سبباً لزياله عنهم

وأهل دمشق الآن لا يشربون من نهر بردى وانما يشربون من ماء عين  
 الفبيجة ساقوه في الانابيب الى بلدهم وماء نهر بردى يدخل في جميع بيوتهم ولا  
 ينتفعون منه بالشرب وانما يستعملونه في غسل الملابس والاواني ونحوها

ورأى عمر بعد ارتفاع الطاعون ان يسير الى الشام لينظر في أمور الناس بعد  
 هذا المصاب الذي دهمهم . فسار حتى نزل الشام ونظر في أمور الناس وولى الولاية  
 وورث الاحياء من الاموات ثم خطبهم خطبة قال فيها الاواني قد وليت عليكم  
 وقضيت الذي على في القدي ولاني الله من أمركم . الى ان قال فن علم علم شيء

ينبغي العمل به قبلتنا نعمل به ان شاء الله ، ولا قوة الا بالله ، وحضرت الصلاة  
 فقال الناس لو أمرت بلالا فاذن . فأمره فأذن فما بقي أحد كلن أدرك رسول الله  
 وبلال يؤذن له الا بكى حتى بل لحيت وبكى من لم يدركه يسكنهم لذكره ﷺ  
 وفي عهد عمر رضي الله عنه فتحت حلب وقنسرين كما قدمنا وانطاكية  
 وبلاد سواحل الشام كبيروت وطرابلس وغيرها ، ودانت كل هذه البلاد  
 لحكم المسلمين

وفي عهده كان فتح مصر على يد عمرو بن العاص السهمي . وسنفردها بكلام  
 خاص نستوفى الكلام على ذلك متى جاء وقت ذلك

هذا ما كان من الفتح في عهد عمر بن الخطاب . ومدته لا تزيد عن عشر  
 سنوات . فتحت فارس كلها ووقف المسلمون من جهة الشرق على نهر السند  
 ونهر جيحون فلم يندوهما في عصره . وفتحت بلاد الشام ومصر وأديرت  
 هذه البلاد على مقتضى العدل الاسلامي فتقبل الناس حكمه مسرورين لانه قد  
 أزال عنهم جبروت الملوك وعسف الجباية

ولما كانت حياة عمر ممتازة بكثير من الميزات التي جعلتها أساسا عظيما لكثير  
 من المدينة الاسلامية . حسن بنا ان نورد جملا يعرف منها مقدار هذا الرجل  
 العظيم الذي ساس العرب سيامة لم تعرف لغيره من حائر الناس مقاميا في ذلك  
 برسول الله ﷺ وصاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه

## القضاء

قدمنا في الكلام على أبي بكر رضي الله تعالى عنه انه لم يتخذ قاضيا في أيام  
 خلافته ، بل كان القضاء في يده . فكان الامير والقاضي والمنفذ . وبعبارة أوضح  
 كانت في يده القوات الثلاث : وهي القوة التشريعية ، والقوة القضائية ، والقوة

التنفيذية . وليس معنى قولنا ان القوة التشريعية في يده - انه كان يأتي الناس بشرع جديد . وانما معنى ذلك انه الامير الذي ينظر في الكتاب والسنة ويبحث في الوقائع التي ليس فيها شيء من النص . وهو الذي يحكم بمقتضى ذلك في هذه المثابة قاض . ثم انه يحضى ذلك الحكم فهو منفذ

وقد قدمنا أيضاً انه كان يفوض الى عمر النظر في الوقائع التي كان يدلي بها الخصوم اليه - غير انه لم يختصه بذلك ويفرغه له ، ولم يكن لعمر امم قاض في زمانه

أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد كان له في مسائل الفتوح وتبدير أمور الخلافة التي تشعبت ونمت نمواً عظيماً في عهده ، ما يشغله عن التفرغ للقضاء . فرأي أن يفرغ نفسه وبعض أمرائه لما هم بصدد تعيين قضاة مختصين بفصل الخصومات بين الناس فولى أبا الدرداء معه بالمدينة ، وولى شريحاً قضاء الكوفة وولى أبا موسى الأشعري بالبصرة . وقيس بن أبي العاص السهمي قضاء مصر وهو أول قاض بها في الاسلام . أما بقية الامصار والولايات فكان القضاء فيها الى الامير الذي عليها . وانما كان عمر حريصاً على تفرغ نفسه وبعض أولئك المال والامراء لما قصده من تفرغ نفسه وذلك البعض للقيام بأعباء السياسة العامة وأشغالها الكثيرة من الجهاد والفتوح وسد الثغور وحماية البيضة

وقد كان شريح بن الحارث السكندى قاضي الكوفة من كبار التابعين ظل قاضياً بها خمساً وسبعين سنة لم يتوقف عن قضائه فيها سوى ثلاث سنين في فتنة ابن الزبير ولما ولي الحجاج استمفاه فأعفاه . ومن أطرف قضائه أن عدي بن اوطاة دخل عليه . فقال : اتي رجل من أهل الشام . فقال : مكان سعيد . قال : تزوجت عنديكم قال : بالرفاء والبنين . قال : وأردت أن أرحلها . قال : الرجل أحق بأهله . قال : وشرطت لها دارها . قال : الشرط أم لك . قال : فاحكم بيننا . قال : قد حكمت

وقد ساق صاحب العقد الفريد حكاية تزوجه بزَيْنَب بنت جبر من بني تميم  
كيف اضطرت له لان يخطب ليلة زفافها عليه لما بدا له بانططبة وانه ظل معها في أهنا  
عشرين سنة لم يعتب عليها في شيء الا مرة واحدة - قال وكنت لها ظالماً :  
أخذ المؤذن في الإقامة بعد ما صليت ركعتي الفجر وكنت امام الحلي فاذا بعقرب  
تدب فأخذت الاناء فأكفأته عليها ثم قلت يا زَيْنَب لا تتحركي حتى آتي . فلو  
شهدني يا شعبي وقد صليت ورجعت فاذا أنا بالعقرب قد ضربتها فدعوت بالكسوت  
والمالح فجعلت امسح اصبعها وأقرأ الحمد والمعوذتين . وكان لي جار من كندة  
يُفَزَّع امرأته ويضربها فقلت في ذلك :

رأيت رجلاً يضربون نساءهم فسلت يميني حين أضرب زَيْنَبَا  
أأضربها في غير ذنب أنت به فما العدل مني ضرب من ليس مذنباً  
فزَيْنَب شمس والنساء كواكب اذا طلعت لم تبد منهن كوكباً  
أما أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه فكان من أصحاب رسول الله ﷺ

ومن اعراف من ولاهم عمر القضاء أبو موسى الاشعري ، وكان مع ذلك ذاك بلاه  
في الحروب وقيادة الجند وله أثر جميل في فتوح فارس . وقد كتب اليه عمر رضي  
الله عنه كتابه المشهور في القضاء بين كثير من نظام القضاء وأصوله وهو يعتبر  
بمثابة لائحة داخلية يعمل القضاء بمقتضاها . وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس سلام  
عليك أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة <sup>(١)</sup> فافهم اذا أدلى اليك <sup>(٢)</sup>

(١) يريد ان يبين له المادة التي يقتضيها وهي لا تندو ما حده الله وهذا ما اشار اليه بالفريضة المحكمة وهو  
يشه وسوله وهي ما اشار اليه بقوله سنة متبعة

(٢) يريد ان من يمل بمحنة منها كان مضياً وقوله حقا . اضحاً فان كلامه لا يقفه انا لم يكن لكلامه نفاذ  
إلى قلب الناس وذلك لا يكون الا بالاتباع لما يقوله المحسوم

فانه لا ينبغي تكلم بحق لا نفاذ له . آس بين الناس <sup>(١)</sup> في وجهك ، عدلك ومجلسك حتى لا يطعم شريف في حيفك ولا يياس ضعيف من عدلك . البيئة على من ادعى واليمين على من انكر . والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا <sup>(٢)</sup> . لا يعتمد قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وعديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل <sup>(٣)</sup> الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة <sup>(٤)</sup> . ثم أعرف الاشباه والامثال ، فقس الامور عند ذاك واعمد الى أقربها الى الله وانتهبها . واجعل من ادعى حقا غائبا أمدا ينتهي اليه فان أحضر بينته والا استعملت عليه القضية فانه أنفى للشك واجلى للعي <sup>(٥)</sup> . المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا في حد أو يجر با عليه شهادة زور أو غلبنا في ولاء أو نسب فان الله أولى منك السرائر

(١) هذا أساس المساواة التي جازها الدين ولا احترام لفضل . دورها من القاضي اذا كان له صلح مع أحد الخصمين وقت قلة الشهود به وان حاس عوانها اليوم فليس مانع نداء

(٢) هذا امر يوافق ما اتفقت عليه جميع القوانين من ان كل صلح يخالف فيه القانون العام فهو باطل لا قيمة له لان الخصم اذا ملك حق نفسه وساخ له التصرف بما شاء فانه لا يملك حق الشارع الذي راعى بشريته العام حق الجور

(٣) يريد بذلك ان القاضي لا ينبغي ان يفهم من الصواب في قضية حكمه به . بل انما شهر له وجه الخطأ في حكمه الاول كان عليه ان يحكم بما ظهر له من الصواب فيما يكون لديه بما يشبه القضية التي حكم فيها خطأ . اولاً . لان الخطأ لا يكون قاعدة . ولان امر حكم في قضية يحكم ثم يداه الصواب في قضية تشبهها فلم يغير الحكم السابق . وحكم على مقتضى الصواب في اللاحق . وقال : ذلك على ما قضينا وهذا ما قضى

(٤) يريد بذلك بيان أصل ثالث للاحكام وهو القياس وهو ان يلحق ما لم يعلم حكمه بما علم حكمه تشابه بينهما في السبب الذي من اجله شرع الحكم . ولهذا يكون من أوجب الواجبات على القاضي ان يكون حارفا بأسرار التشريع حتى يشهد له هذا اللاحق ومن تلك نتائج اشتراط ان يكون مجتهداً لا مقلداً غيره في تفسير أو تاويل

(٥) يشير بذلك الى جواز التأجيل اذا طلبه الخصم وكان لطلبه سبب معقول . والذي ذكره من الأساليب هو غاية الشهود الذين يظهر جمع حقه ثم تقيده . بل قد ينتهي اليه انما كان دعماً للمعقبة التي تحصل لاحد الخصمين يطلب التأجيل من خصمه الآخر في كل جلسة ، فبذلك أبد الدهر تحت رحمة . لهذا قيد . بل قد يستعمل عليه القضية اذا لم يثبت حقه فيه



ودراً بالبينات والأيمان . وإياك والتعلق والضجر والتأذي بالخصوم والمنكر عند  
الخصومات فإن الحق في مواطن الحق يعظم به الله الاجر ويحسن به الذكر . فمن  
صحت نيته واقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس . ومن تخلف للناس بما  
يعلم الله انه ليس من نفسه شاة الله ، فما ظنك بشواب غير الله في عاجل رزقه  
وخزائنه رحمته . والسلام

وهذا الكتاب قد اتخذه جمهور من قضاة المسلمين أساساً لنظمهم القضائية ،  
وهو كتاب جليل خليق بذلك

لم يكن القضاء في زمن عمر الا سهلاً بسيطاً مجرداً عن النظم الوضعية الكثيرة  
ولم يكن للقاضي كاتب ولا سجل ولم توضع للمرافعات أصول كالتي وضعت الآن .  
فلم تكن الدعاوى بصيغة خاصة وأركان معينة ولا بد من سبق اعلان في مدة خاصة  
الى آخر ما وضع من الناس ثم صار عمدة في القضاء أكثر من الحكم الشرعي المقصود

## سيرة عمر في عماله

معلوم أن الخليفة في الامة قائم بين الله وبين عباده في اقامة العدل وتأيد الحق  
واقامة الدين وسياسة الدنيا به والزام كل انسان حده ماله وما عليه دون بني عليه أو  
استطالة منه على سواء

ولما كان انقائم بالخلافة يستحيل عليه ان يباشر كل شيء من ذلك في البلدان  
المختلفة والاصقاع النائية في ملك مترامى الاطراف كان لابد من تفويض ذلك منه  
الى عمال يقومون عنه بذلك الامر في توحيدهم ويكون بينه وبين الرعية يطالونه  
بأمورهم ويسوسونهم بسياسته

ولا يعزب عنا ان عمر كان حريصاً على اتباع الكتاب الكريم فيما جاء به والاستئذان

سنة رسول الله ﷺ في كل قول أو عمل يعلم أنه قاله أو عمله سائرا بسيرته بين الناس سائلا لم يسيأ به سياسة ومتحررا لما أخذ به أبو بكر من ذلك . وقد كان حريصا كل الحرص على أن يأخذ عماله بسيرته ويؤدبهم بأدابه رعاية للرعية وتحقيقا لحسن ملكة الاسلام ومساحة الدين وعدله . ويعتد نفسه شريكا للعامل في كل مهمة يفوضها فيها له في كل جريمة يقرها ، لأنه إنما يأتي ذلك عماله من السلطان الذي يستمد منه ، ويرى نفسه مسؤولا أمام الله عن ذلك .

قال الأستاذ الخضري : كان عمر ممن يشعرون رضا العامة بصلحة الامراء . فكان الوالي في نظره فردا من الافراد يجري حكم العدل عليه كما يجري على غيره من سائر الناس . فكان حب المساواة لا يمد له شيء من أخلاقه : اذا اشتكى العامل أصغر الرعية جره الى المحاكمة حيث يقف الشاكي والمشكو منه يسوى بينهما في الموقف حتى يظهر الحق فان توجه قبل العامل اقتصر منه ان كان هناك داع الى القصاص أو عامله بما تقتضيه الشريعة أو عزله . والي أقول : ان هذا الرأي الذي كان يراه عمر واستغرق وجدانه ومشاعره هو الرأي الذي بُنص عليه في قوانين أكثر الامم عدالة وأسماء حرية وأحرصهم على المساواة بين أفراد الامة بعد ان أعرفوا في العلم والمدنية وساروا في الحضارة والفلسفة الاجتماعية شوطا بعيدا وأحرروا في سبيل تلك الحرية والمساواة والعدالة انهارا من الدماء . وأزاروا المقابر عشرات الالوف بل مئات الالوف في سبيل تحقيق غرضهم و ان القوانين التي أخذت أخذ هؤلاء الناس واقتبست من قواعدهم ، ثم استثنت بعض ذوي المقامات وأخرجتهم من حكم القانون العام ، تبدل بأوضح دلالة على ان فيها هرقا بنقض الى الاستبعاد والاستبداد ، ان لم نقل انها تميل الى الاستثنائات يجعل فريق من الناس في نظر قليل منهم كأشياء النبات التي ينصرف فيها مالكتها بما يشاء ويهوى . وليس عمر بعدا فيما كان يصنع : فقد كان مظهر لا مبتدئا

فقد تقرر ذلك بمقتضى قوله تعالى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وبمقتضى قول رسوله ﷺ في حجة الوداع « لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى » وأما جل هذا الخلق ظاهراً في عمر أن المتوحد قد كثرت الملك قد اتسع فكثرت العمال وطال زمن عمر وحدت الأحداث وظهرت خطته في ذلك واضحة ومعلوم أن سواس الأمم يختلفون في شأن مواخدة العامل ذي السلطان بما يصدر منه من المفوات ومجازاته بما يحترم من السيئات لأن فريقاً يرون أن التجاوز عن سيئاته وغيض الطرف عن زلاته أهيب ل مقامه في نظر الرعية . ومن هذا القبيل سياسة الدولة الإنجليزية مع عمالها في المستعمرات لا تكسرهم أمام الحكوميين ولا تؤاخذهم بما يصدر منهم من المخالفات لئلا يكون ذلك مدرجة لكثرة مطالب الرعية وكيدها للعمال وتجنّبها عليهم . أما في بلاد الانكليز أنفسهم فإن الحاكم إذا تعدى حد عمله وسام أحد الرعية بأذى فإن القضاء له بالمصاد والقانون يوفيه جزاءه العادل . وقد كان أبو بكر على هذا الضرب من السياسة مع قواده وعماله في أيام أهل الردة وقيام الاضطراب في كل ناحية . وهي حال خاصة يفتقر فيها ما لا يفتقر في غيرها . وكان عمر يخالفه في هذا النحو من السياسة ويشير عليه بالاعتصام من كل مخالف . وإن ما ذكرناه من احتضار سعد بن أبي وقاص من السكوة لشكوى رعاياه بعض من ألبوا عليه في وقت كان المسلمون في أشد الحاجة إليه إذ كانت البعث تضرب على الناس وهم في النهيؤ لمناهضة المعجم الذين جمعوا الجوع لحرب المسلمين واخراجهم من فارس فلم يكره ذلك ولم يشغله عن النظار في شكوى الشاكين وسعد من نفس عمر بالمنزلة التي دفعت به إلى جعله من أصحاب الشورى الذين ينتخب الخليفة منهم من بعده . وقد قال الدؤلبين : « أن الدليل على ما عندكم من الشر نهوضكم في هذا الامر وقد استمد لكم من استمد - يعني الفرس - وإيم الله لا يمنع ذلك من النظر فيما لديكم وإن نزلوا بكم » . وقد كانت

مصلحة العامة عنده فوق كل شيء. (١)

كان عمر شديد المراقبة لعماله كثير السؤال عن سيرتهم وأخبارهم يقيم عليهم العيون يوافونه بأخبارهم ولا يتركون خبر سوء يبلغه عن أحدهم دون تحقيقه والتثبت في شأنه تثبتاً لا يدع للشك مجالاً ولا يقول أن يرسل اليهم الأوامر تبعاً أن يعدلوا ولا يظلموا ولا يأخذوا بالظنة ولا ينفوا ولا يقدروا

ولما غدر الحر ميزان بعد العهد خشي أن يكون ذلك من ظلم أصابه من المسلمين فاستقدم وفقاً من البصرة بهم الاخنف بن قيس وسأله عن غدره أعن ظلم ؟ قال : لا . فكتب الى عتبة بن غزوان زيادة في الوصية ومبالغة في التوكيد : « اهزب الناس عن الظلم واتقوا واحذروا أن يدال عليكم لغدر يكون منكم أو بني فأنكم إنما أدركتم الله ما أدركتم على عهد عاهدكم عليه وقد تقدم اليكم فيها أخذ عليكم فأوفوا بعهد الله وقوموا على أمره يكن لسكم عوناً وفاصراً »

وبلغه أن حرقوصاً عامله على الأهواز نزل جبلاً كؤوداً يشق على من راحه والناس يختطفون اليه فكتب اليه « أما بعد ، بلغني أنك نزلت منزلاً كؤوداً لا تؤني فيه الا على مشقة . فأسل ولا تشق على مسلم ولا معاهد وقم في أمرك على رجل تدرك الآخرة وتصف لك الدنيا . ولا تدركك فترة ولا عجلة فتكدر دنياك وتذهب آخرتك »

وخطب عمر فقال : « يا أيها الناس ، أتى والله ما أرسل عمالي اليكم ليضربوا بأشاركم ولا ليأخذوا أموالكم وليكني أرسلهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم ويقضوا بينكم بالحق ويحكموا بينكم بالعدل فن قل به شيء سوى ذلك فليرفعه الي ، فوالذي نفس عمر بيده لا قصته منه » فونب عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين ، أ رأيت أن كان رجل من أمراء المسلمين على رعيته فأدب بعض رعيته

(١) ومن ذلك أنه جلب ابا موسى من البصرة حين شكاه الرجل العزى

انك لنقصه منه ؟ قل : اي والدي نفس عمر بيده اذن لا يقسمة منه ، وكيف لا اقسمة منه وقد رأيت رسول الله ﷺ يقتص من نكاحه ألا لا تقصروا المسلمين فتدلوهم ولا تجمروهم فتقتلهم ولا تمنعهم حقوقهم فتكفروهم ولا تزلوهم الغياض فتضيعهم

وروى الطبري أن عمر كان يقول في عماله : اقم اي لم أبغهم ليضربوا أبشارهم . من ظلمه أمره فلا إمرة عليه دوني . وعن أبي ربيعة قال : كتب عمر بن الخطاب الى المال : « اجعلوا الناس شديكم في الحق سواء ، قريبهم كبعيدهم وبعيدهم كقريبهم ، إياكم والرشا والحكم بالهوى وأن تأخذوا الناس عند الغضب فتزولوا بالحق ولو ساعة من نهار »

وكان اذا استعمل العمار خرج معهم يتبعهم فيقول : اي لم أسئلكم على أمة محمد ﷺ على أشعارهم ولا على أشارهم ولا تحلوا الرب فتدلوها ولا تجمروها فتقتلها ولا تغفلوا عنها فتجربوها . جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن محمد ﷺ وأنا تربيكم

وكان عمر يأمر عماله في كل سنة ان يوافوه في الموسم ومن كانت له شكوى أو مظلة واه الى موسم الحج ورفعه على العامل بحضرته . وهناك ترد الى المظلوم ظلامته ويشكيه من خصمه . فكان العامل يخافون الافتضاح في موقف الحج على رؤوس الاشهاد ويحدوهم ذلك انظروا الى الاتعاد عن الظلم

ولقد أحضر عمر كثيراً من عماله الذين لم يفضل عظيم في الفئوح وأثر كبير في نصرة الدين . فهذا سعد بن أبي وقاص من احوال رسول الله ﷺ ، وهو فاتح القادسية . المدائن والاهل والموثق الفرس وعصر الكوفة ، اشكى عليه بعض رعيته فارسل محمد بن مسلمة يحقق الشكاية علنا وجاء بسعد وخصومه الى عمر فوجده بريثا من كل ما عرف به ولكن عذره احتياطا . واوصى عند وفاته أن يولى لانه لم يعزله

## الجنابة أو خيانة

والمغيرة بن شعبة ، كان أميراً على البصرة وهو ذوبلاء ، وغناه في نصرة الدين  
وفتوح فارس وغيرها . انهم بعض من كان معه بشبهة شنيعة فلم يلبث أن أرسل  
اليه كتابا عاتبه فيه واستحجته وعزله وأمر غيره . وهو : « أما بعد فقد بلغني نبأ عظيم  
فجئنت أبا موسى أميراً . فلم مافي يدك والمجمل العجل » . تقدم على عمر ومعه  
الشهود الذين شكوه فلم تقببت التهمة عليه واقام عمر الحد عليهم بما فرضه الله لثلثهم  
وهذا عمار بن ياسر ، كان أميراً على الكوفة وهو من السابقين الاولين انهي  
الى عمر قوم من الكوفة انه لا يحتمل ما هو فيه من الولاية عليهم ، ان ليس بأمر  
يقدر على هذا العمل . فأمره عمر بأن يقدم عليه في وفد من أهل الكوفة ، فسأله عمر  
عما يشكون من عمار فقال قائلهم انه غير كاف ولا عالم . لسياسة . وقال قائل منهم  
انه لا يدري علام استعمل . فاختبره عمر اختصاراً يدل على سعة علمه بفارس  
ونواحي الكوفة ونصوره موقع كل بلد . فلم يحسن عمر الاجابة في بعض ما سئل منه  
فمزاه . ثم دعاه بعد ذلك : فقال له اسألك حين عزالتك ؟ فقال : واقه ما فرحت  
حين بعثني ولقد ساء لي حين عزلني . فقال لقد علمت ما انت بصاحب عمل ولكني  
تأولت قوله تعالى « ونريد ان نغن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة  
ونجعلهم الوارثين »

جاء في كنز العمال عن عاصم بن أبي النجود ان عمر بن الخطاب كان اذا بعث  
عماله شرط عليهم : ان لا تركبوا برذونا ولا تأكلوا نقيا ولا تلبسوا رقيقا ولا  
تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس ، ان فعلتم شيئا من ذلك حلت بكم العقوبة  
أما انتخايه للأمراء وتجرية لان يكونوا ذوي عفة وقناعة فكان على أئمة وقد  
تيسر له من هذه الطائفة عالم بتيسر لغيره . وكان كثير من عماله يتجهون منهجه  
ويترحمون خطواته فمن عماله سلمان الفارسي على المدائن كان يلبس الصوف

ويركب الحمار ببرذعته بغير اكاف ويأكل خبز الشعير . ولما حضرته الوفاة بكى فقال له سعد بن أبي وقص : يا أبا عبد الله ما يبكيك ؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان في الآخرة عقبة لا يقطعها الا الخفون . وأرى هذه الاسودة حولي . فنظروا فلم يجدوا في البيت الا اداة وركوة ومطهرة . وكان أبو عبيدة بن الجراح عامله على الشام يظهر للناس وعليه الصوف الجاني . فعذل في ذلك فقال ما كنت بالذي أترك ما كنت عليه في عصر رسول الله ﷺ

وكان عامله على حصص سميد بن حذيم . فشكا أهل حصص الى عمر وسأله عزله . وكان عمر يعتقد انهم ظالمون له فقال اللهم لانقل فراسق فيهم وجمع بينهم وبينه فقال ما تنقمون منه ؟ قالوا لا يخرج البنا حتى يرفع النهار . فقال ما تقول يا سميد ؟ فقال يا أمير المؤمنين انه ليس لأهلي خادم . فاجبر عجلي . اجلس حتى يختم ثم اخبر خبري ثم انوضأ واخرج اليهم . قال : ماذا تنقمون منه ؟ قالوا لا يجيب بليل . قال قد كنت أرى ان أذكر هذا . اني جعلت الليل كله لربي وجعلت النهار لهم . قال ماذا تنقمون منه ؟ قالوا يوم في الشهر لا يخرج البنا ؟ قال نعم . ليس لي خادم فاعسل ثوبي ثم اجفنه فامسى . فقال عمر : الحمد لله لم يقل فراسق فيكم يا أهل حصص فاستوصوا بواليكم خيرا . وبعث اليه بالف دينار يستعين بهما فابقى منها بسيراو فرق سائرهما في اليتامى والفقراء والمساكين ولم يغير من عادته

وكان عمر اذا بلغه عن عامل من عماله ريبة في معصية لم يعمل ان يعزله . لان استصلاح الرعية بضرره بالعزل خير من الابقاء عليه مع ضرر الرعية . من ذلك انه استعمل النعمان بن فضالة على ميسان من بلاد فارس وكان يقول الشعر فقال :

ألاهل أتى الحسنة ان حليلها ميسان يسقى في زجاج وحشم  
اذا شئت غنني دهاقين قرية وصناعة تشد على كل ميسم  
فان كنت ندماني قبل لا كبراسقي ولا نسقي بالا كبر المتسلم

أهل أمير المؤمنين يسوء تنادينا بالجوسق المتهم  
فقال عمر أي والله انه ليسوء في ذلك . وعزله . فقدم على عمرو قل : والله ما أحب  
شيئا مما قلت ولكني كنت امرءا شاعرا وجدت فضلا من القول فقلت فيه الشعر .  
فقال عمر : والله لا نعمل لي على عمل ما بقيت . وقد أشار المعري الى هذه  
الحادثة بقوله :

أمان ماسر ابن حنيفة الذي سررت به من شرب ماني الخنازم  
قال الأستاذ الحضري ولم يمض عامل زمن عمر موثوقا به في كل أيامه إلا  
القليلين ، وفي مقدمتهم أبو عبيدة عامر بن الجراح  
كان عمر قد أقام محمد بن مسلمة مفتشا عاما يرسله الى كل بلد اشتكى على أميره  
وكان عمر يثق به ثقة تامة وكان أهلا لذلك منه . وقد كان من : أيه ان يحقق الامر  
تحقيقا علنيا على ملا من الاشهاد اذ لا محل لتأثير في الشهود والتقصوم لان يد  
عمر كانت قوية جدا وقد زاد في حرية الناس كثيرا ، فاكان أحد يخشى أميراً  
ولا عمر بن الخطاب . اللهم إلا المريب فان عقابه عليه كان صارما  
ومما ساس عمر به عماله انه كان يخصى عليهم أموالهم قبل توليتهم . فاذا زاد  
له مال بعد ولايتهم صادرهم عليه كله أو بعضه . ذلك انه كان يرى ان لا يتناول  
العامل من مال الامة فوق كفايته . فاذا تأمل مالا كان بذلك إما مريبا أخذه من  
غير حله فبيعت مال المسلمين أولى به وفيهم اليتيم والمساكين والضعيف وذو الحاجة .  
وإما ان يكون راتبه فوق كفايته والمسلون أولى بما فضل عن كفاية العامل القدي  
يعمل بالأجر . فن ذلك ان عمر استعمل عتبة بن أبي صفيان على كسالة قديم  
المدينة بمال فقال : ما هذا يا عتبة ؟ قال : مال خرجت به معي ونجرت فيه . قال  
وما لك تخرج المال منك في هذا الوجه . فصيره في بيت المال  
ومن ذلك ان خالد بن الوليد أدوب هو وعياض بن قنم الى بلاد الروم .



ثم انتجع الاشعث بن قيس خالدا من العراق فوصله خالد بعشرة آلاف درهم وكان عمر كما نعلم لا يخفى عليه شيء في عمله فكتب اليه بخروج من خرج من العراق الى الشام وبجائزة من أجزى فدعا البريد وكتب معه الى أبي عبيدة ان يقيم خالدا ويعقله بعمامة وينزع فلسوته حتى يعلمهم من أين أجاز الاشعث أمن ماله أم من اصابة أصابها ؟ (يعني المغنم) فن زعم انه من اصابة أصابها فقد أقر بخيافته . وان زعم أنها من ماله فقد أسرف وأعزله على كل حال واضم اليك عمله . فكتب أبو عبيدة الى خالد فقدم عليه ثم جمع الناس وجلس لهم على المنبر . فقام البريد فقال : أمن مالك أجزت بعشرة آلاف أم من اصابة ؟ فلم يجبه حتى أكره عليه وأبو عبيدة ما كت لا يقول شيئا . فقام بلال اليه فقال : ان أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا ثم تناول فلسوته فمقله بعمامة فقال ما تقول ؟ أمن مالك أم من اصابة ؟ قال : لا . بل من مالى . فأطلقه وأعاد فلسوته وعمره بعمامة بيده وقال « نسمع ونطيع لو لا أننا ونفخ وننغم موالينا » . وأقام خالد لا يدري أم عزول هو أم غير عزول ؟ وأبو عبيدة لا يخبره كرامة له وكان عمر لما أبطل عليه علم بالذي كان . فكتب الى خالد بالقدوم عليه . فكتب خالد على أبي عبيدة لانه لم يعلمه بأمر عمر . ثم ان خالدا قدم الى المدينة على عمر فشكاه وقال لقد شكوكك للمسلمين وبالله انك في أمري غير مجمل يا عمر . فقال عمر : من أين هذا الثرى ؟ قال من الانفال والسهمان ما زاد على الستين الفا فهو ثقت . فتقوم عروضة فكانت ثمانين الفا أدخل منها بيت المال عشرين الفا . ثم قال : يا خالد والله انك علي الكريم وانك إلي حبيب ولن تعانيني بعد اليوم على شيء . وكتب عمر الى الامصار « اني لم أهزل خالدا عن سخطه ولا خيانه ولكن الناس فتنوا به نجفت ان يوكلوا اليه وان يُبتلوا به فأحييت ان يعلموا أن الله هو الصانع وان لا يكونوا بمرض فتنة » ويدل على أنه عمل ما عمل لا عن خيانة أو ريبة . ان عمر قام يوما خطيبا فقال

من خطيبته « واني أعتذر اليكم من خالد بن الوليد فاني أمرته ان يحبس هذا المال على ضعة المهاجرين ، فأعطاه ذا الياس وذا الشرف وذا اللسان ، فزعمته وأمرت أبا عبيدة » والذي أفهمه من قوله هذا أنه لو منحى بالعطاء أهل الضعف والحاجة من المهاجرين ، ولم يضع عطائه في الاشعث بن قيس ونحوه ، لم يجحد عمر عليه سيلا

ولقد سمع هذه الخطبة أبو عمرو بن حفص بن المغيرة - وهو ابن عم خالد - فقام فقال : والله ما اعتذرت يا عمر ولقد نزعمت عادلا استعمله رسول الله ﷺ وأحدث سيفاً صله رسول الله ﷺ ووضعتم أمراً نصبه رسول الله ﷺ وقطعت رجلاً وحسدت ابن الدم . فقال عمر انك قريب القرابة حديث السن مفضب في ابن عمك . ومن كلام عمر - وقد طعن - « لو أدركت خالد بن الوليد لوليت له فاذا قدمت على ربي فسألني من وليت على أمة محمد؟ قلت أي رب سمعت عبدك ونييك يقول : خالد بن الوليد سيف من سيوف الله صله على المشركين » وما كان فاني أفهم ان عمر كان متعاملاً على خالد

وقد ورد ان عمر قاسم سعد بن أبي وقاص ماله وكذلك عمرو بن العاص . قد يجحد هذا العمل مجالاً للانتفاذ من الوجهة النظرية الدينية ، ولكن عمر ( كما قال الاستاذ الخضرى ) كان يعرف من من عماله يستحق هذه العقوبة ان تقع عليه . اذا ماذا يعمل برجل ولاء وهو يعرف مقدار عطائه ورزقه ثم يراه بعد ذلك قد أثرى فزوة لو جمعت أعطياته ما بلغت ما لم ير عمر أمام ذلك إلا هذه المصادرة وقد اكتفى بأن يشاطر العامل ما يملك ، وليست أريد ان أحسن هذه الطريقة

معاملة عمر للرعية : كانت رافة عمر ورقته على عامة الناس في وزان ما كان عليه من الشدة على عماله فكان عمر شديد الاهتمام بأمر الرعية دائم العناية بما يصلحهم وكان يحس من ذلك مسؤولية عظيمة . فكان يقول لو ان جلالهك ضياعاً بشط

الفرات خشيت ان يسأل الله عنه آل الخطاب ( يعني نفسه ) وقد قال هشام الكعبى رأيت عمر يحمل ديوان خراطة حتى ينزل قديداً فنأتيه بقديد ، فلا يغيب عنه امرأة ولا بكر ولا نيب فيعطيهن في أيديهن ، ثم يروح فينزل عصفان فيفعل مثل ذلك أيضا حتى توفى . وقال الحسن البصري : قال عمر : لئن عشت لأسيرن في الرعية حولا فاني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني فأما عالم فلا يرفعونها الي ، وأما هم فلا يصلون الي ، فأسير الى الشام فأقيم بها شهرين ثم عدد الأمصار الكبرى يقيم في كل منها شهرين ( وقد حالت منيته دون هذه السياحة )

وروى أسلم : قال خرجت مع عمر بن الخطاب الى حرة واقم حتى اذا كنا بصرار اذا نار توارت فقال : يا أسلم أرى هؤلاء ركبا قصر بهم الليل والبرد ، انطلق بنا . فخرجنا نهروا حتى دنونا منهم ، فاذا امرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على النار وصبيانها يتضاغون . فقال عمر : السلام عليكم يا أصحاب الضوء ( وكره ان يقول النار ) قالت المرأة : وعليك السلام . فقال أدنو ؟ قالت أدن بخير أودع . فقال ما بالكم ؟ قالت قصر بنا الليل والبرد . قال فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون ، قالت الجوع . قال وأي شيء في القدر قالت ماء . أسكاهم به حتى يناموا ، الله بيننا وبين عمر . فقال : أي رحمتك الله ما يدري عمر بكم . قلت بشئ أمورنا وبنفل عنا ، فأقبل علي فقال انطلق بنا . فخرجنا نهروا حتى أتينا دار الدقيق فاخرج عدلا فيه كبة شحم فقال احمله علي . قلت أنا احمله عنك قال احمله علي ( مرتين أو ثلاثا ) كل ذلك أقول أنا احمله عنك فقال آخر ذلك . أنت تحمل عني وزري يوم القيامة لا أم لك ، فحملته عليه . فانطلق وانطلقت معه نهروا حتى أتينا اليها فالتى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شبتا وجعل يقول ذرى علي وأنا أحرك لك وجعل ينفخ تحت القدر وكان ذا لحية عظيمة فجعلت أنظر الى الدخان من خلال لحيته حتى أنضح ادم القدر . وقال ابني شيئا . فأنفته بصحفة فأفرغها فيها وجعل يقول أطعمهم وأنا اسطح لك . فلم يزل حتى شعوا ثم خلى

عندها فضل ذلك وقام وشت معه . فجعلت تقول جزاك الله خيراً ، أنت أولى بالامر من أمير المؤمنين . فيقول قولي خيراً ، انك اذا جئت أمير المؤمنين وجدته في هناك ان شاء الله . ثم تنحى ناحية ثم استقبلها ورضى مريض السبع . فجعلت أقول ان لك شأن غير هذا وهو لا يكلمني حتى رأيت الصبية يصطرون ويضحكون ثم ناموا وهدأوا فقام وهو يحمد الله ، ثم أقبل علي فقال : يا سلم ان الجوع أسهرهم وأبكاهم فأحببت الا أنصرف حتى أرى ما رأيت فيهم

.. معلوم أن الحوادث الصغيرة كهذه الحادثة تدل على روح الرجل وأحواله النفسية وتنبئ عن شفقته وخوفه أن يكون مقصراً في حق من وليهم من الرعية . ونحن نفعل في عصرنا هذا ، لانا لا نجد أميراً أو كبيراً من الناس يهتم بمروءته وعشر معشار هذا الاهتمام ، ولو ان امرأة كرهه رآها مدير أو مأمور لكان أقرب شيء يعله لها أن تكتب لها محضر نشراد ويقدمها لاقضاء ليحكم عليها

وخطب مرة فقال : أيها الناس اني قد وليت عليكم ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم وأقوامكم عليكم وأشدكم استصلاًعاً بما يسوب من موم أموركم ما توليت ذلك منكم ولكني عمرٌ مما محزوناً انتظار موافقة الحساب بأحد حق فيكم كيف آخذها ، ووضعها بين أضعها وبالسيف فيكم كيف أسير . فربي المستعان فان عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة ان لم يتداركه الله عز وجل يرحمته وعونه وتأييده

وكان رحمه الله ذا سياسة حسنة في تقويم أخلاق الناس وحملهم على المحجة الواضحة . جاء في كتز العمال من حديث عتبة بن مسعود قال سمعت عمر بن الخطاب يقول : ان ناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ وان الوحي قد انقطع وانما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم فمن أظهر لنا خيراً آمنناه وقرّبناه وليس لنا من سريرته شيء الله يحاسبه في سريرته ، ومن أظهر لنا شراً لم نأمنه ولم نصدقه وان قال أن سريرته حسنة . فهو بهذه المثابة يهديهم امثل الطرق ويحذرهم

المزال\* ويراليهم بالتصامح ويرشدهم الى محجة الخير الواضحة ويبصرهم سنن السعادة ويأمرهم بالتقوى والعدل والتألف\* وبخاصة قريش فإنه كان لا ينام لهم على أمر ولا يدعهم ساعة من نصيحة فانهم قدوة الناس وأئمة العرب

أخرج الطبري عن ابن عباس أن عمر قال للناس من قريش : بلغني انكم تتخذون مجالس ، لا يجلس اثنان معا حتى يقال : من صحابة فلان ، من جلساء فلان ؟ حتى تحميمت المجالس وأيم الله ان هذا لسريع في دينكم . سريع في شرفكم . سريع في ذات بينكم . ولكأني بمن يأتي بعدكم يقول : هذا رأي فلان . قد فسدوا الاسلام افساداً . افيضوا بحالككم بينكم وتجالسوا معا فإنه ادوم لألفتكم وأهيب لكم في الناس . اللهم ملوئي وملأوهم وأحسبست من نفسي وأحسوا مني ، ولا أدري باينا يكون الكون . وقد أعلم ان لهم قبلاً منهم فاقبضني اليك ومن جهيل سياسته أنه كان لا يرضى من عماله الشدة في استيفاء الحقوق والتزيد على ما أمر الله أن يؤخذ الناس به ، بل كان يوصيهم بالرفق والائاة والعدل وعدم الايقال في العقوبة

عن ابن عمر قال : كنت مع عمر في حج فاذا نحن براكب ، قال عمر : رى هذا يطلبنا . فجاء الرجل فبكي . قل : ما شأنك ، ان كنت غارماً أعناك وان كنت خائفاً أعناك الا أن تكون قتلت نفساً فتقتل بها ، وان كنت كرهت جوار قوم حولك أعنيهم ؟ قل : اني شربت الخمر وأنا أحد بني نعيم . وان أبا موسى جلدني وحلقني وسود وجهي وطاف بي على الناس . وقال لا نجبالسوه ولا تواء كلوه فحدثت نفسي بأحدى ثلاث : اما أن أتخذ صيفاً فأضرب به أبا موسى ، واما أن آتيت فتحتلني الى الشام فانهم لا يعرفوني ، واما أن ألحق بالعدو فأكل منهم وأشرب . فبكي عمر وقال : ما يسرنى أنك فعلت وان لمصر كذا وكذا . وانني كنت لأشرب الناس لها في الجاهلية وانها ليست كالزنا . وكتب الى أبي موسى ما صورته :

سلام عليك . أما بعد ، فإن فلان ابن فلان التميمي أخبرني بكذا وكذا وأيم الله أني  
ان عدت لاسودن وجهك ولا طوفن بك في الناس فإن أردت أن تعلم حق ما  
أقول فعد ، فأمر الناس ان يجالسوه ويؤاكلوه فإن تاب فاقبلوا شهادته . وحمله عمر  
بأعطاء مائتي درهم

ومع أن عمر قد أوحى للناس طول الحرية وأجرهم رهن المساواة وفرش العامة  
صدرة ، فقد كان مريباً فيهم حتى امتلأت صدورهم بهيبته . لم يجد عليهم سيقا  
لم يرفع عليهم سوطاً ، وإنما كانت له درة وهي عصا صغيرة كالخصرة يستعملها في  
تأديب من استحق الأدب منهم وكانت في يده على الدوام أي سار . وكان الناس  
يهابونها أكثر مما يخيفهم السيوف

روى الطبري عن اياس بن سلمة عن أبيه قال : مر عمر بن الخطاب في السوق  
ومعه الدرة فحفظني بها خفقة فأصاب طرف نوبي . فقال : أمط الطريق . فلما كان  
في العام المقبل لقيني . فقال : يا سلمة تريد الحج ؟ قلت : نعم . فأخذ بيدي فانطلق  
نبي . فزله فأعطاني مائة درهم وقال استعن بها على حجك ، واعلم أنها بالخفقة  
التي خفقتك . قلت : يا أمير المؤمنين ما ذكرتها . قال : وأنا ما نسيها . فكان  
عمر مؤدباً حكيماً . قال الخطري : ولعل درته لم يسلم من خفقتها الا القليل من  
كبار الصحابة

روى راشد بن سعد أن عمر بن الخطاب أتى بحال فحمل يقسمه بين الناس  
فزدحموا عليه فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس حتى خلص اليه . فعلاه عمر  
بالدرة . وقال : انك أقبلت لانتهاج سلطان الله في الارض فأجبت أن اعطيك  
أن سلطان الله لا يهابك . والذي حمل عمر على أن يأتي الى سعد ما أتى ، غضبه منه  
لمزاحمته الناس مدلاً عليهم بفضلهم وسابقته وعمر يعشق المساواة ويكره الادلال على

الناس . وقد كانت الرعية كما قلنا تنابه مهابة شديدة . روى أسلم أن نفراً من المسلمين كلموا عبد الرحمن بن عوف فقالوا كلم عمر بن الخطاب فإنه قد أخشانا حتى والله ما نستطيع أن نديم إليه أبصارنا . فذكر ذلك عبد الرحمن بن عوف لمر فقال أوقد قالوا ذلك ؟ والله لقد كنت لهم حتى تخوفت الله في ذلك ، ولقد اشتددت عليهم حتى خشيت الله وإيم الله لانا أشد منهم فرقا منهم مني

### عفة عمر عن مال المسلمين

كان عمر قد أخذ نفسه وأهله بحال من التقشف وخشونة العيش حتى ساوى البائس الفقير الذي إنما يعيش بما يتباغ به مما يملك الرمن ويدفع الجوع . لم تشره نفسه إلى رقيق العيش وأمر الحياة الدنيا . ولم يهتم بمكافأة الناس في المال ويرى مال المسلمين مرتعاً وبيلاً على من وعاه ففتر على نفسه تقبلاً حظه موضعاً للانتقاد واعتراض المعترضين . وقد بلغ من شدة احترازه عن أخذ مال المسلمين أن عطائه ربما قصر به عن بلوغ الكفاية من حاجاته وحاجات أهله . فلا يسمح لنفسه بأن يطلب من المسلمين أن يفرضوا له كفايته . بل كان يلجأ إلى الاقتراض من أمين بيت المال فإذا حل ميعاد الوفاء ولم يجد عنده ما يسد منه احتال له حتى إذا أخذ عطائه سدد منه

رأى بعض أصحاب رسول الله ما يعانيه أمير المؤمنين من جهد العيش فاجتمع نفر منهم فبههم عثمان وعلي وطلحة والزبير . وقالوا : لو قلنا لعمر في زيادة فريضة إياها في رزقه . فقال عثمان هلم فلنعلم ما اعتده من وراء وراء . فأتوا أم المؤمنين حفصة بنت عمر وحدوثها بما اعتزموا عليه وأوصوها ألا تخبر بهم عمر . فلقينه حفصة وقالت له في ذلك . فنضب وقال من هؤلاء لأسموهم . قالت لا سبيل إلى علمهم . قال أنت بيني وبينهم . ما أفضل ما ألتقي رسول الله ﷺ من الملبس ؟ قالت ثوبين

مشتقين كان يلبسهما للوفد والجمع . قال فأبي الطعام ناله عندك أرفع . قالت حرفا من شعير فصينا عليه وهو حار أسفل عكة لنا فجعلتها دبة حلوة فأكل منها . قال : فأبي ميسط بسط عندك كان أوطأ ؟ قالت كسا . نحن نربيه في الصيف فإذا جاء الشتاء بسطنا نصفه وتدثرنا بنصفه . قال يا حفصة فأبلغهم أن رسول الله ﷺ قدر موضع الفضول مواضعها وتبلغ بالترجية . وإنما مثل ومثل صاحبي كئلثة سلكوا طريقا ففصى الأول لبيده وقد تردد فبلغ المنزل ثم اتبعه الآخر ماله . بيده فأفصى إليه ثم اتبعهما الثالث فان لزم طريقهما ورضي بزادهما لحق بهما وان . لك طريقا غير طريقهما لم يلقيهما

كان عمر مع ذلك لا يسوغ أحداً من أهل بيته ان يتنعم بشيء . ليس له فيه حق . روى مالك في الموطأ أن عبد الله وعبيد الله ابنا عمر خرجا في جيش الى العراق . فلما قفلا مرا على أبي موسى الأشعري وهو أمير البصرة . فرحب بهما وسهل . ثم قال : لو أقدر لكما على أمر أتفقكما به . ثم قال : بلى ، ههنا مال من مال الله أريد ان أبعث به الى أمير المؤمنين فأسلفكاه فتبتاعان به متاعا من متاع العراق ثم تبيعانه بالمدينة فتؤديان رأس المال الى أمير المؤمنين ويكون لكما الربح . فقالا وددنا ذلك . ففعل وكتب الى عمر بن الخطاب ان يأخذ منهما المال فلما قدما باعا فأربحا فلما دفعا ذلك الى عمر قال : أكل الجيش أسلفه ؟ قالوا : لا . فقال عمر بن الخطاب : ابنا أمير المؤمنين فأسلفكاه أديا المال وربيحه . فأما عبد الله فسكت ، وأما عبيد الله فقال : ما ينبغي لك يا أمير المؤمنين هذا . لو قصص هذا المال أوهلك لضمناه . فقال عمر ادباً . فسكت عبد الله وراجعه عبيد الله . فقال رجل من جلساء عمر : يا أمير المؤمنين لو جعلته قراضا . فأخذ عمر رأس المال ونصف ربحه وأخذ عبد الله وعبيد الله نصف ربح المال . قالوا وهو أول قراض في الاسلام وقد ذكر الاستاذ الحضري في محاضراته أنه لما ترك ملك الروم القزو



وكتب عمر وقاريه وسير اليه عمر الرسل مع البريد بعثت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب الى ملكة الروم بطيب وشارب واحتاش من احتاش النساء ودسته الى البريد فأبلغه لها فأخذ منه وجاءت امرأة قيصر وجمعت نساءها وقالت هذه هدية امرأة ملك العرب وبنت نبيهم وكانتما وأهدت لها وقفاً أهدت لها عقد فاخر . فلما انتهى به البريد اليه أمر بامساكه ودعا الصلاة جامعة . فاجتمعوا فصلى بهم ركعتين وقال : انه لاخبر في أمر أرم عن غير شوري من أموري . قولوا في هدية أهدتها أم كلثوم لامرأة ملك الروم فأهدت لها امرأة ملك الروم . فقال قائلون : هو لها بالذي لها وليست امرأة الملك بذمة فضايع به ولا نحت بك فنتيك . وقال آخرون قد كنا نهدى الثياب لستوب ونبت بها لنبايع ولانصب شيئاً فقال : وان كان الرسول رسول المسلمين والبريد بريدهم والمسلمون عظموها في صدرها فأمر . بردها الى بيت المال ورد عليها بقدر نفقتها . اهـ . ولو ان عمر أرخى العنان لنفسه أو لاهل بيته لرفعوا ولرفع من بعدهم وكان مال الله تعالى حياً على أولياء الأمور . ومن القواعد الطبيعية المؤيدة بالمشاهدة أن الحاكم اذا امتدت يده الى مال الدولة اتسع الفتق على الرائق واختل بيت المال أو مالية الحكومة وسرى الخلل في جميع فروع المصالح وجهر المستمر بالخيانة وانحل النظام

ومن المعلوم ان الانسان اذا كان ذا قناعة وعفة عن مال الناس زاهد في حقوقهم دعاهم ذلك الى محبة والرغبة فيه . واذا كان حاكماً حادبوا عليه واخضعوا في طاعته نياتهم وكان أكرم عليهم من أنفسهم

وقد كان عمر اذا نهى الناس عن أمر من الأمور جمع أهله فقال افي نهيت الناس عن كذا وكذا وان الناس ينظرون اليكم نظر الطير الى اللحم وانهم يأنفون لا أجد أحداً منكم فعله الا أضغفت عليه العقوبة

ما كان عمر مع ذلك بالذي يضيق على العامة أو يأخذ الرعية بمذهبه بل كان

يرى أن يعملهم على الجادة الوسطى وإن يتنعموا بأطبيبات وإنما كان يأخذ عماله  
بغضبه . فقد كتب أبو عبيدة إلى عمر كتباً يخبره فيه بأنه لا يريد الإقامة بالطاكية  
أطبيب هو أنها وخوف اخلاص الجند إلى الراحة . فسكان من كتب عمر إليه : وأما  
قواتك أنك لم تقم بالطاكية أطبيب هو ثم : فله عز وجل لم يحرم الأطباء على المتقين  
الذين يعملون الصالحات . فقال تعالى في شأنه العزيز : يا أيها الرسل كلوا من الطيبات  
واعملوا الصالحات . فعملوا علمه . وكان يحب عليك أن تريح المسلمين من تعبهم  
وتدفعهم يرغدون في مضجعهم ويريحون الأبدان الفسبة

ميل عمر الاستشارة وقبوله النصيحة . كان عمر لا يستأثر بامر دون المسلمين ولا  
يستبد عليهم في شأن من الشئون العامة . فذا نزل به أمر لا يبرمه حتى يجمع المسلمين  
ويجول رأيهم فيه ويستشيرهم . ومن ما نزل قوله لا خير في أمر ابرم من غير  
شورى . وكان مسكه في الشورى جملة . فانه كان يستشير العامة أول أمره فيسهم  
منهم . ثم يجمع شيوخ أمصار رسول الله وأصحاب الرأي منهم ثم يفتي بهم  
بلامر . يسأفم أن يخلصوا فيه إلى رأي محمود . فما استقر عليه رأيهم امضاء وعمله  
هذا يشبه المظالم الدستورية في كثير من الممالك النظامية إذ يعرض الامر على  
مجلس ( النواب ) مثلاً ثم بعد ان يقرر بالأغلبية يعرض على مجلس آخر يسمى في  
بعضها مجلس الشيوخ وفي بعضها مجلس اللوردات وهذا انتهى المجلس من تقريره  
امضاء الملك . والفرق بين عمل عمر وعمل هذه الممالك ان هذا الامر كان اجتهاداً  
منه وبغير نظام متبع . أو قوانين مسنونة . وأما في الممالك المنمذنة اليوم فلامر  
يجوز على نظام وقوانين . ومن قوله في الشورى : يحق على المسلمين أن يكون  
أمرهم شورى بينهم . بين ذوي الرأي منهم . فالكس تبع لمن قام بهذا الامر ما اجتمعوا  
عليه ورضوا به لزم الناس وكأوا فيه تبعاً لهم ومن قام بهذا الامر تبع لأولي رأيهم  
مارأوا لهم ورضوا به من مكيدة في حرب كانوا فيه تبعاً لهم . فهو في قوله هذا قد

جعل أولي الامر متفذين لما رآه أولو الرأي والناس تبع للامام فيما أخذ به من رأي أولي الرأي

و كثيرآ ما كان يجتهد في الشيء ويهدي رأيه فيه ثم يأتي أضعف الناس فيبين له وجه الصواب فيقبله ويرجع عن خطأ ما رأى الى صواب ما استبان له رأى الناس بعد توالي الفتوح وكثرة الاموال لديهم قد غالوا في مهور النساء فلم يعبه ذلك من أمرهم وعزم على ان يجعل للهر حدا لا يتجاوزنه الناس. فنادته امرأته من أخريات المسجد قئلة كيف وقد قل الله تعالى « وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا » فافقه يعطينا بالقنطار وانت تمتصنا الدرهم يا عمر ؟ فقال : اصابك امرأة واخطأ عمر . وكان يطلب من الناس ان يفضوا اليه بنصائحهم ويبينوا له وجه الحق اذا رأوا منه انحرافا عن القصد. فقد ورد انه قل مرة في خطبة « أيها الناس ان احسنت فاعينوني وان صدفتم فقوموني » فقال له رجل من أخريات المسجد : لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسير فنا . وفي المناقب عن الحسن رضي الله عنه قل كان بين عمر بن الخطاب وبين رجل كلام في شيء. فقال له الرجل اتق الله . فقال رجل من القوم اتقول لأمر المؤمنين اتق الله . فقال عمر دعه فليقلها لي. ثم ما قل . لاخبر فيكم اذا لم تقولوها ولا خبر فينا اذا لم تقلها

وقد كان لعمر خاصة من علية الصحابة وذوي الرأي . منهم العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله وكان لا يكاد يفارقه في سفر او حضر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وعلي بن أبي طالب ونظر اؤهم . كان يستشيرهم ويرجع الى رأيهم رأي عمر في الاجتماعات . كان عمر رضي الله عنه يرى ان اعتماد الخاصة عن عامة الناس واختصاصهم بأفراد لا يفيشى تلك المجالس سواهم أمر غير لائق . لانه كان يعتبر علية الناس وذوي فضلهم بمنزلة المربي للعامة يقتدون بهم ويقومون

خطواتهم فاذا دفعت العامة عن عثمان مجالس أولى الفضل فانت الفائدة المقصودة ، ووجدت هوة بعيدة الفوار بين الفريقين . ثم يقيم ذلك ان المجالس يدور فيها الكلام على انحاء وفنون . فاذا نقل ما يدور فيها الى الناس قل على غير وجهه وصرف عن منعه وغلقت بالمجالس وأهلها الظنون . وكان ذلك ادعى الى سقوط منزلتهم . وفوق هذا بان ذلك يدعو الى الاختلاف والتدابير والتناكر لان من يفشون مجلسا يُبدلون بعينه ذلك المجلس وكبيرة . وذلك مؤد الى النفاسة وقد نهى عمر عن ذلك فلما من قريش فيما قدمنا عن ابن عباس . قل الاستاذ انظري : الذي خافه عمر على الناس وعلى من يأتي قد وقع فكثرت الآراء المنقولة عن افراد ذلك العصر ودعا ذلك الى اختلاف الناس في الدين اختلافا عظيما

## تدوينه الدواوين وفرض المطاء

اترك الاستاذ انظري يشكلم على تدوين الدواوين قل : من البديهي ان حاجات الدولة تفرق بقرقي العمران وامتداد السلطان . وقد كانت دولة الاسلام في خلافة أبي بكر وصدا من خلافة عمر في مبادئ الظهور وسداجة البيئة وعدم اتساع السلطان ولم يكن لها من الدخل والخرج الا الصدقة التي كانت تؤخذ من الاغنياء وترد على الفقراء . ولما انعمت والقي . فكانت قليلة لم تنعج احساسها التي يبعث بها للمدينة الى صرف العناية وترتيب الشؤون الادارية على اصول الدول المرفقية يومئذ كفارس والروم . ولما كانت العناية منصرفة الى الشؤون الحربية والفنون العسكرية

ولما توسع المسلمون بالفتح وانتشروا في الممالك وكثرت موارد الدولة وتبسطت في مناحي العمران وأخذ يزداد التي . من الخراج والجزية زيادة لاطافة الخليفة وأمراته بضبطها ، ولا قبل لهم باحصاء مستحقها وتوزيع الاعطيات على أربابها

بالعدل الاضطباطا وترتيبها على أصول ثابتة وفبده في قيود خاصة دعا عمر رضي الله عنه الصحابة واستشارهم في كيفية تدوين الديوان فقال علي بن أبي طالب تقسم كل سنة ما اجتمع من مال ولائك منه شيئا وقل عتبان ارى مالا كثيرا اسم الناس وان لم يحصوا حتى يعرف من اخذ مما ياخذ خشيته ان ينتشر الامر وقل له الوليد بن هشام ابن المغيرة قد جئت الشاء فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا اجتهادون ديوانا وجندوا جندا فأخذ بقوله فدعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وحجير بن مطعم وكانوا من نساء قريش فأمرهم به وبن الديوان ففعلوا والديوان هو الذي اجتمع الصحف والكتاب يكتب فيه أهل الحبس وأهل العطية كما في القاموس وتوسعوا بماله بعد فأنطقوا على كل دفتر الحكومة لادارية وغيره ثم على السكان الذي يكون فيه الديوان ديوانه

ولما كتبت الدواوين كتب ديوان الشام بالرومية وديوان العراق بالفارسية واستمر الى عهد عبد الملك بن مروان بالشام والحجاج بن يوسف عامله على العراق ونقل عبد الملك في الشام الديوان الى العربية ونقله الحجاج في العراق الى العربية الوصف على الجنة

كان عمر يحب رعيته حبا جما ويحب ما يصلحها ويكره ما يفسدها ساسها بسياسة تقربه الى الغريب وكان عفيفا عن مواهم عدلا بينهم مساويا بين الناس لم يكن قوي يظلم ان يأخذ أكثر مما له ولا ضعيف يخاف ان يضيع منه ماله كان حكما يضع الشيء في موضعه يشهد حيا ويمين حيا حسبها نوحى اليه الاحوال التي هو فيها عرف العرب معرفة تامة وعرف ما يصلح أنفسها فسيرها في الطريق الذي لا تألم فيه فسيرها أمة حرة لا استطيع ان تنظر الى حيف يلحقوا من أي انسان ولذلك نقول ان عمر اتعب من بعده فان القاموس التي تحمل القاموس احتله عمر قاطبة في الدنيا بأمرها والا فإين ذلك الرجل الذي يعني في مصلحة رعيته ولا يرى لنفسه من الحقوق الا كما لا دناءهم مع تحمله مشقات اعباد وامنائها العربي تستدعي

سياسته حكمة عالية : فإني أشهدك مع أدلته فذلك ، وإن كنت معه ليكون رجلاً نافعاً لم يكن هناك حد لجفائه ولا لحرته فهو يحتاج إلى عقل كبير يدبره حتى لا تهلكه الشدة ولا يطغيه الدين ، ولم يكن ذلك العقل الكبير إلا في رأس عمر ابن الخطاب بعد صاحبه

نعم قد قام بعده خلفاء راشدون وأئمة مهتدون ولكنهم لم يجمعوا صفات عمر التي كان يجمعها كدواء مركب إذا سقط منه أحد المفاقر في ما أهلك صاحبه لذلك نصرح بأن العرب بعد عمر لم تجتمع على أي خليفة في أي زمن من الأزمان حتى وقتنا هذا والسبب معقول

بيت عمر

تزوج عمر في الجاهلية زينب ابنة مظنون من بني جمح من قریش فولدت له عبد الله وعبد الرحمن الأكبر وحفصة أم المؤمنين وتزوج في الجاهلية مليكة ابنة جرويل من خزاعة فأولدها عبيد الله وقد فارقه في هدنة الحديبية وتزوج قريظة ابنة أبي أمية من بني مخزوم وقد فرقها في الهدنة وتزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام من بني مخزوم فولدت له فاطمة وتزوج جميلة بنت فيس من الانصار فولدت له عاصم وهذه طلقها وتزوج أم كلثوم بنت علي فولدت له زيد ورقية ومات عنها وتزوج لحية وهي امرأة من اليمن فولدت له عبد الرحمن الأصغر وتزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو

وخطب أم كلثوم بنت أبي بكر وهي صغيرة وأرسل فيها إلى عائشة فعاتبت الأمر اليك . فقالت أم كلثوم لا حاجة لي فيه . فقالت عائشة توغيبين عن أمير المؤمنين ؟ فقالت نعم أنه خشن العيش شديد على النساء فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فأخبرته فقال أكيفك فأتى عمر فقال يا أمير المؤمنين بائني خير . أعينك الله منه ؟ قال ما هو ؟ قال خطبت أم كلثوم بنت أبي بكر ؟ قال : نعم أفرغبت بي عنها أم رغبت بها عني ؟ قال لا واحدة . ولكنها حدثت شأت تحت كتف أم المؤمنين في

لين ورفق وفيك غلظة ونحن نهايك وما قدر ان نردك عن خلق من أخلاقك فكيف بها ان خالفتك في شيء فسلطت بها كنت قد خلقت أبا بكر في ولده بغير ما يحق عليك قال فكيف بعائشة وقد كلتها . قل أفالك بها وأدلك على خير منها أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب تعلق منها بنسب من رسول الله ﷺ وخطب أم ابان بنت هبة بن ربيعة فكرهته وقالت يفلق بابه ويمنع خيره ويدخل عابسا ويخرج عابسا

## مقتل عمر

بينما المسلمون مغتبطون بما يفتح عليهم من الامصار والمدن والممالك شرقي بلاد العرب وغربها وشمالها اذ فوجئوا بأمر المؤمنين مضرجاً بدمه في محرابه . فنبذل صفوفهم كدراً وسرورهم حزناً على هذا الخليفة الراشد العادل المتقي ان رضى الخلائق غاية لا تدرك . فعمروا ان كان أروى بمدله انطلاق مسبحانه وتعالى وشمل عدله من قرب منه ومن نأى عنه من رعيته ، ولسكن قلوباً من غير أهل الاسلام كانت مشتملة على مطاوية حقد له ، مفعمة بالسخط منه

كان بالمدينة ملك من ملوك الفرس قد أضاع ملكه وتاجه وعرف المسلمون فيه نكث اليهود والتخيس بالمواثيق والخنث بالآيمان . قد جمع الى ذلك الخلب والدهاء وقد أقام بالمدينة واحداً من الجمهور لا ميزة له على أحد من الناس بعد ذلك العز الباذخ والسلطان العظيم . وهو في كل يوم يسمع بالفتح في بلاده الفارسية يعبه الفتح والنصر يحوزه المسلمون ينعمه النصر والغنائم يحوتها يمنة ويسرة فيودع ذلك قلبه حمرة . وكان المسلمون يسبون من أبناء فارس ويتخذون منهم الموالي وقد دنت منهم دافة الى المدينة وأقاموا بها في أكناف ساداتهم وخدمة مواليتهم وقد كان كثير منهم يختلفون الى ذلك الملك الذي كان فيهم وهو الهرمزان .

وقد كان من سببا فارس رجل يقال له أبو لؤلؤة عبد المغيرة بن شعبة وكان حافداً على المسلمين صنعهم بيلاده ويتبني لوجعلهم الله في نفس واحدة لينتقى منهم بالقتل دفعة واحدة . وكان لما ورد على المدينة سببا جلولا ، بمسح رؤوسهم ويقول : أكل كبدتي عمر . ذلك ان عمر هو الذي يزجي الجيوش الى فارس ويصرفها في البلاد ، وأمرها اليه في الامصار والاياد

وبينا عمر بطوف يوماً في السوق اذ جاءه فيروز الملقب بأبي لؤلؤة ، وكان نصرانياً . فقال يا أمير المؤمنين أعدني على المغيرة بن شعبة فان على خراجا كثيراً . قال كم خراجك ؟ قال درهمان في كل يوم . قل وايش صناعتك قل تجار نقاش حداد . قال فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الاعمال . قد بلغني انك تقول لو أردت ان أعمل ربحي نطحن بالريح فقلت . قل نعم . قال فاعل لي ربحي . قل اني سالت لاعلمن لك ربحي يتحدث بها من بالمنرق والمغرب . ثم انصرف عنه فقال عمر : لقد نوعدني العبد آناً . ثم انطلق عمر الى منزله . فلما كان من القد جاءه كعب الاحبار فقال يا أمير المؤمنين اهد فالك ميت في ثلاثة أيام ؟ قال وما يدريك قال أجده في كتاب الله التوراة . فقال عمر : آفه انك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة ؟ قال اللهم لا ولكن أجده صفتك وحليتك وانه قد فني أجلك . وعمر لا يحسن وحما ولا ألماً . فلما كان من القد غدا عليه كعب فقال يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقي يومان . ثم جاءه من غد القد وقال ذهب يومان وبقي يوم وليلة وهي لك الى صبيحتها . ذلك ان كعبا رجل يهودي رأى الاسلام يعلو ويتزايد أمره ولم ينف في سبيل نموه شيء ولا دين في بلاد العرب وخارجها . فاسلم اشقيين أولها انه رأى اليهودية تضؤل وتضمحل امام الاسلام في بلاد العرب والنصرانية ضاغطة عليها في سورية وبقية المملكة الرومانية . والتظاهر بالاسلام يكسبه عزالم يمكن له في قومه ثانيهما ان الرجل من اليهود أهل الكتاب الاول والعلم أيام جاهلية العرب .



والتوراة بلسانه دون لسان العرب . وفي أمصارها من الممليات والالغاز ما لا يمكن ان يفقهه العرب ولولفتوا العبرية فهي اذن مجال فسيح للكذب يلقيه الى المسلمين ليفسد عليهم أمرهم ويعمي عليهم سبيل الهدى . فهو بذلك اراد ان يضرب عصفورين بحجر . وكذلك كان . فان الرجل نال بين المسلمين مركزاً عظيماً . وقد كان كثير يرون أن توراته فيها علم كل شيء ، وأنه صادق فيما يخبر به ، وبخاصة بعد ان تحقق قوله في عمر . والرجل قد أقاض على المسلمين ثروة واسعة من الاسرائيليات التي ندرى نحن حقيقتها وكان هو لا يدري من حقيقتها شيئاً سوى انه جبتدها . وكان يسند كلامه الى التوراة والنوراة خالية مما كان يدعو به على الناس . وهذه التوراة بين أيدينا نقرأها وليس فيها شيء مما كان يقوله هذا الرجل لمعاصريه وهو بالاساطير أشبه

بعد ان تمهد هذا أقول : ان حكاية الاخبار لعمر بمصرعه على هذا الوجه المروي لو كانت صحيحة ، لم يبق عند الواقف عليها شك في أن هذا الرجل كان واقفاً على ما دبره فيروز أبو لؤلؤة من اغتيال عمر ، وان خطة السير للوصول الى قتله كان كعب الاخبار عارفاً بما واقفاً عليها وقوفاً تاماً . وإنما أراد باخبار عمر على هذا الوجه ، ان تزيد منزله عند المسلمين ويثال الخطوة فيهم وتكون رواياته وحكاياته أكثر قبولا . ولوجود محقق ذكي وعرض عليه امر كعب الاخبار وما أخبر به عمر قبل القتل مانحاً كعب من النكاح ولله شريكاً للجاني ولمكان حقيقاً ان ينقد فيه قانون الاتفاقات الجنائية الذي شرع في مصر سنة ١٩١٠

كان بالمدينة رجل من نصارى الانبار أقدمه سعد بن أبي وقاص ليعلم أبناء المسلمين بالمدينة القراءة والكتابة اسم جفينة . وناحية الانبار كانت تابعة للفرس والرجل بهم ألف ، فكان يجتمع بالهرمان وفيروز أبي لؤلؤة وقد رزي ان عبد الرحمن بن أبي بكر بالهرمان ان وأبي لؤلؤة وجفينة يتناجون

وهم جلوس فلما رأوا عبد الرحمن قاموا وقروا فسقط بيدهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه ، وهو الخنجر الذي قتل به عمر بعد ذلك

من اجتماع هذه الاحوال والمناصب أرى انه لا يكون بعيداً من الصواب من بعد قتل عمر نتيجة مؤامرة واتفاق جنائي غمس يده فيه كل من (١) الهرمزان (٢) فيروز بن اؤلوة عبد القيرة بن شعبة (٣) جفينة الانباري (٤) كعب الاحبار اليهودي . ولو كان المسلمون في شر بهمهم بإيجاب العقوبة لفرائض ووجد من يحقق مع من بقي منهم بعد مقتل عمر لسكان من المحتمل جداً ان يعاقب كل منهم على ذلك الاتفاق الاثم . لانهم في ذلك الوقت يعتبرون من الرعية المسالمين لا الاعداء المحاربين فليس لهم عذر ولا شبهة عذر في تدبير ذلك الجرم الفظيع

### ﴿ كيف قتل عمر ؟ ﴾

قل الطبري : لما كان الصبح خرج عمر الى الصلاة وكان يوكل بالعفوف رجالاً اذا استوف جاء فكبر ودخل أبو اؤلوة في الناس بيده خنجره رأسان نصابه في وسطه فطرب عمر ست ضربات احداً من تحت ستره وهي التي قتله وقتل معه كليب بن أبي البكير اللقي وكان خلفه ، فلما وجد عمر الحر السلاح سقط وقال : أفي الناس عبد الرحمن بن عوف ؟ قالوا نعم هو ذا ، قال تقدم فصل . فصلي عبد الرحمن بن عوف وعمر طريح ، ثم احتمل فادخل داره فدعا عبد الرحمن بن عوف ثم نادى عمر ابنه عبد الله وقال اخرج فانظر من قتلي فقال يا أمير المؤمنين ذلك أبو اؤلوة غلام القيرة بن شعبة . فحمد الله تعالى أن لم يقتله رجل سجد لله سجدة ثم قال يا عبد الله ائذن للناس فدخل عليه المهاجرون والانصار فيسلمون عليه فيقول : عن ملاءمكم كان هذا فيقولون معاذ الله

وقد دخل في الناس كعب الاحبار فقال « الحق من ربك فلا تكوتن من

المؤمنين ، قد أنبأك أنك شهيد قُلت من أين لي الشهادة وأنا في جزيرة العرب  
ويقال أنه لما نظر عمر إلى كعب قال :

فأوعدني كعب ثلاثا أعدها ولا شك أن أقول ما قال لي كعب

وماني حذار الموت ، أتى ميت . ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب

ثم دعى له الطبيب فقال أي الشراب أحب إليه فخي له بنقيع النمر فسقاه  
فخرج على حاله من الجرح ثم سقاه اثنين فخرج على حاله فأيقن أنه ميت ولم يجد  
للقضاء حيلة . وقد توفي عمر ليلة الاربعاء لثلاث ليال يقين من ذي الحجة سنة ٢٣  
ودفن بكرة يوم الاربعاء في حجرة عائشة مع صاحبيه بعد أن استأذن عائشة في  
ذلك عقيب أن طعن . ولما أدرج في كفته ابتدر علي وعثمان الصلاة عليه . فقال  
عبد الرحمن بن عوف : انكأ حريصان على الامارة . ليس لكأ ذلك وإنما هو  
الصوب لانه قد أمره أن يصلي بالناس . فتقدم صهيب فعلى عليه ثم حمل إلى حجرة  
عائشة فووري التراب . وكانت مدة خلافته عشر سنوات وستة أشهر وأربعة أيام  
من ابتداء ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣ إلى ٢٦ ذي الحجة سنة ٢٣ وكانت منه حين  
قتل ٦٣ سنة كصاحبيه في أشهر الاقوال

أما أبو اؤاؤة فقد جهد الناس أن يقبضوا عليه فأصاب منهم ثلاثة عشر رجلا  
بجراحات وأعيام أمره فجاء رجل من بني تيم وألقى عليه رداء فلما علم أنه مأخوذ  
أقبل نفسه

## كيف انتخب عثمان

لما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيل : له يا أمير المؤمنين لو  
استخلفت . قال من أستخلف ؟ لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيا استخلفته فإن  
سألني ربي قلت سمعت نبيك يقول أنه أمين هذه الامة . ولو كان سالم مولى أبي

حذيفة حيا استخلفته . فان سألني ربي فقلت سمعت نبيك يقول ان سالما شديد الحب لله - فقال له رجل : أدلك عليه . عبد الله بن عمر . فقال : قاتلك الله . والله ما أردت الله بهذا . ويحك . كيف استخلف رجلا عجز عن طلاق امرأته . لا أرب لنا في أموركم . ما حدثها فارغب فيها لأحد من أهل بيتي . ان كان خيرا فقد أصبنا منه وان كان شرا فشر عنا الى عمر . بحسب آل عمر ان يحاسب منهم رجل واحد ويسأل عن أمر أمة محمد . أما لقد جهدت نفسي وحرمت أهلي وان أئج كنا فلا وزر ولا أجر اني لسميد . وأنظر فان استخلف فقد استخلف من هو خير مني ( يعني أبا بكر ) وان أترك فقد ترك من هو خير مني ( يعني رسول الله ﷺ ) ولئن بضع الله دينه . فخرجوا

وكان أصحاب رسول الله ﷺ خافوا ان يقضى عمر نوحه بدون استخلاف فينتشر أمر المسلمين انقطع كثير من الصحابة الى هذا الامر فتكون فتنة في الارض وفساد كبير فراحوا الى عمر مرة أخرى ، وقالوا : يا أمير المؤمنين لو عهدت بهذا . فقال كنت أجمعته بعد . فإني لكم ان أنظر فأولى رجلا أمركم هو أحراكم ان يحاكمكم على الحق ( وأشار الى علي ) ودهمتني غشبة فرأيت رجلا دخل جنة قد غرسها فجعل يقطف كل غضة ويألفه فيضه . اليه ويصيره تحته فقلت أن الله غالب أمره ومتوف عمر فما أريد ان أنحملها حيا وميتا ، عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله ﷺ انهم من أهل الجنة ، سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل منهم ولست مدخله ولكن الستة : علي وعثمان ابنا عبد مناف وعبد الرحمن وسعد خلا رسول الله ﷺ والزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ وابن عمته وطلحة الخليل بن عبيد الله . فليختاروا منهم رجلا فاذا ولوا واليا فأحسنوا موازرتهم وأعينوه وان اتئمن أحدا منكم فليؤد اليه أماته . وخرجوا . ولقي الميلاس عليا فقال له لا تدخل معهم . قال أكره الخلاف . قال : اذا ترى ما تكره .

والذي أراه أن العباس غلب على ظنه أن القوم يفضلون اختيار غيره على .  
 فإذا حدث ذلك وهو واحد منهم كان عليه في ذلك غصاصة ورأى ذلك غصاة لا يسبقها  
 على الأعلى ألم . ولكنه إذا نفّض يده من الأمر واختير واحد من جماعة ليس على  
 واحدا منهم لم يكن الاشارة ظاهرا ولا غصاصة عليه في ذلك فأراد أن يحتاط لابن  
 أخيه هذا الاحتياط

فلما أصبح عمر دعا عليا وعثمان وسعدا وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام .  
 فقال : أتى نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ولا يكون هذا الأمر إلا  
 فيكم وقد قبض رسول الله ﷺ وهو عنكم راض . أتى لا أخاف الناس عليكم أن  
 استقدمتم ولكني أخاف عليكم اختلافكم فيما بينكم فيختلف الناس ، فانهضوا إلى  
 حجرة عائشة فمشاوروا واختاروا رجلا منكم . ثم قال : لا تدخلوا حجرة عائشة  
 ولكن كونوا قريبا . ثم وضع رأسه وقد نزع الدم ، فدخلوا فتنابجوا ، ثم ارتفعت  
 أصواتهم . فقال عبد الله بن عمر : سبحان الله ، أن أمير المؤمنين لم يمت بعد ،  
 فأجمعه فأنقذه . فقال : ألا اعرضوا عن هذا أجمعون . فإذا مضت فمشاوروا ثلاثة أيام  
 وليصل بالناس صهييب . ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم ويحضر عبد الله  
 ابن عمر مشيرا ولا شيء . له من الأمر وطلحة شريركم في الأمر . فإن قدم في الأيام  
 الثلاثة فاحضروه أميركم وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فاقضوا أمركم . ومن لي  
 بطلحة . فقال سعد بن أبي وقاص : أنا لك به ولا يخالف أن شاء الله . فقال عمر :  
 أرجو أن لا يخالف أن شاء الله ، وما أظن أن يلي إلا أحد هذين الرجلين : علي  
 وعثمان ، فإن ولي عثمان فرجل فيه لين . وإن ولي علي ففيه دعاية ، وأحر به أن  
 يحملهم على طريق الحق . وإن تولوا سعدا فأهلها هو والأفليسعين به الوالى . فاني  
 لم أعزله عن خيانة ولا ضعف ونعم ذوي الرأي عبد الرحمن بن عوف مسدد رشيد  
 له من الله حافظ فاسمعوا منه . وقال لأبي طلحة الانصاري : يا أبا طلحة ، إن الله  
 عز وجل طالما أعز الاسلام بكم فاختار خمسين رجلا من الانصار فاستحث هؤلاء .

الرهط حتى يختاروا رجلا منهم . وقال المقداد بن الأسود : اذا وضعتوني في حفرتي ، فاجهم هؤلاء . الرهط في بيت حتى يختاروا رجلا منهم . وأدخل علياً وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة ان قدم . واحضر عبد الله بن عمر وقم على رؤوسهم . فان اجتمع خمسة ورضوا رجلا وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف وان اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما بالسيف . فان رضى ثلاثة رجلا منهم وثلاثة رجلا منهم . فسيكوا عبد الله بن عمر . فأبى الفريقين حكم له وليختاروا رجلا منهم . فان لم يرضوا يحكم عبد الله بن عمر . فكثروا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقيين ان رضوا عما اجتمع عليه الناس

### ﴿ انتخاب خليفة عمر ﴾

فلما دفن عمر جمع المقداد أهل الشورى في بيت البور بن مخزوم وهم خمسة ، معهم عبد الله بن عمر وطلحة غائب ، وأمروا أبا طلحة أن يجيهم . وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب . فأقامهما سعد وقال : تريدان أن تقولاهما ؟ وكنا في الشورى . فلما أخذوا في اجالة الرأي بينهم تنافسا في الخلافة وكثر بينهم الكلام . فقال أبو طلحة : انا كنت لان تدفوها أخوف . فبى لان تنافوها ، لا والذي ذهب بنفس عمر لا أزيدكم على الأيام الثلاثة التي أمرتم ثم اجلس في بيتي فانظر ما تصنعون . فقال عبد الرحمن بن عوف : أبكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن يوابها أفضاكم . فقال عثمان : أنا أول من رضى فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول آمين في الأرض آمين في السماء . فقال القوم : قد رضينا وعلي ساكت . فقال : ما تقول يا أبا الحسن ؟ فقال : لتؤثرن الحق ولا تنبع الهوى ولا تخلص ذا رحم ولا تألوا لامة . فقال عبد الرحمن : اعطوني موافقةكم على أن تكونوا معي على من يدل وغير : وأن ترضوا من اخترت لكم على ميثاق الله أن لا أخص ذا رحم لرحمه ولا آل المسلمين . فأخذ منهم ميثاقا وأعظامهم مثله

تقلد عبد الرحمن الامر على أن يختار افضل أهل الشورى . وخلا بلي وقال له : انك تقول اني أحق من حضر بالامر لقرابتك وسابقتك وحسن أثرك في

الدين ولم تبعه . ولكن ، أرأيت لو صرف هذا الامر عنك فلم تحضر . من كنت ترى من هؤلاء الرعط أحق بالامر ؟ قال : عثمان ثم خلا بثمان فقال له : تقول شيخ من بني عبد مناف وصهر رسول الله ﷺ وابن عمه لي سابقة وفضل - لم تبعه . فلم يصرف هذا الامر عني ؟ ولكن لو لم تحضر بأي هؤلاء الرعط تراه أحق به ؟ قال : علي ثم خلا بالزبير فكلمه بمثل ما كلم به علياً فقال : عثمان ثم خلا بسعد وقال له مثل ذلك فقال : عثمان . فأتى علي - سعداً فقال له : واثقوا الله الذي تسألون به والارحام ، ان الله كان عليكم رقيباً أسألك برحم ابني هذا من رسول الله ﷺ وبرحم هي حجة منك أن لا تكون مع عبد الرحمن لعثمان على ظهيرا فاني أدلي بما لا يدلي به عثمان

لم يقتصر عبد الرحمن على ما قدمنا في الاستشارة في هذا الامر بل دار لباله ياتي أصحاب رسول الله ﷺ ومن وافى المدينة من أمراء الاجناد وأشرف الناس يشاورهم ولا يخلو برجل الا أمره بعثمان . حتى اذا كانت الليلة التي ينتهي في صبيحتها الاجل أتى دار المسور بن مخزومة وهو ابن أخته فأيقظه عبد الرحمن وقال له : ألا أراك نائماً ولم أذق في هذه الليلة كثير غشض انطلق قاذع الزبير وسعداً فدعاهما . فبدأ بالزبير في آخر المسجد في الصفة التي تلي دار مروان . فقال للزبير : خل ابني عبد مناف وهذا الامر . قال نصيبي لعلي . وقال لسعد : أنا وأنت كلالة : فاجعل نصيبك لي فأختاره ، قال : ان اخترت نفسك فنعيم ، وان اخترت عثمان فعلي أحب الي ، أيها الرجل بايع نفسك وأرحنا وارفع رؤوسنا ، فقال عبد الرحمن يا أبا اسحاق اني قد خلعت نفسي منها على أن أختار ولو لم أفعل وجعل الخيار الي لم أردّها ، ثم قال : لا يقوم بعد أبي بكر وعمر أحد فيرضى الناس عنه ثم انصرف الزبير وسعد

ومن هذا نرى أن الزبير وسعداً حالاً عن رأيها الذي قالاه لعبد الرحمن أولاً لانها كانا قد أشارا عليه بثمان لو لم يحضر كل منها الامر ، واني لا أدري السبب

في هذا العدول وغاية ما يمكنني أن أقوله أن كلامهما راجع فكه ونظر الى مصلحة المسلمين ، فأرى أن عليا يكون في سيرته أقرب الى منهاج عمر من القوة على الحق والبعد عن الانقياس في الدنيا والاعتزاز بزيبتها ، وإن عثمان فيه رقة ورأفة وقد أخذت منه الشجوخة مأخذها ومن كان كذلك كان أقرب الى استكفاء غيره والركون الى مشورة سواء وهم لا يدرون من يكون ذلك السكاني ولا يفتقون بمنهج المشير - أو يكون على قد أثر كلام علي في سببهم أرسل المصور الى علي فجاء ففاجاه طويلا ، ثم أرسل الى عثمان ففاجاه حتى فرق بينهما الصبح وكان علي لا يشك في أن الأمر له - فلما صلوا الصبح جمع رجال الشورى وبعث الى من حضره من المهاجرين وأهل السابقة والفضل من الانصار وأمراء الاجناد فاجتمعوا حتى اتج المسجد بأهله ، فقال : أيها الناس ، ان الناس قد أحبوا أن يلحق أهل الانصار بأهصارهم وقد علموا من أميرهم . فقال سعيد بن زيد : اننا نراك لها أهلا . فقال : أشيروا علي بغير هذا . فقال عمار : ان أردت أن لا يختلف المسلمون فيايم عليا فقال المقراء بن الاسود صدق عمار ان يايمت عليا قلنا سمعنا وأطعنا ، فقال عبد الله ابن أبي مروح : ان أردت أن لا يختلف قريش فيايم عثمان ، فقال عبد الله ابن أبي ربيعة صدق ، ان يايمت عثمان قلنا سمعنا وأطعنا ، فشم عمار ابن أبي مروح ، وقال : متى كنت تنصح المسلمين ؟ فتكلم بنو هاشم وبنو أمية ، فقال عمار : أيها الناس ان الله عز وجل أكرمنا بنبيه وأعزنا بدبته ، فاني تصرفون هذا الامر عن أهل بيت نبيكم ، فقال رجل من بني مخزوم : لقد عدوت طورك يا ابن سمية وما أنت وتأمير قريش لانفسها ، فقال سعد بن أبي وقاص : يا عبد الرحمن افروغ قبل أن يفتتن الناس ، فقال عبد الرحمن افي قد نظرت وشاورت فلا تجمعن أيها الرهط على أنفسكم سبيلا . ودعا عليا ، فقال : عليك عهد الله وميثاقه تعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفتين من بعده ؟ قال أرجو أن أعمل وأعمل ببلغ علمي وطاقتي ودعا عثمان . فقال له مثل ما قال لطي ، قال : نعم . فيايمه . فقال : علي



حَبِيبُوتَهُ حَبِيبُوتَهُرَّ ، لَيْسَ هَذَا أَوَّلَ يَوْمٍ تَظَاهَرَتْ فِيهِ عَلَيْنَا بِصِرْجَيْهِ ، وَاللَّهُ  
الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا نَصِفُونَ ، وَاللَّهُ مَا وَلاَيْتَ عُمَانَ إِلَّا لِيُؤَدَّ الْأَمْرَ إِلَيْكَ ، وَاللَّهُ كُلَّ يَوْمٍ  
هُوَ فِي شَأْنٍ ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَا عَلِيَّ لَا تَجْعَلْ عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا ، فَإِنِّي قَدْ نَظَرْتُ  
وَسَاوَرْتُ النَّاسَ فَإِذَا هُمْ لَا يَعْدِلُونَ بِعُمَانَ ، فَمَخَّرَجَ عَلِيٌّ وَهُوَ يَقُولُ : سَيَلِمَ الْكِتَابُ  
أَجَلَهُ ، فَقَالَ الْمُقَدِّدُ : يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، أَمَا وَاللَّهِ فَقَدْ تَرَكَهُ مِنَ الَّذِينَ يَقْضُونَ بِالْحَقِّ  
وَبِهِ يَعْدِلُونَ ، فَقَالَ : يَا مُقَدِّدُ ، وَاقِفْ لَقَدْ اجْتَهَدْتَ لِمُسْلِمِينَ

قَدِمَ بَعْدَ ذَلِكَ طَلْحَةُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي يَوْمَعُ فِيهِ الْعُمَانُ ، فَقِيلَ لَهُ : يَا بَايَعَ عُمَانَ ،  
فَقَالَ : أَكُلَ فَرِيضٍ رَاضٍ بِهِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، فَأَتَى عُمَانَ ، فَقَالَ لَهُ عُمَانُ : أَنْتَ عَلَى  
أَمْرِكَ أَنْ أَبَيْتَ رَدِّدْتُهَا قَالَ : نَرُدُّهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : أَكُلَ النَّاسُ بِإِسْوَاكِ ؟ قَالَ  
نَعَمْ ، قَالَ وَضَيْتَ لَا أَرْغَبُ عَمَّا قَدْ أَجْعَلُوا عَلَيْهِ ، وَيَا بَايَعَ ، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْفَيْمَةَ بِنَ  
شُعْبَةَ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَسْبَيْتَ إِذَا بَايَعْتَ عُمَانَ ، وَقَالَ عُمَانُ لَوْ بَايَعَ عَمْرُكَ مَا رَضِينَا  
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : كَذَبْتَ يَا أَعْمُورُ ، وَاللَّهِ لَوْ بَايَعْتَ غَيْرَهُ لَبَايَعْتَهُ وَقَاتَ هَذِهِ الْقِتْلَةَ  
وَرَوَى الطَّائِرِيُّ فِي خَبَرٍ أَنَّ عَلِيًّا تَنَكَّرَ فِي بَيْعَةِ عُمَانَ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِنَ عَوْفٍ  
وَمَنْ نَمَكْتُ فَأَمَّا يَتَكَلَّمُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَرَوَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَبَيْبُوتَهُ أَجْرًا عَظِيمًا  
فَرَجَعَ عَلِيٌّ بِشَقِّ النَّاسِ حَتَّى بَايَعَ وَهُوَ يَقُولُ : خُدْعَةٌ وَإِيْمَا خُدْعَةٌ

## الحالة العامة في عهد عمر

إنَّ الحالةَ العامةَ للمسلمين على عهد عمر من الخطاب تخلف عنها في عهد أبي بكر  
فقد تقوى في عهد عمر الدين وصارت كلمة العليا في جزيرة العرب وتوطد الملك  
المسلمين وشهدت دعائم الدولة ونسى العرب ما كان بينهم في أجاهلية من الانقسام  
والتفرق ومحاربة بعضهم بعضاً وزالت عن أعينهم غشاوة الجهل بأمر الدول  
ونجسوا عن كثير من تلك السذاجة التي كانت فيهم ، وصارت الأمة الإسلامية

سائسة ملك وربة سطوة ومؤسسة دولة ومقنة قنون وصاحبة دين أهاب بها الى الجدد وحملها على مزاحمة أمم التاريخ بالثناكب حتى وصحت بأنها أعظم الأمم في عهد عمر كانت حياة الأمة نامية نمواً عجيباً يتدفق فيضها الحيوي في جميع عناصرها وأعضائها تدفقاً ينمش كل جزء من أجزائها وينمي ذلك الجسم نمواً سريعاً يؤذن بانقلاب في العالم نهتز له أعصاب دول الأرض ويتبادل أهل المشرق والمغرب - فاندفعت الأمة في عصره بما استحدثه فيها الدين من الاتحاد القومي وما رسيخ في اعتقادهم من أنهم الأمة الوارثة للأئمة ، وإن الله تعالى سيمكن لها في الأرض ويجعل أهلها أئمة ويجعلهم الوارثين . فسأل سيولهم على أطراف الممالك المجاورة لهم وهم انفرس والروم ، فزَلُّوا سلطان فارس وتغلغلوا في أحشائها وطم سيولهم على بلادها وطغى على ما جاورها من البلدان النائية والأمصار المترامية ووطئت خيلهم بلاداً لم يمر اسمها على خاطرهم وشردوا حامل تاج ملك فارس وثلوا عرشه ولزعجوا الفواد والزؤساء حتى درس ذلك الملك وصيروا تلك الدولة الساسانية تاريخاً يُعْبَرُ كان لم تغن بملوكها البلاد ولم تغن لحييتهم وجوه العباد وأما الدولة الرومانية فقد انتقصوا أطرافها وقاصوا ظلمها عن الجزيرة وسورية وجزء من أرمينيا وجميع مصر وبرقة . وفي كل آن لهم غارات في قرأهم وفشكات في جنودهم وأحشاء بلادهم ويغزونهم في عقر دارهم ويرأى ومسمع من عاصمة ملكهم ومستقر عزهم ، بمجنود أقل من جنودهم عدداً وعدة وهم في كل مرة يوابيهم الظفر ويسفهم النصر

كانت الممالك المجاورة للعرب قد تأصلت فيها جذور الاستبداد ورثم أهلها الاستبداد وقد نسي الرومان معنى الحرية التي جاهد آباؤهم في سبيل أحرازها جهاد الأبطال وانزعوا حريتهم من أيدي الإباطرة انتزاعاً - وقد بنم الفرس بنفسهم للولك والزؤساء واستمعدوا لإشراف البلاد . وقد تساوى الفرس والروم في فقدان مبدأ الاعتماد على النفس وحب الاستقلال الذاتي في أصول حياتهم

وفروعها - ولكن العرب الذين جاسوا خلال ديارهم وألقوا رحلهم بينهم جاءوا  
 إليهم حاملين للحرية التي امتزجت بدمائهم وخلطت جواهر نفوسهم - حتى بلغ من  
 أمرهم أنهم لا يقبلون من أميرهم أن يتفوق عليهم في شيء من الأشياء - وقد شكوا  
 بعض العرب أيام موسى أمير البصرة لأن له جارية يقل لها عقيلة يرفع لها جفنة إمدائها  
 وجفنة أمشاطها وهم لا يقدرون على مثل ذلك - وقد كان من ورائهم عمر بن الخطاب  
 يقيد العامة من الأمراء - ويقول بل - فيه على المذنب من ظلمه أميره فلا إمرة له عليه  
 دولي

نفث العرب الفاتحون في روع أهل البلاد المفتوحة روحاً جديدة وذوقاً وهم  
 حلاوة الحرية الشخصية - وأشعروا نفوسهم أنهم بشر لا ينحطون في الحقوق العامة  
 عن مرتبة الأمراء - حتى بلغ من أمر أحد المصريين أنه لما أدين من ابن عمرو بن  
 العاص أمير مصر شخص إلى مقر الثلاثة يشكو ابن الأمير - فذاده عمر منه دون  
 محابة ولا بجملة لايه ولا مراعاة لمكانته وصايقته وحسن بلائه

عدل شامل ينهم به المواقف ، ويضيق به العدو ويفيض عمر على الرعية  
 ما بين برقة ونهر جبيحون غرباً وشرقاً ، وما بين الفوقار والناضول شمالاً إلى المحيط  
 الهندي جنوباً ، لا يشمر أحد من الرعية بشيء أحد عليه إلا بالثقوى وحسن البلاه  
 خالف العرب هذه الأمم ودال إليهم ذلك الملك العريض ورأوا أنهم الحضارة  
 فاشعرت قلوبهم لزوم الحياة المدنية للأمم الغالبة كما هي سنة الوجود - وليس في  
 أيديهم من أدوات تلك الحياة سوى الاستعداد الفطري لقبول الخير والشر -  
 والشرع الإلهي الذي أطلق عقولهم من أسر التقليد وأخرجهم من الظلمات إلى  
 النور - فأخذوا بحكم الطبيعة يقلدون مجاورهم في العادات وبدأوا يمارونهم في  
 مضمار الحياة - وكان أول شيء طمعت نفوسهم إليه تقليد مجاورهم في فنون القتال  
 ومحاذاة الروم وفارس في استصناع الآلات الحربية ليتألبوا القوة بمنزلها وبعدها  
 لفتوح عدتها - ثم تطرقوا إلى الأمور السياسية والإدارية يحذون مثالهم فيها

ويعرضون خطواتهم في العمل بهاء فوضع عمر الخارج ودين الدواوين على نحو ما كان موجوداً عند الدولتين : الفارسية والرومية . ثم قبل على ترتيب الولايات وتقسيم الاعمال وانتقاء العمال ، وفرض العتاء ، وقرر مصرف الفيء في غير مصرف ولا تغيير ، ونشر جناح الامن وأقام ميزان العدل وقرر أصول الجباية بلا اجحاف في حقوق الرعية ولا غبن على الدولة . فعم الرخاء ، وبدأت مظاهر المعمران في انحاء المملكة والنهال الفنى والثروة على الغائبين وخطوا على خيفة الى الراحة والنعيم مع الاتخذ على الشكاكم والتخوثن بعض الشيء في الأكل والملبس ، والنوم في العيش ، والقصد في الاتفاق وعدم التبسط في البذل خوف الاتخذ على أيديهم من عمر ، كما يتبين ذلك من صنعه مع خالد اذ أعطى الاشعث بن قيس عشرة آلاف . فكان ذلك سبباً لاعتقاله بفضل عمامته وتقديره عن الدراهم التي أجز بها امن اصابه ثم من ماله وعزله على كل حال . اذ أقامه عمر بين الخيانة والاسراف وكل لاخير فيه

ومن جهة أخرى فان عمر لم يدع للعرب في مدته فرصة تمكنهم من الاخلاص الى الراحة والابواء الى غل النعم والسكون تحت كنف الامصار والتبسط في نعيم الحياة وزخرف العيش . بل دفع بهم في معترك الحياة الحضرية وزج بهم في معترك الحروب في وقت واحد . وكانت الحروب أكبر همهم والتغلب على العدو أثر شيء لديهم فشغلهم عن النعيم والرفاهة بالفتوح وألغاهم بادخار الغنائم عن التمتع بها . وارجأوا ذلك ربنا يقولوا من غرب الدول المجاورة لهم وبأصوات غائلة الامم المغلوبة وانتفاضها عليهم

استفاد العرب من هذه السياسة العمرية في أحوالهم الاجتماعية فلم يسمع فيه زمنه ناعق بفرقة ولا صاحح بانقسام ولا داع الى تنافر وتدابير ولا هاتف بعصية . بل كان جزاء من يفعل ذلك الضرب بالسيف . ولكن اندفاع القوم الى الفتوح وتفرقهم في أنحاء الممالك وتعجلهم الظهور قبل تأصل الدين فيهم وتمكنه من قنوم

عامهم . نشأ عنه بعد ذلك تشويش في الدين والملوك - ومن ذلك عدم الاجهاز على الوثنية ومحو أثرها من البلدان المفتوحة مع دخول كثير من أهلها في الاسلام . فانضمت هذه الآثار حيناً ثم بدأت تظهر كرة ثانية مصطفة بصفة أخرى نتج عنها تفرق أهواء المسلمين وظهور البدع والمبتدعين وبخاصة بين الاعاجم من المسلمين أو الذين ظهروا بظاهر أهل الاسلام واتسموا بسنته

ومن المعلوم أن الاسلام طم على البلاد بسرعة مذهشة فائقة الوصف . والشئ اذا سار بسرعة لم يكن طرؤه الخطأ والفساد فيه مأموناً . كما لو ضاعفت النار بشئ تريد نضجه فانه وان نضج ظاهره في وقت قريب فان باطنه لم يزل نجاً لا أثر للنضج فيه . ولهذا كانت سرعة تأخر الأمة العربية في الحضارة والرقى بمقدار تقدمها في ذلك وسرعة فتحها للبلاد

والذي يمكن أن يكون عذراً لأمير أن سياسته في تعجيل الفتح أول الامر كان لها فائدة جلية في ذلك الحين . وذلك انه دفع بالقوم الى الفتح في ابن الظهور واتقاد جرة الحامسة في النفوس قبل أن تطفأ تلك الوفدة وتنحل عقدة الاخاء بين قبائل العرب وتتراخي أسباب الالفة فأراد أن يساجل القوم قبل أن يلتئم شملهم ويكاثروا العرب بما لا قبل لهم به - فلما نال القصد وأدرك الغاية عمد الى الارعاء عليهم وهم بان لا يرخي لهم طول الفتوح وأن يقتنعوا بما أحرزوا ، ولما كان القوم اخطأوه بما كان يبدو منهم من الانتقاض ونكت اليهود الى الاذن للمسلمين بقطع مادة الفساد

وبما يدل على أن عمر كان يسوق الامة الى المدنية سوقاً تدريجياً ، ولم يكن يريد بهم الاقتحام في تيارها ما كان منه حين ورد عليه الأحنف بن قيس في وفد من أهل البصرة فتكلم عنهم فقال : ولقد يعزب عنك ما يحق علينا نهاؤه اليك مما فيه صلاح العامة . وانما ينظر الوالي فيما غلب عنه بأعين أهل الخير ويسمع بآذانهم وأنا لم ننزل منزلاً بعد منزل حتى أرزنا الى البر . وان اخواننا من أهل السكوة

زولوا في مثل حذقة البحر الفاسقة من العيون المذاب والحتان الخصاب فتأتيهم نارهم  
 غضة ولم نخضد وانا معشر أهل البصرة نزلنا سبخة هاشية زينة ناشية طرف  
 لها في الفلاة وطرف لها في البحر الاجاج يجري اليها ماء جرى في مثل مريء النعامة  
 دارنا نعمة ووظفنا ضيقة وعددنا كثير واشرفنا نابل وأهل البلاد فينا كثير  
 ودرهمنا كبير وقفتنا صغبر ، وقد وسم الله علينا وزادنا في أرضنا فوهم علينا  
 يا أمير المؤمنين وزدنا وظيفة نوظف علينا ونعيش بها . فقال عمر : هذا الفلام سيد  
 أهل البصرة . وامسكه سنة لئلا يحمل الناس على فضل عقله . فيطلب منهم مثل  
 ما عنده فيورطهم . وكذلك فعل مع زياد حين أوفده عليه أبو موسى واحتجبه . فسأله  
 زياد عن السبب . فقال : كرهت أن أحمل الناس على فضل عقلك



## ترجمة عثمان بن عفان

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي، يجتمع مع رسول الله ﷺ في عبد مناف، يكنى أبا عبد الله وأبا عمرو، وثانيهما أشهرهما، ولدت في السنة السادسة بعد عام الفيل، وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، وأما البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ

كان عثمان تاجراً وقد ذهب إلى الشام مرة في تجارته، وقد أدركه الله تعالى عليه أخلاف الخير فقد كان واسع الثروة كثير المال، وقد شب على كريم الشيم وحسن السيرة عفيفاً حياً محبباً في قومه مأموناً عندهم أثراً لديهم، أخرج ابن عساکر عن الشعبي قال: كان عثمان في قريش محبباً يوصون إليه ويعظمونه، وإن كانت المرأة من العرب لترقص ولدها وهي تقول:

أحبك والرحمن حب قريش عثمان

أجاب عثمان إلى الإسلام بدعوة من أبي بكر وكان إسلامه مع الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله، فهو من السابقين الأولين الذين أحرزوا فضل سبق وفخر القيام بنصرة الدين، وقد روى ابن الأثير في أسد الغابة عن ابن عباس أن قوله تعالى (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواننا علي سروراً متقابلين) نزلت في عشرة: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد وعبد الله بن مسعود

كان عثمان في محبة محبباً من رسول الله ﷺ كرماً عليه وقد أصر إليه رسول الله ﷺ بأبنته رقية بعد إسلامه، ولما ناله الأذى من قريش في الإسلام هاجر بها

الى الحبشة . وفي ذلك قال رسول الله ﷺ « محبها الله ان عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط » يشير الى قوله تعالى « قَامَنَ لَهُ لُوطُ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي » ثم رجع من الحبشة الى مكة . فلما كانت الهجرة الى المدينة هاجر اليها - وهي الهجرة الثانية - وقد بقيت رقية معه الى أن توفيت بالمدينة في اليوم الذي اظفر الله المسلمين على مشركي قريش بدر . ولم يشهدا عثمان لانه كان قائما على عرض زوجته . ولكن رسول الله ﷺ لهم مع القاتلين فقد بدريا

شهد عثمان مع رسول الله ﷺ جميع مشاعده الا بدرا كما قدمنا وقد زوجه رسول الله ﷺ بابنته أم كلثوم . ولهذا كان يلقب بذي النورين لانه كان خاتن رسول الله ﷺ في ابنته رقية وأم كلثوم الى أن توفيت في السنة التاسعة من الهجرة . وقد قال رسول الله ﷺ لو أن لنا ثمانية أزواجناك . وهذا يدل على شدة حب رسول الله ﷺ له وثقته به وسمو مكانته عنده

ولما كانت بيعة الخديبية كان عثمان مقيم رسول الله ﷺ الى قريش فله اشاع أن قريشا غدرت بعثمان بايع أصحابه تحت الشجرة بيعة الرضوان ثم علم حينذاك أن عثمان حي فقال النبي ﷺ « ان عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله » ثم ضرب باحدى يديه على الاخرى وقال يده اليمنى « هذه يد عثمان » فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم

كان عثمان كريم النفس جواداً يماله سخي اليد في طاعة الله عز وجل واعلاء دينه حتى أنه بذل في تجهيز جيش العسرة من ماله ما لم يبذله أحد فقد جهز ذلك الجيش بألف بعير وخمسين فرساً - وقد أخرج الترمذي عن أنس والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن مسعود قال : جاء عثمان الى النبي ﷺ بألف دينار حين جهز جيش العسرة ففترها في حبرة فجعل رسول الله ﷺ يلقبها ويقول « ما ضر عثمان ما صنع بعد اليوم » مرتين

ومن مسارعت الى البذل ابتغاء وجه الله تعالى ان يثروا كانت ركة ليهودي



يبيع المسلمين ماله . فقال رسول الله ﷺ من يشتري بئر رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلاتهم وله بها مشرب في الجنة . فأتى عثمان اليهودي فساومه بها فأبى أن يبيعها كلها . فاشترى نصفها بأثنى عشر ألف درهم فجعله للمسلمين فقال له عثمان : إن شئت جعلت على نصيبي قرنين وإن شئت فلي يوم وليلة يوم قال بلك يوم ولي يوم . فجعل المسلمون إذا كان يوم عثمان استقوا ليومين . فلما رأى اليهودي ذلك قال : أفسدت علي ركبتي فاشترى النصف الآخر . فاشتراه منه بمائة آلاف درهم وصارت كلها للمسلمين

ومن هذا القبيل أن رسول الله ﷺ قال : من يزيد في مسجدنا فاشترى عثمان موضع خمس صوار فزاده في المسجد

وكان عثمان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ وكان لأبي بكر ثم عمر أميئاً كاتباً يستشار في مهام الأمور ويؤخذ رأيه في جلائل الأعمال . ولما قتل عمر رضي الله تعالى عنه كان أحد السنة الذين قال فيهم عمر : إن رسول الله مات وهو عنهم راض وإنهم رؤساء الناس والناس لهم تبع . وكانت استشارة عبد الرحمن بن عوف للناس في شأن من يلي الخلافة تنجلي في الغالب عن أن أكثر المشيرين يطلبون تولية عثمان وقد بويع بالخلافة بعد ذلك فاستقبل بخلافته السنة الرابعة والعشرين ( ٧ نوفمبر سنة ٦٤٤ م )

## اول قضيه نظر فيها عثمان

قدمنا أن أبا لؤؤة فيروز الفارسي غلام الغيرة بن شعبة هو الذي قتل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين وقد قتله رجل من بني تميم أو قتل نفسه لما أعيا القوم القبض عليه ، وقد قتل رجلاً من المسلمين وجرح ثلاثة عشر رجلاً . فلما كان ذلك جاء عبد الرحمن بن أبي بكر وأخبر أنه رأى أبا لؤؤة قبل قتل عمر بيوم ومعه جفينة وهو رجل نصراني من أهل الانبار جاء به سعد بن أبي وقاص ليعلم أبناء المسلمين بالمدينة

الكتابة ومعهما الحرمران ذلك الملك الفارسي - وحاله كما وصفنا - وهم نجى لما رزقهم عبد الرحمن قاموا وسقط بينهم خنجر له رأسان نصبا في وسطه ثم قال فانظروا بأي شيء قتل فيجاءوا بالخنجر الذي قتل به عمر فاذا هو بالصفحة التي وصفه بها عبد الرحمن - سمع ذلك عبيد الله بن عمر فاعتقد أن أبيه قتل بماله هؤلاء الثلاثة وأنهم شركاء في دمه | فامسك حتى اذا مات عمر - اشتمل عبيد الله على سيفه فأتى الحرمران فقتله فلما عضه السيف قل لا إله إلا الله - ثم مضى حتى أتى جفينة فعلاه بالسيف فصلب بين عينيه ثم قتل ابنة أبي لؤؤة - ولما علم صبيب بذلك بعث إليه عمرو بن العاص فلم يزل به وعنه ويقول السيف: بأبي وأمي حتى ناوله إياه وثأوره سعد ابن أبي وقاص وجذبه من شعره وأخذ به حتى جاء به إلى صبيب فحبسه في دار سعد ابن أبي وقاص حتى اذا انتهى عثمان من البيعة دعا بعبيد الله بن عمر - وقال لجماعة المهاجرين والانصار وهو جالس في ناحية المسجد اشيروا علي في هذا الذي فتق في الاسلام ما فتق - فقال علي أرى أن تقتله - فقال بعض المهاجرين: قتل عمر أمس ويقتل ابنه اليوم ؟ فقال عمرو بن العاص يا أمير المؤمنين إن الله قد أعفانا أن يكون هذا الحدث كان ذلك على المسلمين - سلطان - إنما كان هذا الحدث ولا سلطان لك - قال أنا وإيهم وقد جعلتها دية واحتملتها في مالي

إن عبيد الله يعتبر من الوجهة الشرعية قاتلا قتل عمداً ولا يمكن أن يعتبر عمله هذا قصاصاً لأنه قتل غير القتيل - ومن قتلهم لم يثبت عليهم الاشتراك في الجناية ثبوتاً شرعياً ولا ينشأ القصاص إلا بعد الحكم ولو ثبت اتفاقهم على هذه الجناية لم يكن الحكم الشرعي مُبيحاً لقتل من قتل والشرع لا يأخذ في الحدود والعقوبات بالقرائن التي من هذا القبيل فكان عبيد الله مستوجبا لقصاص بلا شبهة - ولم يكن ما أشار به عمرو بن العاص من أن ذلك الأمر حدث في غير سلطان عثمان كانياً في نجاته من العقاب ولو أن عمر كان حياً وقد صنع ابنه ما صنع لأضفى فيه حكم الله - غير أن عثمان رأى ما رأى بعض المهاجرين من استفظاع قتله على أثر مقتل أبيه وإن يكون بدمه

خلافته ادخال المصيبة على آل الخطاب خاصة من بين المسلمين فرأى للخروج من هذا المأزق أن يجهلها دية في ماله وهو تخلص حسن - وكان رجل من الانصار يقال له زياد ابن ليبيد البياضي اذا رأى عبيد الله يقول :

ألا يا عبيد الله مالت مهرب ولا ملجأ من ابن أروى ولا خفر  
أصبت دما والله في غير حله حراما وقتل الهرمزان له خطر  
على غير شيء غير أن قال قائل أتهمون الهرمزان على عمر  
قتال سفيته والحوادث جمة نعم اتممه قد أشار وقد امر  
وكان سلاح العبد في جوف يثته يلقبها ، والامر بالامر يعتبر  
شكا عبيد الله زياد بن ليبيد الى عثمان فنهاه فقال :

أبا عمرو عبيد الله رهن فلا تشكك بقتل الهرمزان  
فالك إن غفرت الجرم عنه واسباب الخطأ فرسا رهان  
اتمرو اذ عفوت بغير حق فالك بالذي نحكي يدان  
فدعا عثمان زياد بن ليبيد فنهاه وحده :

ان الهرمزان وجفينة قتلا مظلومين شرعا ولكن الظروف التي وجد فيها الهرمزان وما يخفف بسببته من الغدر التكرار وما رواه عبد الرحمن بن أبي بكر لا توجد في القاب موضعاً للاسف لما اقبه وعندى أنه لو وجد محقق ما هر لا ثبت اشراك الهرمزان وجفينة وأبي لؤؤة وكعب الاحبار في المؤامرة لاغتيال عمر

### ﴿ أول خطبة لعثمان ﴾

قال الطبري - لما بايع أهل الشورى عثمان خرج وهو أشدهم كتابة فأتى منبر رسول الله ﷺ فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وحمل على النبي ﷺ وقال « انكم في دار فلاة وفي بقية أعمار فيادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه . فقد انبم صبحتم أو مسيتم الا وان الدنيا طوبت على الغرور فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور . واعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا فانه لا يقفل عنكم ،

أين أبناء الدنيا وأخوانها الذين أثاروها وعمروها وبتعوا بها طويلا ؟ ألم لفظهم ؟  
أرموا بالدنيا حيث رمى الله بها . وأطلبوا الآخرة فإن الله قد ضرب لها مثلا والذي  
هو خير فقال عز وجل : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به  
نبات الأرض فاصبح هشيا تذرؤه الرياح وكان الله على كل شيء مقفدا » المال والبنون  
زينة الحياة الدنيا والبقايا الصاعقات خير عند ربك ثوابا وخبر املا » - وذكر غير  
الطبري انه أرتج عليه

## كتب عثمان الى امراء الامصار

لما ولي عثمان الخلافة كتب الى أمراء الامصار كتابا عاما صورته :  
« أما بعد . فإن الله أمر الأمة ان يكونوا رعاة ولم يتقدم اليهم ان يكونوا  
جباة ، وان صدر هذه الأمة خلفوا رعاة ولم يخلفوا جباة . واوشكن أنتم ان  
يصيروا جباة ولا يكونوا رعاة . فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والامانة والوفاء .  
الا وان أعدل السيرة ان تنظروا في أمور المسلمين وفيما عليهم فتعطوهم ما لهم  
وتأخذوهم بما عليهم ، ثم تعتنوا بالذمة فتعطوهم الذي لهم وتأخذوهم بالذي عليهم ، ثم  
العدو الذي تتبايرون فاستفتحوا عليهم بالوفاء »  
وكتب الى أمراء الاجناد بالثغور : « أما بعد . فإنكم حنة الاسلام ودادتهم وقد  
وضع لكم عمر ما لم يقب عنا بل كان عن ملأ منا ولا يبلغني عن أحد منكم تغيير  
ولا تبديل فيغير الله بكم ويستبدل بكم غيركم . فانظروا كيف تكونون فاني أنظر  
فيما أزميني الله النظر فيه والقيام عليه »

وكتب الى عمال الخراج ( أما بعد فإن الله خلق الخلق بالحق فلا يتصل الا بالحق  
خدوا الحق واعطوا الحق به . والامانة الامانة ، قوموا عليها ولا تكونوا اول من  
يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم الى ما كنتم . والوفاء الوفاء لا تظلموا اليتيم

ولا المعاهد فإن الله خصم لمن ظلمهم »

وكتب الى العامة من المسلمين بالامصار : أما بعد فإنما بلغتم ما بلغتم بالاقتداء والاتباع فلا تفتنكم الدنيا عن أمركم فإن أمر هذه الامة صائر الى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم تكامل النعم وبلوغ أولادكم من السبيل وقراءة الاعراب والاعاجم القرآن ، فإن رسول الله ﷺ قل : الكفر في المعجزة فإذا استمعتم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا »

## الامصار والامراء ودول عهد عثمان

كانت الامصار الكبرى لآخر عهد عمر وأول عهد عثمان هذه :

- (١) مكة ، وأميرها نافع بن عبد الحارث الخزاعي
- (٢) الطائف ، وأميرها صفيان بن عبد الله الثقفي
- (٣) صنعاء ، وأميرها بلي بن مُنْبه حليف بني نوفل بن عبد مناف
- (٤) الجند ، وأميرها عبد الله بن أبي ربيعة
- (٥) البحرين وما والاها ، وأميرها عثمان بن أبي الناصر الثقفي - وهذه الخمس

في جزيرة العرب

- (٦) الكوفة ، وأميرها المغيرة بن شعبه الثقفي
- (٧) البصرة ، وأميرها أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري
- وهاتان بالعراق
- (٨) دمشق ، وأميرها معاوية بن أبي سفيان الأموي
- (٩) حمص ، وأميرها عمير بن سعد
- وهاتان بالشام
- (١٠) مصر ، وأميرها عمرو بن العاص السهمي

## الفتوح في زمن عثمان

ان جنود الاسلام كانت في زمن عمر قد فتحت المملكة الفارسية جميعها وبلاد سورية كذلك ومصر . غير ان بعض ما فتح لم يكن الامر فيه موطدا توطيدا تاما . بل كان أهله يجيبون كل داع الى شق العصا وخلق اليد من الطاعة فكانت الجنود الاسلامية تقوم بردهم الى الطاعة في زمن عثمان وتشت حكم الاسلام فيها . ولهذا يكون ارجاع تلك البلاد الى الطاعة فنجحنا على التحقيق . وللهامدين في عهد عثمان فتوح في بلاد لا تملأها أقدام جنود الاسلام من قبل وسندكر ذلك ان شاء الله

ان صديقنا الفاضل رفيق بك العظيم لم يمر ( في كتابه أشهر مشاهير الاسلام ) بروايات المؤرخين في الفتح الاسلامي مروا بسيطا بل وقف وقفة المدقق الباحث وقد تسنى له الوقوف على تواريخ الامم التي كان الفتح الاسلامي في زمن عثمان موجها اليها . وقد أتبع له تحقيق واف شاف في فتوح بلاد أرمينيا أحببت ان ألم به وأجمله عمدة كلامي في هذا الباب سواء كان ذلك بأخذ العبارات بنصها أو تلخيصها بحسب ما أراه

## فتح أرمينيا والقوقاز في عهد عثمان

تحد أرمينيا شمالا بالبحر الاسود وكرجستان . ومن الشرق بكرجستان أيضا وجزء من بلاد فارس . ومن الجنوب بكرجستان والجزيرة . ومن الغرب بآسيا الصغرى . هذه حدود أرمينيا الآن . والعرب كانوا يتوسمون في هذا الاسم . فرمما أدخلوا في أرمينيا قسما من بلاد القوقاز من جهة الشمال وهو - أران - المشتمل على مقاطعة اريوان وتفليس . وكانوا يسمون هذا القسم باسم الران ، وهو تند شمالا الى داغستان ، وشرقا الى اذربيجان وبحر الخزر . وأما من جهة الجنوب

فكانوا يدخلون فيها قسما من كردستان وهو عملة بتليس وربما جعلوها من أرمينية  
الراصة التي يحملون نهاية حدها الجنوبي الجزيرة . وهذا لم يذكر مؤرخو العرب  
فتح القوقاز على حدة ، بل جعلوه مضموما الى فتح أرمينيا  
قال : وقبل ان أبسط الكلام في جغرافية القوقاز أذكر هنا بعض الامكنة

الشهيرة في أرمينيا زبدة في الايضاح

فن مدن أرمينيا الشهيرة : خلاط - وقالبلا - ( التي هي ارزروم أو ارزن  
الروم كما يقول أمير الغد ) والى جهة الغرب منها ارزنجان - ثم ارجيش على بحيرة  
وان - ووان - وهي في الطرف الشرقي من البحيرة المسماة باسمها . وفي الجهة الشرقية  
من سلسلة جبال أرمينيا جبل الجودي - أو اراراط الذي استوت عليه سفينة نوح .  
ومن أنهرها الغرات وارس المرفوف عند العرب بنهر الرس وينحدر من الجبال  
قرب ارزروم ويمر في مقاطعة الفارس و ارزروم ويقطع كرجستان حتى يلتقي  
مع نهر كور الذي من أنالي الفارس ونفليس ويصبان في بحر الخزر

أما بلاد القوقاز - حالا - فتحد شمالا ببلاد روسيا ( ونحن الآن لا ندري أي  
حكومة من الحكومات الروسية تجاورها من الشمال بعد ان انقسمت روسيا الى  
حكومات عديدة ، والحدود لم تحدد الى الآن ولم ترسم خريطة للممالك ، وقد دخل  
في تركيا بعض هذه البلاد فقد استولت على باطوم والقارص و اردهان ، ودخل في  
حكما مدينة باكو على بحر الخزر ، والى الآن في يوم ١٢ مارس سنة ١٩١٨ لم تحل  
الحال تماما ) وجنوبا المعجم وتركيا آسيا ( وعلى ما قدمنا تكون أرمينيا القوقازية  
اللتابعة لتركيا ) وشرقا بحر الخزر الذي يفصلها عن بقية آسيا الروسية وغربا البحر  
الاسود . ويسمى العرب هذه البلاد جبال كوه قف وبلاد القيق و ربما دعوها  
باسم بلاد الران ( اران ) من تسمية الكل باسم الجزء .

فن أقسام البلاد الجنوبية أيبريا او كرجستان وعاصمتها تفليس على نهر كور

وهي جزء من بلاد شروان الممتدة شمالا إلى داغستان <sup>(١)</sup> ويظهر من سياق خبر  
الفتح في تاريخ البلاذري أن العرب كانوا يسمون هذا الجزء كورة جرزان وأنه  
عند غربها إلى آسيا الصغرى - ومن مدن الران الشهيرة الروان، وفيها كنيسة كبرى  
الارمن ومن مدنه المشهورة عند العرب منجليس وجرزان وبردعة والباب - أو باب  
الابواب (در بند) والديقان - قل الاصل بخري : ليس في ران مدينة أكبر من  
بردعة والباب و تفليس - ومن أقاليم الشمالية - بلاد الجركس - ويجري فيها نهر  
قوبان الذي يصب في البحر الأسود ونهر كوما - وترك (ترك) للذان يصبان  
في بحر الخزر - ومن أقاليم داغستان على بحر الخزر وفيها يجري نهر سمور في  
السهول الواقعة شمال داغستان - ومن مدنها الشهيرة باكو التي فيها منابع النفط  
(واماها التي يسميها النرمان في جغرافيته - باكوية -) - ودر بند على شاطئ بحر  
الخزر وهي ذات المضيق المعروف بمضيق در بند الذي اجتاحه عبد الرحمن بن  
ربيعة الباهلي بجيشه إلى السهول الشمالية حيث قتل على نهر - ترك - الذي يسميه  
العرب نهر بلنجر

لاخلاف بين المؤرخين في أن العرب دواخوا أرمينيا مرتين أولاهما على عهد  
عمر بن الخطاب والثانية على عهد عثمان بن عفان - وقد أيد هذا الكلام تواريخ  
الارمن وأشار إليه القس جبرائيل الخانجي في مختصر تواريخ الارمن وإن لم يذكر  
أسماء الفاتحين في المرتين ولم يعين السنين بالضبط - أما ديفرجي فقد عين مدنة  
الخليفة فأخطأ : والثابت عند مؤرخي العرب أن فتح تلك البلاد في عهد عمر كان  
سنة ٦٣٩م و٦٤٨م وأما تدعيمها في عهد عثمان فكان في سنة ٢٦ ٦٤٦م - ■ يعلم  
من مقارنة التواريخ وجعل الطبري ذلك سنة ٣١

كان بكير بن عبد الله وعتبة بن فرقد قد فتحا في خلافة عمر بلاد أذربيجان  
الواقعة شرقي بلاد أرمينيا - فكتب بكير بالفتح إلى عمر - فكتب عمر إلى مرافقة

(١) تكتب في التركية بالسا. وتحقق دالا مضمة



ابن عمرو بغزو الباب وعلى مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي وعلى مجبتيه ابن أسيد الففاري وبكير بن عبد الله المتقدم ، وعلى المقام سلمان بن ربيعة - وكتب الى حبيب بن سلمة الفهري أن يد سرافة وهو يومئذ بالجزيرة . فلما نهض سرافة من البصرة لوجهه ، تقدم عبد الرحمن الى أرمينيا الشرقية وفتحها حتى وصل الى الباب « دربند » على شط بحر الخزر وعلمها شديار فكتبه واستأنت « كما قصصنا ذلك من قبل » - ولما فرغ سرافة من الباب بعث الامراء والقواد الى ما يليه من بلاد أرمينية - فأرسل بكير بن عبد الله الى موقان وحبيب بن سلمة الى نغليس عاصمة كرجستان . وحذيفة بن الجان الى بلاد جبال اللان « القوقاز » . فاشتبهت جنوده في أرمينيا وأطرافها مع الامير أوهان بن كاساركان - وأخيه ديران - فقتلا وتشتت جندهما بخيانة أحد قواد الارمن للسمى ساحور ، فله خان أوهان ، وانضم بحيشه الى العرب ، كما يقول ديفرجي وصاحب تاريخ الارمن

أما حبيب بن سلمة الفهري الذي قصد كرجستان وعاصمتها نغليس فنهض له ثيودور أحد أمراء البلاد ، وكانت البلاد منقسمة على بعضها ، وبذلك سعى في جمع كلمة الامراء في أرمينيا ودخلهم تحت لوائه لصد المسلمين ففشل فيما حاول وكان البيطربرك استراس يؤازره وبعضه - فلما رأى أن الامر على غير ما يشتهي أصابه الغم الشديد ومات غماً وكراً

بينما الارمن مهتمون في اقامة بطربرك - غير استراس - اذ فاجأهم المسلمون بقيادة حبيب بن سلمة وحاصروا مدينة ، دوقان ، أو - تنين - وفيها كرسي البيطربرك ويقول ديفرجي : ان حصارها بدأ في نوفمبر سنة ٦٣٩ ذي القعدة سنة ١٨ هـ واستمر الى اليوم السادس من يناير سنة ٦٤٠ م ٥ المحرم سنة ١٩ هـ ففتحها حبيب ثم أخذ في اتمام فتح أرمينيا وكردستان ، ففتح وان ، وبخشوان ، وسيس على الضفة الثانية من نهر الرمس وبسميه الجغرافيون « أراس وأراكس » - ثم سار الى أرمينيا الغربية ثم عطف على ايريا التي هي جزء من كرجستان الحالية وأخذ

انضمها تغلبس وسائر مدنها الكبرى - وفي أثناء ذلك مات مرافقه واستخلف  
عبد الرحمن بن ربيعة فأقره عمر على نقر الباب وأمره بفرض الترك ، فسار شمالاً  
حتّى أمد مدينة الباب وبلادها بعد أن استخضع أكثر بلاد الجبل الممتدة على  
شاطئ البحر الخزر وكان سكانها على جانب عظيم من التوحش والجهالة . وبعد أن  
احتاز الباب أوغلت خيله في السهول الشمالية إلى مائتي فرسخ من بلنجير ( تورك ) ثم  
ردد ولم يبق له أحد من أهل تلك الناحية . وقد حكى الطبري أن أهل تلك الناحية  
كانوا يعتقدون أن هؤلاء العرب لا يموتون ولا يقطع فيهم السلاح . فكانوا يهربون  
منهم في الآجام والضياع ، ثم عاد عبد الرحمن إلى الباب . وجعل يردد غزواته في  
تلك الناحية إلى أن جرب أحد أهل تلك البلاد قتل المسلمين بأن كمن في إحدى  
العابات ورمى رجلاً منهم فقتله . فأخبر قومه بأن هؤلاء المسلمين كالناس يقتلون  
بموتون . فجمعوا في المسلمين واجتمعوا لقتالهم . وقد قتل عبد الرحمن بن ربيعة  
في إحدى الوقائع في بلادهم زمن عثمان . وقد قل الطبري أنهم احتفظوا بحسم  
عبد الرحمن يتبركون به ويستسقون ويستنصرون به إلى الزمن الذي أدركه الطبري  
كان على نهر ( تورك ) وأخذ الزاية أخوه سلمان وخرج بالناس فسلط طريق  
جبلان إلى جرجان بأن دار على شواطئ بحر فزوين - وبعضهم سلك طريق  
الباب إلى أرمينيا

فكان فتح عبد الرحمن قد بلغ إلى شمالي بلاد القوقاز في شرق أرمينيا مما يلي  
بحر الخزر . وأما حبيب فقد بلغ في فتوحه شمال القوقاز أيضاً مما يلي البحر الأسود  
كل ذلك في حلافة عمر فيما بين سنتي ١٨ و ٢٠ هـ إلا أن ذلك الفتح لم يكن  
الافتمحاً هيناً غير موطن الدائم . بل كان فتحاً على الجزية - ولم يكن عند المسلمين  
من الجند العدد الكافي لسد هذه الثغور وتوطيد الأمن فيها وتثبيت كلمة المسلمين  
في أنواحها المتناحية وأطرافها المترامية . وقد كان عمر يظن ذلك كما روى ذلك

العلامة ابن خلدون - وقد صدق ظنه - فقد قل ديمقري : ان المسلمين قد اضطروا عقب ظهور الخزر على نهر ترك - الى الجلاء عن كل أرمينيا ثم عادوا اليها بقوة أعظم سنة ٦٤٦ - سنة ٢٦ هـ وهي السنة التي وجه فيها عثمان حبيباً وسلمان الى استرداد البلاد وفتح أرمينيا والقوز ففتحها وكان الفتح الأول تمهيداً للفتح الثاني الذي صارت به البلاد تابعة للدول الاسلامية ولم تنتقض الا في فترات قليلة ثم استتب فيها الأمر للمسلمين

وقد أشار صاحب مختصر تاريخ الارمن الى تسليم الارمن بعد الحرب الثانية للعرب على عهد سنباط بن فازدِيرُوس الذي كان والياً من قبل قيصر القسطنطينية إذ كان الارمن طلبوا والياً من قبله على بلادهم بعد اختلال أمر دولة الفرس التي كانت منسلطة عليهم « وزال سلطانها بعد أن بدأت حروبها مع المسلمين فولى الامبراطور عليهم فازدِيرُوس والد سنباط وتولى مدة سنة ومات وخلفه ابنه سنباط في خلافة عثمان انتقضت أرمينيا ، والظاهر أن ذلك كان اضعف حاميها وقلة عددهم وكثرة أهل البلاد ورغبة كبرائهم في النخاض من أيدي المسلمين ، وساعد على ذلك بعد البلاد عن مركز قوة المسلمين وإبطاء العدة عنهم ، وكان عثمان قد جمع معاوية الشام والجزيرة وثغورها ، وأمره أن يعزو شمشاط وهي أرمينيا الرابعة أو يفرزها « وقد كان حبيب بن مسلمة الفهري قد فتحها مع عياض بن غم في خلافة عمر فوجه معاوية في سنة آلاف مقاتل لفتح أرمينيا فمض اليها حتى أنماح على قالينلا سنة ٢٦ هـ وأقام عليها حتى خرج اليه أهلها طالين الصلح على الامان والجزية فأجابهم الى ذلك وجلا من جلا وأقام من أقام

أقام حبيب بقالينلا بعد افتتاحها ، وبلغه أن الموريان بطريق أرمينيا قد جمع جمعاً عظيماً وانضمت اليه امداد أهل اللان والخز وممندر من الخزر - فكتب الى عثمان يسأله المدد - فكتب عثمان الى معاوية أن يمدد بقوم من أهل

الشام والجزيرة ممن يرغب في الجهاد فأمده بألفي رجل أسكنهم قليفلا وأقطعهم  
الأنطاخ وجعلهم مرابطة بها - وكتب عثمان أيضاً إلى سعيد بن العاص أمير الكوفة  
أن يمد حبيب بن مسلمة بجيش عليه سلمان بن ربيعة الباهلي وكان غزاه صاحب  
القدام ومكيدة في الحرب - فسار إليه سلمان بستة آلاف من جند الكوفة وأقبلت  
الهم ومن معها قتلوا على الفرات - وقد ابطأ على حبيب المدد ، ورأى حبيب أن  
يبيت أعداءه على ما يجنده من قلة عله أن يصيب منهم غرة قبل أن يقولوا عليه ،  
فبطنهم واجتاحهم وقتل قائدهم

وعما يؤثر من شجاعة النساء وقوة جأش بعضهن ، أن أم عبد الله الكلبيه زوج  
حبيب قالت له ليلة أن قلم لتبييت جند الروم : ابن موعذك ؟ قل : سرادق  
الناحية ( يعني الموران ) أو الجنة - فلما انتهى إلى السرادق وجدها عنده ، ولما  
ورد سلمان بجنوده وقد فرغ حبيب من أمر عدوه أراد سلمان أن ينأمر على حبيب  
وأن يبعده من الجند كما جرت به العادة من أن هذه الناحية كان غزوها لاهل الكوفة  
والتمير منهم من قبل ، فأبى عليه حبيب ذلك حتى قال أهل الشام : لقد همنا  
بضرب سلمان ، فقال أوس بن مقرن وهو من جند سلمان :

فإن تضربوا سلمان تضرب حبيبكم      وإن رحلوا نحو ابن عفان فرحل

وإن تقطعوا فالتغر تفر أميرنا      وهذا أمير في الكتاب مقبل

ونحن ولاية التغر كنا حماه      ليالي نرى كل نقر ونشكل

ومن ثم افرق القائدان ، فأخذ حبيب في افتتاح أرمينيا الغربية ، وسلمان في  
افتتاح أرمينيا الشرقية

فسار سلمان إلى أرتان ففتح مدينة البيلقان ( فيتران ) صلحاً واشترط على  
أهلها الجزية والخراج ، ثم أتى بردعة وعسكر على نهر الثور ، على فرسخ منها ،  
فانتمت عليه وعانها أياماً فصالح أهلها على صلح أهل البيلقان - وفتحوا له أبوابها

فدخلها وأقام بها ووجه خيله ففتحت غيرها من البلاد والرياسات في أران - ودعا  
أكراد اليوستجان ( أو البلاجان ) الى الاسلام فقاتلوه فظفر بهم فأقر بعضهم على  
الجزية وأدى البعض الصدقة ممن دخلوا في الاسلام ، ثم سار الى مجمع نهر السكر  
( كور بالكاف الثقيلة ) والرس ( ارامس ) فغير السكر فتخرب قبالة ، وكل البلاد  
التي على الضفة الشمالية من نهر السكر - وبسببها ديفرجي بلاد مشاكي - ثم  
دخل بلاد سشيوان ، وصالحه صاحب سكن وشيروان والباب . ومن هنا اختلف  
المؤرخون فيعضهم يقول : ان سلمان انتهى الى مدينة الباب ولم يتجاوزها ، ومن  
هذا الفريق ابن خلدون وهو الظاهر . لان ما وراء الباب أم كثيرة قوية وانما كان  
خوفهم من المسلمين واعتقادهم انهم لا يمتنون لان الملائكة تؤيدهم وتعينهم ،  
الذي كان يدفعهم الى الحرب من امامهم ، فلما أنسوا بهم وعرفوا انه يموتون  
اجتمعوا واعتزموا على قتالهم ولم يكن مع سلمان سوى ستة آلاف وهو عدد قليل  
اذا أوهنه بالفرز فيما وراء الباب لم يؤمن أن يعود القوم الى حالهم من الانتفاض  
أما حبيب بن سلمة فسار من قنقلا بعد وصول المدد اليه ونزل ( مر بالا )  
فأناه بطريق خلاط بكتاب عياض بن غنم الذي آمنه به على نفسه وماله وبلاده  
وقاطعه على اناوة فاتفق معه حبيب له ، ثم نزل منزلا بين اهرك ودشت الورك ، فأناه  
بطريق خلاط بالمال وهدية فلم يقبلوا . ونزل خلاط ، ثم سار الى الصيانة فنقيه  
صاحب مكس وهي ناحية من نواحي البسفرجان . فقاطعه على بلاده وكتب له كتاب  
صلح وأمان . ووجه الى قرى ارجيش واذغيس من غلب عليها ثم اجتاز نهر الرس  
وأقى مرج ديبيل وغلب على جميع تلك النواحي . حتى بلغ سراج طبر وبفروند  
فأناه بطريق ديبيل فصالحه عنها على اناوة يؤدها وعلى مناحة المسلمين وقراهم  
ومعاونتهم على أعدائهم وكتب لهم  
( بسم الله الرحمن الرحيم ) هذا كتاب من حبيب بن مسلمة الفهري لنصارى

أهل ديبيل ومجوسها ويهودها شاهدهم وغائبهم اني آمنتم على أنفسكم وأموالكم  
وكنائسكم وبيعكم وصور مدينتكم فأنتم آمنون وعلينا الوفاء لكم بالهد ما وقيتم  
وأديتم الجزية والمخراج. شهد الله وكفى به شهيدا » وختم حبيب بن مسلمة  
وأثناء بطريق البفرجان فصالحه على جميع بلاده وقصد السوسجيان فحاربه أهلها  
فوزهم وغلب عليهم ثم سار الى جرجان فأتاه رسول بطريقها وقدم له هدية  
وسأله كتاب صلح وأمان . فكتب :

« أما بعد : فإن قلنا « تقولنا » رسولكم قدم علي وعلى الذين معي من  
المؤمنين فقد ذكر عنكم أننا أمة أكرمنا الله وفضلنا . وكذلك فعل الله . وله الحمد كثيراً  
رسلى الله على محمد نبيه خيرته من خلقه وعليه السلام . وذكرتم انكم أحببتم صلحنا .  
وقد قومت هديتكم وحسبنا من جزيتكم وكتبنا لكم أماناً واشترطت فيه شروطاً  
فإن قبلتم ووفيتهم به والا فاذنوا بحرب من الله ورسوله والسلام على من اتبع الهدى »  
وقد كان أمراء الاسلام لا يقبلون الهدايا وانما يحسبونها لاهل الذمة من جزيتهم  
ولم يقبلها من أهل الذمة الا همد الله بن عامر وهو أمير على السكوفة ، فقالوا فيه :  
ضما القرشي وكان مضياً

ثم ان حبيباً سار الى قنيس عاصمة كرستان فصالحه أهلها وكتب لهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم » هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لاهل قنيس  
من منجلايس من جرجان التمرز بالأمان على أنفسهم وبيعتهم وصوامعهم وصلواتهم  
ودينهم على اقرار بالصغار والجزية على أهل كل بيت دينار وليس لكم أن تجمعوا  
بين أهل البيوت تخفيفاً للجزية ، ولأننا أن نفرقهم استكثاراً منها ولنا نصيحتكم  
وخامكم على أعداء الله ورسوله ﷺ وقرى المسلم المحتاج ليلة المعروف من حلال  
طعام أهل الكتاب لنا . وان اقتطع برجل من المسلمين عنكم فليكم اداؤه الى  
أذن فئة من المسلمين الا أن يحال دونهم ، وان أنتم يا أئمة تصدروا فإخواننا في

الدين والافالجزية عليكم ، وان عرض للمسلمين شغل عنكم ففهمكم عدوكم فغير مأخوذین بذلك ولا هو ناقض عهدكم : هذا لكم ، وهذا عليكم ، شهد الله وكفى به شهيدا ۞

ثم ان حبيبا صار يفتح في بلاد أرمينيا الغربية مما يلي البحر الاسود حتى انتهى الى بلاد القوقاز في شمال أرمينيا كما انتهى الى مثل ذلك سلمان في شرقها مما يلي بحر الخزر

## تم فتح بلاد فارس

ان بلاد الفرس أو المملكة الفارسية كانت في أيام العرب تشتمل على بلاد وأرض أوسع مما نسميه اليوم ببلاد الفرس ، فقد كان يدخل فيها بلاد البلوجستان ، وبلاد الافغان وأقليم أذربيجان وكردستان وبعض أرمينيا وهو الجزء الشرقي منها مما يلي بحر قزوين . وفي مدة عمر بن الخطاب قد فتح المسلمون أكثر ذلك كله . غير أن بعض هذه البلاد قد توطد فيه ملك المسلمين وهو ما يلي ناحيتهم ، وبعضه لم يتوطد فيه الملك وهو ما بعد عنهم كجهات الروين وخطارستان وبلخ وسجستان وبعضها لم يكن فتح من قبل

وقد كان العرب يقسمون المملكة الفارسية الى أقسام كثيرة يسمونها كورا « فالقسم الشمالي منها » مما يلي أرمينيا غربا والقوقاز شمالا يعرف بكورة أذربيجان ومن مدنه الشهيرة تبريز ، وزنجان ، والبير ، والموقان ، والطيلسان . وإلى الشرق منها قزوین الواقعة شمال بلاد الجبل ، وكانت تسمى بلاد الديلم . ثم الى شرقي هذا القسم في الجهة الجنوبية من بحر قزوین ، طبرستان وجرجان . ومن مدنها الشهيرة دماوند - أو دنياوند - واستراياد والدامغان ، وقومس في جهة

الجنوب أبيورد ، ولسا ، وسترخس ، ومرو الشاهجان في جهة الشمال والشرق من هذا القسم . والجزء الغربي منه يعرف الآن بمازندران

« والقسم الغربي منها » يعرف بالعراق المعجمي وخوزستان ، وبلاد الجبل - ومن مدن العراق المعجمي الشهيرة : المدائن ، والنهران على نهر دجلة ، ومناقر ، وقصر شيرين ثم نهاوند . وقاشان ، واصفهان من بلاد الجبل ، والاهواز ، ورامهرمز والسوس وجند بسابور من خوزستان

« والقسم الجنوبي منها » يعرف بفارس وكرمان ومكران أو كورة السند « تعرف الآن ببلوچستان » وسجستان وهي بين مكران وخراسان . ومن مدن فارس الشهيرة : اصطخر ، ولسا ، ودار ابجد ، وكازرون ، وجور ثم جيرفت ، وهميد ، والسيرجان من مدن كرمان ، ثم مكران ، وقنديل ، وقزبور ، وارمايل وبرون ، والديبل « تقع على المحيط الهندي من كرمان أو السند » ثم زالتى على طرف المزة المعروفة بمغازة كرمان « أمها صحراء لوط » ودرنج التي يؤخذ منها إلى وادي سناروز ، والكش من ناحية الهند ورشت ، وباشروور من سجستان

« والقسم الشمالي الشرقي » يعرف بخراسان وطخارستان وزابلستان ، وهذا القسم أكثره واقع في أفغانستان الآن ، وكان العرب يقسمونه إلى أقسام كثيرة أو كورقها كورة مرو ، وهراة ، وطوس ، ونيسابور من ولاية خراسان ، وغزنة وكابل من زابلستان . وبلخ من طخارستان ، وأشهر مدن خراسان : نيسابور الواقعة في الجهة الشمالية الغربية ، ومن خراسان وطوس إلى الشمال منها أيضاً . ومن مدن نيسابور وزام ، وبشت ، وباخرز ، وجوين ، وأبركسر ، وبيوق ، واسفرائن ، وارغينان وغيرها . ثم هراة ، ومرو الروذ في الجهة الشرقية من خراسان ، ومدن هذه الجهة بوشنج وباذغيس وطاغون ، وسنج ، وغيرها . أما طخارستان الواقعة شرقي خراسان وشمال زابلستان وجنوب الصاغانيان فلن من مدنها الشهيرة : بلخ



وهي عاصمتها وتعد الآن من بلاد التاتار الجنوبية الواقعة جنوبي نهر جيحون .  
والجوزجان . والفارياب والطالقان . وغيرها . وأما زابلستان : فن مدنها . كابل  
وغزنة

وقد تقدم الكلام في فتح الجزء الأكبر من هذه الجهات في خلافة عمر  
ابن الخطاب

في السنة الثالثة من خلافة عثمان بن عفان انتقضت آمد وبلاد الأكراد . فعزم  
أبو موسى الأشعري والي البصرة يومئذ على الخروج لرد القوم إلى الطاعة فحمل  
نقله على أربعين بغلاً معه أن كان يحض الناس على الجهاد والتهوض إليه مشياً .  
فتألب عليه أهل البصرة . وذهب منهم وفد إلى عثمان فاستعفوه من أبي موسى .  
وتولى كبر ذلك غيلان بن خرشة الضبي . فقال عثمان : من يحبون ؟ فقال غيلان :  
في كل أحد عوض عن هذا العبد الذي أكل أرضنا وأحيا أمر الجاهلية فيها ؟ وقال  
إذا أمرت علينا صغيراً كان فيه عوض منه أو كبيراً كان فيه عوض منه ومن بين  
ذلك من جميع الناس خبر منه . وقال : أما منكم خبيس أغرة موه . أما منكم فقير  
فتعجبوه بأمير قريش ؟ فعزله عثمان ، وولى عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة  
القرشي . وهو ابن خال عثمان وكان ابن خمس وعشرين سنة وجمع له جند أبي موسى  
وجند عثمان بن أبي العاص من عمان والبحرين . فصرف عبيد الله بن معمر عن  
خراسان وبعثه إلى فارس . وولى على خراسان مكانه عمير بن عثمان بن سعد فأنحن  
فيها حتى بلغ فرغانة . ولم يدع كورة إلا أصلحها . ثم ولى عليها في السنة التالية  
أمين بن آخر البشكري وعلى كرمان عبد الرحمن بن عيسى . واستعمل على  
سجستان عبيد الله بن عمير الليثي فأنحن فيها إلى كابل . ثم عمران بن الفضيل البرجمي  
وعلى مكران عبيد الله بن معمر فأنحن فيها حتى بلغ النهر  
ثم إن أهل فارس ثاروا وانتفضوا على عبيد الله بن معمر فسار إليهم والتقى

معه على اصطخر فقتل عبيد الله . وباغ الخليل ابن عامر فاستنفر أهل البصرة .  
وسار بالناس إلى فارس وعلى مقدمته عثمان بن أبي العاصي وعلى جنبه أبو ترزة  
الاسلمي ومقل بن يسار . وعلى الخليل عمران بن حصين . وكلهم له صحبة . فلقبته  
بجمع الفرس باصطخر فزعمهم وأوقع بهم وقعة عظيمة وأخذ المدينة عنوة . ثم قصد  
إلى دار الجرد ثم إلى مدينة جور وكان هرم بن حيان على حصارها . فلما جاء ابن  
عامر فتحها ورجع إلى اصطخر وقد انتقضت ثمانية محاصرها حصاراً طالت مدته  
ورماها بالمجانيق وافتتحها عنوة وأوقع بأهلها وقعة شديدة وهلك فيها أكثر أهل  
البيوت والاساورة لانهم كانوا قد لجأوا إليها وعلى . عبد الله بن عامر أهل فارس  
وطاعة صاروا منها في ذل . وكتب إلى عثمان بالفتح فكتب إليه أن يستعمل على  
بلاد فارس هرم بن حسان الاشكري وهرم بن حيان العبدي والحرث بن راشد  
والمنجاب بن راشد والترجمان الهجيمي . وأمره أن يفرق كور خراسان على جماعة  
فيجعل الأحنف بن قيس على المروين . وحبيب بن قررة البربوعي على باغ وخالد  
ابن عبد الله بن زهير على هراة وأمين بن أحر على طوس . وقيس بن هيرة  
السلمي على نيسابور . ثم إن عثمان رضي الله عنه قبل موته جمع هذه الولاية لقيس  
ابن هيرة ، واستعمل أميين بن أحر على سجستان

ولما رجع ابن عامر إلى البصرة بلغه قرض أهل خراسان الذمة ونكثهم العهد .  
فجاءه الأحنف بن قيس وقال له : أيها الأمير إن عدوك منك هارب ولك هائب  
والبلاد واسعة فسرفان الله ناصرك وممزد دينة . فتجهز وسار واستخلف على  
البصرة زياداً واستعمل على حرب سجستان الربيع بن زياد الحارثي وعلى كرمان  
جحاشم بن مسعود السلمي وتقدم هو إلى نيسابور وجعل على مقدمته الأحنف بن قيس  
فأتى الطليسين وهما حصنان وهما بإخراسان ففتحهما عنوة ثم سبر أمراءه إلى أعمال  
نيسابور ففتحوا زام وقهستان وبيق وبشت . ثم تقدم وقد سبر عبد الله بن

عامر وافتتح نيسابور وكل أعمالها وطوس كذلك وهرات كذلك وأعمالها .  
وقد سير عبد الله بن عامر الاحنف بن قيس الى طخارستان فاني صوا نجرد  
فصالحه أهلها على ثلثمائة الف درهم ثم مضى الى مرو الروذ فقاتله أهلها ثم صالحوه وسير  
سرية فاستولت على رستاق بلخ فاعظم الامر على أهل طخارستان فاجتمع لقتاله  
أهل الجرجان والطائفة والفاراب ومعهم ملك الصاغانيان من (تركستان الشرقية)  
فقاتلهم الاحنف قتالا شديدا حتى هزمهم وقل جموعهم وفتح تلك الناحية - ثم سار  
الى بلخ وهي عاصمة طخارستان فافتتحها - ثم قصد بخوارزم على نهر جيحون (في  
تركستان الغربية) فاستعصت عليه فعاد الى بلخ

أما مجاشع بن مسعود السلمي فتوجه الى كرمان فاني في طريقه هب فافتتحها  
ثم قصد السرجان وهي مدينة كرمان فحاصرها أياما ثم فتحها وفتح جبرفت عنوة  
ثم سار في نواحي كرمان ومدنها وقرأها فدرخ أهلها وافتتح تلك المدن وأخضع أهل  
تلك النواحي وقد هرب كثير من أهل كرمان الى مكران وسجستان فافطمت العرب  
أرضهم فعمروها واحتفروا لها القنى وأدوا المشرق عنها

وأما الربيع بن زياد الحارثي الذي سار الى فتح سجستان ، فإنه قطع المفازة  
(أعمالها مفازة كوهستان وهي غير قوهستان) فأتى حصن زائق وأغار على أهلها فاسر  
دعائها فافتدى منه بأن غرز عنزة (أطول من العصا وأقصر من الرمح) وظهرها  
ذهبا وفضة وصالحه على صالح أهل فارس - ثم فتح كركويه - ثم أتى روشنت بقرب  
زرنج فقاتله أهلها وأصيب رجل من المسلمين ثم انهزم أهلها - ثم أتى ناسرواخذ ثم  
زرنج فنازله أهلها وقاتلوه فهزمهم وصالحه مرزبانها على مال كثير - ودخل المسلمون  
المدينة ثم ذهب الى وادي سناروز ثم رجع وأقام في زرنج سنة وعاد الى ابن عامر  
بعد أن استخلف عليها عاملا . فأخرج أهل زرنج العامل وامتنعوا - فولى ابن عامر  
عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس على سجستان فخرج اليها وحاصر  
زرنج فصالحه مرزبانها على ألف درهم وغلب عبد الرحمن على ما بين زرنج والكش

من ناحية الهند، وغلب من ناحية الرخج على ما بينه وبين القزوين. ولما انتهى الى  
الدوان حصرهم في جبل الزوزنم صالحهم ودخل على الزوزنم وهو صمم من ذهب عيناه  
ياقوتتان. فقطع يده وأخذ الياقوتتين ثم قال للفرزيان دونك الذهب والخور، وإنما  
أردت أن اعطيك أنه لا يضر ولا ينفع. وفتح عبد الرحمن كابل وزابلستان وهي ولاية  
غزنة ثم عاد الى زرنج فأقام بها حتى اضطرب أمر عثمان فاستخلف عليها أميين بن  
احمر وانصرف فعاد القوم الى العصيان

ولما تم لابن عامر هذا الفتح العظيم قيل له: لم يفتح لاحد ما فتح عليك. قال  
لاجرم، لاجل أن شكري لله على أن أخرج محرماً من موطني هذا. فأحرم بمرة من  
نيسابور وقدم على عثمان. واستخلف على خراسان قيس بن المهلب وخرج ابن عامر  
منها في سنة ٣٢ فجمع قارن وكان من كبار قواد الفرس جماً كثيراً من ناحية  
الطبيين وأهل بادغيس وهرات وقبستان وأقبل في أربعين ألفاً. فقال قيس لعبد الله  
ابن خازم: ما ترى؟ قال أرى أن تخرج من البلاد وتخليها فاني أمبرها إذا كانت حرب  
وأخرج كتاباً من عبد الله بن عامر قد أتمه فكره قيس مشاقبته وخلاله والبلاد  
وذهب الى ابن عامر فلامه واعتذر قيس بما كان من أمر الكتاب

أما عبد الله بن خازم فسار الى قرن في أربعة آلاف وأمر الجند أن يحملوا  
الودك. فلما قرب من عسكر قارن قال ليدرج كل منكم على زوج ربحه ما كان معه  
من قطن أو خرقة أو صوف ثم أوسعوه من الودك من دهن أو زيت أو أهالة أو سمن  
وسار حتى إذا امسى قدم مقدته سماناً ثم أقبلهم وأمر الناس فأشعلوا النيران في  
أطراف الرياح وجعل يقتبس بعضهم من بعض. فاتوا عسكر قارن نصف الليل  
فناوشوهم وهم آمنون من البيات فرأوا النيران منه ويسره ترتفع وتنخفض وتميل في  
كل ناحية فناموا على دهش فهاجروا وهالهم الأمر وتقدمت المقدمة تناديهم ثم غشيهم  
ابن خازم في جنده فقتل قارن وهزم جنده فقبضهم يقتلونهم كيف شادوا وخنموا  
عسكرهم وسبوا سبياً كثيراً وكتب بالفتح الى ابن عامر فرضى وأقره وما زال بها  
الى أن انتهت وقعة الجبل

كانت هذه النواحي مغازى أهل البصرة

وأما أهل الكوفة فكانت مغازيهم بناحية أذربيجان وأرمينيا كما قدمنا . وفي  
 ناحية طبرستان . فإن سعيد بن العاص أمير الكوفة من قبل عثمان سنة ٣٠ ماز  
 يريد خراسان بجيش فيه جماعة من أبناء أصحاب رسول الله منهم حذيفة بن اليمان  
 والحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص  
 وعبد الله بن الزبير وغيرهم وكان ابن عامر قد خرج من البصرة يريد خراسان أيضاً  
 فلما وصل سعيد إليه وجده قد نزل إثر شهر . فنزل قومه وهي صلح صالحهم عليها  
 حذيفة بن اليمان بعد وقعة نهاوند ولم تنتفض . وأتى جرجان فصالحوه على مائتي ألف  
 درهم . ثم إلى طيمية وهي كلها من طبرستان متاخمة جرجان وهي على ساحل بحر  
 الخزر فقاتله أهلها قتلاً شديداً حتى صلى صلاة الخوف وضرب يومئذ سعيد أحد  
 المشركين على حبل عاتقه بالسيف فخرج من تحت مرقه . وحاصروهم فسألوا الأمان  
 فأعطاهم وافتتح سهل طبرستان والرويان وديواند وأعطاه أهل الجبال مالا . ثم كان  
 المسلمون بعد ذلك يقرزون طبرستان ونواحيا . فربما أعطوا الأناوة عفوا وربما منعوا  
 فلم يعطوا إلا بعد قتال . وظل أهل بلاد جرجان وطبرستان على شيء من الاستقلال  
 والتزوع إلى الشغب والاباء عن الخضوع لقوة الخلافة مدة الخلفاء الراشدين وصدرنا  
 من الدولة الأموية حتى أخضعها يزيد بن المهلب في خلافة سليمان بن عبد الملك  
 ابن مروان

والذي يظهر للمطلع على التاريخ أن جيوش المسلمين فيها يلي فارس أو المملكة  
 الفارسية كانت قد ضخمت وكثرت كثرة غير متناسبة مع عددهم عند ابتداء الفتح  
 أيام القادسية . يدل على ذلك ما أورده الطبري من آيات لابن جسيم مدح بها سعيد  
 ابن العاص أمير الكوفة عاود من غزوه في جهات جرجان وطبرستان يقول فيها :  
 فنعم القتي اذ جال جيلان دونه واذا هبطوا من دسني ثم ابرا

تعلم سعيد الخير ان مطيقي اذا حبست اشفت من ان تعفرا  
 كأنك يوم الشعب ليث خفية نجرد من ليث العرين واصحرا  
 تروس الذي ماساس قبلك واحد ثمانين الفا دارعين وحسرا

## الفتح في مملكة الروم زمن عثمان

كانت دولة الرومان على أشد الحذر من جيوش المسلمين فاخرة اليهم في كل حين من عهد انتطاعم سورية ومصر من جسم سلطنتهم . وقد عرف قواد المسلمين ذلك الحذر منها فاتجه تبار فتوحهم الى جهات فارس وارمينيا فترة من الزمن . الى أن جاءت سنة ٢٥ و ٢٦ - فمقد معاوية بن أبي سفيان عزيمته على منازلة دولة الروم في اقليمي قبادوكيا في الجهة الشرقية من آسيا الصغرى مما يلي ارمينيا - وفريجيا من المقاطعات الوسطى من آسيا الصغرى فاخذ «عمورية» من مدن فريجيا الكبرى على حدود غلاطية ولم يوغل فيها وراء ذلك . ولعل السبب في عدم ايقاله في تلك الاصقاع علمه بشدة حذر الروم واستعدادهم للدفاع عن بلادهم بالقوى الكبيرة مع قرب تلك النواحي من عاصمة ملكهم بسهولة حشد الجيوش عليهم . فهو اذا أقدم في ذلك الزمن كان ثمن الفتح غالبا . وقد قدمنا ما كان من ارساله حبيب بن مسلمة الى ارمينيا كان معاوية ذا شغف زائد بالاجهاز على الدولة البيزنطية وفتح مدينة القسطنطينية وهو يعلم شدة حذر الروم ويفتقهم ويعلم ما عليه بلاد الاناضول من كثرة الجبال ووعورة الطرق . فبلوغ غرضه من طريق البر دونه احوال ومصاعب لا قبل لجيوش الشام في ذلك الحين بتقليلها ، فاتجه تيار تديمره الى البحر يريد أن يلغ حاجته فيه بحمل المسلمين على اثباجه والاستيلاء على المراكز المهمة والنقط النافعة في الشزوا البحري تمهيدا للقيام بعمله الهائل

كانت هذه افكرة تهجس في خاطر معاوية من أيام عمر بن الخطاب فكتب اليه برغبه في ان يأخذ له في فتح قبرص ويدكر له قريبها من الساحل يسهولة ذلك عليه وقال : ان قرية من قرى حص ليسم أهلها نباح كلابهم ( أهل قبرص ) وصياح دجاجهم <sup>(١)</sup> فكلاد ذلك يأخذ بقلب عمر ولكنه اتهمه وكتب الى عمرو بن العاص - ان صف لي البحر ورا كيه فان نفسي تذازعني اليه - فكتب اليه عمرو : « اني رأيت خلقا كبيرا يركيه خلق صغير ان ركن خرق القلوب وان تحرك أزاغ العقول يزداد فيه اليقين فنة والشك كثره . هم فيه كمدود على عود . ان مال غرق وان نجار يرق » فلما قرأه عمر كتب الى معاوية « انا سمعنا ان بحر الشام يشرف على أطول شيء على الارض يستأذن الله في كل يوم ويلة في ان يفيض على الارض فيغرقها . فكيف أحمل الجود في هذا الكافر المستعصب . ونافق لمسلم أحب الى مما حوت الروم . فابك ان تعرض لي وقد تقدمت اليك . وقد علمت ما اتى الملاة مني ولم أقدم اليه في مثل ذلك »

سكت معاوية بعد كتاب عمر على مفض في النفس . الى ان كان زمن عثمان فاستأذنه . وبعد لأي ما اذن له في غزو الروم في البحر وذلك سنة ٥٢٧ وشرط عليه عثمان ان يندب الناس للغزو . وان لا ينتخبهم ولا يقرع بينهم . فمن انتدب جيزه وأعانه فأعد معاوية لذلك أسطولا في سواحل الشام وأرسل الى عبد الله بن أبي سرح عامل مصر يومئذ ان يجيز أسطولا آخر ففعل واجتمع الأسطولان على قتال أهل قبرص . وبعد أن دافع أهلها دفاعا شديدا وقتلوا المسلمين أشد قتال صالحو على سبعة آلاف دينار في كل سنة يزدون الى الروم مثلها لا يعتنهم المسلمون عن ذلك ، وليس على المسلمين منهم من أرادهم . وعابهم أن يؤذنوا المسلمين بمسير عدوم اليهم . ويكون طريق المسلمين الى العدو عليهم . وليس لذلك معنى سوى ان قبرص صارت بذلك محطة حربية ومستودعا للمسلمين في البحر الايض المتوسط ونقطة اتصال بين أهل الشام وبين أساطيلهم التي ابتدأت تخمر في ذلك البحر وتلجأ الى تلك الجزيرة عند

(١) الجزيرة التي يسكنها نباح كلابها وصياح دجاجها

الحاجة . وكان الفتح سنة ٢٨ وحضره من أصحاب رسول الله جماعة منهم عبادة بن الصامت وزوجته أم حرام بنت سلمان . ومن هذا التاريخ صارت دولة الاسلام دولة بحرية كما هي دولة برية وذلك أمر طبيعي للمملكة أحرزت من الشواطئ الواسعة ما أحرزت دولة انطلاقة . فانه قد صار لها شواطئ سورية ومصر وبرقة الى افرقية ( تونس ) في هذا الزمن القليل . وهذه الشواطئ تحتاج الى الحماية من غارات الاعداء من الرومان وهم أمة عريضة في البحرية وقيادة الاساطيل

وقد كان أمير البحر الذي قد الاساطيل لماءية عبد الله بن قيس الطائي - كيف بني فزارة فزارة - بين غزاة من بين شانية وصانعة في البحر . ولم يفرق فيه احد ولم ينكسب . وكان يدعو الله أن يرزقه المنيعة في جنده وان لا ينبله بمصاب أحد منهم وقد أجاب الله تعالى دعوته في جنده دونه

وقد طار اميد الله بن قيس ذكر في سواحل الروم وشواطئ البحر الأبيض المتوسط واشتهر شهرة عظيمة جدا - حتى اذا أراد الله أن يصيبه وحده خرج في في قارب طليعة فانتهى الى المرقى من أرض الروم وعليه سؤل يسترون بذلك المكان فتصدق عليهم . وكان معطاهم كرمياً فتم عليه جود كفه - فان امرأة من السؤل رجعت الى بيتها فقالت الرجال : هل لكم في عبد الله بن قيس . قلوا : وأين هو ؟ قالت : في المرقى . قالوا : أي عدوة الله ومن أين تعرفين عبد الله بن قيس فوبختهم وأعلمتهم انها سألته فأعطاهم عطاء ملك ولم يكن عطاء تاجر . فثاروا اليه فهاجموا عليه فقاتلوه وقتلهم فأصيب وحده وأفلت الملاح حتى أتى أصحابه ، فجؤوا حتى أرقوا واغليفة منهم عن قيس سفيان بن عوف الازدي . ففرج فقاتلهم فضجر وجعل يبعث بأصحابه ويشتمهم ، فقالت جارية عبد الله : واعبد الله ما هكذا كان يقول حين يقاتل . فقال سفيان وكيف كان يقول ؟ قالت : للفمرات ثم ينجلينا ، وترك ما كان يقول الى ما قالت ، وأصيب في المسلمين ناس يومئذ



وقد ذكر سديو في تاريخه أن معاوية فتح سنة ٢٩ هـ جزيرة اقريطش (كريد)  
وجزيرة كوس وجزيرة رودس ، ولم يقل بذلك مؤرخو العرب والظاهر أن هذه  
الجزر فتحها معاوية في خلافته أيام هيجانه المتعاقبة على سواحل الروم وتدميره  
لاسطولهم العظيم ثم محاصرته للقسطنطينية كما سيأتي خبر ذلك كله في سيرة معاوية  
اهـ من أشهر مشاهير الاسلام

## مقتل يزديجرد

من الاحداث في عهد عثمان مقتل يزديجرد وانشاء الملك في فارس  
اضطربت كلمة انورخين في مقتل يزديرد ملك الفرس ورويت في ذلك  
روايات عديدة رواها الطبري وتابعه عليها ابن الاثير ، اقربها ان يزديرد  
عزم على قصد خراسان ليجمع الجموع ويسير بهم الى العرب فسار الى مرو ومعه  
الزهن من اولاد الدهاقين ومعه فرخزاد اخودسم . فلما اعتزم القدوم الى  
مرو كاتب ملك الصين وملك فرغانة وملك كابل وملك انخر يستمدم  
وكان الدهقان عمرو ماهويه ابوبراز وقد جعل ماهويه ابنه محافظا للمدينة  
وقد اراد يزديرد صرف الدهقة عن ماهويه الى ابن اخيه سنجن وشعر بذلك  
ماهويه فاسر الى ابنه بمنع يزديرد عن دخول مرو وأخذ ماهويه في العمل على  
أهلاك يزديرد فكتب الى نيزك طرخان من ملوك الترك يدعوهم الى الاتفاق  
على قتل يزديرد ومصالحة العرب عليه ويضمن له الف درهم في كل يوم ان  
اعانته على ماطلب . فاجاب نيزك الى ذلك وكاتب يزديرد يبذل له المعونة والنصرة  
اذا نحي عنه فرخزاد وجنده . واستشار يزديرد اصحابه فكل اشار برأي . فنحي  
عنه فرخزاد وجنده وجاء نيزك في جند واستقبل الملك ماشيا فامر له بفرس

ودخل عسكر نيزك في موكب حافل تعزف فيه الموسيقى . فلما توسط الملك عسكر نيزك قال له فيما يحدثه : زوجتي إحدى بناتك حتى انصحتك في قتال عدوك . فغضب منه يزيد جرد وسبه . فعلاه نيزك بمقرعة قفر منه وقتل أصحاب نيزك أصحاب يزيد جرد وانتهى الفرار بالملك الى بيت طحان أو صانع ارجاء على نهر المرخاب ( نهر الطير ) فمكث عنده ثلاثة أيام لا يأكل والطحان أو صانع الارحاء لا يعلم من أمره شيئاً . فقال له : اخرج أيها الشقي فكل طعاماً فقد جعت . فقال : اني لا أصل الى ذلك الا بزمزمة وهي أدعية وصلوات يقوم رجال الدين من المجوس يتلاوتها على الطعام قبل الاكل فاحضر له رجلاً فزمزم له : وأكل . فلما رجع المزمزم سمع الناس يتحدثون بهرب يزيد جرد واختفائه فسأل عن حليته فوصف له فاخبر الناس بمكانه وانتهى الخبر الى ماهويه أبو براز فارس أحد الاساودة ليقبضه . فأنكر الطحان أن يكون عنده وقال رجل أبي أنهم هاهنا يبيع المسك ودخلوا بيت الطحان فاذا يزيد جرد قد نزل في النهر فحرقوا طرف ثوبه فأخرجوه . فأراد أن يقتدي من قاتله بخاتمه ومنطقته وفيهما غنى الدهر لمن أخذهما فلم يقبل وطلب منه أربعة دراهم على أن يتركه فلم يجدها . فطلب أن يذهب به الى الدهقان أو الى العرب فانهم يستبقونه فلم يقبل منه وقتله وألغاه في المرخاب

ويقول سيد يور في تاريخه : ان ملك الصين المسمى نائ تسنغ أمدّ يزيد جرد بالجنود . وانه هو الذي سلط عليه من قتله على شاطئ المرخاب . وانقضت بقتله الدولة الساسانية التي استمرت زاهية وأعلامها خافقة على تلك الممالك نحو تسع وعشرين وثلاثمائة سنة . وقال ابن الاثير : وسمع بقتله مطران كان بمرو فجمع النصاري وبنوا له نائوساً وأخرجوه من الماء وكفنوه ودفنوه . وكان ملكه عشرين سنة : منها أربع سنين في دعة وست عشرة سنة في تعب من محاربة العرب اياه وغفلتهم عليه . وكان آخر

من ملك من آل اردشير بن بابك ، وصفا الملك بعده للعرب وذلك سنة احدى  
وثلاثين .

## اجتماع أعمال سورية كلها معاوية

كان معاوية بن ابي سفيان عاملاً على الاردن في عهد عمر بن الخطاب وكان  
اخوه يزيد بن ابي سفيان اميراً على دمشق . فمات ثعالب عمه الى ابي سفيان  
فقال : من جعلت على عمله يا امير المؤمنين ؟ قال : معاوية . فقال : رحلتك رحم .  
ومات عمر ومعاوية على دمشق والاردن

وقد كان عياض بن غنم خال ابي عبيدة بن الجراح ومن ابناء عمومته وكان في  
عهد عمر بن الخطاب قد ولي عملاً بالجزيرة وكان شجاعاً وقائماً بارداً . فبلغ عمر عنه  
انلاف الدل فأحضره عمر وابسه جبة صوف وأعطاه عصي وجاهه بصرة من الغنم  
وقال له ارفع فان أبلك كان راعياً . وبعد مدة صرفه الى الشام فلمحق بأبي عبيدة  
وكان معه وكان جواداً كريماً مشهوراً لا يلقى شيئاً ولا يمنع أحداً سألته معروفياً . فلما  
حضر أبو عبيدة استخلف عياضاً على عمله ففقره عمر . وكام عمر في ذلك وقيل له  
هزلت خلفاً أو عبت عليه العطاء . وعياض أجود العرب وأعظم لا يمنع شيئاً  
بماله . فقال عمر عياض في ماله حتى يخاص الى مالنا واني مع ذلك لم أكن مغيراً أمراً  
وقضاه أبو عبيدة . ومات عياض بعد ذلك . فولى عمر مكانه على حصص سعيد بن  
حزيم الجحفي ثم مات فولى مكانه عمير بن سعد الانصاري وتوفي عمر وهو على  
حصص ثم ان عمير بن سعد مرض مرضاً شديداً واضنى فاستغنى عثمان واستأذنه فيه  
الرجوع الى أهله فأذن له ، وضم عمله الى معاوية فكان له بذلك حصص وبنيعها .  
فقدسرين ودمشق والاردن

وكان عبد الرحمن بن علفة بن مجزر الكناي على فلسطين . فلما مات في أيام عثمان ضمت فلسطين الى معاوية وبذلك اجتمعت له كل ولايات سورية وكان معها جزء من الجزيرة

## الفرقة العربية واسبابها وتأثيرها

لا بد لمن يريد أن يتكلم على الامور التي كانت سبباً لتفريق وحدة المسلمين وتشعب آرائهم في السياسة ، ولم تقتصر على ذلك حتى أنبت لهم شجراً في الدين ووزقتهم كل ممزق . أقول لا بد لمن يريد ذلك من السير بالامور من مبدئها والائتياان عليها واحدة واحدة . وأن يبدأ ذلك بأحوال المسلمين في أمصارهم ومنشأ ما كان بينهم وبين ولائهم وما لحقوا به في حقهم وما عابوه عليهم ليكون ملماً بالأحوال بدأ ونهاية — هذا وقد أسهب المؤرخون وأصحاب السير والاختصار في أسباب الفتن والفرقة امسهاياً كثيراً . وقد جاء الطبري بالكثير من ذلك في أخبار مفرقة . ونسق العلامة ابن خلدون أحوال الامصار وأسباب الفتن ومبادئها نسقاً يديماً في تاريخه وألم بشيء من ذلك في الجزء الاول . وقد هذا حدود الاستاذ الحضري وجاء في محاضراته من ذلك بالكثير الطيب . وكذلك صاحب أشهر مشاهير الاسلام فقد جمع في هذا الباب شيئاً كثيراً وأبدى آراءً صديده . وقد جاء ابن الاثير في هذا الباب أيضاً بشيء كثير . وهذه الكتب التي اخترتها مادة لما أوردته في هذا الباب وعمدة أرجع اليها وأقل عنها مع ما يبدو لي من التعديل أو التحوير أو الزيادة أو نحو ذلك والله المستعان

﴿ هل كان عثمان ميسئاً الى الناس أو نقص عنهم الرزق في عهده ؟ ﴾

روى الطبري عن الحسن البصري قال : كان عمر بن الخطاب قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج في البلدان الا ياذن وأجل . فشكوه . فبلغه .

فقال : « ألا اني قد سئلت الاسلام من البعير بيده فيكون جدعاً ثم نقياً ثم رباعياً ثم سدسياً ثم بازلاً . الا قول ينتظر بالبال الا النقصان . ألا وان الاسلام قد يزل . ألا وان قريشاً يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عبادته . الا فلما وابن الخطاب حي فلا . اني قنم دون شعب الحرة آخذ بحلافهم قريش وحجزها أن ينهاتوا الى النار » فلما ولي عثمان لم يأخذهم بالذي كان يأخذهم به عمر . فانساحوا في البلاد . فلما رأوها ورأوا الدنيا ، انقطع من لم يكن له طول ولا مزية في الاسلام فكان مغموماً في الناس وصاروا اوزاعا اليهم وأملؤم وتقدموا في ذلك . فقالوا بملكون فنكون قد عرفناهم ، وتقدمنا في التقرب والانقطاع اليهم . فكان ذلك أول ومن دخل على الاسلام وأول فتنة كانت في العامة

وقال الشعبي لم يمت عمر حتى ملته قريش وقد كان حصرهم في المدينة فامتنع عليهم وقال : ان أخوف ما أخافه على هذه الأمة انتشاركم في البلاد . فان الرجل ليستأذنه في الغزو - وهو ممن حبس بالمدينة من المهاجرين ولم يكن فعل ذلك بغيرهم من أهل مكة - فيقول قد كان لك في غزوك مع رسول الله ﷺ ما يبيلك . وخير لك من الغزو اليوم ألا ترى الدنيا ولا تراك . فلما كان عثمان خلى عنهم فاضطربوا في البلاد وانقطع اليهم الناس فكان أحب اليهم من عمر - وروى الطبري بسنده قال : لم تمض سنة من اماره عثمان حتى اتخذ رجال من قريش أموالاً في الامصار وانقطع اليهم الناس

والمطلع على ما تقدم يرى أن رأي عمر في الحجر على قريش أو ثق من رأي عثمان في ارخاء الحبل لهم . ذلك أن قريشاً ( كما قال الاستاذ الحضري ) كانت بحسب القاعدة التي كانت متبعة كأعضاء الاسرة التي لها الأمر . كبارها مرشحون لأن يلوا الخلافة يوماً ما وليس هناك نظام يمين سابقهم ولا حقهم وهم مع ذلك متباعدون بالعشائر . ومحيط المدينة ضيق عن تدبير ما يمكن أن يختلج في النفوس من الشغب

على الخليفة . أو ما يمكن أن يأتيه آت لافساد ذات البين  
وقال صاحب أشهر مشاهير الاسلام : أجمع الرواة وأهل الاخبار على أن  
عثمان قضى الشطر الأكبر من خلافته وهو أحب إلى الناس من عمر لشدة وراثة  
عثمان وليته . واقبال الدنيا على الناس على عهده وتبسطهم في المعيشة وامتلاء أيديهم  
من المغنم . لكن غلب عليه بنو أمية في أواخر مدته . فأثروا على غيرهم من  
قريش ووصلهم بالاموال الكثيرة فانحرفت عنه من أجل ذلك القلوب ونظرت  
إليه قريش بغير عين الرضا ونهض لمناقشته الحساب أهل الامصار وتخلل ذلك  
أمر خفية وجلية أدخلت الناس في غمار فتنة عماية كانت تليقها ضعف السلطة  
الشرعية وقلبة القوة والاثرة على الملك إلى اليوم

أخرج ابن عساکر عن الحسن أنه قال : أدركت عثمان - على ما قاموا عليه -  
قل ما يأتي على الناس يوم الا ويقسمون فيه خيراً ، فيقال لهم يا معشر المسلمين  
اغدوا على أعالياتكم ، فيأخذونها وافرة ، ثم يقال أقعدوا على أرزاقكم ، فيأخذونها  
وافرة . ثم يقال اغدوا على السمن والعسل . الا عطيات جارية والارزاق دارة  
والعدو مني وذات البين حسن والخير كثير . وما مؤمن بخاف مؤمناً من لقيه فهو  
أخوه من كان : الفقه ونصيحته ومودته . قد عهد اليهم أنها ستكون اثره فإذا  
كانت أن تصبروا . قال رسول الله لا سيد بن حضير : متلقون بعدي أثره ، قال  
فما تأمرنا ؟ قال ان تصبروا حتى تلقوا الله ورسوله قال الحسن : لو أنهم صبروا  
حين رأوها وأخذوا بأمر الله ورسوله لوسعهم ما كانوا فيه من المطع والرزق والخير  
الكثير . قالوا لا والله ما نصبرها فوالله ما ردوا ولا سلوا . والاخرى كل السيف  
مضداً عن أهل الاسلام ، ما على الارض مؤمن بخاف أن يسلم مؤمن عليه مبيغاً  
حتى سلوه على أنفسهم ، فوالله ما زال مسلواً إلى يوم القيامة اهـ  
لم يكن عثمان بالقي ينتهي عند حد الاذن لقريش بالانسياع في البلاد بعد

الحجر الذي ضرب به عليهم عمر ، بل ساعدهم على ذلك حاسباً أنه يجمع بهم الفتنة ويخمد بهم نار الفرقة اذا شئت وبثبت بهم أركان الدولة فكان أول جان عليه اجتهاده ، ذلك أنه في سنة ثلاثين أنبأه سعيد بن العاص بأحوال الكوفة وما يشهده في أهلها من يوارق الفتن واستعدادهم للشر ، فكان فيما قاله عثمان لأهل المدينة ان الناس يتمخضون بالفتنة واني والله لا تخافن اسمك لذي اكتم حتى أتته اليك ان رأيتم ذلك ، فهل ترونه ؟ حتى يأتي من شهد مع أهل العراق الفتوح فيقيم معه في بلاده . فقام أولئك وقالوا : كيف تنقل لنا ما أفاء الله علينا من الارضين يا أمير المؤمنين ؟ فقال : نبيها ممن شاء بما كان له بالحجاز ففرحوا وفتح الله عليهم به أمراً لم يكن في حسابهم . فاعظم بهض قريش ذلك وتأثلوا الفقار والمزدريات وبادلوا من لم يهاجر على سعادتهم بالعراق بما لهم بالحجاز

ومن ذلك أن طلحة بن عبيد الله جمع ما له من سنان خير وغير ذلك مما له بالحجاز واشترى به من أصيب من شهد الفادية والمائات ولم يهاجر الى العراق الشاسنج . واشترى مروان بما كان أعطاه عثمان نهر مروان وهو يومئذ اجمة . واشترى رجال من القبائل بالعراق بأموالهم التي لهم بحزيرة العرب من أهل المدينة ومكة والطائف ، فهذا سبب أيضاً من الاسباب التي وجد بها رجال قريش سبيلاً للوجود في الامصار . روى الطبري بسنده قل : اشترى هذا الضرب رجال من كل قبيلة ممن كان له هناك شيء ، فإراد أن يستبدل به فيما يلبه ، فآخذوا وجاز لهم عن تراش منهم ومن الناس واقرار بالحقوق

الا ان الذين لا سابقة لهم ولا أقدمة لا يبلغون مبالغ أهل السابقة والأقدمة في المجالس والرياسة والخطوة ثم كانوا يعيبون التفصيل ويحملونه جفوة وهم في ذلك يخفون به ولا يكادون يظهرونه لانه لا حاجة لهم والناس عليهم فإذا لحق بهم لاحق من ناشئ أو اعزائي أو محرر استعلى كلامهم . فكانوا في زيادة وكان الناس في نقصان حتى بلغ الشر

كان المسلمون في أيام عمر لا يعرفون الشقاق معي ، ولا يخافون قبا بينهم على شيء . لقد كان الدواعي الى ذلك ، وأكبر دواعي نزوع العرب الى الشر اختلاف رؤسائهم وتنازع كبيراتهم ثم لا توجد يد قوية شديدة البطش تقف بالمتنازعين عند الحد الذي لا ينبغي أن يتجاوزوه . وقد كان عمر ذلك الحليفة الحازم لا تفزعه الاحوال ، ولا تتكاده الكوارث ، ولا يهاب عظماء امظته . ولا يحجم عن اجتناب الفتنة من أصولها ويضرب على يد النزاع اليها ولو كان أثر الناس لديه وأكرمهم عليه . فكانت روحه تخيف الرؤسا وذوى المطامع . فلا يجد أحد منهم سبيلا الى نزاع أو شر — هذا الى ما ذكر في أنفس القوم من الافة التي عقدها الاسلام بينهم وانشغال أكثر الناس بالجهاد والفتح الذي تنو الى أخباره . ومعلوم ان مسائل الحرب تصرف أفكار الناس الى التحدث بها والنظر في نتائجها وعواقبها . الى ما يتبع ذلك من بسالة الجند وبراعة القواد . وبخاصة اذا كان الجيش متصمرا ظاهرا . فان تلك الاحوال تميم الشقاق ولا تحببه . ولو كان عثمان من ذوى السياسة العالية لرمى بالجنود وكثيرى الكلام في حرب ضرور يوجه بهم اليها ، ويشقاهم بأنفسهم عنه

وقد قال العلامة ابن خلدون : لما استكمل الفتح واستكمل الملة الملك ونزل العرب بالانصار في حدود ما بينهم وبين الامم من البصرة والكوفة والشام ومصر . وكان المخلصون بصحابة الرسول ﷺ والاقداء بهديه وآدابه المهاجرين والانصار من قريش وأهل الحجاز ومن ظفر بمثل ذلك من غيرهم . وأما سائر العرب من بني بكر بن وائل وعبد القيس وسائر ربيعة والازد وكندة وتيم وقضاعة وغيرهم فلم يكونوا من تلك الصحبة يمكن الا قليلا منهم . وكانت لهم في الفتوحات قدم فكانوا يرون ذلك لانفسهم مع ما يدين به فضلاؤهم من تفضيل أهل الباقية ومعرفة حقهم وما كانوا فيه من الدهول والدهش لامر النبوة وتزدد الوحي وتنزل الملائكة . فلما



انحصر ذلك العباب وتنوسي الحال بعض الشيء وذل العدو واستفحل الملك كانت عروق الجاهلية تنبض ووجدوا الرياسة عليهم للمهاجرين والانصار وفريش وسوام. فأنفت نفوسهم منه . ووافق ذلك أيام عثمان ، فكانوا يظهرون الطعن في ولاته بالامصار والمواخذة لهم بالمحظلات والخطارات والاستبطاء عليهم في الطاعات والتجني بسؤال الاستبدال منهم والعزل ويقضون في التكبر على عثمان ونشت المقالة في ذلك في اتباعهم وتنادوا بالظلم من الامراء في جهاتهم وانتهت الاخبار بذلك الى الصحابة بالمدينة فارتابوا لها وافاضوا في عزل عثمان وحمله على عزل أمرائه وبعث الى الامصار من يأتيه بالخبر فلم يجدوا أثرا لظلم ولا ظلالا لعدف أو جور

قد آن لنا أن نلم بأحوال المسلمين في الامصار وما كان يعمل فيهم من العوائل التي أدت الى اشغال نار الفتنة وتأريث جاحها حتى نأجبت وأكلت كل أخضر وبابس وأعياء اطفأوها ونتج عنها أشأم ثورة نارت في الاسلام والمسلمون يجنون منها اليوم شر ما يحنى وقاصون أشد ألم من جراحتها

## الكوفة

ان الكوفة أول مصر نزع الشيطان بين أهله في الاسلام . وكان بدء ذلك أن سعد بن أبي وقاص كان أمير الكوفة في خلافة عثمان بوصية من عمر وكان عبد الله ابن مسعود أمين بيت المال فاستقرض سعد من عبد الله بن مسعود من بيت المال مالا . فلما جاء الاجل أتى ابن مسعود الى سعد وقال له أد المال الذي قبلك . فقال له سعد ما أراك إلا ستلقى شرا هل أنت إلا ابن مسعود عبد من هذيل ؟ فقال : أجل ، والله اني لابن مسعود والمك لابن حُمَيْمَة . فقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص : أجل ، والله انكما لصاحبا رسول الله ﷺ ينظر اليكما . فطرح سعد

هوذا كان في يده - وكان رجلاً فيه حدة - ورفع يده وقال : اللهم رب السموات والارض . فقال عبد الله ويلك قل خيراً ولا تلعن . فقال سعد : أما والله لولا انتفاء الله لدعوت عليك دعوة لا تخعناك . فولى عبد الله سريماً حتى خرج . ولم يتيسر لسعد الامراع بأداء المال فاستعان عبد الله بأناس على استخراج المال من سعد واستعان سعد بأناس على استنظاره . واقتروا وبعضهم يلوم سعدا وبعضهم يلوم عبد الله . ووصل الخبر بذلك الى عثمان فغضب عليهما وهم بهما ثم ترك ذلك . وعزل سعداً وأخذ ماعليه وأقر عبد الله بن معبود وتقدم اليه في ذلك ولما عزل عثمان سعدا ولى الوليد بن عتبة الكوفة - وكان قبل ذلك عاملاً على الجزيرة من عهد عمر - فلما قدم الوليد كان أحب الناس في الناس وارفقهم بهم . فكان كذلك خمس سنين وليس علي داره باب

حدث في أثناء ولاية الوليد ان شباباً من شباب الكوفة تهبوا على ابن الحنظليان الحزامي داره وكأثروه ونذريهم فخرج اليهم بسيفه فلما رأى كثرتهم استصرخ وكان ابو شريح الخزازي جاراً له وهو من اصحاب رسول الله ﷺ نقل اهله من المدينة الى الكوفة ليكون قريباً من الغزو . فلما سمع استصراخ ابن الحنظليان أطلق هو وابنه فاذا هو باولئك الشباب يقولون لجاره لاتصحب قائماً هي ضربة حتى نربحك وضر يوه فقتلوه وابو شريح يصيح بهم واحاط الناس بهم فاخذوهم وفيهم زهير بن جندب الازدي ومورع ابن ابي مورع الاسدي وشبيل بن ابي الازدي في عدة فشهد عليهم ابو شريح وابنه انهم دخلوا عليه فقتله بعضهم . فكتب الوليد الى عثمان فيهم وارسل اليه ابو شريح ونقل اهله الى المدينة ولهذا الحديث لما كثر أحدثت القسامة واخذ يقول ولى المتول ابفطم الناس عن القتل عن ملاً من الناس يومئذ وقال عثمان القسامة على المدعى عليه وعلى أوليائه يفسم منهم خسون رجلاً اذا لم تكن بينة فلن نقصت قسامتهم أو ان نكل منهم رجل واحد ردت قسامتهم ووليها المدعون

فان حلف منهم خمسون استحدثوا وقد ثبت القتل على هؤلاء الفرء فكذب فيهم  
الوليد الى عثمان فكتب اليه في قتلهم فقتلوا على باب القصر في الرحبة - وقد  
قال في ذلك عمرو بن عامر النميري :

لا تذكروا ابدا جيرانكم مرفا      اهل الدعارة في ملك ابن عفان  
وقال : ان ابن عفان الذي جريتموا      فطم الصوص بمحكم الفرقان  
ما زال يعمل بالكتاب مبهتا      في كل عنق منهم وبناث

ولما قتل هؤلاء الرهط قصاصا بمن قتلوا اضطاعن آباؤهم على الوليد لذلك  
وصاروا ينتحبون الفرص للايقاع به - وكان لوليد حمار يسرون عنده ومنهم  
ابو زيد الطائي كان رجلا نصرانيا معروفا بشرب الخمر - قد عرفه الوليد  
ايام نصرانيته وكان مقامه في قلب اخواله ايام كان الوليد اميرا عليهم بالجزيرة  
وكان يغشى الوليد بالجزيرة ايام كان فيها بالمدينة اذ كان بها - فلما جاء الوليد  
الكوفة قدم عليه ابو زيد وكان لوليد عنده يد حين اسلم اذ اضطهده اخواله  
كرهاة لدخوله في الاسلام فاحذ له الوليد بحته فشكرها له ابو زيد وانقطع اليه  
وجاء اليه الكوفة مسلما معظما على مثل ما كان ياتيه بالجزيرة والمدينة وقد حسن  
اسلامه فاستدخله الوليد وكان عربيا شاعرا - فأتى آت ابا زيد وابا مورع وجندبا  
وهم يحقدون عليه مذ قتل ابناءهم ويضعون له العيون - فقال هل لسكم في الوليد  
بشارب ابا زيد ؟ فثاروا في ذلك وقالوا لانس من اهل الكوفة هذا اميركم وابو  
زيد خبرته وهما عاكفان على الخمر فقاموا معهم الى منزل الوليد وليس عليه ياب  
واقتمحوا عليه فلم يفجا الا بهم فنجى شيئا فادخله تحت السرير فادخل بعضهم  
يده فاخرجه لا يؤمره فاذا طبق عليه تفريق غيب وانما نحا استحياء من ان  
يرى طبقة وليس عليه الا تفريق غيب فاقبل الناس على المرجفين يسيرونهم  
ويلعنونهم : واقبل آخرون يقولون فيه - فدعاهم ذلك الى التجسس والبحث  
ستر عليهم الوليد وطوى ذلك عن عثمان ولم يشأن يدخل بين الناس في ذلك بشيء

فصكت وصبر . وجاء جندب بررهم معه الى ابن مسعود فقالوا الوليد يعتكف على شرب الخمر . فقال ابن مسعود : من استمرعنا بشيء لم ننتيم عورته ولم نترك ستره ونمى كلامه الى الوليد فغابته : وقال : ابرضى من ذلك بان يحبب قوما مؤثريين بما احببت على ؟ اى شئ . استمر به ؟ انما يقال هذا للمريب . فتلاحيا واقترافا على تفاضب . واذاغ المرجفون بعكوفه على الخمر وطرحوه على السنة الناس

وقد اتى الوليد بساحر وهو على الكوفة . فارسل الى ابن مسعود يسأله عن حده فقال : وما يدريكم انه ساحر ؟ قالوا يزعم ذلك . قال أساحر انت ؟ قال : نعم قال وتدرى ما السحر ؟ قال نعم ونار الى حمار فحمل بركه من قبل ذنبه وبربهم انه يدخل من فيه ويخرج من أنفه ويدخل من أنفه ويخرج من فيه . فقال ابن مسعود فاقته . فانطلق الوليد ، فنادوا في المسجد أن رجلا يلاعب السحر عند الوليد جاءه جندب - واغتمها - يقول أين هو حتى اريه فضربه فقتله . فاجتمع عبد الله والوليد على حبسه وكان جندب يعذريانه ما كان يعلم ان الوليد سيقم الحد على ذلك الساحر وانه ظن انه عطل حده فاراد أن يستوفيه . وكتب الوليد الى عثمان فاجاب : ان استحلوه بالله ما علم برأيكم فيه وانه لصديق فيما ظن من تعاطيل حده وعزروه وخلوا به . وتقدم الى الناس في أن لا يملوا بالظنون وأن لا يقيموا الحدود دون السلطان فانما نقيض الخطي . وتؤدب المصيب

فعل به الوليد ما أمر به عثمان ، وغضب لجندب أصحابه ، وانفقوا فيما بينهم على الكيد لوليد بالذهاب الى المدينة وشكوى الوليد الى الخليفة واستمذته منه . فجاءوا عثمان فقال لهم تعملون بالظنون وتحطرون في الاسلام وتخرجون بغير اذن ارجعوا . فلما رجعوا الى الكوفة لم يبق مؤثري في نفسه الا أنام ، فاجتمعوا على رأي فأصدروه ثم تغفلوا الوليد وكان ليس عليه حجاب فدخل عليه أبو زنبب الأزدي وأبو مودع الاسدي وبقيا معه الى أن قام فسلاخاته من أصبعه وهو نائم . فلما لم يجد خاتمه بعد أن

استيقظ سأل جارين له فقالا جاءك رجلان وأحدهما كانت يده على يدك ثم  
حلتها له فمرف أنها أبو زينب وأبو مورع وقال : قد أرادا داهية فليت شعري  
ماذا يريدان وطلبها فلم يجدوها . وكان وجهها المديونة قد ما على عثمان ومعها نفر  
يعرفهم عثمان ممن قد عزل الوليد عن الاعمال فقال من يشهد قالوا أبو زينب وأبو  
مورع . وكاع الآخران فقال كيف رأيتهما ؟ فلا كنا من غاشيته فدخلنا عليه وهو  
يقي الحرة . وفي رواية اعتصمناهما من لحينه وهو يقيها . فقال : ما بقي . الحرة الا  
شاربها . فبعث اليه فلما قدم الوليد رآها عند عثمان فقال :

ما ان خشيت على أمر خلوت به فلم أنفك على أمثالها حار

وحلف الوليد وأخبره خبرهم . فقال عثمان نقيم الحدود ويوم شاهد الزور  
بالتار فاصبر يا أخي . وأمر سعيد بن العاص فجلبه أربعين فادرت ذلك عداوة  
بين ولديهما والصحيح أن الذي جلبه عبد الله بن جعفر إذ أبي الحسن أن يتولى ذلك .  
وعزله عثمان عن الكوفة . وقد كان الوليد مظفراً في الفزو ما نصر فيه ولا انتفض  
عليه أحد حتى عزله . وكان مما زاده عثمان بن عفان على يده أيام ولايته على  
الكوفة أن رد على كل مملوك بها مبلغاً يستعينون به من غير أن ينقص موالهم من  
أرزاقهم . وأورد الطبري أن الوليد أدخل على الناس خيراً حتى جعل يقسم الولائد  
والعبيد ولقد تفجع عليه الأحرار والمالئك كانت تسمع الولائد وعليهن الحداد يقلن :

يا ويلنا قد عزل الوليد وجاءنا مجوعا سعيد

بنقص في الصاع ولا يزيد فجوع الاماء والعبيد

وقال بعض شعراء الكوفة :

فررت من الوليد الى سعيد كأهل الحجر اذ جزعوا فباروا

بلينا من قريش كل يوم أمير يحدث أو مستشار

لنا نار نخوفها فنخشى وليس لهم فلا يخشون نار

ولي عثمان بعد الوليد سعيد بن العاص وكان بقية العاص بن أمية وكان أهله

كثيراً تناهبوا وكان يقيا نشأ في حجر عثمان فلما فتحت الشام قدمها على معاوية فسأل  
 عنه عمر فنيا يتفقد من أمور الناس . فقالوا يا أمير المؤمنين هو بدمشق عهد العاهد به وهو  
 مأموم بالموت . فأرسل الى معاوية أن ابعث الى سعيد بن العاص في منقل فيمض به اليه  
 وهو دنف فما بلغ المدينة حتى عوفي من مرضه . فقال له عمر يا ابن أخي قد بلغني عنك بلاء  
 وصلاح فازدد يزدك الله خيراً . ثم قال له هل لك زوجة ؟ قال لا . فقال لعثمان يا أبا  
 عمرو ما منعك من هذا الفلام أن تزوجه ؟ قال : قد عرضت عليه فأبى . وبعد ذلك  
 خرج عمر يسير في البر فالتقى الى ماء فلقى عليه أربع نسوة . فقمهن له فقال :  
 ما لكن ومن أئتن ؟ فقالت بنات سفيان بن عوف . وقالت أمهن : هلك رجالنا  
 وإذا هلك الرجال ضاع النساء فضعهن في أكفائهن . فزوج سعيد بن العاص  
 أحدهن وسعيد الرحمن بن عوف الأخرى والوليد بن عقبة الثالثة . ثم أتاه بنات  
 مسمود بن زعيم النهشلي فقلن هلك رجالنا وبقي الصبيان فضعنا في أكفائنا فزوج  
 سعيد بن العاص أحدهن وجبير بن طهم الأخرى وقد كان صومته ذوي بلاء  
 في الاسلام وسابقة حسنة وقدمته مع رسول الله ﷺ فلم يمت عمر حتى كان سعيد  
 من رجال الناس

قدم سعيد أميراً على الكوفة . ومعه أولئك النفر الذين كادوا للوليد . ومنهم  
 مالك المعروف بالاشتر النخعي . وأبو خشة الغماري وجندب بن عبد الله وأبو  
 مصعب بن جثامة . فصعد سعيد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : والله لقد  
 بعثت اليكم وأني لكاره ولست لي لم أجده بداً إذا أمرت أن آمر . ألا إن الفتنة  
 قد أطلعت خطمها وعينها وواقه لأضرين وجوها أو نصيبي ، وأني لرائد نفسي  
 اليوم . ونزل . وسأل عن أهل الكوفة ، فاقم على حالها وما عليه أهلها .  
 فكتب الى عثمان بالذي انتهى اليه : ان أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغلب  
 أهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة والقدمية . والغالب على تلك البلاد  
 روادف ردت وأهراق لحقت حتى ما ينظر الى ذي شرف وبلاء من نازلتها ولا

نابتها . فكتب اليه عثمان : أما بعد فضل أهل السابقة والقدسة ممن فتح الله عليه تلك البلاد وليكن من نزلها بسببهم تبعاً لهم إلا أن يكونوا نشأوا عن الحق وتركوا القيام به وقام به هؤلاء . واحفظ لكل منزلته واعطهم جزيماً بقسطهم من الحق فإن المعرفة بالناس بها يصاب العدل . فأرسل سعيد الى وجوه الناس من أهل أيام القادسية فقال أنتم وجوه من وراءكم والوجه يني . عن الجسد . فابانقونا حاجة ذي الحاجة وخلة ذي الخلة . وادخل معهم من يحمل من الواحق والروادف وخلص بالقراء والمنسقين في شمره . فكأنما كانت الكوفة يدسا شملته نار . فتنقطع الى ذلك الضرب حزيمهم وفشت القلة والاذاعة . وذلك أمر طبعي . لأن أولئك الشاغبين الذين أزلوا سلطان الوليد كانوا يرون أقل جزاء لهم من سعيد أن يشركرم في سلطانه ولا يصدر إلا بدقتهم ولا يورد إلا عن رأيهم . فلما فاتهم ما أملوا في سلطانه غدوا سيرتهم الأولى

كتب سعيد الى عثمان بأمرهم . فلما وصل اليه كتابه نادى مناديه الصلاة جامعة . فاجتمعوا فأخبرهم بالذي بلغه سعيد من أول ولايته وعما ذنب به اليه وبما جاءه من القلة والاذاعة . فقالوا أصبت فلا تسمعهم في ذلك ولا تطعهم فيها لبسوا له بأهل . فإنه إذا تمض في الأمور من لبس لها بأهل لم يحتملها وأفسدها . وقد أشار عثمان على من بالمدينة أن يستبدلوا بأموالهم في الحجاز وجزيرة العرب أموالاً بنواحي الكوفة وفارس على النحو الذي أوردنا . وقصد من ذلك أن يوجد في هذه الامصار قوماً من أهل السابقة والفضل ليكونوا سادتهم وقادتهم وتنقطع أطاع غيرهم في السياسة والرياسة . فلم يجد ذلك نفعاً . بل زاد الأمر وفساد الفساد . كان سعيد بن العاص لا يغشاه إلا نزلة أهل الكوفة ووجوه أهل الأيام وأهل القادسية والقراء والمنسقين . وكان هؤلاء دخلت إذا خلا . فإذا جلس بمجلساً عاماً دخل عليه كل أحد . فجلس للناس يوماً ، فبينما هم جلوس يتحدثون قال حبيش الاسدي : ما أجود طلعة بن عبيد الله . فقال سعيد : أن من له مثل الثشاشنج

لحقيق أن يكون جواداً ، والله لو أن لي مثله لأعاشكم الله عيشاً رقيداً ، فقال  
عبد الرحمن بن حبيش وهو حدث : والله لوددت أن هذا اللطاط لك - يعني ما كان  
لآل كسرى على الفرات الذي يلي الكوفة - قلوا : فض الله فاك والله لقد هممنا  
بك ، فقال أبوه حبيش : غلام فلا تجاوزوه • فقالوا يمتنى له من مصادنا ؟ فقال :  
ويتمنى لكم أضافه • فقالوا : لا يتمنى لنا ولا له • فقال ما هذا بكم ؟ فقالوا : أنت  
والله أمرته بها وثار إليه الاشتراء بن ذي الحنكة وجندب وصمصمة وابن الكواء وكيل  
وعمر بن ضابطه فأخذوه وهب أبوه ليمتعه منهم فضر بهما حتى غشي عاينهما وجعل  
سعيد ينشدنهم وهم لا يلتفتون إليه حتى اشتقوا منهما • وصحمت بذلك بنو أسد  
فجاءوا وفيهم طليعة فأحاطوا بالقصر وكثرت القبائل • ففرع الصاريون إلى سعيد  
وقالوا : أفلتنا وتخلصنا ، نفرج سعيد إلى الناس ، قال : أيها الناس قوم تنازعوا  
وتهاورا وقد رزق الله العافية ثم قدموا وعادوا في حديثهم وتراجعوا وصالحهم وردم  
ولما أفاق الرجلان قال لهما : أبكما حياة ؟ قلنا : قتلنا غلبتناك ، قال : لا يشوفي  
والله أبدا فاحفظا علي السنن ولا تجرأا على الناس • فعلا • وحفظ عن سعيد أنه  
قال إنما هذا السواد بستان قریش ، وكان حاضرا مالك بن كعب الازرجي والاسود  
ابن يزيد وعلمة بن قيس النخعيان ومالك الاشتر وغيرهم فزادوا عليه وأساءوا  
إلى صاحب شرطته فنهزم سعيد أن يسروا عنده

ولما انقطم رجاء أولئك النفر من غشيان مجلسه وقعدوا في بيوتهم أقبلوا على  
الاذاعة وشتم عثمان وسعيد حتى لامه أهل الكوفة في إرضاء الجبل لهم والسكوت  
عنهم على ما بهم من شر وكتب سعيد وأشرافهم إلى عثمان في إخراجهم من الكوفة  
فكتب إليهم : إذا اجتمع ملاكم على ذلك فالحقوهم بمعاوية • فأخرجوهم إليه فذلوا  
وانقادوا وخرجوا حتى أتوه • وقد كتب عثمان إلى معاوية : أن أهل الكوفة قد  
أخرجوا إليك نفراً خلفوا لفنته فزعمهم وقم عليهم فإن آنت منهم رشداً فأقبل منهم  
وإن أعينوك فارددهم عليهم • فلما قدموا على معاوية رحب بهم وأزلم كنيته لسمى



مريم وأجرى عليهم بأمر عثمان ما كان يجري عليهم بالعراق وجعل يتفدى معهم  
 ويتعنى كذلك وطعم في أن يكون إكرامه لم قد أصلح من شأنهم . فقال لهم يوما :  
 انكم قوم من العرب لكم أمتان وألسنة وقد أدركتم بالاسلام شرفا وغليظ الأمام  
 وحيوتهم مراتبهم وموارثهم . وقد بلغت أنكم تفتنم قريشا وان قريشا لو لم تكن  
 عدتم أذلة كما كنتم . ان أمتكم لكم الى اليوم جنة فلا تفرقوا عن جنتم . وان  
 أمتكم اليوم يصبرون لكم على الجور ويحملون متكم المؤونة . والله لتنتهن أوليائكم  
 الله بن يسومكم ثم لا يحمدكم على الصبر ثم تكونون شركاءهم فيما جردتم على الرعية  
 في حياتكم وبعد موتكم . فقال رجل من القوم وهو مصعصة : أما ما ذكرت من قريش  
 فاتها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها في الجاهلية فتخوفنا . وأما ما ذكرت من الجنة  
 فان الجنة اذا اخترت خلس الينا . فقال معاوية عرفتم . الآن علمت ان الذي  
 أغراكم على هذا قلة العقول . وأنت خطيب القوم ولا أرى لك عقلا . أعظم عليك  
 أمر الاسلام وأذكرك به وتذكرني الجاهلية وقد وعظمتك ونزع لما يحنك أنه يفترق  
 ولا ينسب ما يفترق الى الجنة . أخزى الله أقواما أعظموا أمركم ورفعوا الى  
 خليفتم . اتقوا ولا أظنكم تفقهون ان قريشا لم تعز في جاهلية ولا اسلام إلا بالله  
 عز وجل ولم تكن بأكثر العرب ولا أشدهم ولكنهم كانوا أكرمهم احسابا واعضهم  
 أنسابا وأعظمهم أخطارا وأكلهم مروءة ولم ينتعوا في الجاهلية والناس يأكل بعضهم  
 بعضا إلا بالله الذي لا يستذل من أعز ولا يوضع من رفع فيوأم حرما آمنا ينخطف  
 الناس من حولهم . هل تعرفون عربيا أو عجميا سودا أو حمرا الا قد أصابه الدهر في  
 بلده وحرمة بدولة الا ما كان من قريش فانه لم يردم أحد من الناس بكيد الاجمل  
 الله خذ الاسفل حتى أراد الله ان ينقذ من اكرم واتبع دينه من هوان الدنيا  
 وسوء مرد الآخرة فاراضى لذلك خير خلقه ثم ارتضى له أمهبا فكان خيارهم  
 قريشا ثم بنى هذا الملك عليهم وجعل هذه الخلافة فيهم فلا يصلح ذلك الا عليهم

فكان الله يحوطهم في الجاهلية وهم على كفرهم بالله قتره لا يحوطهم وهم على دينه وقد حاطهم في الجاهلية من الملوك الذين كانوا يدينونكم ١ أف لك ولاصحابك . ولو أن متكلما غيرك تكلم ، ولكنتك ابتدأت .

وأما أنت يا مصعبه فإن قرينك شر قرى عربية انتنها نبأ وأعقبا وادياو أعرقها بالشر والأما جيرانا . لم يسكنها شريف قط ولا وضع الاصب بها وكانت عليه هبة ثم كانوا أقبح العرب ألقابا والأمة اصهارا نزاع الامم وأتم جيران الخط وفعله فارس . حتى أصابتكم دعوة النبي ﷺ ونسبته دعوته وأنت نزع شطير في عمان لم تسكن البحرين فشرهم في دعوة النبي ﷺ فانت شر قومك . حتى اذا أبرزك الاسلام وخلطت بالناس وحقت على الامم التي كانت عليك أقبلت تبغي دين الله عوجا وتزعج الى الآلة والذلة ولا يضع ذلك فريشا وإن يضرهم ولا ينصهم من تادية ما عليهم . ان الشيطان عنكم غير غافل قد عرفكم بالشر من بين أمتكم فاغري بكم الناس وهو صارعكم . لقد علم أنه لا يستطيع أن يردبكم قضاء قضاء الله ولا أمرا أراد الله ولا تدركون بالشر أمرا أبداً الا فتح الله عليكم شراً منه وأخرى . ثم قام وتركهم

سمع القوم قوله فتذمروا وقاصرت اليهم نفوسهم . ثم جاءهم معاوية فقال لا والله لا ينفع الله بكم أحداً ولا يضره ولا أتم رجال منفعة ولا مضرة . ولكنكم رجال نكير . وبعد فإن أردتم النجاة فآلزموا جماعتكم وليسمعكم ما وسع الدهاء . ولا يبطركم الانعام فإن البطر لا يغري الحبار اذهبوا حيث شقتم فاني كاتب الى أمير المؤمنين فيكم

ولما أرادوا الخروج دعاهم وقال لهم : اني معبد عليكم ان رسول الله ﷺ كان معصوما فولاني وأدخلني في أمره ثم استخلف أبو بكر فولاني ثم استخلف عمر غولاني ثم استخلف عثمان فولاني . فلم آل لاحد منهم ولم يولني الا وهو راض عني

وانما طلب رسول الله ﷺ للأعمال أهل الجزاء عن المسلمين والغناء ولم يطلب لها أهل الاجتهاد والجهل بها والضعف عنها . وان الله ذو سطوات وتقات بمكر عن مكر . فلا تعرضوا لأمور وأنتم تعلمون من أنفسكم غير ما تظرون . فان الله غير تارككم حتى يختبركم ويبيد الناس صرائركم وقد قل عز وجل : « ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون »

ثم كتب معاوية الى عثمان يقول : انه قدم على قوم ايست لهم عقول ولا أديان أنقلهم الاسلام وأضجرهم العدل . لا يريدون الله شيء ولا يشككون بحجة انما همهم الفتنة وأموال أهل الذمة والله مبتليهم ويختبرهم ثم فضحهم ويخزيهم ولبسوا بالذين يشكون أحداً الا مع غيرهم فآثمة سيئاً ومن قبله عنهم فأنهم ليسوا لا نثر من شغب أو نكير

خرج بعد ذلك القوم من دمشق فقالوا لا ترجعوا الى الكوفة فانهم يشمتون بكم وميلوا بنا الى الجزيرة ودعوا العراق والشام فأوروا الى الجزيرة وسمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد . وكان على حصن فدعا بهم وقال يا أئمة الشيطان لا مرحبا بكم ولا أهلاً . قد رجم الشيطان محسوراً وأنتم بعدو نشاط . خسر الله عبد الرحمن ان لم يؤدبكم حتى يحسركم . يا معشر من لا أدري أعرب أم عجم لا تقولوا لي ما يلفتني أنكم تقولون لمعاوية . أنا ابن خالد بن الوليد أنا ابن من عجمته العاجات . أنا ابن فقي الردة . والله أن يلفتني يا معصمة بن ذل أن أحداً من معي دق انفك ثم امصك لا طيرن بك طائفة بعيدة المهوى . فاقامهم شهراً كلاركب أمشام . فاذا مر به قال يا ابن الحطيئة أعطت أن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر ؟ مالك لا تقول ما كان يلفتني امك تقول لسعيد ومعاوية ؟ فيقول ويقولون . تنوب الى الله . اقلنا أقالك الله . فما زالوا به حتى قل تاب الله عليكم . ومرح الاشر الى عثمان بالتوبة والندم والفزع عنه وعن أصعابه وقتل لهم ما شئتم فاخرجوا

وجاء الامر من عثمان باعادتهم الى الكوفة ولكنهم أشفقوا من ذلك فبقوا في

الجزيرة

وفي تلك الاثناء فرق سعيد العمال والامراء فيما يليه من فارس فخلت الكوفة من الرؤساء والاشراف وأهل السابقة . وكان سعيد قد خرج الى عثمان فلم يقبأ الناس الا بهم قد عادوا الى بينهم وفسادهم . فلما أراد سعيد العودة الى الكوفة تلافوه من الجربة وردوه لا يريدون دخوله عليهم أسيرا . فعاد الى عثمان . فلم يغير من ارادة القوم وأرادوه على ان يولي عليهم أبا موسى الاشعري فزل عند ما يريدون وولي عليهم أبا موسى وصرف سعيد عنهم

هكذا كانت الحال في الكوفة : غلب فيها الفوضى أهل الحلم ، وضعف سلطان الامراء . وقلت الطاعة ولم يبق لها في قلوب القوم من أثر

## البصرة

البصرة هي الخاضرة الثانية للعراق ولم تكن الحال فيها بأحسن من الحال في الكوفة ، فقد أوردنا فيما سبق نجيبهم على أبي موسى وعيبتهم له حتى عزل واستبدل به عبد الله بن عامر . فكان له في أعمال الفتوح بالكوفة أثر جيد وكانت امارته تشمل أعمال البصرة وأعمال البحرين ثلاث سنين من امارته وقد بلغه ان في عبد القيس رجلا نازلا على حُكَيْم بن جبلة . وكان حكيم رجلا لصا اذا قفلت الجيوش خفس عنهم فسمي في أرض فارس فساداً ، فيضير على أهل الذمة ويتنكر لهم ويعيث في الارض ويصيب ما شاء . ثم يرجع . فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة الى عثمان فكتب الى عبد الله بن عامر يأمره بحبس حكيم ومن كان مثله بالبصرة فلا يخرج منها حتى تأمنوا منه رشداً . فكان لا يستطيع أن يخرج عنها . فلما قدم ذلك الرجل المسمى عبد الله بن سبأ ويكنى بابن السوداء نزل عليه وكان بطرح للناس ولا يصرح

ويبقى اليهم تعاليم خبيثة . وأصل هذا الرجل يهودي أظهر الاسلام ليضل الناس  
فصار يقول لهم : عجيب عن يقول برجمة المسيح ولا يقول برجمة محمد . فيقبل منه  
الناس ذلك لانهم من الجهلة الذين لم يتحققوا بالدين ولم ينلهم تهذيب الصحبة ولم  
يروضوا أنفسهم على الاقتداء . ثم يقول لهم عجبا لكم أيها المسلمون ! يكون فيكم  
أهل بيت نبيكم ثم يقصون عن أمركم ؟ الى ما يائل هذا الكلام الذي يسئل قبوله  
لانه جاءهم من قبل تعظيم نبيهم ورفعة مقامه على سائر الانبياء ثم ما هو قريب من  
ذلك من استهجان ترك آله واقصائهم عن أمر خلافتهم . فغنى الى ابن عامر شي  
من خبره . فأخبره وسأله من أنت ؟ فقال : رجل من أهل الكتاب رغب في  
الاسلام ورغب في جوارك . فقال ما ييلقى ذلك فأخرج عني . فخرج حتى أتى  
الكوفة فأخرج منها فسار الى الشام ثم الى مصر . وهناك وجد مهدياً وطيباً وجواً  
سالحاً وترى ثريا يهود فيه نبات بفره . بعد ان نفت ما نفت بالعراق فلما  
زرعه وأينم

كان حمران بن أبان تزوج امرأة في عداها فتكل به عثمان وفرق بينهما  
وسيره الى البصرة فلزم عبد الله بن عامر فتذاكروا يوماً الركوب والمروءة بهامر  
ابن عبد قيس وكان رجلاً هابطاً منقبضاً عن الناس على جانب من الصلاح والخير .  
فقال حمران : ألا اسبقكم فأخبره ؟ فخرج فدخل عليه وهو يقرأ في المصحف ،  
قال : الأمير أراد أن يمر بك فأحييت أن أخبرك ، فلم يقطع قراءته ولم يقبل  
عليه . فقام من عنده خارجاً . فلما انتهى الى الباب لقى ابن عامر . فقال : جئتك  
من عند امرئ لا يرى لآل ابراهيم عليه فضلاً . واستأذن ابن عامر فدخل عليه  
وجلس اليه فأطبق عامر المصحف وحدته ساعة . فقال له ابن عامر : ألا نقشانا ؟  
قال : سعد بن أبي العوجاه يحب الشرف . قال : ألا نستملك ؟ قال : حصين  
ابن أبي الحر يحب العمل . قال : ألا تزوجك ؟ قال : ربيعة بن عيسل يحب

النساء . فقال ابن عامر : ان هذا يزعم أنك لا ترى لآل ابراهيم عليك فضلاً ؟  
فصفح المصحف ، فكان أول ما وقع عليه وافتتح منه : ان الله اصطفى آدم ونوحا  
وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين .

فلما ودَّ حمران الى المدينة تتبع ذلك منه فسمى به وشهد له أقوام . فسيره عثمان  
الى الشام ، وكان ما سمعوا به عند عثمان أنه لا يرى التزويج ولا يأكل اللحم ولا يشهد  
الجمعة وكان مع عامر انقباض وكان عمله كله خفية . فلما قسم على معاوية واقعة وعنده  
ثريدة فأكل أكلاً عريضاً ، فعرف أن الرجل مكذوب عليه . فقال معاوية : يا هذا  
هل تدري فيم أخرجت ؟ قال : لا . قال : أبلغ الخليفة أنك لا تأكل اللحم ورأيتك  
وعرفت أن قد كذب عليك ، وانك لا ترى التزويج ، ولا تشهد الجمعة . قال : أما  
الجمعة فاني أشهد بها في مؤخر المسجد ثم أرجع في أوائل الناس . وأما التزويج فاني  
خرجت وانما يخطب علي . وأما اللحم فقد رأيت ولكنني كنت امرأ لا آكل  
ذبايح القصايين منذ رأيت قصابا يجر شاة الى مذبحها ثم وضع السكين على مذبحها  
فما زال يقول التفق حق وجبت . فقال : فارجع . فقال : لا أرجع الى بلد استحل  
أهله مني ما استحلوا ، ولكني أقيم بهذا البلد الذي اختاره الله لي

### مصر

أما الامر في مصر فكان أشد منه في العراق . فان عبد الله بن ساء لما جاء  
اليها التي يدور فتنته وأذاع بين الناس تصاليه ، بعد أن استفسد كثيراً من أهل  
البصرة والسكوفة ، وخاب أمه من أهل الشام ، فكان يقول لهم فيما يقول : لمحبب  
من يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع والله تعالى يقول : ان الذي فرض  
عليك القرآن لراذك الى معاد ، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى . فقبل ذلك عنه

وبذلك وضع لهم الرجعة فتكلموا فيها بالأخذ والرد طبعاً . ثم قال لهم بعد ذلك انه كان الف نبي واحد وكل نبي وصي وكان علي وصي محمد . ثم قال : محمد خاتم الانبياء وعلي خاتم الاوصياء ، ثم قال بعد ذلك : من أظلم ممن لم يميز وصية رسول الله ﷺ ووصية علي وصي رسول الله ﷺ وتناول أمر الامة . ثم قال لهم بعد ذلك : ان هناك أخذ الخلافة بغير حق ، وهذا وصي رسول الله ، فتهبوا في هذا الامر فحركوه وايدوا بالطعن على أمرائكم واظهروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعواهم الى هذا الامر . فبث دعائه وكاتب من كان استفسد في الامصار وكاتبوه . ودعوا في السر الى ما عليه رأيهم . وجعلوا يكتبون الى الامصار يكتب يضعونها في عيب ولاتهم ويكاتبهم اخوانهم بذلك ويكتب أهل كل مصر منهم الى مصر آخر بما يصنعون فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض اذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يريدون . فيقول أهل كل مصر : إننا لفي عافية مما اتى به هؤلاء . إلا أهل المدينة فانهم جاءهم ذلك عن جميع الامصار فقالوا إننا لفي عافية مما فيه الناس المدينة مجتمع المهاجرين والانصار ومركز الخلافة ، ووجوه أهل الامصار انما تنجى بالشكاية في المعات اليها ويعولون على أهلها في ازالة ما بهم من غمة وتفريج ما لحقهم من كرب ، وأهل المدينة يحسون بذلك من أنفسهم ومن أهل الامصار . فلا غرو ان حرك ذلك من نفوسهم ودفعهم ذلك الى مخاطبة أمير المؤمنين هناك بما دخل على الناس من عاه مما شرحت الشكوى من كل ناحية وصوب . فقالوا يا أمير المؤمنين أيأتيك عن الناس ما يأتينا ؟ قال : لا ، والله ما جاءني إلا السلامة . فقالوا : اننا قد جاءنا كيت . وكيت وأخبروه بالذي أسقطوا اليهم . فقال : أنتم شركائي وشهود المؤمنين فأشيروا علي . فقالوا نشير عليك ان تبعث رجلاً ممن تثق بهم الى الامصار حتى يرجعوا اليك باخبارهم

رأى عثمان صواب ما أشاروا . ف دعا محمد بن مسلمة فأرسله الى الكوفة وأرسل أسامة بن زيد الى البصرة وأرسل عمار بن ياسر الى مصر وعبد الله بن عمر الى الشام وفرق رجالا صوام في جهات أخرى ، فذهب كل رجل لطيته ثم رجعوا جميعا قبل عمار وقلوا : أيها الناس ما أنكرنا شيئا ولا أنكره اعلام المسلمين ولا عوامهم . وقلوا جميعا الأمر أمر المسلمين . الا ان أمراءهم يقتلون بينهم ويقومون عليهم . واستبطأ الناس عمارا حتى ظنوا أنه اغتيل . فلم يفجأهم الا كتاب من عبد الله بن أبي سرح يخبرهم ان عمارا قد استأله قوم بمصر وقد انقطعوا اليه . منهم عبد الله بن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر . وكان كنانة من المؤلفين على عثمان

أقول : أما اشد المؤلفين على عثمان بمصر . فهما رجلان : أحدهما محمد بن أبي حنيفة . وكان الذي أغراه بذلك أنه كان يتما في حجر عثمان فكان عثمان والي أهل بيته ويحتمل كلامه . فسأل محمد عثمان العمل حين ولي به فقال : يا بني لو كنت رضا ثم سألتني العمل لاستعملتك ولكن لست هناك . قال فاذن لي فلا أخرج فلا أطلب ما يقوتني . قال اذهب حيث شئت . وجهزه من عنده وحمله وأعطاه . فلما وقع الى مصر كان فيمن نفير على عثمان ان منعه الولاية . ولا يبعد ان يكون لتولية عبد الله بن عامر أثر في زيادة حقه على عثمان وايضاله في بفضه والكيد له

ثانيهما محمد بن أبي بكر . ومحمد بن أبي بكر من الاسلام بالمكان العظيم غير أنه قد غره أقوام فطمع وكانت له دالة بمكان أبيه من رسول الله وسابقته وخلافته واخوة عائشة أم المؤمنين . فلزمه حتى فآخضه عثمان من ظهره ولم يدهن فاجتمع محمد بن أبي حنيفة الى محمد بن أبي بكر وقد ألف بينهما بفض عثمان ومكن بينهما الصداقة

وأول ما ظهر ذلك منهما حين ركب الناس البحر سنة ٣١ في غزوة



ذات الصواري وسياقي خيرها . اذ صلى عبد الله بن أبي سرح بالناس العصر ، فكبر محمد بن أبي حذيفة تكبيراً رفع صوته به حتى فرغ عبد الله بن سعد من صلاته فقال له : ما هذه البدعة والحدث ؟ فقال محمد بن أبي حذيفة : ما هذه بدعة ولا حدث وما بالتكبير بأس . فقال : لا تمودن . فلما صلى المغرب عاد فكبر بصوت ارفع . فارسل اليه : انك لفلان احق ، اما والله لو لا ابي لا ادري ما يوافق امير المؤمنين لقاربت بين خطوك ( يريد تقييده ) . فقال محمد بن أبي حذيفة : والله مالك الى ذلك سبيل ولو هممت به ما قدرت عليه . قال فكف خير لك . وركب محمد في مركب ليس فيه معه مسلم وإنما فيه القبط وركب معه فيه محمد بن أبي بكر فلما اذن الله بهزيمة الروم ورجع المسلمون جعل محمد بن أبي حذيفة يقول للرجل أما والله لقد تركنا خلفنا جهادا . فيقول الرجل وأي جهاد ؟ فيقول : عثمان ابن عفان فعل كذا وكذا . وأظهر هو ومحمد بن أبي بكر عيب عثمان وما غير وما خالف به ابا بكر وعمر وان دم عثمان حلال . ويقولان : استعمل عبد الله بن سعد رجلا كان رسول الله ﷺ اباح دمه ونزل القرآن بكفره وأخرج رسول الله ﷺ قوما وأدخلهم . أو نزع اصحاب رسول الله ﷺ واستعمل سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر . وكانا حين التقى الجمعان انكل المسلمين في القتال . فقيل لهما في ذلك . فقالا كيف نقاتل مع رجل لا ينبغي لنا أن نحكمه ؟ عبد الله بن أبي سرح استعمله عثمان وعثمان قتل وفعل . فافسدا أهل القرابة . وعلم بذلك عبد الله بن سعد فارسل ينهاهما اشد النهي

اما سبب ميل حمار بن يامر الى المؤمنين على عثمان والطائفتين فيه فانه كانت عنده مودة على عثمان . سببها انه كان بينه وبين عباس بن عتبة بن ابي لهب كلام أدى الى تقاذفهما . فضربهما عثمان على ذلك . وقليل من كان في قلبه مودة على انسان ثم لا يصيح الى القول فيه والمريب له

## الشام

اما الحال في الشام فقد كانت احسن منها في هذه الامصار التي ذكرنا - ذلك ان معاوية من الحزم والضبط بالكل الذي لا يجهل - ومثل بضاعة ابن السوداء لا تجد نفاقا تحت رعايته واذا وجدت فانه يعاجل الداء بحسه

كان بالشام حادثة استغلها الثوار المؤليون في التشيع على عثمان و التاريث له ولعائله . غير ان معاوية استأصل الداء من ناحيته ونهى عنه ما ابتلى به غيره من المال . ولذلك بقى اهل ولاياته الوسعة على طاعته والولاء له متبين اليه بالمقاييد يصرفهم كما يهوى وهم لا يخالفون عن امره ولا يرغبون بانفسهم عن نفسه ولم تخبث نفوسهم بما خبثت نفوس الناس في الامصار

ذلك ان ابن السوداء لما جاء الى الشام ، وهو من الخبث والدهاء بحيث يعرف ما في الامور ويأتي الى كل شيء من باب ويقتضي الى كل رجل بما يغلب على ظنه انه بواقفه . فهو انما يجيء الى الناس بدسائسه من الجانب الضعيف الذي يأنسه فيهم - ومعلوم أن اباذر رضى الله عنه كان رجلا صالحا تقيا متقشفا لا يحب الامساك ولا يميل الى الادخار ذا شفقة على الفقير والمسكين . فجاء اليه ابن السوداء وقال له : يا اباذر ، الا نمجيب من معاوية يقول المال مال الله - الا ان كل شيء لله . كانه يريد ان يحتججه دون المسلمين ويحمو اسم المسلمين . فجاء ابوذر الى معاوية فقال ما يدعوك الى ان تسمى مال المسلمين مال الله ؟ قال يرحمك الله يا اباذر السنا عباد الله ؟ والمال ماله وانخلق خلقه والامر امره ؟ قال فلا تقله . قل فاني لا اقول انه ليس لله ولكن ساقول مال المسلمين . واتى ابن السوداء ابا الدرداء - فقال له : من انت . اظنك

والله يهوديا - فأتى عبادة بن الصامت - فلتقى به - أتى به معاوية - فقال هذا والله  
الذي بعث عليك أبا ذر - وقام أبو ذر بالشام وجعل يقول : يا معشر الاغنياء  
واسوا الفقراء - بشر الذين يكتفون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بكمالهم  
نار تكوي بها جباههم وجنوبهم وظهورهم فما زال حتى ولم الفقراء بمثل ذلك وأجابه  
على الاغنياء - وحتى شكوا الاغنياء ما يلقون من الناس  
فكتب معاوية الى عثمان أن أبا ذر قد أعضل بي وقد كان من أمره كتب  
وكتب - فكتب اليه عثمان : ان الفتنة قد اخرجت خطمها وعينها فلم يبق الا أن  
تنب فلا تنسك القرع - وجيز أبا ذر الي وابتعث معه دليلا وزوده وارفقه وكفكف  
الناس ونفسك ما استطعت - فانما نملك الامر ما استمكت فبعث بابي ذر  
ومعه دليل - فلما قدم المدينة ورأى المجلس في أصل صلح - قال بشر أهل المدينة  
بفارة شعواء وحرب مذكار - ولما دخل على عثمان قال له يا أبا ذر - ما لاهل  
الشام يشكون ذربك - فاجبه أنه لا ينبغي أن يقال مال الله - ولا ينبغي للاغنياء  
أن يقتنوا مالا : فقال يا أبا ذر - علي أن أقضي ما علي - وأخذ ما على الرعية  
ولا أجبرهم على الزهد - وأن ادعوم الى الاجتهاد والاقتصاد - قال أفتأذن لي في  
الخروج - فان المدينة ليست لي بدار قال أوتسبدل الاشرا منها قال أمرني رسول  
الله ﷺ أن أخرج منها اذا بلغ البناء سلما - قال فانفذ ما أمرك به - فخرج أبو  
ذر حتى نزل الربرة فخط بها مسجدا وأقطع عثمان مائة من الابل - وأعطاه  
مملوكين وأجرى عليه كل يوم عطاء وأرسل اليه أن تعاهد المدينة حتى لا ترقد  
اعرابيا - وذلك أنه كان الامر في المسلمين على ان من سكن المدينة حرم عليه  
التبدي لما في ذلك من تقليل سواد المسلمين وهجر العلم بالدين والافتقار مع  
الاعراب الجفاء الغلاظ الاكباد مع بعدم عن الدين ومذاهبه وجواهرهم بحلاله وحرامه  
وقد مكث ذلك الامر فيهم دهرآ طويلا يرون ذلك - ولولا ما رواه أبو ذر من  
حديث رسول الله لم يرخص له عثمان في ذلك

وقد روى الطبري سوى ما قدمنا أن أبا ذر كان يختلف إلى المدينة من الربيعة مخافة الاعرابية وكان أبو ذر يحب الوحدة والخلة . فدخل على عثمان وعنده كعب الاحبار . فقال لا ترضوا من الناس بكف الاذى حتى يبذلوا المعروف وقد ينبغي للمؤدي الزكاة أن لا يقتصر عليها حتى يحسن إلى الجيران والايوان ويصل القرابات . فقال كعب الاحبار : من أدى الفريضة فقد قضى ما عليه . فقال له أبو ذر : يا ابن اليهودية ما أنت وما ههنا والله لتسمع مني أو لا دخان عليك . ووقع محجته فصر به شج . فاستوهبه عثمان فوهبه له . وقال يا أبا ذر اتق الله واكف يدك ولسانك

ان الناظر إلى أبي ذر . وهو أول قائل بالاشتراكية في الاسلام يراه قد اوغل فيها شوطا بعيدا وانتظم ما بين بابها ومجراها في خطوة واحدة . قال صاحب أشهر مشاهير الاسلام : على ان التوسط في هذا المذهب هو المطلوب وليس هو فوق طائفة النفوس كما يتخيله بعض الشرهين في المال المقالين في حب القذات فلو استمسك المسلمون بعروته وحامهم الخلفاء على طريقته اسكانوا اعز الامم جانبا واسعدوا حالها اذ خلق التعاون على البر اذا نشأ بنشوء الامة وتمكن من نفوسها يصير مع الزمن ملكة راسخة في الصدر تنمو بنمو الحياة القومية اهـ

والذي أراه ان أبا ذر عمد إلى طريقته الاشتراكية غير مبين حدودها ولا معالمها . وطريقة كنهه ربما كان أعما أكبر من فقها . لان اصحاب الجدد والعمل يسعون ويكدون ويتعبون اجسامهم وعقولهم ثم لا ينالهم من صلبهم الا كما يناله الكسول المريح . لا يمكن ان يقبل هذا عاقل ولا ترتاح له نفس عمراني

وقد جاء في شخص أبي ذر من الشام إلى المدينة ثم إلى الربيعة روايات أضرب الطبري وابن الاثير عن روايتها وسار على ذلك محققو المؤرخين علما منهم بضعف تلك الروايات . وقد توفي أبو ذر رضي الله عنه بالربيعة سنة ٣٧ هـ وكان

قد أقام بها ثلاث سنين وقد حضر دفته جماعة من أصحاب رسول الله فيهم  
ابن مسعود

أما الحال في المدينة فقد كانت أشد . فان تلك الكتب التي كان رسالها  
السبيون كانت سبباً لكثرة الحديث في شأن عمال عمان وقشو القالة حتى تأثرت  
بذلك نفوس الكثير من أصحاب رسول الله ﷺ . وفيهم الخاقد على عمان  
لأسباب نخسه والكاره لمكانه . حتى كأن هذه الكتب كانت النار واقتت الحلفاء .  
وقد بلغ الامر ببعضهم ان واجه عمان بما يسوءه فكان يتجاوز لهم عن ذلك ويصبر  
وسبر بناشي من ذلك

## ابتداء العمل في الفتنة

كان ما تقدم اذاعة باللسان واشاهدة بالسوء بالمكتبات بين الموتورين  
والساخطين والموضمين في الفتنة . فلما اختبرت فكرة الشغب في النفوس بدأت  
تظهر بالعمل . وكان بدء ذلك ان سعيد بن العاص ذهب من الكوفة الى المدينة  
وقد تفرق رؤسا الناس وأشرفهم في بلاد فارس الى أعمالهم وملت الكوفة منهم .  
فاشتهز يزيد بن قيس ذلك وجاء المسجد وهو يريد خلع عمان فانهض عليه القمعاع  
ابن عمرو فأخذه ويزيد يقول انما نستعفى من سعيد فقال هذا ما يمرض لكم فيه  
لا تجلس لهذا ولا يجتمعن اليك واطلب حاجتك فلعمرى لعمليتها . فجلس في  
بيته واستأجر رجلاً وأعطاه بخلاً وكتب الى القوم الذين بالجزيرة — لا تضعوا  
كتابي من أيديكم حتى نجيثوا . فأبوا في أول الامر حتى خرج مالك بن الحارث  
الاشتر عاصياً الى الكوفة . فلما رأوا ذلك منه لحقوا به يريدون الكوفة فقدمها  
قباهم ولم يشعر الناس إلا وهو على باب المسجد في يوم جمعة يقول : أيها الناس  
اني قد جئكم من عند أمير المؤمنين عمان وتركتم سعيداً يريد على نقصان نسائكم  
الى مائة درهم ورد أهل البلاد منكم الى الفين . ويقول ما بال أشراف النساء وهذه

الملاوة بين هذين العدلين ؟ ويزعم أن فيكم بستان قریش . وقد سايrote مرحلة  
فما زال يرجز بذلك حتى فارقه يقول :

ويل لأشراف النساء متى صدمع كأنني من جن

فاستخف الناس بذلك وجعل أهل الحجى والرأي يهونهم فلا يسمع منهم وأمر  
يزيد بن قيس مناديا ينادي من شاء أن يلحق بسعيد بن قيس لرد سعيد وطلب  
أمير غيره فليفعل

وقام عمرو بن حريث خليفة سعيد بمظ الناس ويسكنهم فلم يسمعوا قوله وقال  
له القعقاع ابن عمرو : أتريد السيل عن هبابه . فأردد الفرات عن ادراجيه . هيبات ،  
لا والله لا تسكن الفوغاه الا المشرقية ويوشك أن تنتضي ثم يعجون عبيج  
العثدان ويتشون ما هم فيه فلا يرد الله عليهم أبداً

خرج القوم الى الجرة كما قدمنا ثم قدم سعيد ومعه مولى له فوجد القوم  
يناهزون الالف . فقالوا له : لا تريد أن تدخل علينا والياً . فقال لهم هل يخرج  
الالف لهم عقول الى رجل واحد ؟ انما كان يكنى أن ترسلوا لي رجلا والى أمير  
المؤمنين رجلا واحداً ثم رجع وقد قتلوا مولا . وأخبر عثمان بالذي كان منهم فقال :  
من يريدون ؟ قال : أبا موسى . فقال : قد أثبتنا أبا موسى عليهم والله لا نجعل  
لأحد عنده ولا نترك لهم حجة ولنصبرن كما أمرنا حتى نبلغ ما يريدون

وفي رواية للطبري : أنه اجتمع ناس من المسلمين فتذاكروا أعمال عثمان وما  
صنع فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا اليه رجلا يكلمه ويخبره بأحداثه . فأرسلوا اليه  
عامر بن عبد الله التيمي الذي يعرف بعامر بن عبد قيس فأتاه فدخل عليه وقال :  
ان ناساً من المسلمين اجتمعوا فنظروا في أعمالك فوجدوك قد ركبت أمورا عظيماً  
فاقب الله عز وجل وتب اليه وانزع عنها . فقال عثمان : انظروا الى هذا فان الناس  
يزعمون أنه قاريهم ثم يجيء فيكلمني في المحقرات فوافقه ما يسري أين الله .  
فقال عامر : أنا لا أدري أين الله ؟ قال : نعم والله ما تدري أين الله . قال عامر :

بلى والله أنى لأدرى أن الله بالمرصاد لك

بعد ذلك أرسل عثمان إلى عماله وبعض من معه من قريش ليؤامروهم في هذه  
الاذاعات التي أزعجته وصيرت أهل المدينة بين المقيم المقعد - فاستقدم معاوية  
ابن أبي سفيان وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وسعيد بن العاص (كان بالمدينة)  
وعبد الله بن عامر - وعمر بن العاص (وكان بالمدينة) فجعلهم ليأشاورهم في  
أمره وما طلب إليه . وما بلغه عن عماله منهم - وقل لهم أن لكل امرئ وزرا  
ونصحاء وانكم وزرائي ونصحاؤى وأهل ثقتي . وقد صنع الناس ما قد رأيتم  
وطلبوا إلى أن أعزل عمالي وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبون فاجتهدوا  
رأيكم . فقال عبد الله بن عامر : رأيي لك يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد يشغلهم  
عنك وأن نجبرهم في الفأذي حتى يذلوا لك فلا يكون همهم أحدهم إلا نفسه وما هو  
فيه من دبر دابته وقل فروقه (ونعم الرأي رأيي) . ثم أقبل عثمان على سعيد بن  
العاص فقال له : ما رأيك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إن كنت تريد رأينا فاحسم  
عنك الداء واقطع علك الذي تخاف وأعمل برأيي نصيب . قال وما هو - قال إن  
لكل قوم قعدة متى نهلك يتفرقوا ولا يجتمع لهم أمر ( يريد أن يتكلم برؤوس أهل  
الفتن ) فقال عثمان : هذا هو الرأي لولا ما فيه . ثم قل لمعاوية ما رأيك ؟ قال يا أمير  
المؤمنين ما أرى أن ترد عمالك على الكفاية لما قبلهم وأنا ضامن لك قبل . ثم قل لسيد  
الله بن سعد ما رأيك ؟ فقال : أرى يا أمير المؤمنين أن الناس أهل طمع فاعطهم من  
هذا المال تهطف عليك قلوبهم (وهو حق لو اتسم له بيت المال) ثم قل لعمر بن  
العاص ما رأيك ؟ قال أرى أنك قد ركبت الناس بما يكرهون . فاعتزم أن تعتدل  
فإن أبيت فاعتزم أن تعتزل . فإن أبيت فاعتزم عزمًا وامنض قدمًا - فقال عثمان  
مالك قل فروك هذا الجذ منك ؟ فسكت عمرو عنه حتى إذا تفرق القوم .  
قال له لا والله يا أمير المؤمنين لأنك أعز علي من ذلك ولكني علمت أن سيبلم

الناس قول كل رجل منا . فأردت أن يبلغهم قولي فيثقوا بي . فأقود اليك خيراً  
أو أدفع عنك شراً

والذي أعتمدته أن مبدأ احساس القوم بضعف عثمان الكتاب الذي كتبه  
الى أهل الكوفة حين استعفوه من سعيد بن العاص وردوه من الجرجة وقتلوا  
مولاه وطلبوا أبا موسى واليا عليهم فكتب اليهم عثمان « بسم الله الرحمن الرحيم  
أما بعد فقد أئرتُ عليكم من اختارتم وأعفيتكم من سعيد . والله لأفرشنكم عرضي  
ولا أبذلن لكم صبري ولا أستصلحنكم بجهدى فلا تدعوا شيئاً أحببتموه لا يمضى  
الله فيه إلا سألتموه ولا شيئاً كرهتموه لا يمضى الله فيه إلا استعفينم منه أنزل فيه  
هتد ما أحببتم حتى لا يكون لكم على حجة » وكتب بمثل ذلك الى الامصار وهي  
نقمة جديدة لم يسمع الناس مثلاً من عمر بن الخطاب . جاءت على أثر شكوى  
وتدمير . قد تؤثر في الكريم ولكن الثمن يعتدها ضمناً يزيد ضراره على الفتنه  
وولوعاً باشاعة السوء . واذاعته : فهو زلة من عثمان يغفر الله له . وكتاب مفتوح  
يعلم فيه ضعفه ووهن قوته فلا فرد ان اجترأوا عليه بعده بما اجترأوا

قبل سرده ما حصل في شأن الفتنه مما صامرده أحب ان أدلى بكلمة تنير  
الموضوع وتاقى عليه شعاعاً من الجلاء والوضوح :

مما جرت به سنة الوجود أن أي بلد من البلاد أو مصر من الامصار لا يخلو  
من أناس محدودين مضموسين في الناس لم ينهياً لهم الظهور ولم يوقوا لأن يكونوا  
من أبواب الثراء وهم يزتون أنفسهم بغير ميزانهم ويقدرون لأنفسهم عنا لا يسومهم  
الناس بعشر معشاره . فهم راضون عن أنفسهم كل الرضا ماخطون على من عداهم  
يَتَبَرَّوْنَ بِأَنْفُسِهِمْ وَيَتَخَطَّوْنَ عَلَى الْقَدْرِ . ولا ينسبون تأخرهم لميب فيهم أو  
قص في استعدادهم لتسلي المعالي . ولكنهم يَتَعِدُّوْنَ الى الدولة والقائمين بها  
يستند ثبوتهم في تأخرهم ويلزمونهم جناية قهرهم وعدم موافاة الجده لهم . فهم يتمنون



تغيير الدولة ويستبطنون أحداث الاستبدال من أهلها ويتكهنون حؤول الاحوال  
ويوقنون لذلك المواقف ويعربصون نزول الدوائر لانهم يسفروحون وريح الفرج  
من ناحية التقلب ويرون أن عظامهم لا يطاق من وثاقه الا اذا سقط الامير القائم  
وقام غيره ممن يمتنون اليه بالوسائل قبل الولاية

اذا لم يكن لصوفي دولة امري نصيب . لاحظتمني زوالها  
وما ذاك من بغض له غير انه يرجى سواها فهو يهودى انتقامها  
ومن كانوا كذلك يكون لهم ولوع باشاعة الاشاعات الرديئة واذا دعا أبناء السوء  
وثببت الظنون وتوهم البقيين واستفزاز من يمكن استفزازه الى احداث الفتن  
وتعجيل التغيير والتقرب الى من يظن فيه القدرة على ذلك

ولا يغفل الحال من ان يكون بالمدينة قوم على هذه الشريعة يذمخون في  
كل نار ، كما خبت زادوها سميرا . ويزيد نيران حقدكم اشتعالا ما يروونه من  
اختصاص ذوي السلطان غيرهم من أهل البلاء والقضاء في نظرهم بالتأثير على  
الامصار وتقليدكم الممالات وهم قايمون في اكسار بيوتهم . وقد كان لهم في بعض  
ما يؤخذ على عثمان حجة يستقرون وراءها

اذا تمهد هذا فليس من البعيد ان تكون اذاعات هذا الضرب من الناس  
واشاعاتهم قد بلغت من الكثرة في المدينة حدا تغير قلوب اصحاب رسول الله  
على عثمان حتى تكاثروا مع انطارجين عن المدينة يقولون لهم : ان اقدموا ههنا  
فلن كنتم نريدون الجهاد فتمدنا الجهاد ، وكثر الناس على عثمان ونالوا منه اقبح  
مانيل من احد ، واصحاب رسول الله يرون ويسمعون وليس فيهم احد ينهى ولا  
ينب الاقرا : زيد بن ثابت ، وأبو اسيد الساعدي ، وكعب بن مالك ، وحسان بن  
ثابت . فاجتمع الناس وكلموا على بن أبي طالب . فدخل على عثمان فقال : الناس  
ورائي وقد كلموني فيك . والله ما أدري ما أقول لك وما أعرف شيئا نجهله ولا

اذلك على أمر لا تعرفه . انك لتعلم ما علم . ما سبقناك الى شيء فخيرك عنه ولا خلونا  
شيء فنبطخك وما خصصنا بأمر دونك . وقد رأيت وسمعت وصحبت رسول  
الله ﷺ وملت صهره وما ابن أبي قحافة بأولى بعلم الحق منك ولا ابن الخطاب  
بأولى بشيء من الخير منك وأنت أقرب الى رسول الله ﷺ رجاء . ولقد نلت  
من صهر رسول الله ﷺ ما لم ينالا ولا سبقاك الى شيء . والله الله في نفسك فانك  
والله ما تبصرون من عي ولا تعلم من جهل وان الطريق لواضح بين وان أعلام  
الدين لقائمة . تعلم يا عثمان أن أفضل عباد الله عند الله امام عادل هادي وهادي  
فأقام سنة معلومة وامات بدعة مفروكة فوالله ان كلاً لبين وان السنن لقائمة لها  
اعلام وان البدع لقائمة لها أعلام وان شر الناس عند الله امام جائر ضل وضل به  
فامات سنة معلومة واحيا بدعة مفروكة . واني سمعت رسول الله ﷺ يقول :  
« يؤتى يوم القيامة بالامام الجائر وليس له نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم فيدور كما  
تدور الرحى ثم يرطم في غمرة جهنم » . واني أحذرك الله واحذرك سلطونه  
ونقامته فان عذابه شديد اليم ، واحذرك ان تكون امام هذه الامة المقتول : فانه  
يقال يقتل في هذه الامة امام فيفتح عليها القتل والقتال الى يوم القيامة وتلبس  
أمورها عليها ويتركهم شيئا فلا يبصرون الحق لعلو الباطل يعرجون فيها موجا  
ويعرجون فيها مرجا

مع عثمان ذلك الكلام فقال : قد والله علمت ليقولن الذي قلت . اما والله  
لو كنت مكاني ما عفتك ولا اسفكتك ولا عيت عليك ولا جئت منكرا أن  
وصلت رجاء ومددت خلاة وآويت ضائعا ووليت شيئا من كان عمر يولى .  
أنشدك الله يا علي هل تعلم أن المغيرة بن شعبه لبس هناك ؟ قال نعم . قال ففعل ان  
عمر ولاد ؟ قال نعم . قال فلم تلومني ان وليت ابن عامر في رحمة وقرابته ؟ قال علي  
سأخبرك أن عمر بن الخطاب كان كل من ولي فاقما يظن على صباخه . ان بلغه

حرف جلبه ثم بالغ به أقصى الغاية . وأنت لا تفعل . ضعفت ورقفت على أقربائك . قال عثمان : هل تعلم أن عمر ولي معاوية خلافته كلها . فقد واپسته . فقال علي . أنشدك الله : هل تعلم أن معاوية كان أخوف من عمر من يرقاً غلام ممر منه ؟ قل نعم . قال علي فإن معاوية ينتظم الامور دونك وأنت تدهمها بمقول للناس هذا أمر عثمان فيبلغك ولا تغير على معاوية . ثم خرج علي من عنده

إذا كان مافي رواية هذا الحديث صحيحاً ( وهي رواية الواقدي نقلها الطبري وتابعه عليها ابن الاثير ) فإن عثمان لاحق له فيها قول . ذلك أن الولاية إنما يقصد بها مصلحة المسلمين وكفاية المهم من امورهم في الناحية التي يكون بها الوالي . أما كون الولاية يقصد بها صلة الرحم وسد خلة ذي النحلة وابواء الضائع من اقارب الطليقة وذوي رحمه . فلا يمكن أن يوافق عليها أحد . ولقد كان في بني عدي ومن هم من ذوي انساب عمر دنيا ضاعون وذو وخلة لهم رحم ماسة وعرق واشجة ، فلم يشأ عمر ايتارهم اقربتهم او رحمتهم ولا لأي اعتبار آخر . وهؤلاء عمال رسول الله ما كان يخارهم من ذوي قرابته ولا يؤثرهم ابتغاء صلة الرحم في الاعمال . التي يشترط فيها قبل كل شيء الكفاية . ولست بهذا أقصد عيب العمال في أعمالهم أو نقص من كفائتهم . وإنما أحاكم جواب عثمان لملي فيما أجاب به فإنه جواب أراء غير شديد

ولا يفوتني قبل أن أترك هذا المقام أن أذكر ما يخرج نفسي امام هذه العوامل التي كانت تأخذ عثمان من كل ناحية . ذلك أن عثمان كان رجلاً ضليماً القلب طاهر الضمير بعيداً عن الخبط والنفاق وسوء الظن بالناس . فكان حسن الظن بأقاربه وذوي رحمه ثم انضاف الى هذا رقة قلبه وشدة حنانه عليهم وحبهم لرفههم واستيقانهم بانهم يعاونونه على أمره ويواظرونه على سياسة الرعية وأنهم خير من يقوم له بذلك لحبهم له وعطفهم عليه . كان منه ذلك في الوقت الذي خدت فيه جرة الشباب وانطفأت وقدة الحداثة وقد رفقه ضعف الشيخوخة واستولى

عليه نهارون أهل الحرم وتسامحهم واستصغارهم للأمور وإن جلت . فأوردت ذلك في انفس الناس شيئا كثيرا

فإن الصحابة كانوا يرونه يتخطى رقابهم بلا عمد ويؤايبها ذوي قرابته وفيهم الاحداث ومن لم تقدمهم السن . وفي أبيه الصحابة وأهل السايقة من يرى لنفسه ويرى له أبوه وغير أبيه الأولوية على من يقدم من أقاربه : فأحفظ ذلك عليه القلوب وسهل على الناس سماع الاذاعات وتصديق الاشاعات . فكانت عسارة ذلك ازدياد الجرأة عليه وغيبيهم له جهارا بعد أن كان ذلك خفية . ولم يكن لعمان جواب مسكت فيما يرد به عن نفسه . فكان احتجاجة لعملة ودفاعه عنه داعية زيادة الاحتشاش عليه لانه غير كاف ولا شاف

خرج عثمان على أثر خروج علي بعد انتهاء الحديث الذي قدمنا فجلس على المنبر ، فقال : أما بعد فإن لكل شيء آفة ، ولكل أمر عاهة ، وإن آفة هذه الامة وعاهة هذه النعمة عيايون طمانون يرونكم مانحون ويسرون مانكرهون يقولون لكم ويقولون ، أمثال القتم يتبعون أول ناعق أحب مواردها اليها البعيد . لا يتسربون الا نغصا ولا يردون الا عكرا لا يقوم لهم رائد . وقد اعينهم الامور وتعذرت عليهم المكاسب . الا فقد واقع عبتهم على بما افردتم لابن الخطاب بمثله ولكنه وطئكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه فدثم له على ما احببتم أو كرهتم - ولنت لكم وأوطأت لكم كنفني وكففت يدي ولساني عنكم فاجترأتم علي . أما والله لا فاعز نفرا وأقرب ناصرا وأكثر عددا واقن ان قلت لهم اني الى . ولقد اعددت لكم اقرانكم وأفضلت عليكم فضولا وكشرت لكم عن ثأبي وأخرجتكم مني خلقا لم اكن احسنه ومنطقا لم انطق به . فكفوا عليكم السفنكم وطفنكم وعيبكم على ولا تنكم فاني قد كففت عنكم من لو كان هو الذي يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا . الا فما تفقدون من حقكم ۝ والله ما قصرت في بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلي ومن لم تكونوا تختلفون

عليه . فضلَ فضل من مال . فإني لا أصنع في الفضل ما أريد ؟ فلم كنت أماناً ؟  
فقام مروان فقال : إن شئت حكنا والله بيننا وبينكم السيف نحن والله وأنتم كما  
قال الشاعر :

فرشنا لكم اعراضنا فنبت بكم مفارسكم تبزون في دمن الثرى  
فقال عثمان اسكت لا سككت دعني واصحابي ما منطلقك في هذا ؟ إلى ان تقدم اليك  
ان لا تنطق . فسكت مروان

وقد اورد الطبري من رواية سيف عن شيوخه ان معاوية قال لثمان غداة  
ودعه وخرج يا امير المؤمنين اطلق معي الى الشام قبل أن يهجم عليك من  
لا قبل لك . فان أهل الشام على الامر . يزالوا . فقال : انا لأبيع جوار رسول  
الله ﷺ بشئ وان كان فيه قطع خيط عنقي . قال فأبحث اليك جندا منهم يقيم  
بين ظهري أهل المدينة لئلا أتة ان نابت المدينة أو أباك . قال انا اقتر على جيران  
رسول الله ﷺ الارزاق بمحمد بساكنهم واضيق على أهل دار الهجرة والنصرة ؟  
قال والله يا امير المؤمنين لئن تان أو اتفرز . قال حسبي الله وهم الوكيل

فلما خرج معاوية يريد السفر ، فاداهو ينفر من المهاجرين فيهم طلحة  
و الزبير وعلى . فقام عليهم : متوكتاً على قوسه وبعد أن سلم قال : انك قد علمت  
أن هذا الامر كان إذ الناس يتغالبون الى رجال فلم يكن منكم أحد الا وفي فضيلته  
من برأيه ويستبد عليه ويقطع الامر دونه ولا يشهد ولا يؤمره حتى بعث الله  
عز وجل نبيه ﷺ وأكرم به من أتبعه فكانوا يرثسون من جاء من بعده وامرهم  
شورى بينهم يتفاضلون بالساجدة والتقدمة والاجتهاد فان أخذوا بذلك واقاموا  
عليه كان الامر امراً والناس تبع لهم وان اصفوا الى الدنيا وطلبوها بالتغالب  
سلبوا ذلك ورده الله الى من كان برأسهم . والا فليحضروا الغير فان الله على البديل  
قادر وله المشيئة في ملكه وامره : اني قد خلعت فيكم شيعاً فاستوصوا به خيراً  
وكانفوه تكونوا أسعد منه بذلك . ثم ودعهم ومضى . فقال على ما كنت ارى أن  
في هذا خيراً . فقال الزبير والله ما كان اعظم في صدرك وصدورتا منه القداة

## دور الشدة في الفتنة

كان تصميم السبئية من أول الأمر ان ينزحوا بالامصار على أثر خروج الهال الى الموسم ، فلم ينهيا لهم ذلك ولم ينهض في هذا الأمر سوى أهل الكوفة فانهم خرجوا بحجة الاستمعاء من سعيد كما قدمنا . وقد ردوه من الجرة وهي مكان في طريق الذهاب من المدينة الى الكوفة

فلما رجع الامراء الى امصارهم لم يكن للسبئية سبيل الى الخروج . فكتبوا اشياعهم من أهل الأمصار وتواعدوا على ان يتوافوا بالمدينة لينظروا فيما يريدون وأظهروا أنهم يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر . ويسألون عثمان عن أشياء تسير في الناس ولتحقق عليه . فخرجت وفود من الامصار الثلاث : الكوفة والبصرة ومصر حتى قاربت المدينة . فلما علم عثمان بمجيئهم أرسل اليهم رجلين من بني مخزوم ليملأهما علم القوم . وكان الرجلان ممن نالهم أدب من عثمان فاصطبرا ولم يضطفنا . فلما رآهما أولئك القادمون استقرسوا اليهما وياحوا لما اذات نفوسهم . فقالوا اننا نريد ان نسأله عن أشياء زدعتها في قلوب الناس ثم نرجع اليهم فنزعم لهم اننا قررنا فيها فلم يخرج منها ولم يتب . ثم نخرج كأننا حجاج ثم نقدم فنتحيط به فنخلعه فان أبي قحافة . وكانت ايها . فرجعا الى عثمان بنخبر فضحك وقال اللهم سلم هؤلاء فانك ان لم تسلمهم شقوا . وقد أخبر أهل الامصار أن ثلاثة من أهل المدينة معهم على رأسهم وهم : عمار ومحمد بن أبي بكر وابن سبرة ( الله محمد بن أبي حذيفة ) . فكان من قول عثمان : أما عمار فحمل على عباس بن عتبة بن أبي لهب وعركه فأدبته ، وأما محمد بن أبي بكر فانه أعجب حتى رأى أن الحقوق لا تلزمه ، وأما ابن سبرة فانه يتعرض للبلاء . ثم أرسل عثمان الى الكوفيين والبصريين ونادى الصلاة جامعة

وهم عنده في أصل المنبر . فأقبل أصحاب رسول الله حتى أحاطوا بهم . فحمد الله وأثنى عليه وأخبرهم خبر القوم . وقلم الرجلان وأخبرا بما سمعا منهم . فقالوا جميعاً : أقتلهم فإن رسول الله ﷺ قال من دعا إلى نفسه أو إلى أحد وعلى الناس أمام فعلية لعنة الله فاقبلوه . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا أحل لكم إلا ما فعلتموه وأنا شر بكم . فقال عثمان : يا نفعو وقبل ونبصرهم بمجدنا ولا نحاد أحداً حتى يركب حداً أو يبدي كفرًا . ثم أخذ يذكر الأمور التي تفوها عليه وأذاعوها وبجيب عن كل مسألة . فقال : إن هؤلاء ذكروا أموراً قد علموا منها مثل الذي علمتم إلا أنهم زعموا أنهم يذكرونها ليجوبوها على عند من لا يعلم :

(١) قالوا أتم الصلاة في السفر ( في المزدلفة ) وكانت لأنتم . ألا وإنى قدمت بلداً فيه أهل فأتتمت لهدبين الأمرين . أو كذلك هو ؟ قالوا : نعم . - وذلك أنه أتم الصلاة في المزدلفة وهي تقصر في ذلك الموطن ولو كان مؤديها مقبلاً هكذا كان يرى غير عثمان من فقهاء الصحابة

(٢) وقالوا حميت حمى . وإنى والله ما حميت حمى . قبلى والله ما حوا شيئاً لاحد ما حوا لا ما غلب عليه أهل المدينة ثم لم يمتنعوا رعيه أحداً . واقتصروا لصدقات المسلمين يحمونها لتلا يكون بين من يلبها وبين أحد تنازع ثم ما منعوا ولا نحا منها أحداً إلا من ساق درهما ومالاً من بعير غير راحلين ومالاً من ناقة ولا راغية . وإنى قد وليت وإنى أكثر العرب بصيراً وشاة قتلى اليوم شاة ولا بعير غير بعيرين لحبي . أ كذلك هو ؟ قالوا : اللهم نعم

(٣) وقالوا كان القرآن كتباً فتركناها إلا واحداً - ألا وإن القرآن واحد جاء من عند واحد وإنما أنا في ذلك تابع لهؤلاء . أ كذلك هو ؟ قالوا : نعم

(٤) وقالوا قد رددت الحكم . وقد سيره رسول الله ﷺ . والحكم مكي سيره رسول الله ﷺ من مكة إلى الطائف ثم رده رسول الله ﷺ . فرسول الله سيره . ورسول الله رده . أ كذلك هو ؟ قالوا : نعم

(٥) وقالوا استعملت الاحداث . ولم أستعمل الا مجتمعا محتملا مرضيا . وهؤلاء أهل علمهم فلوهم عنه . وهؤلاء أهل بلده . ولقد ولي من قلى أحدث منهم وقيل في ذلك رسول الله ﷺ أشد مما قيل لي في استعماله أسامة . أ ك ذلك هو ؟ قالوا : نعم

(٦) وقالوا اني أعطيت ابن أبي سرح ما أفاء الله عليه . واني انما نقلته خمس ما أفاء الله عليهم من الخمس وكان مائة ألف وقد قل مثل ذلك أبو بكر وعمر فزعم الجند أنهم يكرهون ذلك فرددته عليهم وليس ذلك لهم . أ ك ذلك هو ؟ قالوا : نعم

(٧) وقالوا اني احب أهل يثرب ، واعطيهم . اما حيي فانهم لم يعمل معهم على جور بل أحل الحقوق عليهم . وأما اعطاءهم : فاني انما اعطيهم من مالي ولا استحل أموال المسلمين لنفسي ولا لأحد من الناس . ولقد كنت اعطي العطية الكبيرة الرغبية من صلب مالي ازمان رسول الله ﷺ واني بكر وعمر وأنا يومئذ حريص شحيح ، أخفين أنيت على أسنان أهل يثرب وفي عمري وودعت الذي لي في أهلي قال الملحدون ما قلوا ؟ واني والله ما حلت على مصر من الامصار فضلا فيجوز ذلك لمن قاله ، ولقد رددته عليهم وما قدم على الا الاخماس ، ولا يحل لي منها شيء . فولى المسلمون وضعا في أهلها دوني ولا نقلت من مال الله بفلس منها فما فوقه وما أتبلغ منه ما آكل الا من مالي

(٨) وقالوا اعطيت الارض رجالا وان هذه الارضين شاركهم فيها المهاجرون والانصار أيام افنتحت من أقام مكان من هذه الفتوح فهو اسوة أهلهم ومن رجع الى أهلهم لم يذهب ذلك ما سوى الله له ، فنظرت في الذي بصيهم مما أفاء الله عليهم فبعتهم لهم بأمرهم من رجال أهل عقار ببلاد العرب فنقلت اليهم نصيبهم فهو في أيديهم دوني . وكان عمان قد قسم ماله وأرضه في بني امية وجعل ولده كععض من يعطى فيه . فبدأ ببني أبي العاص فاعطى آل الحكم رجالهم عشرة آلاف



عشرة آلاف فأخذوا مائة ألف وأعطى بني عثان مثل ذلك وقسم في بني العاص  
وفي بني العيص وفي بني حرب

ولانت حاشية عثان لذلك الطوائف الذين خرجوا للكيد له وأبى المسلمون  
الاقْتلهم وأبى هو إلا العفو والصفح عنهم فرجعوا إلى بلادهم على الأمر الذي خرجوا به  
فلما عثان أن ما أدلى به من الحجج قد أصاب من نفوسهم ، وأن عفوهم  
يطلقهم جرة اضطغانهم عليه فاكفى بما قال . ولكن القوم تواعدوا على الشخوص  
إلى المدينة في شوال سنة ٣٥ هـ لأنفاذاً ما اعتزموا عليه من محاصرة عثان وخلعه أو قتله  
إن أبى . فخرج أهل مصر في أربع رفاق عليهم أربعة أمراء - المقل يقول مائة  
والمسكن يقول ألف . وقادتهم هم عبد الرحمن بن عديس البلوي وكنانة بن بشر  
الليثي وسودان بن حران السكوني وقنبرة السكوني . وعلى القوم جميعاً الفافقي  
ابن حرب المكي . وأشفقوا أن يملأوا الناس بخروجهم للشغب والحرب . وأما  
خرجوا كالحجاج ومعهم ابن السوداء . ولو أتبع للقوم رجل يقرأ ما في الضمير  
لقرأ لهم آيات الفرج والسرور الذي لا يبادل به سرور أحد في العالم واضحة على  
صفحات قلب ابن السوداء الذي استطاع أن يستخرج هؤلاء القوم لتنفيذ ما ربه في  
أمة الاسلام والكيد لدينهم . وقد تسمى له أن يشغل القلوب في الامصار المترامية  
وفي مدينة الرسول وهو جالس في مصر

يدبر السر من مصر إلى يمن إلى العراق فأرض الروم فلتوب  
والذي اعتقده أنه قد كان داعية جمعية عمده وتوازره ونعينه قد اختارته  
لتنفيذ ما ربه في الاسلام لنفسه ما تقدر عليه كما أفسد يولس دين المسيح  
وخرج أهل الكوفة في أربع فرق وقادتهم : زيد بن صوحان العبدي .  
والأشتر النخعي . وزيد بن النضر الطائي . وعبد الله بن الاصم العامري من  
عامر بن صعصعة وعددهم كعدد أهل مصر وعليهم جميعاً عامر بن الاصم

وخرج أهل البصرة في أربع فرق ، وقتلتهم : حُكيم بن جبلة العبدي وذريح  
ابن عباد العبدي وبشر بن شريح القيسي وابن الحارث الحنفي . وعدد دم كمدد  
أهل مصر وأميرهم جميعاً حر قوص بن زهير السعدي

وكانت أهواء أهل الامصار الثلاث مختلفة غير متفقة . فاما أهل مصر فانهم  
كانوا يشتهون علياً لما به فيههم ابن السوداء ومحمد بن أبي بكر فانه كان ربيباً لعلي  
تزوج امه بعد أبي بكر وحبيب عليه ، وقد وافقه على ذلك محمد بن أبي حديفة .  
وأما أهل البصرة فانهم كانوا يشتهون أن يكون الخليفة طلحة بن عبيد الله

وأهل الكوفة كان هوام في الزبير بن العوام فخرجوا وهم على الخروج جميع وفي  
الاهواء شق وكل فرقة لا يشك أحد منها في أن الفاتح في جانبها وإن أمرها سيئ  
دون الآخرين . وسار كل فريق حتى إذا كانوا من المدينة على ثلاث تقدم ناس  
من أهل البصرة فنزلوا إذا خشب . وتقدم ناس من أهل الكوفة فنزلوا الاعوص  
وجاءهم ناس من أهل مصر ونزكوا عامتهم بندي المروة ومتى فيما بين أهل  
مصر وأهل البصرة زيد من النضر وعبد الله بن الاصم ، وقالوا : لا  
نمجلوا ولا نمجلونا حتى ندخل لكم المدينة ونرثه ، فانه قد بلغنا انهم قد  
عسكروا لنا . فوالله ان كان أهل المدينة قد خافونا واستحلوا قتالنا ولم يعلموا  
علمنا فهم إذا علموا علمنا أشد وإن امرنا هذا لباطل . وإن لم يستعدوا لنا ولم  
يستحلوا قتالنا ووجدنا ما بلغنا باطلا للرجس اليك ونخير

فدخل الرجلان فلقيا ارباع النبي ﷺ وعلياً وطلحة والزبير وقالوا إنما نأتم  
هذا البيت ونستغني هذا الوالي من بعض محالنا ما جئنا الا لذلك وأستأذناهم  
للناس في الدخول فكلهم أبي وقال بيض ما يفرخن . وهذا ما أخذه أماراة على  
وهن عثمان واقتطاع الناس الامر دونه اذ يطلب الاذن من غيره بدخول المدينة  
ولو كان عمر ما قدر أحد منه على مثل ذلك

رجع الرجلان الى القوم قاتى من مصر نفر فأثروا علياً ومن أهل البصرة نفر

فأتوا طلحة ومن أهل الكوفة فغزفوا الزبير وقال كل فريق منهم إن يابعدوا صاحبنا والا كدناهم ومراقنا جماعتهم ثم كررنا حتى نبغتهم فجاء المصريون إلى علي وعرضوا له بالامر فانتبههم وطردهم وكذلك فعل الزبير مع أهل الكوفة وطلحة مع أهل البصرة واغلظوا لهم في القول . وكان كل من علي والزبير قد صرح ابنه إلى عثمان وطلحة قد صرح ابنه كذلك

خرج القوم بعد سوء الرد من علي وطلحة والزبير وأروهم انهم راجعون حتى انتهوا إلى عساكرهم على ثلاث مراحل من المدينة كي يفترق أهل المدينة ثم يكروا راجعين . فلما افترق أهل المدينة لرجوعهم وغلظوا أن الامر قد انتهى . لم يبق أهل المدينة الا بانهم يكبرون في نواحيها قد كروا عليهم فيمنعهم فقتلوا مواضع عساكرهم وأحاطوا بثمان وقالوا من كف يده فهو آمن . فلزم الناس بيوتهم

جاء علي إلى أهل مصر فقال : ما ردكم اليينا ؟ فقالوا اخذنا مع يريد كتاباً بقتلنا وقال أهل البصرة لطلحة مثل ذلك أي ان أهل مصر قد أخذوا يريداً بقتلهم وكذلك أهل الكوفة للزبير وقال أهل الكوفة وأهل البصرة جيشاً نصر اخواننا ومنعهم جميعاً فقال علي كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر وقد سرتهم مراحل ، ثم طويتم نحونا ؟ هذا والله أمر ابرم بالمدينة . فقالوا ضموه كيف شئتم لا حاجة لنا في هذا الرجل ليمز لنا . وكان عثمان في ذلك الوقت يخرج اليهم ويصلي بهم ويصلون خلفه ولا يمنعون أحداً من الاجتماع به ولا يمنعون أحداً من الكلام ولكنهم كانوا يسبرون زمراً أشبه بالدوريات في طرق المدينة يمنعون الناس من الاجتماع

وكتب عثمان إلى الامصار يستمدهم ( بسم الله الرحمن الرحيم \* أما بعد فإن الله عز وجل بعث محمداً بالحق نبياً ونذيراً قبله عن الله ما أمر به ثم مضى وقد

قضى الذي عليه وخاف فينا كتابه فيه حلاله وحرامه وبيان الامور التي قدر  
وامضاها على ما أحب العباد وكرهوا فكانت الخليفة أبو بكر رضي الله عنه وعمر رضي  
الله عنه . ثم أدخلت في الشورى عن غير علم ولا مسألة عن ملأ من الامة . ثم أجمع  
أهل الشورى عن ملأ منهم ومن الناس على غير طلب مني ولا حجة فعمات فيهم  
ما يعرفون ولا يفكرون تابعاً غير مستقيم متبعاً غير مستدع مقتدياً غير متكاتف . فلما  
انتهت الامور وانتكث الشر بأهله بدت ضغائن وأهواء على غير اجرام ولا نرة فيها  
مضى الا امضاء الكتاب . فطلبوا أمراً وأعلنوا غيره بغير حجة ولا عذر . فمابوا  
على أشياء مما كانوا يرضون وأشياء عن ملأ من أهل المدينة لا يصلح غيرها .  
فسبرت لهم نفسي وكففتها عنهم منذ صبتين وأنا أرى وأسمع . فازدادوا على الله عز  
وجل جرأة حتى أغاروا علينا في جوار رسول الله ﷺ وحرمة وأرض الفجرة ونابت  
اليهم الاحزاب فهم كلاحزاب أيام الاحزاب أو من غزانا بأحد الا ما يظهر من  
قدر على الاحاق بنا فليالحق )

أتى الكتاب أهل الامصار فخرجوا على الصعبة والذلول . فأرسل معاوية بن  
أبي سفيان حبيب بن صدة الفوري بعد تربث . وبعث عبد الله بن أبي سرح من  
مصر معاوية بن حديج السكوني وخرج من أهل الكوفة الفمقاع بن عمرو وقام في كل  
بلد محضون محضون الناس على اغانة أهل المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ  
والتابعين لم بأحسن غير ان هؤلاء المقيمين لم يدرؤا لان الفرقة أنفذوا أمرهم قبل القوث  
جاء القوم الى علي وقالوا له ان الله قد أحل لنا دم هذا الرجل . قم معنا اليه .  
فقال والله لا أقوم معكم . قالوا فلم كتبت اليك . فقال علي والله ما كتبت اليكم كتاباً .  
قط فنظر بعضهم الى بعض

والذي يظهر من ذلك . ان من كان بالمدينة ردماً لاهل الفتنة كانوا يكتبون الى  
أهل مصر بان علياً معهم في الرأي وان التدبير باذنه وعلمه فكانت المفسدون يتذرعون

باسمه أتسميخ الناس وأشعل قلوبهم بالحفاة فيها ، ولا يبعد أن تكون  
الكتب ترسل باسمه إلى مصر ولا يعلم

وقد كان عمرو بن العاص بالمدينة يؤلب على عثمان ، وقد جاءت رواية عنه  
أنه كان يؤلب عليه حتى الراعي في غنمه في راس الجبل . فلما كان أول الحصار  
خرج من المدينة إلى فلسطين في ناحية السبع حتى جاءه خبر قتل عثمان  
دخل المصريون على عثمان ومعهم الكتاب الذي زعموا أن فيه قتلهم . فقالوا  
كتبنا فينا بكنا وكذا . فقال انما هما اثنتان أن تقيموا علي رجلين من المسلمين  
أو يميني بالله الذي لا إله إلا هو ما كتب ولا أمليت ولا علمت . وقد تعلمون أن  
الكتاب يكتب على لسان الرجل وقد ينقش الخطام على الخطام . فقالوا قد والله أحل  
الله لنا ذلك ونقض العهد والميثاق

فعمل على وعمل مروان مع الخليفة عثمان

كان لما جاء القوم لأول مرة وخشي عثمان شرهم شاع انهم يريدون قتل عثمان  
أن لم ينزع . فجاء إلى علي بن أبي طالب فقال : يا ابن عمي ، إنه ليس لي مشترك وإن  
قرباني قريبة ولي حق عظيم عليك وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم وهم مصيبي  
وأنا أعلم أن لك عند الناس قدوا وانهم يسمعون منك فأنا أحب أن تركب إليهم  
وتردهم عني فاني لا أحب أن يدخلوا علي فأن ذلك جرأة منهم علي ويسمع بذلك  
غيرهم . فقال علي علام أردهم ؟ فقال : على أن أصير إلى ما أشرت به علي ورأيت  
لي ولست أخرج من يديك . فقال علي اني كلمتك مرة بعد مرة وتقول وتقول وكل  
ذلك فعل مروان وسعيد وابن عامر ومعاوية أظنهم وعصيتني . قال فاني أعصيه  
وأطيعك . فركب علي وركب معه المهاجرون والانصار وما زالوا بالنوم حتى رجعوا كما  
قدمنا وأبي عمار أن يخرج مع من خرج . فلما رجع القوم عاد علي إلى عثمان وكلمه

كلاماً في نفسه وقل له تكلم كلاماً يقره الناس منك ويشهدون عليه ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والانابة فان البلاد قد تمحضت عليك فلا آمن ركبا آخرين يقدمون من الكوفة فنقول يا علي اركب اليهم ولا أقدر ان أركب اليهم ولا أسمع عندهم ، ويقدم آخرون من البصرة الخ ، فان لم أقبل رأيتني قد قطعت رحلك واستخففت بحملك

فخرج عثمان فخطب خطبة نزع فيها وأعلى الناس من نفسه التوبة فقال : أما بعد أيها الناس فوالله ما عاب من عاب منكم شيئاً أجمله وما جئت شيئاً الا وأنا أعرفه ولكن منتي نفسي وكذبتني وضل عني رشدي . ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول من زل فليتب ومن اخطأ فليتب ولا يتأدى في المهلكة . ان من تأدى في الجور كان أبعد من الطريق . فانا أول من أنظر . استغفر الله مما فعلت وأتوب اليه . فنتلى نزع وناب فاذا نزلت فليأتني أشرفكم فاليروني رأيهم فوالله ان ردي الحق عبداً لأستعين بسنة العبد ولا ذل في العبد ولا كون كالرفوق ان ملك صبر وان اعتق شكر وما عن الله مذهب الا اليه . فلا يصبر عنكم خياركم أن يدنوا الى لنن أبت يعني لنتابع شمالي - فرق الناس له وبكوا - فلما نزل وجد في منزله مروان وسعيدا ونفرا من بني أمية ولم يكونوا شهدوا الخطبة . فقال مروان يا أمير المؤمنين أنسكم أو أسكت ؟ فقالت نائلة زوج عثمان بل أسكت فانهم والله قاتلوه ومؤتمروه انه قد قل مقالة لا ينبغي أن ينزع عنها . فقال مروان يا بني أنت وأمي لوددت ان مقالاتك هذه كانت وأنت عمتهم منهم فكنت أول من رضي بها وأعان عليها ولكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطيبين وخلف السيل الزبي وحين أعطيت الخطة الذليلة القليل . والله لا إقامة على معصية تستغفر الله منها أجل من توبة تخوف عليها وانك ان شئت تقربت بالتوبة ولم تقرر بالخطيئة وقد اجتمع اليك على الباب أمثال الجبال من الناس . فقال عثمان أخرج اليهم فكلهم

فأبى استحي أن أكلمهم

عند ذلك خرج مروان إلى الباب فقال ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم قد جئتم  
لذهب ؟ شاهدت الوحوش . كل إنسان أخذ بأذن صاحبه إلا من أريد . جئتم تريدون  
أن تخرجوا ملكنا من أيدينا ؟ أخرجوا عنا . أما والله لن رمتونا ليمرن عليكم منا  
أمر لا يسركم ولا تحمدون غيب رأيكم . ارجعوا إلى منازلكم قالوا والله ما نحن  
بمفلولين على ما في أيدينا

سمع الناس ذلك فرجعوا وذهب بعضهم إلى علي وأخبروه الخبر فجاءه غضباً  
حتى دخل على عثمان فقال : أما رضييت من مروان ولا رضييت منك إلا يشترقك  
عن دينك وعن عقلك مثل جعل الظلمة يقاد حيث يسار به . والله ما مروان بشي  
رأي في دينه ولا في نفسه . وأيم الله لا أراه سبورك ثم لا يصورك وما أنا بمائد  
بعد مفاتي هذا لما كنتك . اذهبت شركك وغلبت على أمرك . فلما خرج علي  
دخلت على عثمان فأنثت زوجها فقالت تكلم أو أصمت . قال بل تكلمي . فقالت  
قد سمعت قول علي لك وأنه ليس بماورك وقد أطعت مروان بفورك حيث يشاء .  
قال فما أصعب ؟ قالت تنقي الله وحده لا شريك له وتقع من صاحبك من قبلك .  
فأنك متى أطعت مروان فذلك ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة  
وأما تركك الناس لمكان مروان فارسل إلى علي فاستصاحه فإن له قرابة منك وهو  
لا يفهمي . فارسل عثمان إلى علي فأبى أن يأتيه وقال قد أعلمتني لست بمائد .  
ويبلغ مروان مقالة فأنثت فيه فجاءه إلى عثمان وقال . بعد أن أذن له . أن يفت الغرافصة  
فقال عثمان لا تذكريها بحرف فأسوء لك وجهك فهي والله أنصح منك . وخرج  
عثمان بعد ذلك حتى أتى علياً وسأله أن يوازروه ولا يخذله لما له من حق القرابة  
والنصرة فأبى عليه على ذلك وذكره بما كان منه من عصيانه والاصفاء إلى مشورة  
مروان فقام عنه عثمان منكراً يقول : خذلتني ونطمت رجلي

وقد قدمنا أن العائدين من أهل الشغب من الأمصار الثلاث لما عادوا دخل  
المصريون المدينة وغلبوا أهلها على أمرهم وكان عثمان يخرج من بيته فيصلح بهم لا  
يمنعونه ذلك - فلما جاءت الجمعة بعد دخولهم المدينة ودخول المصريين بها خرج  
عثمان فصلح بالناس وكان في ذلك الوقت قد أراد أن يظهر من الضعف قوة  
ومن الوهن جلدأ ليقذف الرعب في قلوب المشائين فقام على المنبر وقال - يا هؤلاء  
العدوي الله الله . فوافق أهل المدينة ليعلمون أنكم ماعونون على أسان محمد  
ﷺ فاحموا الخطايا بالصواب فإن الله عز وجل لا يحو السوء إلا بالحسن . فقام  
محمد بن مسلمة فقال أنا أشهد بذلك - فآخذهم حكيماً بن جيلة فآخذهم . فقام زيد  
ابن ثابت فقال أبق الكتاب . فآزر إليه من ناحية أخرى محمد بن أبي قتيبة فآخذهم  
وقل فافهم . وثار القوم باجمعهم فحصبوا الناس وحصبوا عثمان حتى صرعوه عن  
المنبر مفشياً عليه فاحتل حتى أدخل داره . وكان المصريون لا يطعمون في أحد  
من أهل المدينة أن يساعد إلا في ثلاثة نفر وهم محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي  
حذيفة وعمار بن ياسر . وثار ناس من المسلمين فاستمقتلوا منهم سعد بن مالك  
وأبو هريرة وزيد بن ثابت والحسن بن علي فارسل إليهم عثمان بعزيمة لما انصرفوا  
فانصرفوا وأقبل على حتى دخل على عثمان يعود من صرعه وفعل مثل ذلك . طلحة  
والزبير

ومكث عثمان يصلح بهم إلى عشرين يوماً من نزوله عن المنبر في رواية الحسن ،  
والى ثلاثين يوماً على رواية سيف عن مشايخه ثم انهم منعوا الصلاة فصلح بالناس  
أميرهم المقاتلي . فان له المصريون والكوفيون والبصريون وتفرق أهل المدينة في  
حيطاتهم ولزموا بيوتهم لا يخرج أحد إلا وعليه سيفه يمتنع به من رفق القوم وكان  
الحصار أربعين يوماً . وفيه كان القتل ومن تعرض لهم وضوا فيه السلاح وكانوا  
قبل ذلك ثلاثين يوماً يكفون



من ذلك كله نجد ان عثمان كان في أخريات أيامه كالميت في يد القاسل بين  
يدي مروان وبطانته من بني أمية . فكان اذا أعطى الناس من نفسه ووعدهم  
بالاقلاع عما تقموا منه والنزول عند ما أحبوا وعاد الى بيته ، قتله مروان في الدروة  
والقارب حتى يرده عما بسط آمالهم فيه وقبض يده عما بذل لهم من المعدلة والراحة  
العلل . وكان بنو أمية ومنهم مروان يفتنون بالمغشية من الامصار . ويريدونه على  
مطاوله القوم حتى يأتي المقيثون ويستأصلوا أهل الفتنة ويلتمسون الوسائل للمطالبة  
بجهد استطاعتهم . وكان استبطانه هؤلاء الرعط من بني أمية يشير عليه القوم  
ويزيد في الاضطغان عليه . فكان على الحقيقة موجوداً بين عدوين : عدو داخلي  
يدفعه الى المكارة وركوب المرك الحشن بغير رفق ولا شفقة وعدو خارجي  
لا يرمى منه بالهاذير ولا يقنه الا نقض يده من الخلافة وتركها شورى  
بين المسلمين ليختاروا الامر من أحوا . أو ان يعلم اليهم بعض بطانته وخلصائه  
من ذوي قرابته ليشفقوا منه بالجزاء الذي يستحقونه على جنائية يزعمون انها وامت  
من ذلك البعض . وهو مروان بن الحكم . يزعمون انه افتعل كتاباً من عثمان الى  
عبد الله بن أبي سرح يأمره بضرب بعض رؤساء المصريين أو جلدهم والتشيل بهم  
وفي ذلك هلاك مروان اذا استمكنوا منه . والثالثة دمه يريقونه

وكان بنو أمية يرون الشر مقبلاً عليهم ونازلاً بهم والموت يرقب شيخهم  
مصيحه ومماته وأهل الفتنة غير تاركيه وأهل المدينة بين مؤلب وساكنت وبخاذل  
وهم مع ذلك لا تأخذهم الرأفة بهذا الشيخ الفاني ولا يريدونه على استبقاه حياته  
والعمل لما فيه حقن دمه ، مع توفر الدرائع وامكان الوسائل لو أرادوها . ولعل ذلك  
كلن ضحفا في الرأي واغتراراً باسم الخلافة وما كان له من الروعة والحرمة في سالف  
الزمن ، غافلين عن أن اسم الخلافة في أخريات أيام عثمان صار حامله من المهانة  
والذلة بحيث لا يدفع عن نفسه ولا يقوم بالذب عنه أحد . ومن الخذلان الاغترار  
بذلك بعد ان يصرع الخليفة عن منبر رسول الله بأيدي الفوضى والمفتونين ولا  
بغير ذلك المهاجرون والانصار

## الحصار وما طاله في أيامه

لا شبهة في أن الحاصرين ما كانوا يريدون في بدء أمرهم من عثمان سوى أن ينزع من الخلافة يده لتفضي بعد ذلك إلى من يريدون ، ولو أن عثمان طابت نفسه بغيرهم لانسرفوا إلى أمصارهم مقتبطين بما أدركوا - ولعلهم كانوا لا يتوقعون من عثمان الاستمسك بالأمر إلى الحد الذي انتهى إليه - ولعلهم كانوا يظنون أيضا أن أعلام أصحاب رسول الله بالمدينة كانوا يبادرون إلى حسم مادة الفتنة بحمل عثمان على الخروج من الأمر تلافيا للفرقة ونحاشيا من صفك الدماء . فكان الأمر على غير ما قدرنا وطالت مدة الحصار

أن أمور الفتن إذا دُبِرَتْ لا يجبر ، مذبروها بأمرهم ولا يذيعونها على الجمهور وهم في الغالب يسترون ما أجنوا ويفشون الدعوة بشيء جميل . والمصريون الذين ذبروا هذا الشعب ، وكذلك بقية أهل الأمصار ، قد ألبسوا دعوتهم لباس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو أمر يلد جماعة لأهل التقوى وتستغفر به قلوب أهل الصلاح وهم في الغالب أهل طهارة أخلاق و سلامة ضمير فيندفع كثير منهم في غمار الفاس ولا قصد لهم إلا التعاون على البر والتقوى . ومن هذا القبيل كان بعض أصحاب رسول الله ﷺ في جمع المصريين مثل عمرو بن عبدل بن ورقاء الخزاعي صاحب رسول الله ﷺ ، فلما نزل الفؤاد خشب في قدامهم الأولى كان فيما كتبوا به إلى عثمان :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فاعلم أن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فالله الله ثم الله الله . فانك على دنيا فاستم إليها معها آخرة ولا تأيس نصيبك من الآخرة فلا تسوخ لك الدنيا . واعلم والله أنا الله نفضب وفي الله نرضى وإنا لن نضع صيوفنا من عواتقنا حتى تأتينا منك توبة مصرحة أو ضلالة يجلحة

الميلحة . فهذه مقاتلتا لك وقصبتنا اليك ، والله عذيرنا منك . والسلام »

وقد علمنا أن القوم حين ردوا الى أمصارهم عادوا الى المدينة على حين غفلة من أهلها . وقد ذكر صاحب أشهر مشاهير الاسلام وغيره أن المصريين زعموا أن عبد الله بن سعد كان قد ضرب رجلا ممن كانوا شكوه الى عثمان حتى قتله . فلما جاءوا في قدمتهم الاولى شكوا ذلك الى عثمان وإلى أهلهم أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه امهات المؤمنين وقد أخطوا على عثمان بإنصافهم فقال : اختاروا رجلا أوله مصر عوضاً عن عبد الله بن سعد فاختاروا محمد بن أبي بكر فولاه عثمان مصر كما طلبوا . فلما خرج علي بن أبي طالب ومحمد بن مسلمة وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار لرد أهل الأمصار الى أمصارهم بالود من الخليفة أن يفعل ما يحبون ويرجع عما يكرهون سار جمهم ثلاثاً ثم كروا راجعين الى المدينة محتجين بأنهم ( المصريين ) أخذوا يريدوا الى عبد الله بن أبي سرح يقتلهم أو جلدهم الى آخر ما ذكرناه وان البريد غلام عثمان على جملة باب الخط خط كاتبه وان انظم ختمه وانه بذلك قد أحل لهم دمه وان أهل السكنة وأهل البصرة قد رجعوا لنصرة اخوانهم المصريين ومنهم وشد أزرهم

واذا صحت هذه الرواية وانهم وجدوا البريد على الصفة التي قالوا ، فاني لا أستبعد أن يكون مديرو الفتنة من المصريين قد وجدوا في أثناء مقامهم بالمدينة من يستدخلونه على بطانة عثمان بن عفان ويتدسس لهم حتى كتبوا هذا الخطاب وأوردوا به البريد ، وعلم كل هذه الحركات والسكنات كان عندهم وسر ذلك عند اخواتهم من أهل المصريين فلما تلقفوا الكتاب الذي دبروه عادوا وفي أيديهم حجة قوية تبرر ما يطلبون ويتقون بها قوم اللاتين

قال الطبري في رواية : وكتب أهل المدينة الى عثمان يدعوونه الى التوبة ويحنجون ويقسمون له بالله لا يسكون عنه أبداً حتى يقتلوه أو يعطيهما ما لزمه من

حق الله . فلما خاف القتل شاور نصحائه وأهل بيته . فقال لهم : قد صنع القوم ما قد رأيتم ، فما المخرج ؟ فاستأروا عليه أن يرسل إلى علي بن أبي طالب فيطلب إليه أن يردهم عنه ويعطيهم ما يرضيهم ليرضيهم حتى تأتيه امداده . فقال : ان القوم لن يقبلوا التسليل - وهي محملة - وقد كان مني في قدمتهم الاولى ما كان حتى أعطيهم ذلك يسألوني الوفاء به . فقال مروان : يا أمير المؤمنين مقاربتهم حتى تقوى أمثل من مكائرتهم على القرب . فأعطهم ما سألوك وطاولهم ما طاولوك فانما هم بغوا عليك فلا عهد لهم

أرسل عثمان بعد ذلك إلى علي . فلما جاءه قال : يا أبا الحسن ، انه قد كان من الناس ما قد رأيته وكان مني ما قد علمت واست آمنهم على قتلى فأرددهم عنى فان لهم الله عز وجل أن اعطيهم من كل ما يكرهون وأن أعطيهم الحق من نفسي ومن غيري وإن كان في ذلك سفك دمي . فقال له علي : الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك وإنى لأرى قوما لا يرضون إلا بالرضى . وقد كنت أعطيتهم في قدمتهم الاولى أنرجعن عن جميع ما تقموا فرددتهم هنك ثم لم تف لهم بشيء من ذلك . فلا تفرني هذه المرة من شيء فأتى معطيهم عليك الحق . قال : نعم ، فأعطهم فوافقه لأقبح لهم . فخرج إلي الناس فقال : أيها الناس ، انكم انما طلبتم الحق فقد اعطيتموه . ان عثمان قد زعم أنه منصفكم من نفسه ومن غيره وراجع عن جميع ما تكرهون . فاقبلوا منه ووكدوا عليه . فقال الناس قد قبلنا فاستوتق منه لنا فانا والله لا نرضى بقول دون فعل . فقال : ذلك لكم . ثم دخل عليه فأخبره . فقال : اضرب يدي وبينهم اجلا يكون لي فيه مهلة ، فأتى لا أقدر على رد ما كرهوا في يوم واحد . فقال علي : ما حضر بالمدينة فلا أجل فيه وما غاب فأجله وصول أمرك . قال : نعم ولكن أجلى فيما بالمدينة ثلاثة أيام . قال علي : نعم . وخرج إلى الناس فأخبرهم بذلك . ونسب بينهم وبين عثمان كتابا أجله فيه ثلاثا على أن يرد كل مظلمة ويعزل

كل عامل كرهوه ثم أخذ عليه في الكتاب أعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه من عهد وميثاق وأشهد عليه ناساً من وجوه المهاجرين والانصار

فسكف القوم عنه ورجعوا الى أن يفي لهم بما أعطاهم من نفسه . وجعل يتأهب للقتال ويستعد بالسلاح وكان قد اتخذ جنداً من رقيق الخس . وخرج عمرو ابن حزم الانصاري حتى أتى المصريين وهم يذبحون خشب حتى قدموا المدينة . فارسلوا الى عثمان : ألم نفارقك على انك زعمت أنك نائب من أحداثك وراجع عما كرهنا منك وأعطينا على ذلك عهد الله وميثاقه ؟ قال : بلى . أنا على ذلك . قالوا : فما هذا الكتاب الذي وجدنا مع رسولك وكتبته به الى عاملك ؟ قال : ما فعلت ولا علم لي بما تقولون . قالوا : يريدك على جعلك وكتاب كتابك عليه خاتمك . فقال : أما الجمل فمروني وقد يشبه الخط الخط والخاتم ينقش على الخاتم . قالوا فانا لا نمجد عليك وإن كنا قد اتهمناك . فاعزل عنا عاملك الفاسق واستعمل علينا من لا يتهم على دماننا وأموالنا واردد علينا مظلمانا . فقال عثمان : ما أراي إذا في شيء إن كنت استعمل من هويم وأعزل من كرهتم ، الأمر إذاً أمركم . قالوا : والله لنفعلن أو لنفعلن أو لنقتلن ، فانظر لنفسك أو دع . فقال : لم أكن لأخلف سرباً ولا سرباً لله . ٥١

والظاهر أن اختلاف القوم اليه وعرضهم المطالب عليه في مدة الحصار كان كثيراً ، وكذلك اختلاف الصحابة واعلامهم اليه وعرضهم مطالب القوم عليه والأخذ والرد في ذلك كان كثيراً متكرراً . دعا عثمان في تلك المدة بالاشتر فقال : يا أشتر ما يريد الناس مني ؟ قال : ثلاثا ايس من احداهن بد . قال ما هن ؟ قال بخيرونك بين ان تخلف لم أمرهم فتقول هذا أمركم فاختاروا له من شتم ، وبين ان تقص من نفسك ، فإن أبيت فإن القوم قاتلوك . فقال : أما من احداهن بد ؟ قال : ما من احداهن بد . فقال : والله لان أقدم فتضرب عنقي أحب الي من ان أخلف قيصاً قصنيه

الله وأترك أمة محمد يعدو بعضها على بعض . وأما إن أقص من نفسي ، فوالله لقد علمت أن صاحبي بين يدي كأنما يماقبان ، وما يقوم بدني بالقصاص . وأما إن تقتلوني . فوالله إنني قتلتموني لا تحابون بعدي أبدا ، ولا تُصلون جيعا أبدا ، ولا تقاتلون بعدي عدوا جيعا أبدا .

كان علي حين رجع الشاعبون إلى المدينة وقد قال عثمان وقال له : تبرم عثمان بمكانه ، فخرج علي من المدينة إلى خيبر فأقـم بها ، فما رأى عثمان شدة القوم عليه وعجز بني أمية عن مدافعتهم عنه وإن أهل المدينة خاذلوه حول على استقدام علي فكتب إليه بما رواه أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، وهو : أما بعد فقد بلغ السيل الزبي وجاوز الحزام الطبيين وبلغ الأمر بي أشد ، ثم غزل بهذا البيت :

فإن كنت مأكولا فكأن خير آكلٍ والا فأدر كني ولما أمزق

وقد رأيت خطابه صورة أخرى وهي : أما بعد فقد بلغ السيل الزبي ، وجاوز الحزام الطبيين وارتفع أمر الناس في شأني فوق قدره وزعموا أنهم لا يرضون دون دمي وطعم في من لا يدفع عن نفسه

وأنك لم يغير عليك كفاجر صعب ولم يقلبك مثل مغلب

وقد كان يقال : أكل السبع خير من اقتراس الثعلب فأقبل علي أولى - وفي رواية فأقبل إلى صديقا كنت أو عدوا -

فإن كنت مأكولا فكأن خير آكلٍ والا فأدر كني ولما أمزق

وكان طلحة قد تألف الناس في غيبة علي ، وهم يصدرون عن أمره سرا . فلما جاء علي وطلب إليه صرف الناس عنه . ذهب إلى طلحة في خلوة من الناس ، وقال له : يا طلحة ما هذا الأمر الذي وقعت فيه ؟ فقال يا أبا الحسن بعد ما مس الحزام الطبيين ، فأنصرف علي إلى بيت المال وأعطى الناس . فانصرفوا عن طلحة وانفضوا من حوله وسر عثمان بذلك ، وجاء طلحة إلى عثمان تائبا فقال : والله ما جئت تائبا ولكن جئت مغلوبا ، فوالله حسبك يا طلحة

اشتد الحصار على عثمان حتى متعوه الماء ولما أجهد العيش أرسل الى علي وأزواج رسول الله والى غيرهم فحاولت أم حبيبة زوج رسول الله ان تخلص اليه بما. فلم تقدر على ذلك. ولما سألوها عن دخولها على عثمان، قالت: ان وصايا بني أمية الى هذا الرجل، فأحييت ان الله فأسأله عن ذلك كيلا تم لك أموال أيتام وأرامل. فقالوا: كاذبة! وأهروا لها وقطعوا حبل البقرة بالسيف فندت بأم حبيبة، فتلقاها الناس وقد مالت رحلتها فتملقوا بها وأخذوها وقد كادت تقتل، فذهبوا بها الى بيتها. وتجهزت عائشة للحج هاربة واستتبعت أخاها فتي. فقالت أما والله لئن استطعت أن يحرمهم الله من محارون لأفعلن. ولأمر حنظلة الكاتب محمد بن أبي بكر في ان تدعوه عائشة أخته الى الحج فيأبى ويحبس ذؤبان العرب ويتبعهم الى مالا يصل فقال ما أنت وذاك يا ابن التميمية. فقال: يا ابن التميمية ان هذا الامر ان صار الى التغالب غلبتك عليه بنو عبد مناف، وانصرف وهو يقول:

صجبت لما يخوض الناس فيه يرومون الخلافة ان تزولا  
ولو زالت لزال الخير عنهم ولاقوا بصددها ذلا ذليلا  
وكانوا كاليهود أو النصارى سواء كلهم ضلوا السبيلا  
ولحق الرجل بالكوفة. وقد كانت عائشة ممثلة غيظا على أهل مصر<sup>(١)</sup>. وهي وان كانت ممن يقول في عثمان وكانت تقضب لما يلقى الشاغبون وتأتى به الاشاعات الا انها لم تكن تظن ان الامر يبلغ الى هذا الحد. وجاءها مروان بن الحكم فقال: يا أم المؤمنين لو أقت كان أجدر ان يراقبوا هذا الرجل. فقالت أريد ان يصنع بي ■ صنع بأم حبيبة ثم لا أجدر من بمنى لا والله، ولا أعبر ولا أدري الى ما يسلم أمر هؤلاء.

أما علي فلما رأى عثمان قد منع من الماء فجاء الى القوم في القدس وقال: يا أيها الناس، ان الذي تصنعون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين. لا تقطعوا عن  
(١) وثني الله لها لست ميل بعض أهل التغلب الى علي، فحبست بكنهم كرامة لعل

هذا الرجل المأذون فار الروم وفارس لتأمر فنتطم وقسقى، وما تعرض لكم هذا الرجل  
فيم تستحلون حصره ونفله ؟ قالوا لا والله ولا نفمة عين لا نتركه يأكل ولا يشرب  
فرمى علي بماءه في الدار ليملم عمان انه قد نهض فيما أنهض . وقد علم طلحة والزبير  
بما لقي علي وأم حبيبة فلزما بينهما ولم يحاولا إيصال شيء من الماء اليه

وفي أثناء الحصار أرسل عثمان عبيد الله بن عباس ليحج بالناس . ثم أرسل  
اليه بكتاب يقرأ على الناس يوم الحج الا كبر يعلمهم بما هو فيه من الحصار الشديد  
وان الناس بطلون دمه ولا يرضون بدونه . يستنهض من يريد نصرته على الحق  
بالمدينة اتفرج كرهه ، ففعل . وجعل عمان لا يبعد الا قليلا من الماء يؤتي به اليه من  
دار آل حزم في غفلاته ، لان القوم كانوا يرقبون دار آل حزم

أشرف بعد ذلك عثمان على الناس لما منعه الماء وسلم على الناس فلم يرد أحد  
عليه سلامه . فقال أنشدكم بالله هل تعلمون اني اشتريت بئر رومة من مالي يشتد ثوب  
بها فجعلت رشائي منها أرضاء رجل من المسلمين ؟ قالوا نعم . قال فما بمنعني ان اشرب  
منها ؟ ثم قال : أنشدكم بالله هل علمتم اني اشتريت كذا وكذا من الارض فزودته  
في المسجد ؟ قيل نعم . قال : فهل علمتم أحداً من الناس منع الصلاة فيه قبلي ؟ ثم  
ذكر لهم أموراً أخرى كانت من رضول الله له فجعل الناس يقولون مهلاً عن أمير  
المؤمنين . وكانوا اذا سمعوا الموعظة لأول مرة رقت قلوبهم فاذا تكررت لم  
تكن لتؤثر فيهم

استمر الحصار مستمداً الى ان علم القوم ان الحاج كادوا يمردون ووصل اليهم  
فصول من فصل من أهل الامصار لنصرة عثمان وكان أهل الشام قد انشقوا قليلا  
فاشفق أهل الفتنة ان يتجأوا بالفتنة قبل ان يخلصوا الى أمر وأيقنوا أنهم ان انصرفوا  
عنه دون ان يفوزوا بطلبهم فقد استهدفوا للبلاء وتعرضوا للحتوف فجدوا في أمرهم  
وأرادوا قتل عثمان فدافعهم من كانوا في الدار : الحسن بن علي ، وعبد الله بن الزبير



وابنا طلحة وغيرهم ممن وطئوا أنفسهم على نصره عثمان. فأحرقوا باب الدار وكف عثمان من معه عن القتال وعزم على كثير منهم في الانصراف الى بيوتهم فانصرف أكثرهم وكانت مناوشات بين بعض من في الدار وبين المشايخين كروان وعبد الله بن الزبير وغيرهم. وأراد القوم المعالجة فدخلوا على عثمان من دار جيرانه آل حزم وكانوا جماعة فيهم محمد بن أبي بكر الذي تقدم اليه مریدا قتله فأمسك بلحيته يؤنبه ويحركها في يده ، فذكره عثمان بأبيه وأنه لما كان أبو بكر يجلس هذا المجلس من عثمان ، فلم يصنع شيئا ، وتقدم الفائق فضربه بحديدة كانت معه وجاء سودان بن حمران ليضربه فأبكت عليه زوجته نائلة بنت الفرافصة ونقبت السيف بيدها ، فتممدها وفتح أصابعها فاطن أصابع يدها . ثم أهوى له بعضهم فضرب عنقه . ثم قالوا ما كان دمه ليحل لنا دون ماله فانتهبوه وأذاعوا خبر قتله بالمدينة وكانت مدة حصاره اثنين وعشرين يوما وكان قتله لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ٣٥ ( ٢٠ مايو سنة ٦٥٦ ) وذلك افتتاح التاريخ المشهور

هذا وقد قدمنا أن مدة الحصار كانت أكثر من هذا ، ولعل ما هناك عدد للحصار على عمومته ، وأما هذه اثنين وعشرين يوما فهو شدة الحصار

## ما قدم بأهل المدينة عن نصر عثمان

أليس عجيبا ان يأتي جماعة من أمصار مختلفة الى عاصمة الخلافة ودار الهجرة وجوار رسول الله يتألبون على الخليفة ثم يحصرونه وينتهي الامر بقتله ولا ينتطح في هذا الامر عزازان مع طول مدة الحصار وانفاس آجاء وامتداد الزمن واتساع العمل كل ما يمكن ؟ فما الذي قعد بالمهاجرين والانصار عن نصرته ، والعمل على كف الايدي عن ؟

والذي أقوله ان عثمان قد جرأ القوم على نفسه وأطمعهم في جانيه بما كان عنده من الرقة واللين وما رفقته من ضعف الشيخوخة وبما كان منه من الامور التي خالف بها الخليفتين قبله . ولا يجحد عنها جوابا مرضيا ولا مقنعا . وقد كان في مقدور المهاجرين والانصار لو كانوا راضين عنه ان يمنوه بمن اراده بسوء ويبددوا جهود المصريين الذين تولوا كبر هذا الحادث المشؤم . وما كان المصريون - وهم لا يزيدون عن ألف - ليعجزوا أهل المدينة ومن معهم من المهاجرين والانصار لو كانت قلوبهم مع عثمان

لا يعزب عنكم ما قدمته من انه كان في المدينة قوم يريدون الظهور على حساب الفتن والتفليات ، وآخرون من دونهم يرون الخليفة حائلا بينهم وبين الاعمال والامارة ، ويرونه يشغلهم بها الى ذوي رحمة وقرابته ممن لم يقدمهم من ولم تكن لهم سابقة ولا قدمة

أضف الى ذلك أموراً : منها ان عثمان لم يستن بسنة عمر في الاستشارة وأخذ رأى اعلام المهاجرين والانصار في كل جليل ودقيق من أمور المسلمين العامة ، بل كان عثمان يفتي بنصيحته واستشارته الى بني أمية وهم مسبقون غير سابقين ويقتدى بأوامرهم وينتهي الى مشورتهم . فلما رأى اعلام الصحابة وأهل الرأي انه أخرم وفيهم أنصاره ومن لا يرون له عليهم فضلا ، وانهم صاروا عنده كفتح الراكب : اشفقوا أن يكون الامر اثره واحشكرا وأن يجعل أمر المسلمين الى بني هروثة من بعده فاضاقت لذلك القلوب عليه وارتخت الايدي عن نصرته

كان اعلام الصحابة يرون انه يفيض الولاية على أهله دونهم ودون أبنائهم وان تفضيل قرابته انما كان لقرابتهم منه ، ويرونه يصل رحمه على حساب المسلمين ويجعل الامر دولة في بني أمية . ويرون انه يختصم بالنقل من الاخماس ولا يفعل ذلك مع غيرهم . ويمطى مروان الآلاف من مال المسلمين ولا يفعل ذلك مع أحد

سوى قرابته . وهو في كل ذلك لا يرد الأمر إلى أصحاب رسول الله ﷺ وجماعة المسلمين كما كان يفعل عمر

لهذا كله كان أهل المدينة - الا نفر منهم - يسميخون بأذنه إلى شكاية الشاكين وصحب الصاخبين ويميلون إلى موازرتهم على ما يشكون منه ولا ينكرون عليهم شكواهم . وكثير منهم كانوا يقومون في عثمان وفي أبيه من بني أمية ويجهرون له بذلك ويتوعدون به بالنكال . وكانوا يلزمونه باللقاب تحقير له . فكانوا يسمونه نعلك ، وهو اسم رجل قبلي طويل النحية كان بالمدينة . فكانوا يشبهون عثمان به في طول لحيته تحقير له

مر عثمان على جبلة بن عمرو الساعدي وهو في ندي فومه وفي يد جبلة جامعة ، فسلم فرد القوم الا جبلة ، فقال جبلة : لم تردون على رجل فعل كذا وكذا . ثم قال يا نعلك والله لا فلتك ولا حلتك على قلوب جرباء ولا طرح هذه الجامعة في عنقك أو لتقر كن بطانك هذه . فقال عثمان : أي طائفة ؟ فوالله اني لا تخير الناس . فقال : مروا ان تخيرته ومما يرية تخيرته وعبد الله بن عامر تخيرته وعبد الله بن سعد تخيرته ، منهم من نزل القرآن بنده وأباح رسول الله ﷺ دمه ، فانصرف عثمان وقد اجترأ عليه الناس بعد ذلك . قال الطبري : ثم جاءه مرة أخرى وعثمان على المنبر فأنزله

وقد خطب عثمان في بعض أيام الفتنة : فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين انك قد ركبت نهابير وركبتنا معك فتب تلب . ثم لما كان بعد ذلك خطب الناس فقام إليه جهماء الغفاري فصاح : يا عثمان الا ان هذه شارف قد جئنا بها عليها عبادة وجامعة فانزل فلندردك العبادة ولنطرحك في الجامعة ولنحدثك على الشارف ولنطرحك في جيل الدخان . فقال عثمان : قبحك الله وقبح ما جئت به . وكان ذلك عن ملأ من الناس

وكان الشاغبون يحتجون على عثمان بأمر ذكرنا بعضها ضمن رد عثمان وتورد  
عنا أشهرها مجتمعا ليكون القارىء على ذكر منها

(١) إمامة الصلاة في منى وعرفة مع أن رسول الله ﷺ وصاحبيه كانوا يصلونها  
على القصر (٢) زيادة النداء الثالث على الزوراء يوم الجمعة (٣) اخراج أبي ذر من الشام  
والمدينة إلى الربرة (٤) سقوط خاتم رسول الله من يده في بئر اريس (٥) افشائه  
العمل والولايات في أهله وبني عمه من بني أمية وما كان من الواليد بن عقبة من  
شرب الخمر (٦) صلته لأهله وبني عمه بالاموال واقطاعهم القطائع وحملهم على  
رقاب الناس (٧) استناده برأيه ورأيهم وترك المهاجرين والانصار لا يستشيرهم  
ولا يستمعونهم (٨) انه أعطى مروان خمس غزوة افریقیة (٩) انه وصل عبد الله  
ابن خالد بن أسيد بأربعمائة الف درهم (١٠) انه أقطع الحارث بن الحكم موضع سوق  
بالمدينة كان تصدق به رسول الله ﷺ على المسلمين (١١) انه أعطى أبا سفيان بن  
حرب مائتي الف درهم (١٢) انه زوج الحارث بن الحكم بنته عائشة فأعطاه مائة  
الف من بيت المال (١٣) انه حمى الحمى حول المدينة الا عن بني أمية (١٤) انه رد  
الحكم بن أبي العاص طريد رسول الله ﷺ إلى المدينة وأعطاه مائة الف درهم (١٥)  
بجاوزه الخبز ان إلى السوط وهو أول من استعمل السوط وضرب به ظهور  
الناس (١٦) تطاوله في البنيان حتى عدوا سبع دور بناها بالمدينة : لثلاثة زوجة دار  
ولعائشة بنته دار ، وأغيرها من أهله وبناته كل دار (١٧) ضربه عبد الله بن مسعود  
حتى كسر ضلعا من أضلاعه

ولا شك في أن هذه الأمور بعضها كان يحقده عليه المهاجرون والانصار وأهل  
المدينة وقد وام به الشاغبون وأتوا الناس من الناحية التي يحبون سماع القول منها  
وكان ذلك سببا لخللان أهل المدينة أيامه

ان عثمان كان له عذري كل شيء أخذوه عليه غير أن من الاعتذار ما يكون

وجهه واضحا بينا ، ومنها ما لا تقبله النفوس الا على مضض وهم انما كانوا يريدون منه في كل ما تقوموا عليه أن يسير فيهم بسيرة عمر بن الخطاب وأبي بكر ، حتى لقد نصحتهم أم سلمة زوج رسول الله بكلام طويل فقال لها « يا أمنا قد قلت فوعيت » ونصحتهم فاستوصيت . ان هؤلاء النفر رعايا غيرة تطافأت بهم تطافؤ المانع الدلاء وتلدت لهم تلدد المضطر فأراهم الحق اخوانا وأراهم في الباطل شيطانا . أجبرت المرسون منهم رسنه وأبلغت الرائم مسأله ودفروا على فرقا ثلاثا فصامت صمته انقذ من صول غيره ، وساع أعطاني شاهده ومعني غائبه ، ومرخص له في مده رينت على قلبه . فانا منهم بين السن ليداد وقلوب شداد وسيوف حداد . عذيري الله ، ألا ينهى منهم حليم سفيها ولا عالم جاهلا والله حسي وحبيهم يوم لا يبطون ولا يؤذن لهم فيعتدون

وعلى الجملة فإن قلوب أهل المدينة كانت عمرة بفضه ولولا ذلك لوجد من يحببه الطمان ويقضب لامير المؤمنين أن يعثر به بالادى هؤلاء الفجار الاشرار فغير ان نفسي غير مطمئنة الى أن يبلغ القبط بأصحاب رسول الله من عمان عليه أن يحلوا بينه وبين الشاغبين يريون دمه ويتذامرون عليه بالآثم والعدوان تذامر الايسار على الجزور . وان الامر لكما قتل عثمان لعلي « لو ان الامر أمر الجاهلية فقط ولم يكن الاسلام والاخوة لكان حفا عليك أن تنصرتي ولا تخذلي »

فعمان وقع بين عوامل كثيرة (١) الشاغبون وهم لا يتركون ما في رؤسهم دون انفاذه لان فشاها خطر عليهم (٢) أهل المدينة وهم بين خاذل ومساكت راض وقليل منهم يؤوبون ويعاونون عليه (٣) بنو أمية وهم يريدونه على المطاولة الى أن يصل المغنيون ويحملونه على انقض ما أكرم ، وكلما رأى طريقا للتفريج لا يحبونها حلوه على سدها (٤) عمان عطاوغة بطانته واحجاءه عن اعطاء القوم ما أرادوا وآيائه عن النزول عن الخلافة والقاء الامر الى الامة يدبرونه كما يشامون وكان في ذلك صيانة

دمه - ولقد كان له فيها إشارة عليه المغيرة بن شعبة مناص مما اتى لو قدر الله له ذلك ، فإن المغيرة بن شعبة اتى عثمان وهو محصور ، وقال له : يا أمير المؤمنين انك امام العامة وقد نزل بك ماترى . واتى أغرض عليك خصالا ثلاثا اختر احدها من : اما أن تخرج فتقاتلهم فان ملك عدواً وقوة وأنت على الحق وهم على الباطل . واما أن تخزق لك بلا سوى الباب الذي هم عليه ، فتقدم على رواحلك فتلحق بمكة فانهم لن يستحلوك وأنت بها . وإما أن تلحق بالشام فانهم أهل الشام وفيهم معاوية . فقال عثمان : أما أن أخرج فقاتل ، قلن أكون أول من خلف رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء . وأما أن أخرج الى مكة فانهم لن يستحلوني بها فأتى سمعت رسول الله ﷺ يقول « يا حذر جل من قرش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم » قلن أكون أنا . وأما أن ألحق بالشام فانهم أهل الشام وفيهم معاوية . فلن افارق دار هجري ومجاورة رسول الله ﷺ

## اجمال الاسباب التي أدت الى قتل عثمان

بعد ذلك التمهيد الذي قدمناه بين يدي قتل الخليفة عثمان بن عفان وشرحنا به احوال الامصار الاسلامية التي كانت سبيل تلك الفتنة أو كان السبب يستندون الى شيء كان فيها ، ارى ان أجمل اسباب قتل عثمان التي يمكن ان تستنتج من الحوادث والوقائع والاحوال التي قدمنا ليكون القارىء على ذكر منها

السبب الاول من الاسباب التي افضت الى قتل عثمان اختلاف رؤساء المسلمين فيما بينهم وتطلع الباقيين من أهل الشورى كل ليجذب الامر الى نفسه ، واختياره عن عداة بسبب ما وجدته كل واحد منهم من شيعة تؤيده ونحطبه في حبه وتريده عليها فلم يدافعوا عنه دفاعاً صحيحاً ولم يخذلوا عنه ، بل كان الساكت منهم يقرأ

القارىء في طي هذا السكوت منه كتباً مطولة - ولم يكونوا على اتفاق فيما بينهم وبين عثمان ولا على اتفاق فيما بينهم وبين بعضهم - ومعلوم أن الاسم والجماعات إنما تدار أمورهم العامة به - وس قليلة وبقية الناس لهم تبع - فإذا لم تكن هذه الرهوس متحدة في المبدأ والغاية صدرت الاعمال متناقضة متعاكسة بعيدة عن الذم والفلاح وإن اخلاف رؤساء المسلمين وعدم الاخلاص فيما بينهم هو الذي افسح مجال الدسائس والسعيات ، فإن اخلاص الرؤساء بعضهم لبعض وتعاونهم فيما بينهم على قضاء المصالح العامة يقطع على مريد سوء والفساد طريق الفتن والثورات فاما اذا انصدع الشمل وتحولت القلوب وحلت الكراهة محل المحبة والتحاسد محل التناصر ، انفسح المجال لرواد الفتن ومحبي الاضطراب . وعلى هذا كانت الحال في المدينة وهي حاضرة الخلافة ومجتمع رؤساء المسلمين والمرشدين منهم لولاية الامر فان من وقف على احوالهم وما كان يبدو على السطح من الكلمات الشديدة المؤنة في حق عثمان سواء في وجهه أو في غيبته يحكم صادقاً أن النفوس كانت منطوية على الضغن له . لذلك انسحوا الاقوال في عثمان الخيال ولم يته بعضهم بعضاً عن ذلك وكان بعضهم يكتب السبئية وأهل الشغب ويستقدمهم الى المدينة . وما كان يلقى مات لهم أن يحملوا معو لم على أهل الشقاق دون الاعلام من اصحاب رسول الله الذين في الامصار . ولكن الذين كتبوا يستقدمون أهل الشقاق إنما آثروهم لانهم يعلمون أن اعلام اصحاب الرسول في الامصار يكونون أكثر ثقباً وأقل اقداماً على الملايحل . وهم وإن كانوا يكتبون في السكتب الاستغاثة باصحاب رسول الله غير ان كتبهم إنما كانت ترد على فئة خاصة مشاقة قلما يكون فيها واحد أو اثنان من اصحاب رسول الله ذكر صاحب الامامة والسياسة ان حبيب بن عبد المزي قال : ارسل الى عثمان حين اشتد حصاره فقال : قد بدا لي ان اهتم نفسي لهؤلاء . فأت عليها وطلعة والزبير قتل لهم هذا أمرهم تولوه واصنعوا فيه ما شئتم . فخرجت حتى

جئت نائيا فوجدت على بابه مثل الجبال من الناس والباب مفلق لا يدخل عليه احد . ثم انصرفت فانيت الزبير فوجدته في منزله ليس ببابه احد فاخبرته بما ارسلني به عثمان . فقال قد والله قضى ماعليه امير المؤمنين هل جئت عليا ؟ قلت نعم فلم أحصل اليه . فقمنا جميعا فأتينا طلحة بن عبيد الله فوجدناه في داره وعنده ابنه محمد فقصصنا عليه ما قال عثمان . فقال قد والله قضى ماعليه امير المؤمنين . هل جئتم عليا ؟ قلنا نعم فلم نحصل اليه . فارسل طلحة الى الاشتر فأتاه فقال اخبره فاخبرته بما قال عثمان . فقال طلحة وقد دمعت عيناه قد والله قضى ماعليه امير المؤمنين . فقام الاشتر فقال : تبعثون الينا وجاءنا رسولكم بكتابكم وهامو ذا . فخرج كتابا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من المهاجرين الاولين وبقية الشورى الى من بعصر من الصحابة والتابعين . أما بعد ان تعالوا الينا وتداركوا خلافة رسول الله قبل أن يسأبها أهلها . فلن كتاب الله قد بدل وسنة رسوله قد غيرت وأحكام الخلفيتين قد بدلت فنشد الله من قرأ كتابنا من بقية اصحاب رسول الله والتابعين باحسان الا اقبل الينا وأخذ الحق لنا واعطانا فاقبلوا الينا ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، واقسموا الحق على المنهاج الواضح الذي فارقم عليه نبيكم وفارقكم عليه الخلفاء . قبلنا على حقنا واستولى على فيثنا وحبل بيتنا وبين امرنا وكانت الخلافة بعد نبينا خلافة نبوة ورحمة وهي اليوم ملك عضوض من غلب على شيء . أكله . أليس هذا كتابكم الينا ؟ وقال الطبري إن عثمان رمى بوصيته الى الزبير فآخذها وانصرف . وفي الزبير خلاف هل ادر كه مقتل عثمان أو خرج قبله . وقال عثمان : يا قوم لا يجرمنكم شيء ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم بعيد . يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود . اللهم حل بين الاحزاب وبين ما يملكون كما فعل باشباعهم من قبل . وبعثت ليلى



بنت عبس الى محمد بن ابي بكر ومحمد بن جعفر فقالت : ان المصباح ياكل نفسه  
ويضيء للناس . فلا تأثما في امر تسوقاته الى من لا ياتم فيكما . فان هذا الامر الذي  
تجادلون اليوم لغيركم غدا . فاقوا الله ان يكون عملكم اليوم حمرة عليكم . فلجأ  
وخرجا مضطحين يقولان لا تنس ما صنع بنا عثمان - وتقول ما صنع بك الا ما الزمكا  
الله . فلقيهما سعيد بن العاص وكان بينه وبين محمد بن ابي بكر شئ . فأنكره حين  
اقيه خارجا من عند ليلى فتمثل له في تلك الحال بيتا :

استبق ودك للصديق ولا تكن فينا يعض بمخاذه ملجاجا  
فأجابه سعيد متمثلا :

ترون اذا ضربا صميما من الذي له جانب فاه عن الحرم معور  
ولما قدم السابق من الحاج بسلامة للناس . أخبر أن الناس جميعا يريدون  
المصريين وأشباعهم وانهم يريدون أن يجمعوا ذلك الى حجمهم . فلما اتاهم ذلك مع  
ما بلغهم من نفور أهل الامصار أهانهم الشيطان . وقالوا لا يخرجنا عما وقعنا فيه إلا  
قتل هذا الرجل فيشتغل بذلك الناس عنا ولم يبق خصلة يرجون بها النجاة الا قتله  
فراؤوا الباب فتمهم من ذلك الحسن وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان بن الحكم  
وسعيد بن العاص ومن كان من أبناء الصحابة أقام معهم واجتلدوا فناداهم عثمان :  
الله الله أنتم في حل من نصرتي فأبوا ففتح الباب وخرج معه السيف والفرس  
لينهزمهم ، فتراجعوا وعظم على الفريقين وأقسم على الصحابة ليدخلن . فأبوا أن  
ينصرفوا فدخلوا فأغلق الباب دون المصريين . وقد كان المغيرة بن الاخنس بن  
شريق حين حج ثم تمجل في نفر حجوا معه فأدرك عثمان قبل أن يقتل وشهد  
المناوشة ودخل في الدار فيمن دخل وجلس على الباب من داخل وقال : ما عذرنا  
عند الله ان تركناك ونحن نستطيع أن لاندعهم حتى نموت . فالتفت عثمان القرآن  
تلك الأيام تحييا بصلى وعنده المصحف فاذا أعياء جلس قترا فيه ، وكاتوا يرون

القراءة في المصحف من المادة .

وقد أثرت كلمات في حق عثمان عن كثير من كبار المدينة ، كما قدمنا . كل ذلك يقال ويفعل من غير بيان للاسباب التي أدت بهم الى مثل ذلك بيانا شافيا ومن غير نظر الى ما تحدثه كلماتهم بين العامة وبخاصة اذا صادقت آذاننا مصفية من مهيجين مثيرين

السبب الثاني — يقول زهير بن أبي سلمى :

ومن لم يند عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم  
وقد كان عثمان رجلا قد استولى عليه من الاخلاق الحياء واللين : أما حباؤه فكان مشهورا به في الجاهلية والاسلام ، وقد قال في حقه رسول الله ﷺ : ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة ؟ ومعلوم أن خلق الحياء يحمل صاحبه على الاغصاء عن كثير مما يكره . وأما اللين فدفع اليه أنه يحب السلامة والمأدبة ويكره الفتن ويخاف أن يكون فاتح بابها على الامة وينشأهم من كل أمر يظنه مؤديا اليها . وهو في كل كتبه وخطبه يحذر الناس الفتنة ويأمرهم بتوقي أسبابها وينهاهم عن التورط في حبايلها . حتى ان خطبته التي قلها على المنبر لأول مرة لم تخل من ذكر الفتنة ومخباتها وما تستعقب من وبال والتحذير من ذلك

أما اطلاق الاول وهو الحياء فدعاء الى التسامح مع من يتأله بالاذى أو يقصده بالسوء فلا يوجه الى أحد من المعتدين كلمة تسوؤه . لأن صاحب هذا اطلاق يحجل أن ينسب اليه قبيح ولو كان دفاعا ويحب أن يؤثر عنه الجليل من القول والعمل ولم من مرة قد جهد عثمان أن يخرج نفسه عن سيرته الاولى ليكيف الناس عنه ويهابوا جانه ولكن تأتي الطباع على الناقل . وهذا اطلاق الكريم لا يحسن إلا بالتسمتين وفلاسفة الاخلاق ومن نصبوا أنفسهم ليكونوا قدوة للناس في العفو والصفح . وأما أهل الحكم والسلطان والقول النافذ في الرعية فانهم يحتاجون الى هيبه تملأ القلوب

وتقف بالناس عند حد الاجلال لم والاعظام لشأنهم والا كساراة مهم  
ولا خير في حلم اذا لم تكن له بوادر نحو صفه أن يكدرها

هذا عمر بن الخطاب - قد جاءه سعد بن مالك وهو يتسر العطاء ينحني الناس  
ويفرقهم حتى خلص اليه مدلاً بعداً له من سابقه وحسن بلاه فلم يحجز ذلك عمر أن  
خفقه بالدرة وقال له : جئت لاتهاب سلطان الله فأحييت أن أعلمك أن سلطان الله  
لا يهابك . فالسلطان أحوج الناس الى قوة تنجي عنه الضعف وتكسب به عن الذلة .  
وهنا لم يكن له حفظ من القوة الثلاثة بسلطان الخلافة

أما خلق الذين فقد قبض يده عن زعماء القديسين وقادة المشايخ الذين رفعوا  
اليه وثبت عليهم أنهم انما قدموا للمشاقة والفتنة فلم يبتدوا ولم يمتقاب بين آثار ذنوبهم  
على صفحات جنوبهم . وقد كان في مقدوره أن يقطع أعناق الفتنة بكلمهم وقد  
أمكنه الله من نواصبهم . ولما أراد مشاورة ولاته في تلافي الخطر - أشاروا عليه بما  
في بعضه مقنع وحسم لمادة الداء لو أخذ الامر بالحزم ولم يل الى جانب المحز - فلم  
يبدأ بالقول . ولم يقر ما خلقوا من خطية الجسد . بل اختار جانب الذين خشية أن يكون  
فانحاً باب الفتنة التي كان شبحها يخيفه في كل حركاته وسكناته - واجترأ من نكال  
محركي الفتنة ومنيري عجاجها بأن احتج لنفسه وأبدى عنده في كل أمر جاءوا  
لأثباته عليه في حين أنهم جماعة قد يبتوا الامر واختار في نفوسهم زمناً . والجماعة  
لا يمكن أن تؤثر في نفوسهم الاقوال المعقولة والبراهين الفاضلة اذ الجماعات في العين  
شخص أهم من الموعظة معص الى التهييج متلبس لفعل الشر . والجماعات أعما تهاب  
القوة وتخضع للقسر والقهر فهي معبودها الاول ودينها القوي تدن له . فزاد عنان  
الامر باعتذاره إلا فساداً وقوى فيهم الجرأة عليه والاقدم على مساخطه . والقوم  
ليسوا بطلاب حق تنفعهم الذكرى وتقيمهم الحجة على المحبة وانما هم طلاب شر  
يتطلبون الطريق اليه كلما أعجزهم باب التمسوا غيره . فضمنه هو الذي جراًهم عليه

السبب الثالث : - ماخالف به عثمان صاحب عمر في اعلام قريش . فان عمر كان يحجر عليهم في المدينة فلا يسمح لهم أن يفارقوها إلا باذن وأجل فلما جاء عثمان صبح لهم بذلك . وكان هذا مما حبه اليهم أكثر من عمر - ولكن هذا الصباح قد جرى على عثمان وترتب عليه ما كان يحذره عمر . فانه قد اجتمع الى اعلام قريش أناس من لا سابقه لهم في الاسلام والمتصوا بهم وتقرىوا اليهم مقدرون أنه اذا أفضى الامر اليهم في يوم من الايام كانوا أقرب الناس اليهم فبه بذلك ذكهم وطار لهم صيت وجرت أسماؤهم على الاسنة

يشهد لذلك أن أهل البصرة كانوا يحطون في حبل طاحنة ويجهدون في أن يلب الخليفة بعد عثمان ، وكان أهل الكوفة يريدون الزبير بن العوام . ولولا اضطراب هؤلاء الزعم في الامصار أيام عثمان ما كان لواحد منهم شية في بلد من البلدان لا شك في أن علياً لم يهبط الى مصر ولا الى غيره من البلاد . غير أنه كان له دعة متطوعون له بالدعوة يشيدون بذوره ويرجون أمره فيها وهم عبد الله بن سبأ الذي استفسد الناس باسمه وأدخل على الأمة ضرباً من الاطساد على حيايه . ومحمد بن أبي بكر ربه فبن أسماء بنت عميس زوج أبي بكر تزوجت بعده بجلي بن أبي طالب وابنها محمد بن أبي بكر صغير فر في حجرها ورياه علي فكان له كالوالد . فلما سقط الى مصر أدى الى محمد بن أبي حذيفة وعنده من الخلق على عثمان ما أكل صدره ومحمد بن أبي بكر وتور من عثمان لما قدمنا واتحدما في عداوة عثمان بوحده وجهتهما فكانا على الخط على عثمان وتمهيد أمر علي ولا يبعد أن يكونا أو أحدهما قد استعمل اسم علي في التآليب على عثمان وإثارة الثورين عليه وعلي لا يعلم ذلك ، فقد حلف أنه ما كتب للمصريين كتاباً ولا دعاهم . ولما قدمنا كان هوى أهل مصر في علي بن أبي طالب فلم تكن مطالب أهل الامصار إلا نتيجة لازمة لما سامع به عثمان وانقطاع العامة الى أولئك الاعلام أو الى من هو سبيل منهم وجاء أن يكون لهم شأن نابه وصيت طائر اذا انتقلت الخلافة من عثمان الى صاحبهم

لهذا لما تم الامر لعلي بن أبي طالب صاحب المصيرين ولم يتم للآخرين اجتماعه عليه وحاربه وجودا في نقض بيعته والتأليب عليه . وقد قل الاستاذ الخضري : لا يمكن من قرأ تفصيل الحوادث التي سبقت قتل عثمان أن ينفي عن أعلام قريش تطلعهم الى ولاية الامر . وأمكن من الصعب أن يثبت على أحدهم اشتراك حقيقي مع المتأمرين . والذي يؤخذ عليهم هو موادتهم في القيام بنصرة عثمان خليفة المسلمين واسترسال بعضهم في الأقوال التي تخط من قدره حتى وقت اشتداد الازمة وعلى مسمع من رؤساء الثائرين الذين يشته هياجهم بمثل هذه الكلمات

السبب الرابع - هذا السبب أسوقه من محاضرات الاستاذ الخضري مع ما يمكن أن يعرض من استغراك أو تفصيل أو توضيح مما أراه :

سبوة التأثير في الجماعات حتى أتوا من قبل ما يهرون وما يحبون . وهم في هذا الحال لا يصطبرون حتى ينتشروا <sup>١</sup> ينفي عليهم . بل سرعان ما يصدقونه ويأمنون له ان كان مؤلما ويسرون ان كان ساراً . وقد كان الناس مسلمين يحبون نبيهم أكثر مما يحبون أنفسهم ، عرباً يحبون العدل والمساواة ويظربون لذكرها . وقد ذوقهم عمر حلاوة ما يشقون من الحرية والعدل والمساواة وفوي ذلك في نفوسهم . فجاء ذلك الشيطان عبد الله بن سبأ الى القوم من الجهة التي يأنفونها وهي نقطة ضعفهم وصار يضع لهم الكلام في تعظيم الرسول وأهل بيته ويسوهم علي بن أبي طالب ووسمه بأنه وصي رسول الله ﷺ كما كان لكل نبي وصي . وأنه من الحق الواجب أن يعطى الامر لصاحب الحق لان من اجترأ عليه فأخذه منه ظالم غاشم . ثم أخذ يذيع ما يندسه مسحاً لعلي بن أبي طالب حتى سما به الى درجة لم يطلبها علي لنفسه وتخطى به طوره الى أن وضعه موضع الألوهية . وغير هذا الامر الاخير من الكلام يسهل ادخاله في القلوب وبخاصة اذا كان قد سبقه شيء من الضغينة على من يندسه أمر الخلافة - ولذلك نرى هذا الرجل كان يتبع من أصابه من ولاية عثمان أذى في

نفسه أو ماله ، ويفضي اليه عارتيه من القول وهيأه من الاذاعة . ثم جادهم من قبيل العدل والمساواة وهي كلمات طنانة يوظفها الجمهور ويصفى اليها الناس . حتى اذا ما أيقن أنه استهوى القوم بما نفث من الرقي ، أخذ يطمئن في أمراء عثمان مرة بأنهم شبان ، ومرة بأنهم من ذوى قرباه ، وأخرى بأنهم ظلمة يسومون الناس خسفاً . والموتورون — الذين كانوا يوازرونه ويؤيدونه لاغراض في أنفسهم — تلقفوا الامر بمحقق ، واشتغلوا به بمهارة . فصارت شيعتهم في كل مصر تكتب الى المصر الآخر بما عندهم من المحزفات التي يتريدون فيها ما شاءت لهم ضغائنهم وأهوازهم . فيقرأ كتابهم على العامة علناً فيستغيثون بالله مما حل باخوانهم ، ويقولون : نحن في عافية مما ابتلي به هؤلاء الناس . وهم لا يعلمون أن اخوانهم بالمصر الآخر يتوجهون لهم ويحمدون الله على العافية مما أصيبوا به . بذلك كله نبهاً لهم أن يوغروا صدر العامة ممن يجتمع عليهم ، وليس لشيء مما يكتبون صحة . فقد كانوا يعميون معاوية . وهذا لم يوجد عثمان بل ولا رسول الله ﷺ وولاه أبو بكر وولاه عمر . ولم ير من العمال من استمر موثقاً به من عمر حياته كلها إلا أفرأحاً قليلين منهم معاوية ابن أبي سفيان . فقد كان والياً من أول حياة عمر الى آخرها . وكانت الشام أعذب ولايات المسلمين وأهدأها . وأني لم أقف لهم في معاوية على عيب أو عمل منقذ إلا ما قالوه في مسألة أبي ذر . والمنصف يرى أن همل أبي ذر وقوله فيما دعا اليه لم يكن فيه مصيباً . بل هو يدعو الى الشقاق والخلاف والتكالب على الدنيا والاسهام في المال لمن لا يستحق . وكانوا يعميون عبد الله بن أبي سرح لا لأنه ظالم أو جائر ولكن لامر آخر وهو أن النبي ﷺ كان قد أهدر دمه يوم الفتح ﷻ كان من رده ثم استوهبه منه عثمان وأتى به ثائباً مسلماً فعفا عنه . ومعلوم أن رسول الله ﷺ كان اذا عفا غاماً أسبل على الذنب ستراً لا يكشف وليس عبد الله بن سعد فيما أتى بأكثر من العدد الجرم من الشاغبين اذ ارتدوا مع قبائلهم عقب وفاة رسول الله ﷺ . فهم يعميون عليه

شيئاً أكثرهم أحدث عهداً به منه . وكانوا يعيبونه بتولية الوليد بن عقبة ، وعثمان لم  
يتنبدى بتوليته . ولسكنه كان والياً لعمر من قبله على الجزيرة وإنما نقله عثمان منها  
الى الكوفة . فلما جاءها كان أحسن وال سيرة الى أن شغبوا عليه وشهدوا عليه  
بشرب الخمر شهادة لا يعلم إلا الله ان كانوا قد يروا بها أو تجروا خده وعزله عنهم .  
وقد استضاف على رأي من عد ذلك على عثمان . وقال ما معناه لا تكن كن يطمئن  
نفسه ليصل بالظئنة الى رديفه ليقتله ! ما لعثمان ولوليد ؟ وما ذنبه ان عثمان قد ولي  
الوليد ؟ فلما استوجب الخدم وعزله فما ذنبه فيما كان عن ملامنا ؟ وكانوا  
يعيبون سعيد بن العاص وكان باعتراف أهل الكوفة من أجود العمال في عمله وأشدهم  
تحريراً للعبد والتسقط فلم تكن هذه المذام : الامور التي يشجون بها على العمال موجبة  
بحق لرفع جور أو إزاحة حيف الله وإنما كان يقصد بها الذائير في قلوب الناس وهم  
يتأثرون بسرعة من مثل هذه الاقوال دون احتياج الى دليل أو برهان لان الأدلة  
والبراهين والحجج العقلية والنتائج المنطقية لا تؤثر في عقول الجماعات ولا تتفق معها  
وقد ساعد على استفحال الشر أولياء الامر وأصحاب الرأي في الامصار اذ لم  
يبادروا الشر قبل استفحاله وبأخذوا الخبيطة من تفاقم الفتنة . لان أمراء الخليفة لم  
يكن لهم مثل هذا السلطان . والخليفة آخذ على أيديهم مشفق أن يبسطها فيفتح  
عليه باب الفتنة الذي يسعى الى سده جهده حذراً من أن يأمر بذلك ، فضاعت  
« مصلحة الامة » . واذا أردنا أن نحمل الناس في ذلك الوقت تبعه أعمالهم وجدنا  
عثمان أقلهم تبعه في ذلك لان الحلم واللين لم يكونا في زمن من الازمان مما يتجى به  
على أدلى الامر والتبعة بحملها من مهدوا السبيل لذلك التنجى

هذا رأي الاستاذ الحضري ومن رأي ان عثمان يحمل قسطاً ليس بالقليل في شأن  
تلك الجاية لانه اذا كان قد عرف من نفسه الرقة واللين فكان الاجدر به أن يترك  
الامر لغيره . ولا ينكب الامة بقتله ولا ينفجها هذه الفجيعة الحارة المرة

وقال صاحب أشهر شاعير الاسلام : « وأما افضاؤه الى بني أمية بأموره دون غيرهم من أهل الشورى والسابقين واستشارهم بالسلطة واقتطاعهم الامور دونه فهو الامر الذي اهتزت له أعصاب المهاجرين وحفر عاقبته عقلاء المسلمين خوفاً اضطباغ الدولة بالصفة الأموية . . . ومع تأكد عثمان من عدم رضا المسلمين عن استسلامه لأولئك الذفر من أهله وعشيرته وان أكثر ما هاج المسلمين عليه تسلط هؤلاء عليه واستشارهم بالامر الذي لم يكن لهم خاصة بل هو اسكل المسلمين لا سيما أدلى السابقة منهم والمهاجرين . فقد كان حرباً على أن لا يتخلى عنهم ولا يجيب ملتزم الامة ( من الظلم أن نقول الامة ولكن الاولى أن يقال أهل الفتنة ) فيهم . وليس لهذا الاصرار على ما يظهر لنا من سبب الواحد أميرين : اما لان قومه استلأوا جانبه واستضعفوه فقلبوا على رأيه فيهم ، واما لانه أحسن منذ عهد عمر السنته ووقوع الاختيار عليه يظهر تحزب بين الشعب وتسمع يجر الى الاختلاف عليه والكيد له . نخشى إن هو انفرد عن قومه وقاطع أهله وعشيرته أن يتوئب عليه عمال الامصار فلا يجد دون أهله عاصماً مما يأتيه من قبل المتوئبين عليه فاستمسك بدوي قرابته وولاهم على الامصار فلما كثرو الارجاف بهم والطعن عليهم وورغب اليه الناس في عزله زاد به القلق من جهة ما كان يخامره من الشك في الشيع قولى شكائهم ظهرو وأصر على بقاء الولايات في ذوي قرابته وركن اليهم واعتمد في الامور عليهم فكانت له ولهم اثره أنكرها عليه الصحابة وعلى ولاته أشد الانكار ونفزع القاترون عليه بتلك الاحداث الى خلعه تخلصاً من سلطان أهله وكانت الاثره هي السبب الاول في استفحال امر الفتنة التي لما اشتدت نارها واشتعل أوارها أصبح اطفالها خارجاً عن بطوق كبار الصحابة وقادة الناس . وربما ندموا حينذاك على ما تقدم ولات ساعة مندم . أخرج ابن عساکر عن الازاعي أنه قال : قيل لعلي بن أبي طالب :



أقتل عثمان مناقاً ؟ قل لا ولكنه ولي فاستأثر وجزعنا فأسانا وكل من يرجع الى حكم عدل . فان تكن الفتنة أصابتنا أو خبطتنا فما شاء الله اه  
ومن الغريب بعد ذلك أن تبقى هذه الحادثة سبباً دائماً لتفريق كلمة المسلمين . ففي بعض الاحيان فرقة عملية تقوسط فيها السيوف والاسنة ، وفي بعض الاحيان فرقة كلامية تنتهي دائماً بعداء ونفور . وليس ذلك الا لان المسألة ألبست ثوب الدين وكل حاول الوصول بما يشته وما يختلفه الى فرض من الافراض . ولو نظرنا الى المسألة بنظر صحيح لقلنا : خليفة من خلفاء المسلمين غضب عليه بعض رعيته بعضهم سبوا القصد والبعض الآخر تابع لهم ثم قاموا عليه وحصلوه وقتلوه بشكل وحشي لا يتفق مع أصول الاسلام . ثم تحكم بانهم أخطأوا خطأ عظيماً ثم ذهبوا الى من له الحق أن يدينهم ولم يبق منهم يمكننا الانتقام منه لسوء قصده أو نيين الصواب له لخطئه . وغاية الأمر ان الباقي لنا من كل ذلك هو الاستفادة مما كان . فالماقل هم أن يتعلم ويفهم لا أن يحقد على قوم لم يبق منهم باقية

لا يمكن حماية الامة من أصحاب المقاصد السيئة الذين يريدون فتنها وتبليغها لغور مصلحتها الا ان كان فيها من العقلاء من يحترم رأيهم وتسمع كلامهم فانهم يصرون قومهم بما يعود عليهم بالخير والفلاح وكل أمة فقدت هؤلاء السراة العقلاء سهل على مثل ابن سبأ ومن لف لفه أن يفتنوها ويلفتوها عما يصلحها ويجمعوا بأسها بينها شديداً . وهم في كل زمن كثيرون فما ظنك بالامة اذا كان سراتها ممن يساعد على فتح باب الشر باغضائه وتهاونه . ان الشر حينئذ يكون مستطيراً والبلاء عظيماً وسيمر بنا في التاريخ من ذلك شيء كثير

## قبل الحصار

أخلص هنا رواية الطبري الى محمد بن مسلمة — قل : خرجت في نفر من قومي الى المصريين . وكان رؤسائهم أربعة : عبد الرحمن بن عديس البلوي ، وسودان بن حمران المرادي ، وعمرو بن الحق الخزازي — وقد كان هذا الاسم غلب حتى كان يقال جيش ابن الحق — وابن التباع . فدخلت عليهم وهم في خياب لهم أربعتهم . ورأيت الناس لهم تبعاً . فمظمت حق عثمان وما في رقابهم من البيعة . وخوفهم الفتنة . واعلمتهم ان في قتله اختلافاً وأمرأ عظيماً . فلا تكونوا أول من قتمه . وأنه ينزع عن هذه الاتصال التي تميم عليه فيها ، وأنا ضامن لذلك . قال القوم : فإن لم ينزع ؟ قلت : فامركم اليكم . فأنصرفت عن القوم وهم راضون

رجعت الى عثمان فقلت : اخطي . فاخلاني . فقلت : يا عثمان ، اتق الله في نفسك . فان هؤلاء القوم انما قدموا يريدون دمك . وأنت ترى خذلان أصحابك لك . لا ، بل هم يقوون عبدك عليك . فاعطاني الرضا . وجزاني خيراً . أقمت ما شاء الله أن أقم . وقد تكلم عثمان برجوع المصريين . وذكر أنهم جاءوا الامر بفباغهم غيره فأنصرفوا . فأردت أن آتيه لأعتفه ثم أمسكت . فإذا قائل يقول : ان المصريين قدموا وهم بالسويداء . فأرسل الي عثمان فقال : يا أبا عبد الرحمن هؤلاء القوم قد رجعوا فما الرأي فيهم ؟ قلت لا أدري الا أني أظن أنهم لم يرجعوا لخير . قال : فارجم اليهم فأرددهم . قلت : لا والله ما أنا بفاعل . قال : ولم ؟ قلت لأنني ضمنت لهم أموراً تنزع عنها فلم تنزع عن حرف منها فقال : الله المستعان

جاءني ابن عديس ومعه سودان بن حمران وصاحباه ، فقالوا : يا أبا عبد

الرحمن ألم تعلم أنك كلفتنا ، ورددتنا ، وزعمت أن صاحبنا نازع عما نكره ؟ قلت  
إلى . فإذا هم يخرجون إلي صحيفة صغيرة في قصة من رصاص يقولون وجدنا  
بجلا من ابل الصدقة عليه غلام عثماني ، فأخذنا متاعه فندشناه ، فوجدنا فيه هذا  
الكتاب . فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد . فإذا قدم عليك عبد  
الرحمن بن عديس فأجلده مائة ، واحلق رأسه ولحيته ، وأطل حبسه ، حتى يأنيك  
أمري . وعمر بن الحنف ففعل به مثل ذلك . وسودان بن حران مثل ذلك .  
وعروة بن الدياع مثل ذلك . قلت : وما يدريكم أن عثمان كتب هذا ؟ قالوا : فيمنات  
روان على عثمان بهذا ؟ فهذا شر . فيخرج من هذا الأمر . ثم قالوا : انطلق  
معنا إليه ، فقد كلمنا عالياً ووجدنا أن بكلمه إذا صلى الظهر . وذكروا أنهم  
كلموا فلاناً من أصحاب رسول الله فأبوا أن يكلموا عثمان

قال محمد بن مسلمة : ثم دخلت عليه أنا وعلي ، فقلنا : ان هؤلاء المصريين  
بالباب ، فاذن لهم . ومروان عنده جالس . فقال : دعني جعلت فداك اكلمهم .  
فقال عثمان : رض الله فك . وما كلامك في هذا الأمر ؟ فخرج مروان . وجعل علي  
يخبره ما وجدوا في كتابهم . فجعل عثمان يقسم بالله ما كتب ولا علم ولا شور فيه  
وصدقه محمد بن مسلمة . فقال علي : فادخلهم ليسموا عندك . ثم أقبل عثمان على  
علي يقول له : ان لي قرابة ورحماً ، والله لو كنت في هذه الحلقة جالسا هنا ،  
فاخرج إليهم فكلمهم فأنهم يسمون منك ، فإني علي . ودخلوا فقالوا : سلام  
عليكم ولم يسلموا عليه باخلافة . ثم قدسوا في كلامهم ابن عديس . فذكر ما صنع  
ابن سعد بمصر . وذكر تحاملا على المسلمين وأهل الذمة . وذكر استشاراً منه في  
غنائم المسلمين . فإذا قيل له ذلك قال هذا كتاب أمير المؤمنين إلي

ذكر واعم ذلك أشياء مما أحدث بالمدينة وما خالف به صاحبيه ، وأنهم رحلوا

من مصر لا يريدون الا دمه او يتزعج ، وان محمد بن مسلمة ردهم وضمن لهم  
 النزوع عن كل ما تكلموا فيه . ( وصدقهم محمد بن مسلمة ) . قالوا : ثم رجعنا  
 الى بلادنا فنسظر بالله عز وجل عليك ويكون حجة لنا بعد حجة . حتى اذا كنا  
 بالبويب . أخذنا غلامك : فأخذنا كتابك وخاتك الى عبد الله بن سعد تأمره فيه  
 بجعل ظهورنا والمثل بنا في أعمارنا وطول الحبس لنا ، وهذا كتابك . قل عثمان :  
 والله ما كتبت ولا أمرت ولا شورت ولا علمت . قل محمد بن مسلمة : فقلت  
 وعلي جميعا : قد صدق . فاستراح لما عثمان . قل المصريون : فمن كتب : قل : لا  
 ادري . قالوا : أفبجترأ عليك ، فبعت غلامك ، وجعل من صدقات المسلمين ،  
 وينتس على خاتك ، ويكتب الى عاملك بهذه الامور العظام وانت لا تعلم ؟ قال  
 نعم . قالوا فليس مثلك بلي . اخلع نفسك من هذا الامر كما خلعتك الله منه . قال :  
 لا أنزع قميصاً البسنيه الله عز وجل . وكثرت الاصوات واللفظ . فاكثرت أظن  
 أنهم يخرجون حتى يواتبوه . وقام علي فخرج وخرجت معه وقال للمصريين :  
 اخرجوا . فخرجوا . ورجعت الى منزلي ورجع علي الى منزله . فابرحوا محاصريه  
 حتى قتله

اذا سلطنا رواية محمد بن مسلمة هذه جاءتنا امور وهي محل العجب وموضع

الغربة

هذا غلام عثمان حاضر بالمدينة ، وجعل الصدقة الذي وجده المصريون  
 والغلام عليه موجود . فابال عثمان لا يسأل الغلام عن الشخص الذي سلم اليه  
 الكتاب أو الظرف وهو فيه ؟ وما باله لا يسأله عن أمره بالسير الى مصر . وعن  
 الذي أعطاه جل الصدقة . وما باله لا يسأل القيم على ابل الصدقة عن أخذ ذلك  
 الجمل . ولم أخرجه منها بدون اذن أمير المؤمنين ؟ في هذه الحال كان يتبين

الذي افتعل الكتاب . والذي وجه بالغلام الى مصر . وحينئذ يعرف المصريون  
أين تأرم وحينئذ يقع عليه الجزاء العادل . ويعاقب بنفس المقاب الذي تضمنه  
الكتاب

غير ان عثمان لم يفعل . وحينئذ يكون مدفوراً من يثمه بالتهاون

## كيف قتل عثمان؟

رأى الشاغبون انه لا مفر لهم من احد امرين ليأمنوا على أنفسهم . أحدهما  
أن يخلف عثمان نفسه من الخلافة فيكون ذلك سبباً لمزل عماله من الخليفة الجديد  
حتى لا يسطلمهم العمال اذا رجعوا الى بلادهم . ثانيها : قتله وذلك يستتبع تغيير  
عماله قطعاً فيمنجو كل واحد من المقاب . فلما طال مدة الحصار ولم يجدوا  
الاحتجاج على عثمان والفرود عليه مرة بعد اخرى وأحسوا عودة الحاج وفصول  
من فصل من الامصار لا غائته وان ذلك متى تم خرج الامر من أيديهم ، وفي ذلك  
نكالهم ، هموا بالدخول عليه واقتحام داره من بابها ، فاحرقوا الباب وقاتلهم من  
كانوا بالدار لحاية عثمان غير مصفين لهيبه ايام عن القتال ، وكان منهم المغيرة بن  
الاحنف بن شريق والحسن بن علي ومحمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير ومروان  
وأبو هريرة وغيرهم وكان بين الفريقين قتلى وجرحى على باب الدار

ورأى اولئك المحاصرون أن اقتحام الدار من بابها يكلفهم ثمناً غالياً فافتحموا  
دار عثمان من غير بابها . بل تسوروا عليه من دار الالصة لداره وهي دار عمرو بن  
حزم حتى ملأوا الدار ولا يدري من بالباب . فدخل عليه رجل فقال اخلفها  
وندعك فقال ويحك والله ما كشفت امرأة في جاهلية ولا اسلام ولا قنيت ولا

عنيت ولا وضعت يميني على عورتي منذ بايعت رسول الله ﷺ ولست خالفاً  
 قيصاً كما نيه الله تعالى حتى بكرم الله أهل السعادة ويهين أهل الشقاء . فخرج عنه .  
 ومعنى عبارة عثمان أنه لم يفعل ما يوجب اراقة دمه ولا ما يكون بسبيل ذلك . ثم  
 دخل عليه ناس رجعوا ولم يسوء بأذى آخرهم محمد بن أبي بكر . فقال له عثمان :  
 وبك أعلى الله غضباً هل لي اليك جرم الاحقه اخذته منك . فأخذ محمد لحيته  
 وقال قد أخزأك الله يا غمئل ( اسم رجل قبلي كانوا يشبهون عثمان به لعظم لحيته )  
 فقال لست بغمئل ، ولكني عثمان وأمر المؤمنين . فقال ما أغنى عنك مداوية  
 وفلان وفلان ؟ وقبض على لحيته فقال يا ابن أخي ما كلن أبوك ليقبض عليها .  
 فقال لو رأك أبي تعمل هذه الاعمال لانكرها عليك . والذي أريد بك أشد من  
 قبضي عليها . فقال عثمان استنصر الله عليك واستمعين به . فتركه وخرج

هذا هو الصحيح من أمر محمد معه

ثاني بعد ذلك فتيرة وسودان بن حمران والفاقي فضربه الفاقني بمحبة  
 كانت معه وضرب المصحف الذي كان عثمان يقرأ فيه برجله فاستدار المصحف  
 واستقر بين يديه وسالت عليه الدماء وجاء سودان ليضربه فأبكت عليه نائلة  
 لتقيه ، فنفضها بالسيف فاطن أصابع يدها وولت . وهنا اختلف فيمن ضربه  
 الضربة التي كان بها قتله ففي رواية أنه سودان بن حمران وفي رواية أنه كفانة  
 ابن بشر النخعي . وفي ذلك الوقت دخل غلغمة من غلمان عثمان مع القوم لينصروه  
 فلما ضربه سودان ضرب بعض أولئك الغلمان سودان على رقبة فقتله ووثب  
 فتيرة على الغلام فقتله وانتهبوا ما في البيت وخرجوا ثم أغلقوا على ثلاثة قتل :  
 عثمان ، وسودان ، وغلغام عثمان

لما خرج القوم من الحجرة التي ترك فيها عثمان قتيلاً ، وثب غلام لثمان على فتيرة

فقتله وثار القوم فأخذوا ما وجدوه في الدار حتى ما على النساء . وأخذ كثوم  
التجبي ملاءة من نائلة فقتله غلام ليمان . ودخل عمرو بن الحنف على عثمان وبه  
دمق فوثب على صدره وطعنه تسع طعنات ؛ وأرادوا قطع رأسه فصاح بهم  
النساء فقال ابن عديس أتركوه . وأقبل حمير بن ضابي فوثب عليه فكسر ضلعاً  
من أضلاعه وقال : سجنتم أبي حتى مات في السجن . وماج الناس وتنادوا  
أدركوا بيت المال ولا تسبقوا إليه فهرب حارساه ، وانتهب الناس غراريتين  
ملوءتين فضة كانتا فيه . وكان قتله ثمانى عشرة ليلة خلت من شهر ذي الحجة  
سنة خمس وثلاثين يوم الجمعة

أما مدة خلافته فهي اثنتا عشرة سنة الا اثني عشر يوماً . واختلف في سنة  
القتل يقول خماً وسبعين سنة والمكثر يقول تسعين سنة

وسبب اضطغان حمير بن ضابي على عثمان حتى كسر ضلعه بعد قتله ان أباه  
ضائباً استعمار أيام ولاية الوليد بن عقبة الكوفة من قوم من الانصار كاتباً يدهى  
قرحان يصيد الغناباء ، فحبسه عنهم ، وانزعوه منه قهراً فهجاهم بقوله :

تجشم دوني وقد قرحان خطه    نضل لها الوجفاء وهي حدير  
فباتوا شباعاً طاعمين ، كأنما    حباهم بيت المرزبات أمير  
فأمسك لا تتركوها وكلبكم    فن عقوق الامهات كبير  
فاستعدوا عليه عثمان ، فحبسه ومات في سجنه ، وقال وهو في السجن :  
هممت ولم أفعل وكدت وليتني    تركت على عثمان تبكي حلاله  
وقائلة قد مات في السجن ضابي .    الا من تلصم لم يجد من يحاوله  
لهذا صار ابنه حمير سبياً

وقد اتفق رأي كميل بن زياد وعمير بن ضابي على الفتك بثمان في حياته فقدم  
المدينة . فاما عمير فشكل وتقدم اليه كميل فتاوره فوجأ عثمان وجهه فوقع على امته .

فقال : أوجمتمني يا أمير المؤمنين . فقال : أولست بفاتك ؟ قل لا والله . فقال استغفر  
مني . ففعا عنه . وبقي الرجلان الى أيام الحجاج فقتلهما وسيعجى . ذلك

## دفن عثمان

رويت في دفن عثمان روايات أدتها الى الانسانية ورواية جاء بها ابن الاثير  
انه شهد جازته علي وطلحة وزيد بن ثابت وكعب بن مالك وعانة من ثم  
من أصحابه

وهناك رواية نقول : ان عثمان بقي ثلثه أيام لا يدفن ثم ان حكيم بن حزام  
القريشي وحبير بن مطعم كلا علياً في أن يأذن بدفنه ففعل . فلما سمع بذلك أولئك  
الشوار قدموا له في الطريق بالحجارة ليرجموه اذا مر . وصنع علي بذلك فأرسل بمنعهم  
وخرج به ناس يسير عددهم من أهله وغيره فيهم الزبير والحسن وأبو الجهم بن  
حذيفة ومروان بن المغيرة والعلاء فانوا به حائطاً من حيطان المدينة خارج البقيع  
يقال له حش كوكب فصلى عليه أحد الحاضرين وجاء أناس من الانصار لينتموا من  
الصلاة عليه ثم تركوا ذلك خوفاً الفتنة ثم دفن في ذلك الحائط . فلما كانت أيام  
خلافة معاوية وصل ذلك الحائط بالقيع وأمر الناس بالدفن حول قبر عثمان . وهناك  
روايات أخرى أفظم . فاذالم تصح الرواية الاولى فان القوم يكونون قد استعملوا مع  
عثمان من الوحشية ما يتحسب استعماله مع الكفار وعبداء الاوثان ولا يليق صدوره من  
الانسان فضلاً عن مسلم





## على به أبي طالب

كيف انتخب ؟ ان الاحوال التي احتفت ببيعة علي بن أبي طالب والمناميات التي حصل فيها انتخابه لم يكن لها نظير في انتخاب الخلفاء الذين تقدموه ولا بيعتهم فان بيعة أبي بكر كانت عقب وفاة رسول الله ﷺ والشمل مجتمعا وأصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والانصار شهود يرون ويسمعون . لم أن يبرموا ما اجتمعت عليه الكلمة بأن ينقضوا ما لم يرضوا به . فلم يكن ثمة غير يسير اختلاف ثم ثابت الاحلام وفات السكينة ونم الامر لابي بكر . ولم يتخلف عن البيعة سوى علي بن أبي طالب ابائاً أو نحو سبعين ليلة على خلاف في ذلك ، وسعد بن عباد من الانصار وقليل من بني هاشم تأخروا ثم بايعوا . ومن عدا هؤلاء فقد أعطى يده بالطاعة عن رضى

وأما عقب وفاة أبي بكر فلم يكن ثم مجال للخلاف . لان أبا بكر كان قد عهد الى عمر فرأى المسلمون وجوب طاعته والانتهاى الى ما صمم . وكان أعلام الصحابة كذلك شهوداً . وعند وفاة عمر كان أعلام قريش والسابقين الاولين من المهاجرين والانصار شهوداً . وعمر لم يترك الامر بين القوم فوضى بل كان قد سن لهم قايدين الشورى على علامه ، فأصاب الانتخاب عثمان بن عفان وهو أحد الستة الذين اختارهم عمر ليميتوا واحداً منهم الخلافة ، وقد بين لهم جزاء المخالف منهم وهو القتل

أما عند موت عثمان بن عفان ، فقد كان كثير من أصحاب رسول الله ﷺ غير شاهدين للامر وكثير منهم أبي عن بيعته ولم يرضوا بالدخول في طاعته ولم يكن الامر على حال هدوء وسكون بل كانت الكلمة العليا لشوار على عثمان والامر النافذ لهم ومن كان مقيماً من أعلام الصحابة فقد نفذوا أيديهم من الامر بفضة لعثمان

وسرهم أن يكفهم أمره أولئك الناثرون وهم شقاذ من الآفاق وأوزاع متفرقون من أمصار مختلفة وقبائل متباينة لا سابقة لهم ولا قدمت ولا أثر خير في الدين - وهم وإن كثروا بالنسبة إلى أهل المدينة خاصة فليسوا بالشئ الذي يؤبه له بالقياس إلى أهل الأمصار ومن يتبعهم من مرابطة الثغور وأجناد الاقطار - أضف إلى ذلك أنهم أهل شغب وقتنة قد عرف رؤوسهم بذلك وشهروا بالشر بين قبائلهم وأمصارهم لم يكن في نظر جمهور السبئية أليق بالخلافة من علي . خصوصاً والذي تولى كبر هذه الثورة هم المصريون وهم شعبة علي وهوام معه فكانت كلمتهم غالبية على سائرهم وكان أهل المدينة كانت أحلام أكثرهم شاردة عنهم فتأثرت ، وقد ظلل عثمان جلال الموت . فاجتمع الناس في المسجد وكثر الندم والتأسف على عثمان وسقط في أيديهم وأكثر الناس على طالحة والزبير واتهموها بقتله وقال الناس لها أيها الرجلان قد وهما في أمر عثمان تخليا عن أنفسكما فقام طالحة فقال : أيها الناس انا والله ما نقول اليوم إلا ما قلناه أمس ، ان عثمان خلط الذنوب بالتوبة حتى كرهنا ولايته وكرهنا أن تقتله وسرنا أن نكفاه وقد كثرت فيه العجاج وأمره إلى الله . ثم قام الزبير فقال : أيها الناس ان الله قد رسي لكم الشورى فأذهب بها الهوى وقد نشاورنا فريضنا علياً فبايموه . وأما قتل عثمان فانا نقول فيه ان أمره إلى الله ، وقد أحدث أحداثاً والله وليه بها كان . وكان ذلك كان من الزبير ليدفع عن نفسه لوم اللاتمين كيلا يقال انه كان يسعى في هذا الامر لنفسه ولكي يكافئه علي ويدفعها عن نفسه فادفعها هو . فقام الناس وأثروا علياً وقالوا له نبايمك فانت أحق بها . فقال ليس ذلك اليكم ، انما هو لاهل الشورى وأهل بدر فمن اختاروه فهو الخليفة فنجتمع وننظر في هذا الامر فانصرفوا عنه ثم خلصوا نجيا وقال بعضهم لبعض : يمضى قتل عثمان في الآفاق والبلاد فيسمعون بقتله ولا يسمعون أنه يبيع لاحد بعده فيثور كل رجل منهم في ناحيته فارجموا إلى علي فلا تتركوه حتى يبايع فيسير مع قتل عثمان ييمة علي فيطمئن الناس

ويسكنون فرجعوا الى علي وجاء الاشتر فقال ليلي أبسط يديك قبايك . فقال له كما  
قال لهم أولاً فقال والله لنمدن يديك قبايك أو لنعصرن عينك عليها ثالثة ولم يزل به  
يكلمه ويخوفه الفتنة ويذكر له أنه ليس أحد يشبهه قد بده قبايه الاشتر ومن معه  
وسبقهم طلحة وكانوا قد أتوا به قبايه ، وقد كان من المهم عند علي أن يبايه طلحة  
والزبير لانهما زميلاه . وإذا كان أحد من أصحاب الشورى بطامح ينظره الى  
الخلافة فهما . وقد كانا يوضعان في الامر ولكل منهما شعبة من الشاكرين تؤيده  
وتوازره ، غير أن شعبة علي كانت أعلى صوتاً وأقوى يداً . فجاء القوم الى طلحة  
فأرادوه على البيعة لعلهم فأنى ، إلا اجتماع بقية الشورى فأتوا به يلبيونه حتى بايع .  
روى الطبري عن الزهري أنه دعاها الى البيعة ( طلحة والزبير ) فتلكا طلحة .  
فقال مالك الاشتر - وسل سيفه - والله لتبایمن أو لأضربن به ما بين عينيك قبايه  
وبايه الزبير . وروي أن علياً قال لها ان أحببنا بايعتكما قتالا بل نبایعتكم . وقلاً  
بعد ذلك إنما صنعنا ذلك خشية على أنفسنا وقد عرفنا أنه لم يكن لبایعنا بمعنى أنه  
عرض البيعة عليهما عرضاً سائراً من باب المجاملة لأعلى سبيل الجدل . وجيء بسعد  
ابن أبي وقاص فقال : لا أبایع حتى يبایع الناس ، والله ما عليك مني بأس . فقال  
خلوا سبيله . وجيء بعبد الله بن عمر لبایع . فقال لا أبایع حتى يبایع الناس . قال  
اثني يحميل . قل لا أرى حميلاً . فقال الاشتر خل على أضرب عنقه . فقال علي  
دعوه أنا حميله انك والله لسيء انطلق صغيراً وكبيراً . وتختلف عن بيعة علي جمع  
من الانصار منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وأبو سعيد  
الخدري ومحمد بن مسلمة والتميم بن بشير وزيد بن ثابت ورافع بن خديج وفضالة بن  
سعيد وكعب بن عجرة وكان هؤلاء عتاتية يميلون الى عثمان . وهرب قوم الى الشام  
ولم يبایعوا علياً ، وهم عامة بني أمية ومن معهم . ولم يبایه عبد الله بن سلام وصهيب  
ابن سنان ومسلمة بن سلامة بن وقش وأسامة بن زيد وقدامة بن مظعون والمغيرة بن

شعبية وقد بايعه المنيرة من قريب

(ترجمة علي) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وهو ابن عم رسول الله ﷺ شقيق والده . وأمه فاطمة بنت أسد . ولد قبل الهجرة بأحدى وعشرين سنة أو أكثر . ولم أرسل رسول الله ﷺ كان علي مرافقاً وكان مقبلاً مع الرسول في بيته تحفيقاً على أبيه أبي طالب . فكان من أول من أجاب إلى الاسلام وقد أدرك الشرف العظيم ببذله نفسه فداه رسول الله ﷺ ببياته على فراشه ليلة خروجه من مكة مهاجراً إلى المدينة حتى لا يرتاب الراصدون في وجوده في بيته وذلك ليلة هموا بقتله وأتموا لذلك ليبتهم ثم هاجر إلى المدينة بعد أن أدى الودائع التي كانت عند رسول الله ﷺ إلى أهلها . وبعد أن هاجر زوجه النبي ﷺ من ابنته فاطمة . وقد شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ سوى غزوة تبوك فقد خلفه في أهل المدينة . وقال المناقبون إنما خلفه استئذاناً له وزهادة فيه تخف إلى رسول الله ﷺ بأكيماً طيب خاطر له ورده . وقد كان في كل غزواته ومشاهده مقلداً منصوراً ذا بلاء وغناء له الأثر المحمود والمقام الذي لا يحول ، شجاعاً مقداماً على الفترات لا تكره شدة ولا يبالي بمصارعة الموت . وكان يكتب لرسول الله ﷺ . ولما لحق الرسول بربه كان علي يرى نفسه أحق بالثلاثة وأولى من عدهاء بأن يلي أمر المسلمين وكان يظن أن الأمر يأتيه عفواً صفوفاً وأن المسلمين لا يعدلون به غيره لما له من شرف القرابي والسابقة والصهر . فتأبث عن طلب البيعة حتى يقوم بدفن رسول الله ﷺ ثم يتفرغ للأمر فلم يفعل إلا بالمسلمين قد بايعوا أبا بكر وأتى علي عن بيعته وقال : أنا أحق بهذا الأمر منكم لا أبياعكم وأنتم أولى بالبيعة لي ، أخذتم هذا الأمر من الانصار واحتججتم بالقرابة من النبي ﷺ وأنخضتونا منا أهل البيت فصبا ؟ أليس زعمتم للانصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم فأعطوكم المقادة وسلموا إليكم

الامارة؟ فانا أحتج عليكم بمنزل ما احتججتم على الانصار، نحن أولى برسول الله حياً وميتاً فانصرفوا ان كنتم تؤمنون الى آخر ما قال في ذلك. وسكت مدة لم يبايع ثم يابع. ولما مات أبو بكر يابع عمر لاستخلاف أبي بكر له وفي نفسه شيء من ذلك. ولما طعن عمر أراد أن يستخلفه وكان يود تقديمه على غيره ويرى أنه جدير بأن يحمل الناس على الطريقة المثلى، غير أنه لم يرد أن يحمل تبعه الامر فجعله شورى بين ستة هو واحد منهم وكان أكبر ظن عمر في علي أن يكون الامر اليه غير أنها صرفت عنه الى عثمان فبايع ولم يخالف. وكان في مدة أبي بكر بعد البيعة موضع ثقة الخليفة وكان في عهد عمر كالمستشار له يستشير عمر ويستفتيه في الاحكام الشرعية ويستدخله في مهام الامور، فكان من خاصته وبطانته الذين يستنصحوهم ويستنزل رأيهم وينتهي الى مشورتهم. وقد كان كذلك لعثمان رضي الله عنه صديقاً من خلافة ثم تغير له في أواخر حياته ولم تكن علاقتهما حسنة في الظاهر وبخاصة في أيام الفتنة فان استبطن عثمان لبني أمية كان يفسد على علي كثيراً مما كان علي يراه نافعا له. وكانوا يزهدونه في علي ويحرفونه عنه

أورد صاحب الامامة والسياسة أن عثمان خرج الى المسجد فاذا هو بعلي وهو شاك معصوب الرأس، فقال عثمان: والله يا أبا الحسن ما أدري أشتي موتك أم أشتي حياتك، فوالله لئن مت ما أحب أن أبقى بمعدك لفيرك لاني لا أجد منك حلفاً ولئن بقيت لا أعدم طاعياً يتخذك سلفاً وعضداً يمدك كفماً وملجأ لا ينهني منه إلا مكانه منك ومكانك منه (ولعله يريد محمد بن أبي بكر) فأنت مني كالابن الحاق من أبيه: ان مات جمعته وان عاش عقه. فلما سلم فسلم وأما حرب فتحارب. فلا تجمعني بين السماء والارض فانك والله ان قتلني لا أجد مني خالفاً ولئن قتلتك لا أجد منك خلفاً ولن يلي هذا الامر يدي فتنة. فقال علي: ان فيما تكلمت به لجواباً ولكن مشغول بوجعي فانا أقول كما قال العبد الصالح: فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون. فقال مروان: انا والله اذاً لنكسرن رماحنا ولنقطن

سيوفنا ولا يكون في هذا الامر خير لمن بعدنا . فقال عثمان : اسكت ما أنت وهذا ؟  
وقد استعمل المؤلفون اسم على لتغيير بالناس حتى يهيجوا على خليفتهم .  
وأدى ذلك الى أن خاطبه أهل مصر قائلين : ان لم تقم معنا فلم كتبت اليك ؟ فتبرأ  
من الكتابة اليهم وحلف على ذلك . ولما انتهي أمر عثمان على النحو الذي بينا  
بوجه له باخلاقة بالصورة التي وصفنا ، وانتهى الامر على ذلك بعد خمس ليال  
قضاها الناس في أخذ ورد وتردد في الامر الى أن انتهى

### خطته السياسية

أول خطبة لملي محمد على المنبر حمد الله واثني عليه ثم قل : - ان الله عز  
وجل أنزل كتابا هاديا بين فيه الخير والشر نخذوا بالخير ودعوا الشر . الفرائض  
ادوها الى الله سبحانه وآمالى يؤدكم الى الجنة . ان الله حرم حُرماً غير مجبولة  
وفضل حرمه المسلم على الحرم كلها وشدد بالاخلاص والتوحيد المسلمين . والمسلم  
من علم الناس من لسانه ويده الا بالحق . ولا يحمل اذى المسلم الا بما يجب . يادروا  
أمر العامة . وخاصة احدكم الموت فإن الناس امامكم : انما من خلقكم الساعة نحدوكم  
تخففوا تاحقوا فانما ينتظر الناس اخراهم اتقوا الله عباد الله في عباده وبلاده انكم مسئولون  
حتى عن البقاع والبهائم وأطيعوا الله عز وجل ولا تعصوه واذا رأيتم الخير  
نخذوا به واذا رأيتم الشر قدعوه واذكروا اذا انتم قليل مستضعفون في الارض  
والذي تشفئ منه خطبته أنه يريد أن ينصرف الناس الى ما هو بهم لهم  
ويكفوا عن الخوض في الشأن الذي كان . وأن يستقبلوا نطقاً من الحكم جديداً .  
كأنه اقبال على الآخرة وزهد في الدنيا وقيام بمحدود الله وطاعته فيما أمر به والانتهاء  
عما نهى عنه . ولو شئنا أن نلخص خطبته التي يريد أن يرسمها لهم ، لقاننا : يريد أن  
يقول لهم ارجعوا الى العهد الذي كنتم عليه أيام رسول الله ، وأقبلوا على الآخرة  
اكلمتكم وأعرضوا عن الدنيا وولوها ظهوركم

وكان دلي قد دخل على نائلة زوج عثمان بعد أن لطم ابنه الحسن والحسين  
 وشتم محمد بن طلحة وعبيد الله الزبير لظنه الاعمال منهم والتقصير في الذب عن  
 عثمان . وسأل نائلة من قتل عثمان ؟ قالت : لا ادري ، دخل عليه رجال لا اعرفهم  
 الا أن ارى وجوههم وكان معهم محمد بن أبي بكر . فدعا علي محمد بن أبي بكر  
 وسأله عما ذكرت نائلة فقال : صدقت ، قد والله دخلت عليه فذكر لي أبي فقتلت عنه  
 وأنا نائب الى الله تعالى . والله ما فنته ولا مسكته . فقالت : اصدق ولكن هو أدخلهم  
 وكتبت نائلة زوج عثمان الى معاوية تصف دخول القوم على عثمان واخذهم  
 المصحف ليتمحرم به وما كان من صنع محمد بن أبي بكر وأرسلت بقميص عثمان مضرجا  
 بالدم ممزقا وبالخصلة التي تنفها محمد بن أبي بكر من لحيته فقعدت الشعر في زر القميص  
 وأصابها ثم دعت بالعمان بن بشير الانصاري فبعثته الى معاوية . فلقى يزيد بن أسيد  
 ارسله معاوية ممدأ لعمان في اربعة آلاف فاختبرهم بقتل عثمان فانصرفوا الى الشام

### طلب الصحابة القوم من قتل عثمان

ولما تمت البيعة اولى جماعة من الصحابة وقالوا له انا قد اشترطنا اقامة الحدود  
 وان هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم هذا الرجل واحلوا بانفسهم . فقال لهم : اني  
 لست اجعل ما تعلمون ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم . هاهم  
 هؤلاء قد نارت معهم عبدانكم وثابت اليهم اعرابكم وهم خلاصكم يسومونكم  
 ماشاءوا فهل ترون موضعا لقدرة على شيء بما تريدون ؟ قالوا لا . قال فلا والله  
 لا ارى الا ابا ترويه ان شاء الله . ان هذا الامر امر جاهلية وان هؤلاء القوم  
 مادة . وذلك ان الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الارض من اخذ بها . ان  
 الناس من هذا الامر . ان حرك على امور ، فرقة ترى ماترون : وفرقة ترى مالا  
 ترون ، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى تهدأ الناس وتقع القلوب موافعا  
 وتؤخذ الحقوق . فاهدا راهني وانظروا ماذا يأتينكم ثم عودوا

ثم ان عليا اشتد على قريش وحال بينهم وبين الخروج من المدينة وأما هيجبه على ذلك هرب بنى امية . وتفرق القوم وبعضهم يقول والله لن زاد الامر لافدونا على انتصار من هؤلاء الاشرار . لترك هذا الى ما قل علي امثل . وبعضهم يقول : نقضى الذى علينا ولا تؤخره . والله ان عليا لمستغن برأيه وأمره عنا . لانراه الا سيكون على قريش أشد من غيره

ولما بلغ عليا مقالة القوم قام فحمد الله وأثنى وذكر فضلهم وحاجته اليهم وقال لهم خيراً وأثنى عليهم وقأنفهم جهده ثم قال : لا يستغنى الرجل وان كان ذا مال وولد عن عشرته فدافعهم بأيديهم وألستهم . هم أعظم الناس حبيطة من ورائه واليه سعيه وعطفتهم عليه ان أصابته مصيبة أو نزل به بعض مكاره الامور . ومن يقبض يده عن عشرته فانه يقبض بئساً واحدة وتقبض عنه أيد كثيرة . ومن بسط يده بالمروءة ابتغاء وجه الله تعالى يخاف الله له ما أنفق في دنياه ويضاعف له في آخرته . واعلموا ان لسان صدق يحمله الله للمرء في الناس خير له من المال . فلا يزادن أحدكم كبرياء ولا عظمة في نفسه ولا يفعل أحدكم عن القرابة أن يصالحها بالذي لا يزيده ان أمسه ولا ينقصه ان أهلكه . واعلموا ان الدنيا قد أدبرت والآخرة قد أقبلت . ألا وان المضار اليوم والسبق غداً ، ألا وان السبقة الجنة والغاية النار . ألا ان الامل يُشعِي القلب ويكذب الوعد ويأتي بفئلة ويورث حسرة فهو ضرور وصاحبه في عناء ، فافزعوا الى قوام دينكم وأعام صلاتكم وأداء زكاتكم والنصيحة لامامكم وتعلموا كتاب الله واصدقوا الحديث عن رسول الله ﷺ وأوفوا بالعهد اذا عاهدتم وأدوا الامانات اذا ائتمتم وارغبوا في ثواب الله وارهبوا عذابه واعملوا الخير تجزوا بالخير يوم يفوز بالخير من قدم الخير . ثم نادى : برئت الذمة من عبد لم يرجع الى مواليه

اثممرت السبائية والاعراب وقالوا : لنا غدا مثلها ولا نستطيع أن نخرج فيهم بشيء . ثم خرج علي في اليوم الثالث . فقال : يا معشر الاعراب الحقوا بمباهكم .



فأبّت السبائية وأطاعهم الاعراب ودخل عليّ بيته وجاء طلحة والزبير وجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ . فقال لهم عليّ : دونكم ناركم فاقتلوه . فقالوا : عتوا عن ذلك . فقال : هم والله بعد اليوم اعنى وأبى . ثم قال :

ولو أن قومي طأوعتني سراهم أمرتهم أمراً يديخ الاعاديا وقال طلحة : دعني فلأت البصرة . فلا يقبلك الا وأنا في خيل . وقال الزبير : دعني فلأت الكوفة فلا يقبلك الا وأنا في خيل . فقال : حتى انظر أما عليّ ، فقد صرفها على زعم أن ينظر ، واحسبه كان يتخوف جانب الرجلين ويخشى أن يسيداها عليه جذعة ويستأ به سنة أهل مصر بعثان ويكون له معها يوم كيوم الدار

## نتيجة الفتنة وقتل عثمان في ربه علي

كان المسلمون قبل انشقاق هذا البنيق واشتعال جاحز الفتنة أمرهم مجتمعاً وحالهم حسنة يقبضون عليها من كل الامم : جيوش منتصرة في جميع الارحاء وبلاد تفتح وعدل شامل وشمل جامع وبسطة في الفنى والثروة وسطوة مرهوبة ، فلما ربي هذا الامر حتى سار أمرآ ووقع هذا الحادث الجلل الذى اصطلح به خليفة المسلمين ظلماً وهذواناً . كان أول وهن دخل على المسلمين وأول أمر فرق كلمتهم وأوقع بينهم الشحناء وأورثهم البغضاء وصيرهم فرقاً متنافرة وفئات متدبرة يضرب بعضهم وجوه بعض هو قتل عثمان بن عفان

بدل على هذا الافتراق ان الامة قبل قتل عثمان كانت على قلب رجل واحد ووجهتهم واحدة لا يفرقون في شيء . فلما قتل ظهرت الشيعة وصاروا أشبه ببيتة معترف بها من الامة غير خفية ، قلم في مقابلتها الناصبة أو العثمانية في الشام

وأقليات في الامصار ، وهم الذين ينزعون الى تائيم علي في شأن عثمان ويحملونه تبعه قتله . وأقلهم طعنًا عليه من يقول انه تهاون في شأن قتله فلم يتناولهم بالقصاص الواجب شرعاً

لم يلبث الامر طويلاً حتى قام الخوارج ، وهم الذين ينقمون في باطن أمرهم ولاية فريش ويظهرون الغيرة على الدين والحجة للشريعة ، وهم حرب لعلي ومعاوية معاً . ثم افرق هؤلاء الخوارج فرقاً فكان منهم : (١) الازارقة (٢) والنجدات (٣) والمطوية (٤) والاباضية وغيرهم وعبرهم الى ما يربو على صبعين فرقة . ولم يلبثوا ان صاروا أصحاب مذاهب في العقيدة ويكفرون المسلمين من أهل السنة والجماعة ، مما قصه وشرحه ابن حزم في كتابه الفصل والشهرستاني في الملل والنحل والمقرئ في خطبه ومحمد بن يزيد في تكملة . ثم كان انقسام الشيعة الى طوائف وأصناف كالزيدية والكيسانية والامامية . ثم انقسام الامامية الى رافضة وغالية والى اسماعيلية وهكذا

ولا ريب عندي في أن هذه الفتنة وما تلاها مما كان بين علي وبين عائشة وطلحة والزبير من الحرب ثم بينه وبين معاوية ثم بين الخلفاء والخوارج وغيرهم من الطوائف التي نبتت وشببت انتورات بعد التورات كل ذلك كان بمثابة مرض عضال طرأ على الأمة وهي في عنقوان شبابها وميعة فتبتها موقف فيضها الحيوي وعاقها عن أن تقوم بما يجب لمثلها من النمو وصدها عن استكمال شبابها على الحال اللائقة بها . وعلى الجملة من هذه الفتنة كانت شللاً في حياة الأمة الاسلامية ومصدراً لانحراف مزاجها وثمة تمرض منها جسم تلك الأمة لمختلف الأمراض والسلل . ولولا تلك الفتنة وما نتج عنها لتغير وجه التاريخ ولكان الاسلام قد سال منيله على الأمم في جميع الاقطار والاصتاع ، ولزأينا الأمم التي هي من أعدى أعداء الاسلام اليوم وأشدهن نكابة به أعظم من بطريه ويتعصب له ويفلو القلو كله في اعلا قدره والاشادة بذكره

## أول أعمال علي

ان الايدي التي بايعت علياً بالامر كانت ملوثة بدم الخليفة المقتول وكان أكبر ما يزعمونه من الحجج على قيامهم هذا واجترأ ما اجترأوا من الانتم عماله الذين ملأوا الدنيا عجيجاً بالشكوى منهم وأذاعوا قلة السوء عن كل أمير منهم في مصره . فاذا أقر علي أوثق الدليل على أعماله الى أن يستوثق له الأمر في الخلافة وتنسب له الأحوال كان ذلك من اقراراً للظلم الذي استفزهم الألم منه وأحنقهم الاقرار عليه . وكان بذلك قد سجل على السبائية أنهم قاموا لسلب الخلافة من صاحبها الشرعي لا بسبب سوى الافضاء بها الى علي

بهذا يمكننا أن نفهم الصرامة الغريبة التي كانت منه في مبادرة جميع عمال عثمان بالعزل حتى كان ذلك أول أعماله . ولم يترص بالامر وصول البيعة اليه من أهل الامصار ولم يصح الى تحذير المخدريين ولا تصح الناصحين . بل أبى من الابقاء عليهم أو أحداً منهم ابداً تماماً كأنه قد وفر في نفسه ان هؤلاء العمال لا يصلحون لأن يولوا شيئاً من أمر المسلمين وان الابقاء على واحد منهم يوماً كاملاً نقص في دينه . ولو أنه أتاد في الامر وعامله يرفق وأناة واصطبر حتى استتب له الامر وبايحه أهل الامصار لما كان في عزل الولاة شيء لان الخليفة هو الذي يعطي الولاة سلطانهم فهو حر في اختيار عماله

يجب بعض ذوي البصائر من أهل النقد والرأي الراجح من مبادرته الى عزل عمال عثمان مع رضاه بتأخير اقامة الحد على قتلته . أما تعليق ذلك التعجيل في أمر الامراء فقد بينته آنفاً . وأما تأخير الحد على القتلة فقد بينه على نفسه . اذ وضع لطلحة والزبير وأصحاب رسول الله حين طالوه بأقامة الحد على من شرك

في دم عثمان فبين لهم ان القوم الذين في أيديهم دم عثمان يملكون أهل المدينة وأهل المدينة لا يملكونهم وقد ثارت اليهم العبدان وفاءت اليهم الاعراب وبايديهم الخول والطول بالمدينة . وأهلها لا يقدرّون منهم على شيء . وطلب اليهم إنظاره حتى تهدأ الحال ويسكن من أخذ المجرمين بذنوبهم

دخل المنيرة بن شعبة على علي وكان داهية أريباً فقال : ان لك على حق الطاعة والنصيحة وان الرأي اليوم تجرّز به ما في غد وان انصباغ اليوم نضيم به ما في غد . اقرر معاوية على عمله واقرر ابن عامر على عمله واقرر المال على أعمالهم حتى اذا أمتك طاعتهم وبيعة الجنود استبدلت أو تركت . قل : حتى أنظر . وعاد اليه من الغد فقال : أبي أشرت عليك بالأمس برأي ، وان الرأي أن تماجلهم بالتزوع فيعرف السامع من غيره . وتنفصل أمرك . ثم خرج . وتلقاه ابن عباس . وكان قد قدم من الحج بعد مقتل عثمان . فقال : رأيت المنيرة خرج من عندك فقيم جاهك فقال : جاءني أمس بذبة وذبة وجاءني اليوم بذبة وذبة . فقال : أما أمس فقد نصحتك وأما اليوم فقد غشك . فقال له علي : ولم نصحتني ؟ فقال : لانك تعلم ان معاوية وأصحابه أهل دنيا فتي ثقتهم لا يبالون بمن ولى هذا الامر ومنى تمرّ لهم يقولوا أخذ هذا الامر بغير شورى وهو قتل صاحبنا ويؤليون عليك فينتقض عليك أهل الشام وأهل العراق مع آفي لا آمن طالحة والزبير أن يكرأ عليك . فقال علي أما ما ذكرت من اقرارهم فوالله ما أشك ان ذلك خير في عاجل الدنيا ولا صلاحها وأما الذي يلزمني من الحق والمعرفة بعالم عثمان فوالله لا أؤلي أحداً منهم ابداً فان اقبلوا فذلك خير لهم وان أدبروا بذلت لهم السيف . قال ابن عباس : فاطعني وادخل دارك أو الحق بآمالك بينهم فان العرب نجول وتضطرب عليك فانك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليجملتك الناس دم عثمان غداً . فأبى علي وقال لابن عباس : سر الى الشام فقد وليتكمها . فقال ابن

عباس : ما هذا برأي ، معاوية رجل من بني أمية وهو ابن عم عثمان وعامله على الشام ولست آمن أن يضرب عنقي بعنان وإن أدنى ما هو صانع أن يجلسني ويشكم علي . فقال علي : ولم ؟ قال لقراءة ما بيني وبينك وإن كل ما حمل عليك حل علي . ولكن اكتب إلى معاوية فته وعهده . فأبى علي

فرق علي عماله على الامصار : فارسل عثمان بن حنيف إلى البصرة ، وعمار ابن شهاب إلى الكوفة ، وعبيد الله بن عباس إلى اليمن ، وقيس بن سعد بن عبادة إلى مصر ، وسهل بن حنيف إلى الشام

فاما سهل بن حنيف فصار حتى أتى تبوك فلقبته خيل فسألوه من أنت ؟ فقال : أمير على الشام . فقالوا : إن كان عثمان بعثك خيلاً بك وإن كان غيره بعثك فارجم . قال : أو ما سمعتم بالذي كان ؟ قالوا : بلى . فارجم إلى علي فرجع

واما قيس بن سعد ، فانه صار حتى أتى إيلة فلقبته خيل فقالوا : من أنت فعمد إلى الحيلة وقال : انا من فالة عثمان فانا اطلب من آوى اليه وانتصر به . قالوا : من أنت ؟ قال قيس بن سعد . فقالوا امض . فمضى حتى أتى مصر وأظهر أمره فيها فانفترق أهل مصر فرقا : فرقة دخلت في الجماعة وكانوا معه ، وفرقة وقفت واعتزلت إلى خربنا وقالوا : إن قتل فتلة عثمان فتحن معكم والا فنحن على جديلتنا حتى نمرك أو نصيب حاجتنا . وفرقة قالوا : نحن مع علي ما لم يقدر اخواننا وهم في ذلك مع الجماعة . وكتب قيس إلى علي بذلك

واما عثمان بن حنيف فصار إلى البصرة فلم يرده أحد عن دخولها ولم يوجد في ذلك لابن عامر رأي ولا حزم ولا استقلال بحرب . واقترب الناس بها فاتبعت فرقة القوم ودخلت فرقة في الجماعة وفرقة قالت : ننتظر ما يصنع أهل المدينة فنصنع كما صنعوا

وأما عمار بن شهاب فاقبل حتى إذا كان بزبالته لقي طليعة الاسدي وقد خرج

يسعدو الى الطلب بدم عثمان . فقال لهارة : ارجع فان الناس لا يريدون باميرهم بدلا وان ابيت ضربت عنقك فرجع وهو يقول : احذر الخطر ما يماسك . الشر خير من شر منه

وانطلق عبيد الله بن عباس الى اليمن فجمع يعلى بن أمية كل شيء من الجباية وتركه وخرج بذلك وهو سائر على حاميته الى مكة فقدمها بالمال

## اضطراب الحبل

اضطرب الحبل على علي وأتاه الم يكن بمحسب فارس فثبت ابا موسى على الكوفة فجاءه بيعة أهلها وبين له من ابي البيعة وسخطا كان ، حتى كان عليا ناظر الى أهل الكوفة وقد افترقوا على مثل ما افترق عليه أهل البصرة ودعا على طلحة والزبير فقال : ان الذي كنت احذركم قد وقع يا قوم وان الامر الذي وقع لا يدرك الا باماتته ، وانها فتنة كالنار كلما سُقِرَتْ ازدادت واستفارت . فقال له فاذن لنا أن نخرج من المدينة فاما ان نكابر وأما ان نذهبنا فقال : سأمسك الامر ما استمسك فاذا لم اجديدا فأرخر الدواء الكي . والذي يظهر ان اعتياص الامور على علي كان مما يسرها . وان الامر اذا اضطرب عليه وأعييت مذاهبه ونفض يده من الامارة طوعا او كرها افضى الامر الى واحد منهما . واذا اشترك اثنان او جماعة في بنض سلطان ذي سلطان فانهم لا يحسون بما بينهم في اشخاصهم من الكراهة والبُغْض . وان اشتركا في كراهته يؤاف بينهما ويكون كلُّهم النسب ولا يلتفت واحد منهم الى ما بينه وبين الآخرين الا اذا فرغوا من العدو والمُشْرِك . وكأني بعلي كان يقرأ ما يجول في ضمير كل من طلحة والزبير ولكنه لا يريد أن يفتح باب فتنة جديدة تكون اقرب اليه من سواها

أرسل علي بعد ارسال سهل بن حنيف الى معاوية سيرة الجهنى يطلب اليه ان يبايع فقدم عليه ، فلم يرد معاوية جواباً ولم يجبه وجعل كلما تنجز جوابه لم يزد على قوله :

ادم ادامہ حصن اوحده بيدي حرباً ضرر وما تشب الجزل والضرر ما  
في جاركم وابنكم اذا كلن مقللة شعاع شيببت الاصداع والما  
أعياء المسود بها والسيدون فلم يوجد لها غيرنا مولى ولا حكام

حتى اذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر دعا معاوية برجل من بني  
عبس يدعى قبيصة فدفع اليه طوماراً مختوماً عنوانه ( من معاوية الى علي ) وقال له  
اذا دخلت المدينة فاقبض على أسفل الطومار ثم أوصاه بما يقول وصريح وصول علي  
وخرجاً فعدما المدينة في ربيع الاول لفرته . فلما دخلت المدينة رفع العباسي الطومار كما  
أمره وخرج الناس ينظرون اليه . فمفترقوا الى منازلهم وقد علموا ان معاوية ممرض  
ومضى الرجل حتى دخل على علي فدفع اليه الطومار ففرض خاتمه فلم ير في جوفه كتابة  
فقال لارسل ما ورايك . قل آمن أنا ؟ قال نعم فان الرسل آمنة لا تقتل . قال  
ورائي اني تركت متين ألف شيخ يكي نعمت قيص عثمان وهو منصوب لم قد  
أبوه منبر دمشق . فقال مني يعلمون دم عثمان ؟ ألسن موتوراً كثرة عثمان ؟ اللهم  
اني أبرأ اليك من دم عثمان . نجوا لله قتلة عثمان إلا أن يشاء الله . فانه اذا أراد أمراً  
أصابه . أخرج . قل وثنا آمن ؟ قال وأنت آمن . فخرج العباسي . وصاحت السبائية  
وقالوا هذا السكلب واند الكلاب اقتلوه . فنادى يال مضر يال قيس . انخليل  
وانبيل اني أحلف بالله جل اسمه ليردنها عليكم أربعة آلاف خصي فانظروا كم الفحولة  
والركاب . وتعاونوا عليه ومنعته مضر ويقولون له اسكت . فيقول : لا والله لا يفلح  
هؤلاء أبداً فلقد آتاهم ما يوعدون . فيقولون اسكت . فيقول لقد حل بهم ما يحذرون  
انتهت والله أعمالهم وذهبت ريجهم . يقول فوافقه ما أمسوا حتى عرف القتل فيهم

( استندان طلحة والزبير )

جاء طلحة والزبير واستأذنا علياً في العمرة فأذن لهما وهو يعلم أنهما لا يريدان ذلك وأنهما خرجا كراهة لأمره .

ان الرجلين قد بايعا مكرهين وكان لكل منهما شيعة تزيده على الخلافة . وقد أراد كل منهما أن يظهر الزعامة في الولاية حتى لا يتم بالشركة في دم الخليفة المقتول وحتى لا يؤخذ عليه أمر أو يقول له قاتل انه كان يريد بها . ولكن السبائية قد غلبوا على الامر وكانت الانظار متجهة الى علي أكثر منهما . فلما فلتها أمر الولاية العظمى طمعا في أن يولياها ويكونا على انتظار ما يأتي به القدر بعد ذلك

قال ابن قتيبة : انهما فلا لملي : هل تدري يا علي علام بايضاك ؟ قال نعم علي السمع والطاعة وعلى ما بايعتهما عليه أنا بكر وعمر وثمان . فقال لا ولكن بايضاك علي اذا شريكك في الامر . فل علي لا ولا كسكا شريكك في القول والاعتقادات والعون على المعجز والاولاد قال : وكان الزبير لا يشك في ولاية العراق وطلحة في اليمن . فلما استأذنا لهما أن علياً غير مواليهما شيئاً أظهرنا الشكاة فنكلم الزبير في ملا من قريش فقال : هذا جراًؤنا من علي قبل له في أمر عثمان حتى أنبضا عليه القنب وسببنا له القتل وهو جالس في بيته ونفي الامر فلما نال بنا ما أراد جعل دوننا غيرنا . فقال طلحة : ما اليوم الا أنا كنا ثلاثة من أهل الشورى كرهه أحدنا وبايعناه وأعطيناه ما في أيدينا ومنعنا ما في يده فأصبحنا قد أضطنا مارجونا . وأنهى قولها الى علي فدعا عبد الله بن عباس وكان استقبلته فقال : قد بلغك قول هذين الرجلين قال نعم يا بني قولها قال فما ترى ؟ قال : أرى أنهما قد أحبا الولاية . فول البصرة الزبير وول طلحة الكوفة . فأتها لينا بأقرب اليك من الوليد وابن عامر من عثمان . فضحك علي ثم قال : ويحك ان المرأتين بهما الرجال والاموال ومني تملكك رقاب الناس يستميلان السفيه بالطمع ويضربان الضعيف بالبلاء ويقويان على القوي بالسلطان ولو



كنت مستعملاً أحداً لضربه أو غشه لا شملت معاوية على الشام . ولولا ما ظهر لي من حرصهما على الولاية لكان لي فيهما رأي . قال : ثم أتى طلحة والزبير إلى علي فقالا يا أمير المؤمنين ائذن لنا إلى العمرة فإن قم إلى انقضائها رجعنا إليك وإن نسر تبعك . فنظر إليهما وقال : نعم ، والله ما العمرة تريدان ، أمضيا إلى شائكما ، فمضيا

أحب أهل المدينة بعد ذلك أن يعلموا رأي علي في معاوية وانتفاضه ليعرفوا بذلك رأيه في قتال أهل القبلة ، أيجسر عليه أو ينكسر عنه . وقد بلغهم أن الحسن ابن علي دخل عليه ودعاه إلى القعود وترك الناس . فجلسوا عليه زياد بن حنظلة التميمي وكان منقطعاً إليه ، فدخل عليه ، ثم قل له علي : يا زياد ، تبسر . فقال : لأي شيء ؟ فقال : تغزو الشام . فقال زياد : الإثارة والرفق أمثل . وقال :

ومن لا يصانع في أمور كثيرة  
يضر رأسه بأنياب ويوطأ بمنهم  
فتمثل على وكأنه لا يريد

متى تجمع القلب الذي وصارماً وأنقاً حياً تهجيتك المظالم  
فخرج زياد على الناس وهم ينتظرونه . فقالوا له : ما وراءك ؟ فقال : السيف يا قوم فعرفوا ما هو فاعل . ودعا علي ابنه محمد بن الحنفية فدفع إليه اللواء وولى عبد الله بن عباس ميمنه وعمر بن صفيان ميسرته وأبا ليلى عمر بن الجراح مقدمته واستخلف على المدينة قثم بن العباس . وخطب أهل المدينة فدعاهم إلى النهوض في قتال أهل الفرقة وقال : إن الله عز وجل بعث رسولا مهدياً بكتاب ناطق وأمر قائم واضح ، لا يهلك عنه إلا هالك . وإن المستدعات والشبهات هن المهلكات إلا من حفظ الله وإن في سلطان الله عصمة أمركم فاعطوه طاعتكم غير ملوية ولا مستكره بها . والله لتفعلن أو لنفعلن الله عنكم سلطان الاسلام ، ثم لا ينقله إليكم أبداً حتى يأرز الأمر إليها . انهمضوا إلى القوم الذين يريدون يفرقون جماعتكم لعل الله يصلح بكم ما أفسد أهل الآفاق

بينما هم كذلك إذ جاء الخبر عن أهل مكة بنحو آخر وتأم على خلاف ، وإن القائم في ذلك طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين . فقام في الناس وأهلهم بما حدث من الفرقة في مكة وأنباهم بأنه سيمسك عنهم وبصبر ما لم يخف على جماعة المدينة وأنه يكف أن كفوا واقتصروا على ما بلغه عنهم . وبلغه أنهم يريدون البصرة لمشاهدة الناس والاصلاح ، فتعجى للخروج إليهم وقال : ان قتلوا هذا فقد انقطع نظام المسلمين ، وما كان عليهم في المقام فينا مؤونة ولا اكراه . فاشتد الأمر على أهل المدينة وأنافوا

وكان علي أراد أن ينهض معه عبد الله بن عمر ليكون للناس به أسوة فقال : أنا رجل من أهل المدينة فإن يخرجوا أخرج وان يقدوا أقعد . قال : فاعطاني بذلك زعيما فأبى . ورجع الى المدينة والناس يقولون : لا والله ما ندري كيف نصنع فإن الأمر مشتبه علينا ، ونحن مقيمون حتى يضيء لنا ويسفر وقد قام علي في أهل المدينة . وجوها واستمضهم في القيام معه فنهض معه من أهل بدر ستة نفر

فإنه تروون أن الامور تتمسر عليه من أول يوم . وأصحابه لم يكونوا على يئنة من أمرهم . أما معاوية فلم يتمسر عليه شيء من ذلك . بل تأنى لاموره بالخزم والصبر والثأني واستدخال أولي الرأي ، حتى استقام أمره ولم يحدث له ما حصل لعلي

## أمر عائشة

لما قتل عثمان هرب بنو أمية فلاحقوا بحكة قبل أن يابح الناس علياً ، وكان تساقط الهرب اليها وعائشة مقيمة بها ، فاستخبرتهم ، فأجابوها بأن قتل عثمان ولم يجبهن الى التأخير أحد فقالت عائشة : ولكن اكياس . هذا غيب ما كان يدور بينكم

من عتاب الاستصلاح . فلما قضت عمرتها وخرجت وانتهت الى صرف ابيها رجل  
من أخوالها بني ليث وكانت واصلة لهم رفيقة عليهم يقال له عبيد الله بن أبي سلمة  
ويعرف بأمه أم كلاب فقالت : مهير ؟ فصر ودمدم . فقالت : وبجك علينا أو لماذا ؟  
فقال : لا ندرى قتل عثمان فبقوا ثمانيا . قالت : ثم صنعوا ماذا ؟ فقال : أخذوا  
أهل المدينة بالاجتماع على علي والقوم الغالبون على المدينة . فرجعت الى مكة وهي  
لا تقول شيئا حتى نزلت على باب المسجد وقصصت للحجر فسمعت به . واجتمع  
الناس اليها فقالت : أيها الناس ان الفوغاء من أهل الامصار وأهل المياه وعبيد  
أهل المدينة اجتمعوا ، ان غالب الفوغاء على هذا المقتول بالامس الاربع واستعمل  
من حدثت سنة وقد استعمل أسنانهم قبله ومواضع من مواضع الحى سماها لهم وهي  
أمور قد سبق بها لا يصلح غيرها فقدمهم ونزع لهم عنها استعدادا لهم فلم يجدوا  
حجة ولا عذرا فلجأوا بالمدون ونبا فعلمهم عن قوتهم ففكوا الدم الحرام  
واستحلوا البلل الحرام وأخذوا المال الحرام وسموا الشهر الحرام والله لأصيب عثمان  
خير من طباق الارض أمثالهم ففجأ من اجتماعكم عليهم حتى ينكسر بهم غيرهم  
ويشرد من بعدهم . والله لو أن لذي اعتمدوا عليه ذنبا خلص منه كما يخفئ الذهب  
من خيشه أو الثوب من درنه اذ ماسوه كآبة من الذوب فاما . فقال عبد الله بن  
هامر : ها أنا ذا لها أول طالب . وكان أول محبب ومنقذ

لو ان عائشة كانت تقول مثل هذه الخطبة بالمدينة قبل أن تخرج للحج لكان  
الامر أرجى للقبول منها . ولكنها لما تهرب من هذا الامر كله خلافة علي . ولو  
أن الخليفة كان طلحة أو الزبير لكان في ذلك رضى لها لان طلحة يميني من قومها  
والزبير زوج أختها

والذي احفظها على علي وجعلها تكره امرته أنه كان بينها وبينه في مدة رسول  
الله ﷺ فجاءه من يوم حديث الافك اذ تحدث الناس وكثر الكلام واغتم  
رسول الله لذلك . فقال له علي : ان يضيق الله عليك والنساء غيرها كثير ، ولو

سألت بريرة لصدقتك عنها . فكان قول علي هذا مما غير قلب عائشة عليه وجعلها لا تذكر اسمه . حتى أنها لما ذكرت أن رسول الله خرج وهو يريض إلى المسجد قالت خرج يتهاذى بين الصباص ورجل آخر ثمني علياً . وروى أنها لما بلغها مقتل علي قالت :

فأقمت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيياً بالآلاب المسافر  
وكانت أجيبة عبد الله بن عامر أول ما تكلم به الناس بالحجاز ، فرقم  
بنو أمية رؤسهم . وقام معهم الوليد بن عتبة وسائر بني أمية وعبد الله بن  
عامر أمير البصرة وبني بني أمية قدم من اليمن وطلحة والزبير من المدينة  
واجتمع ماؤهم بمراجعة طويقة على البصرة . وقالت عائشة : أيها الناس إن  
هذا حدث عظيم وأمر منكرو ما نهضوا فيه إلى اخوانكم من أهل البصرة فاذكروه  
فقد بلغكم أهل الشام ما عندهم لعل الله عز وجل يدرك لعنان وللهذين بتأمرهم  
وروى الطبري أن أول من أجاب إلى أمر عائشة عبد الله بن عامر وبنو أمية  
وكانوا قد سقطوا إليها بعد . فقتل لعنان وقد قدم ابن عامر أولاً ثم قدم يعلى بن أمية  
فتمشوا بمكة ومع يعلى مائة بعير . ستمائة ألف فأناب بالابطح مسكراً وقد معها طلحة  
والزبير فلقيا عائشة فقالت : ما وراءكما ؟ فقالا وراءنا : أنا نحملنا بكليتنا هرباً من  
المدينة من غوغاء وأعراب . فارقنا قوماً حيارى لا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلاً ولا  
يؤمنون أنفسهم . قالت : فاستمروا أمراً ، ثم انهضوا إلى هذه القوزاء . ثم تمثلت :

ولو أن قومي طأوه فني سرانهم لا تقدرهم من الخبال أو الخبل

وقل القوم فيما استمروا به : الشام . فقال عبد الله بن عامر قد كفاكم الشام من  
يستمر في حوزته . فقال طلحة والزبير : فأين ؟ قل البصرة فإن لي بها صنائع ولهم في  
طلحة هوى . قالوا فمدك الله فوالله ما كنت بالمسلم ولا بالمخارب ، فهلا أقمت كما أقام  
معاوية فنكتني بك ونأتي الكوفة فتسد على هؤلاء القوم المذاهب ؟ فلم يجهدوا عنده  
جواباً مقبولاً . حتى إذا استقام لهم الرأي على البصرة قالوا : يا أم المؤمنين ، دعي

المدينة فإن من مضافاً يقرنون تلك الفوغاء التي بها . واشخصي معنا الى البصرة فانا  
 نأتي بلداً مضيقاً وسيحتجون علينا في بيعة علي بن أبي طالب فتضيقهم كما أنهمضت  
 أهل مكة ثم تصدين فإن أصلح الله الأمر كان الذي تريدين وإلا احتسبنا ودافعنا عن  
 هذا الأمر بمجهودنا حتى يتغني الله ما أراد . فلما قلوا ذلك لها ولم يكن ذلك مستقيماً  
 إلا بها قالت نعم . وقد كان أزواج النبي ﷺ على قصد المدينة . فلما نحول رأينا  
 الى البصرة تركي ذلك . وانطلق القوم الى حفصة فقالت : رأيي نعم لأبي عائشة  
 حتى إذا لم يبق إلا الخروج قال لهم يعلى بن أمية : معي مائة ألف ومائة بعير  
 فاركبوها . وقال ابن عامر معي كذا وكذا فتجهزوا به فتأدى المنادي أن أم المؤمنين  
 وطلحة والزبير شاخصون الى البصرة فمن كان يريد أمزاز الاسلام وقتال المحالين  
 والطلب بثأر عثمان وم يكن عنده مركب ولم يكن له جهاز فهدا جهازاً وهذه نفقة .  
 فحملوا مائة رجل على مائة من الابل سوى من كان له مركب وكانوا جميعاً ألفاً .  
 وتجهزوا بالمال ونادوا بالرحيل واستقلوا ذاهبين . وأرادت حفصة الخروج فأنهاها عبد الله  
 ابن عمر . وكان شخص الى مكة بذن علي معتمراً . فطالب اليها أن تقدم فقدمت  
 وبعت نقول لعائشة : عبد الله حال بيني وبين الخروج . فقالت يفر الله لعبد الله .  
 وبعت أم الفضل بنت الحارث رجلاً من جبهة يدهم ظفراً . فاستأجرته على أن  
 يطوي ويأتي علياً يكتب كتاب كتبت به اليه

وسار معهم مروان وسائر بني أمية إلا من خشم منهم ولم يزالوا سائرين حتى  
 قاربوا البصرة . كان الزبير وطلحة قد كاتبها ناساً من أهل البصرة ليدخلهم فيما  
 ائتمروا عليه وما جاء مع عائشة له . فكتبنا الى كعب بن سور « أما بعد فانك قضى  
 عمر بن الخطاب وشيخ أهل البصرة وسيد أهل الدين وقد كنت غضبت لعثمان من  
 الاذى فاغضب له من القتل والسلام » فأجابهما « أما بعد : فانا غضبنا لعثمان من  
 الاذى والغير باللسان فجاء أمر الغير فيه بالسيف . فان بك عثمان ثقل ظالماً فما لسكا

وله ، وإن كان قتل مظلوماً فغير كما أولى ، ، وإن كان أمره أشكل على من شهده فهو على من غاب عنه أشكل ، وكتاباً إلى الأحنف بن قيس ، أما بعد فأنك وأقد عمر وسيد مضر وحليم أهل العراق وقد بلغك مصاب عثمان ونحن قادمون عليك والعبان أشقى لك من الظبر والسلام ، فأجابهما : أما بعد فإنه لم يأتنا من قبلكم أمر لا أشك فيه إلا قتل عثمان . وأتم قادمون علينا فإن يك في العيان فضل نظرنا فيه ونظرتم وإن لا يكن فيه فضل فليس في أيدينا ولا في أيديكم ثقة والسلام ، وكتبنا إلى المنذر بن الجارود ، أما بعد فإن أباك كان رئيساً في الجاهلية وسيداً في الإسلام . وأنت من أبك بمنزلة المصل من السابق يقال كاد أوحى . وقد قتل عثمان من أقت خير منه وغضب له من هو خير منك والسلام ، فأجابهما المنذر ، أما بعد . فإنه لم يلحقني بأهل الظل إلا أن أكون خيراً من أهل الشر . وأما أوجب حق عثمان اليوم حقه أمس . وقد كان بين أظهركم نخلتموه . فحق استنبطتم هذا العلم وبدا لكم هذا الرأي ؟

وقد ذكر صاحب الامامة والسياسة أن القوم في مسيرهم إلى البصرة نزلوا بأوطاس من خيبر ، فأشرف عليهم سعيد بن العاص ومنه المغيرة بن قيس ، وقال لعائشة أين تريدان يا أم المؤمنين ؟ قالت أريد البصرة . قال وما تصنعين بالبصرة ؟ قالت أطلب بدم عثمان . قال فهؤلاء قتلة عثمان معك . ثم أقبل على مروان فقال له : وأنت أين تريد أيضاً ؟ قال البصرة . قال وما تصنع بها ؟ قال أطلب قتلة عثمان . قال فهؤلاء قتلة عثمان معك . إن هذين الرجلين قتلوا عثمان ( طلحة والزبير ) وهما يريدان الأمر لأنفسهما . فلما غلبا عليه قال : فصل الدم بالدم والحقوة بالحقوة . ثم قال المغيرة بن شعبه : أيها الناس ، إن كنتم إنما خرجتم مع أمكم فارجموها خيراً لكم . وإن كنتم غضبتم عثمان فروؤساؤكم قتلوا عثمان . وإن كنتم تقمن على علي شيئاً فبينوا ما تقمن عليه . أنشدكم الله . متنتين في عام واحد ؟ فأبوا إلا أن يضوا بالناس . فلحق سعيد بن العاص باليمن ، ولحق المغيرة بالطائف ، فلم يشهدا شيئاً من

حروب الجبل ولا صفين . أقول ان الخبر على هذا الوجه غريب وان من طيبة  
الجماعات أنهم لا يطبقون الكلام على مثل هذا الوجه فأتوا من هذا الخبر في تلك  
ولما دنوا من البصرة وعلم بقدمهم عثمان بن حنيف أمير البصرة من قبل علي  
ندب رجلين هما عمران بن حصين وأبو الأسود الدؤلي ، ليسيروا فيعلموا ماذا يريد  
القوم . ولما وصلا استأذنا علي عائشة فأذنت لها واستخبراهما عن قدمها فقالت لها :  
ان الفوغاء من أهل الامصار وتزاع أهل القبائل غزوا حرم رسول الله وأخذوا فيه  
الاحداث . أووا فيه المحدثين واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله ، مع ما نالوا من  
قتل امام المسلمين بلا ترة ولا عذر ، فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه واشبهوا المال  
الحرام وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام ومزقوا الاعراض والجلود وأقاموا في دار قوم  
كانوا كارهين لمقامهم ضاربين مصرين غير ذميين ولا متقين لا يقدرون على امتناع  
ولا يأمنون . فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس ورأينا  
وما ينبغي لهم أن يأتوا في اصلاح هذا — وقرأت : لا خير في كثير من نجواهم إلا  
من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ، فنهض في الاصلاح ممن أمر الله  
هو رجل ورسول الله ﷺ الصغير والكبير والذكر والأنثى . فهذا شأننا الى معروف  
نأمركم به ونحضكم عليه ، ومنكر منها كمنعه ونحذركم على تغييره . ثم سألا طلحة  
ما أقدمك . فقال المطالبة بدم عثمان . قالاً ألم تباع علياً ؟ قال بلى والهج على عنقي  
وما أستقبل علياً ان هو لم يحمل بيننا وبين قتلة عثمان . ولقيا الزبير فقال لها مثل  
قول طلحة . ثم عاد الرجلان الى عثمان بن حنيف ع أسما

عزم عثمان بن حنيف على منع القوم من البصرة . فخطب في الناس فقال :  
أيها الناس انما بايتم الله ، به الله فوق أيديكم فمن تكث فأتا ينكث على نفسه ومن  
أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً . والله لو علم علي ان أحداً أحق بهذا  
الامر من ما قبله ، ولو بايع الناس غيره لباع من بايعوا وأطاع من ولوا ، وما به الى

أحد من أصحاب رسول الله حاجة وما يأخذ عنه غنى ولقد شاركهم في محاسنهم وما شاركهم في محاسنهم ولقد يأخذهم هذا الرجلان وما يريدان الله . فاستمعوا لفظهم قبل الرضاع وقبل الولادة والولادة قبل الحمل وطلبوا ثواب الله من العباد . وقد زعموا أنهم يأبوا مستكرهين فإن كانوا استكرهوا قبل بيعتهما وكانا رجلاين من عرض قريش لهما أن يقولوا . ألا وإن الهدى ما كانت عليه العامة والعامة على بيعة علي فما ترون ؟ فقال حكيم بن حزمة السدي : نرى أن دخلا علينا قاتلناهما وإن وقفنا تلقيناهما . والله ما أبالي أن أقاتلها وحدي وإن كنت أحب الحياة . وما أخشى في طريق الحق وحشة ولا غيرة ولا غشاً ولا سوء منقلب إلى بهت . وإنما للدعوة قتيلاً شهيداً وحياً فائزاً والنمجيل إلى الله قبل الأجر خير من التأخير في الدنيا . وهذه ربيعة معك

لم يكن أهل البصرة على رأي واحد . فلما قدم جيش عائشة إلى البصرة خرج إليهم من هم على مثل رأيهم

وكان عثمان حين أراد أن يقوم على أمره ويحدث في رد أصحاب الجمل أنه هشام ابن عامر وقال له : يا عثمان إن هذا فتق لا يرتق وصدع لا يجير ، فساهم حتى يأتي أمر علي ولا نخادعهم . فابى ونادى في الناس بالتهيب وأبسوا السلاح واجتمعوا إلى المسجد الجامع وأقبل عثمان على الكيد . فكاد الناس لينظر ما عندهم . ودس إلى الناس رجلاً كوفياً فبسياً . فقال : أيها الناس . أنا فليس بن المقدية الحيسي . إن هؤلاء القوم الذين جاءوكم خائفين قد جاؤا من المكان الذي يأمن فيه الطير وإن جاؤا يطلبون دم عثمان فأنحن بقتله عثمان . أطيعوني في هؤلاء القوم فردوهم من حيث جاؤا . فقام إليه الأسود بن مريع السدي فقال : أو زعموا أنا قتلة عثمان رضي الله عنه ؟ فأنما فر هو الينا ليستعينوا بنا على قتلة عثمان فما ومن غيرنا فإن كان القوم قد أخرجوا من ديارهم كازعت فمن بمنهم أن يخرجوا ؟



الرجال أو البلدان ؟ خصبه الناس . فلم عثمان أن لهم بالبصرة ناصراً ممن يقوم معهم . ففكره ذلك

أقبلت عائشة فيمن معها حتى انتهوا إلى المربد ودخلوا من أهله وأمسكوا ووقفوا حتى خرج عثمان ومن كان معه . وجعلوا يتوافدون حتى غص بالناس . فقام طلحة في ميمنة المربد ومعه الزبير وعثمان في مبسرة . فحمد الله وأثنى عليه وذكر عثمان رضي الله عنه وفضله والبلد وما استحل منه وعظم ما أتي إليه ودعا إلى الطلب بسبه وقال : إن في ذلك اعزازاً لدين الله عز وجل وسلطانه وأما الطالب بدم الخليفة المظلوم فهو حدث من حدود الله وأنكم إن فعلتم أصبتم وعاد أمركم إليكم وإن تركتم لم يكن لكم سلطان ولم يبق لكم نظام . ونسكلم الزبير مثل ذلك فقال من بالميمنة صدقاً وبراً . وقال من بالمبسرة نجراً وغدراً وقالوا الباطل وأمرأ به قد بايما ثم جاءوا يقولان ما يقولان ونحانا الناس بالقراب ونحاصبوا ومرج أمرهم . فتكلمت عائشة وكانت جهورية الصوت يعلو صوتها كثرة كأنها صوت امرأة جلييلة ، فحمدت الله عز وجل وأثنت عليه وقالت : كان الناس يتحنون على عثمان رضي الله عنه ويؤثرون على عاله ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم ويرون حسناً من كلامنا في صلاح بينهم فننظر في ذلك فنجده برياً تقياً وفيماً ونجدهم بجرة غدرة كذبة يحاولون غير ما يظنون . فلما قروا على المكابرة كانوا فاقنحموا عليه داره واستحلوا الدم الحرام والمال الحرام والبلد الحرام بلا نرة ولا عذر . ألا إن مما ينبغي ولا ينبغي لكم غيره أخذ قتل عثمان رضي الله عنه . وإقامة كتاب الله ليحكم بينهم . فافترق أصحاب عثمان بن حنيف فرقتين : فرقة قالت : صدقت وبرت وجاءت والله بالمعروف . وقال الآخرون : كذبتم والله ما نعرف ما تقولون فتحاثوا ونحاصبوا وارهجوا فلما رأت عائشة ذلك انحدرت وانحدر معها أهل الميمنة مفارقين لثمان إلى موضع في المربد وبقي أصحاب عثمان يتدافعون حتى تحاجزوا . ومال

بعضهم الى عائشة . وأخذ عثمان ومن معه على طريق المسجد  
أقبل جارية بن قدامة السدي فقال : يا أم المؤمنين ، والله لقتل عثمان أهون من  
خروجك من بيتك على هذا الجمل المأمون عرضة للسلاح . انه قد كان لك من الله  
سفر وحرمة فمستكر سرك وأبحت حرمتك . انه من رأى قتالك فانه يرى قتلك .  
ان كنت خرجت طائفة فارجمي الى منزلتك . وان كنت أتيتنا مستكرهة  
فاستمعي بالناس . وخرج شاب من بني سعد الى طلحة والزبير فقال : أما أنت  
يا زبير غواري رسول الله ﷺ . وأما أنت يا طلحة فوقيت رسول الله ﷺ  
بيدك . وأرى أمكما معكما أهل حثماً إن شئكما ؟ قالا : لا . قال : فما أنا منكما في  
شيء . واعتزل وقال :

صاتم حلائلك وفدتم أمكم	هذا العمري قلة الانصاف
أمرت بجر ذنوبها في بيتها	فموت تشق اليد بالانجاف
عرضا يقاتل دمه اناؤها	بالنبل والناطي والاسياف
هتكت بطلحة والزبير ستورها	هذا الخبر عنهم والسكافي

وأقبل غلام من جهينة على محمد بن طلحة - وكان محمد رجلاً عابداً - فقال :  
أخبرني عن قتلة عثمان . فقال : نعم ، دم عثمان على ثلاثة أثلاث : ثلث على صاحبة  
المودج (بعر عائشة) وثلث على صاحب الجمل الأحمر (يعني أباه طلحة) وثلث على  
علي بن أبي طالب . فقل الغلام : لا أراني على ضلال . ولحق بعلي وقال :

سألت ابن طلحة عن ذلك	بحوف المدينة لم يقهر
فقال ثلاثة رهط هم	أماوا ابن عفان واستعبر
فثلث على ذلك في خصرها	وثلث على ركب الأحمر
وثلث على ابن أبي طالب	ونحن بدوية فرقر
فقلت صدقت على الأولين	وأخطأت في الثالث الأزهر

ولما تم أمر الفريقين على النحو الذي وصفنا . قبل حكيم بن جبلة وهو على الخليل فأنشب القتال واشترع أصحاب عائشة رماحهم ومسكوا ليمسكوا فلم يثنه ولم يثن . فقاتلهم وأصحاب عائشة كانوا إلا ما دافعوا عن أنفسهم . وهو يدمر خيله ويقول : أنها قريش يريدونها جيتها الطيش واقتتلوا واشرف أهل الدور ممن كان له في أحد الفريقين هوى فكانوا يرمون مخالفينهم بالحجارة . وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا حتى انتهوا إلى مقبرة بني مرز وثار اليهم الناس حتى حجزهم الليل . ثم جاء أبو الجرياء النخعي فأشار على طلحة ومن معه بمكان أمثل من مكانهم . فساروا إلى مقبرة بني حصن ويتوأتوا يتأهبون للحرب وأصبح عثمان ومعه جبلة خارجين للحرب وجبهة يسب عائشة . ولأه رجل وامرأة فتتاها . والتقى الفريقان وقتل من أصحاب عثمان خلق كثير وفشت الجراحات في الفريقين ومنادي عائشة بناشدهم ويدعوهم إلى الكف فيأبون إلى أن زالت الشمس وغضبتهم الحرب ومسخهم الشر . نادوا أصحاب عائشة إلى الصلح فأجابوهم وتواعدوا وكتبوا بينهم كتاباً على أن يعيشوا رسولاً إلى المدينة ليستخبر أهلها . فان كان طلحة والزبير أكرها علىبيعة علي خرج عثمان عنهما وأخلى لهما البصرة وإن لم يكونا أكرها خرج طلحة والزبير عنها وهذا هو الكتاب بالصلح : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما اصطلاح عليه طلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين وعثمان بن حنيف ومن معه من المؤمنين والمسلمين . أن عثمان يقيم حيث أدركه الصلح على ما في يده وإن طلحة والزبير يقيمان حيث أدركهما الصلح على ما في أيديهما حتى يرجع أمين الفريقين كعب بن سور من المدينة ولا يضار واحد من الفريقين الآخر في مسجد ولا سوق ولا طريق ولا فرضة . بينهم عيبة مفتوحة حتى يرجع كعب بالخبر فإن رجع بأن القوم أكرها طلحة والزبير فالامر أمرهما . وإن شاء عثمان خرج حتى يلحق بطيئته وإن شاء دخل معها . وإن رجع بأنهما لم يكرها فالامر أمر عثمان . فان شاء طلحة والزبير

أقاما على طاعة علي وإن شاءا خرجا حتى يلحقا بطيئتهما والمؤمنون أعوان الفالاح منها . . . فخرج كعب بن سور حتى قدم المدينة يوم الجمعة واجتمع الناس لتقدمه فقال : يا أهل المدينة أي رسول أهل البصرة اليكم أأكرم هؤلاء الرجلان على بيعة علي أم أتياها طائفتين ؟ فلا يجبه أحد من القوم الا ما كان من أسامة بن زيد فإنه قال : اللهم انهما لم يبايعا الا وهما كاهنان فوائه سهل بن حنيف والناس حتى خشي عليه أصحاب رسول الله القتل فقاموا ليلعموه وفيهم صهيب بن سفيان وأبو أيوب بن زيد ومحمد بن مسلمة وصدقوا قوله ومنعوه . . . قال له محمد بن مسلمة أما وسعت ما وسعنا من السكوت ؟ قال : لا والله ما كنت أرى الامر يتراعى . ثم جم كعب بما وقف عليه بالمدينة .

من تمام الامر بالصورة التي وصفنا علم ان الامر لا يزداد بهرمة الا انتكاسا في يد علي والحال تسير على غير نظام . فان عثمان بن حنيف لم يوله على ذلك المنصر ليعقد المعاهدات بينه وبين طوائف المسلمين ولم يأخذ عليه العهد بان يبذل الشروط التي تفضي الى ضياع الامصار . وقد كان الرجل على غير ما يجب في أمثاله من الارب وقوة الحجة . ولو كان على شيء من ذلك لاستطاع أن يجمع كلمة أهل البصرة في تلك نصية أهوائهم حتى يقيمهم على طاعة علي ويهيج طلعة والزبير وعائشة بان إقامة الحد انما هي اللام ولا ينبغي النهوض الا في طاعة امام . وهم قوم نزاع لا امام لهم ومن كانت في عنقه بيعة فانه خارج على امامه . وكان في وسعه أن يلزم القوم القربص حتى يؤامر عليا . ومن انشرف في الرأي ان يرمي الخصم لحكيم بن جيلة في القتال قبل أن يتقدم اليه امامه في ذلك وان الامساك كان أحسن في العاقبة وأرجى في العاقبة .

بلغ عليا الخبر الذي كان بالمدينة على يد كعب بن سور فبادر بالكتاب الى عثمان بمعجزه ويقول له : والله ! أكرها على فرقة ولقد أكرها على جماعة وفضل

فإن كانوا يريدان التطلع فلا عذر لما وإن كانوا يريدان غير ذلك نظرنا ونظروا .  
وجاء كذاب على ورجع كعب بن سور قاضي البصرة بما رأى في المدينة . فأراد  
طلحة والزبير تنفيذ شروط الصلح . فقل عثمان : أألا أخرج . واستج بكتاب  
على وقال : هذا أمر آخر غير ما كنا فيه فجمع طلحة والزبير الرجال في ليلة مظلمة  
باردة ذات رياح وندى ثم قصد المسجد فوافقا صلاة المشاء وكانوا يؤخرونها فابطأ  
عثمان بن حنيف فقدم عبد الرحمن بن عتاب للصلاة فشر أصحاب ابن حنيف  
السلاح فقتلوا ودخلوا على عثمان بن حنيف فصر يودأر يمين موطأ وتنفوا شعر لحية  
ورأسه وحاجبه وشعر عينيه وجنبوه ثم أمرت عائشة أن يترك بسير حيث يشاء  
فترك البصرة وذهب الى على

أصبح حكيم بن جبلة فيمن تبعه يريدون الحرب وكان أتباعه ممن هم شركة  
في قتل عثمان وعلموا أنهم يقتولون إذا قعدوا . فما أنشوا الحرب ونادى منادي عائشة  
من لم يكن من قتل عثمان فليتكف عنا فإنا لا نريد إلا قتل عثمان ولا نريد أحد  
واقفل الفريقان أشد قتالاً وضرب رجل حكماً فقطع رجله فحبا إليها وأخذ  
وضرب بها ضاربه فصرعه ثم حبا إليه حتى قتله وانسكأ عليه . وجاء رجل من أصحابه  
فقال له من قتلك ؟ قل وسادني . وكان يقف على رجله في ذلك اليوم ويخطب ويحتج  
على طلحة والزبير — الى أن انهزم حرقوص بن زهير في نفر من بني فلجأوا الى  
قبائلهم . فنادى طلحة والزبير ألا من كان فيهم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة  
فليأتنا به فجاءوا بغيرهم بسوقونهم كما تساق الخلاب فقتلوا ولم ينج أحد ممن غزا  
المدينة من أهل البصرة سوى حرقوص بن زهير السعدي أجاره قومه وأعطوا أجلاً  
فيه — وجه طلحة والزبير وأعطوا أهل السمع والطاعة من بيت المال وقضولهم ومنعوا  
غيرهم فخرجت عبد القيس وكثير من بكر بن وائل حين زووا عنهم الفضول  
وبادروا بيت المال ودافعهم الناس وأصابوا منهم . وخرج القوم وأقاموا على طريق  
علي . وأقام طلحة والزبير ليس معهما بالبصرة ثار إلا حرقوص . وكتبوا الى أهل

الشام بما صنعوا وعماروا اليه قتلوا - انا خرجنا لوضع الحرب واقامة كتاب الله عز وجل بأقامة حدوده في الشريف والوضيع والكثير والقليل - حتى يكون الله عز وجل هو الذي يردنا عن ذلك - فبايعنا أهل البصرة ونحباؤهم وخالفنا شرارهم ونزاعهم فردونا بالسلاح وقالوا فبا قالوا فأتخذ أم المؤمنين رهينة ان امرتهم بالحق وحسنهم عليه فاعطاهم الله عز وجل سنة المسلمين مرة بعد مرة حتى اذا لم يبق حجة ولا صدر استبسل قتلة أمير المؤمنين فخرجوا الى مضاجعهم فلم يفلت منهم مخبر الا حرقوص بن زهير والله تعالى مفيد ان شاء الله وكانوا كما وصف الله عز وجل وانا نفاشدكم الله في انفسكم الا نهضتم بمثل ما نهضنا به فتلقى الله عز وجل وتلقونه وقد اعتدنا وقضينا الذي علينا - وبمشوا به مع حيار المعجل وكتبوا الى أهل الكوفة بعثه والى أهل اليمامة والى أهل المدينة - وكتبت عائشة رضى الله عنها الى أهل الكوفة مع رسولهم كتابا طولته وحسنهم على متابعتها

وكانت الموقعة لخمس ليال بقين من ربيع الآخر سنة ٣٦

المعجب كل المعجب من طلاب دم عثمان سواء كانوا من بني امية أو من غيرهم كطلحة والزبير فان هؤلاء القوم انما كانوا يريدون أن يقتلوا كل من ورد المدينة مع المؤمنين لا يستثنون أحدا منهم - وهم بذلك يريدون أن يقيدوا بدم عثمان من ثلاثة آلاف من أهل القبلة - واذا واهينا من نار اليهم من أهل المدينة وعبيداهم وأهل المياه المائع المؤخوذون بدم عثمان الذين يجب قتلهم من خمسة آلاف الى ما يزيد على عشرة آلاف - وذلك أمر لا يرضاه الله تعالى ولا تأمر به الشريعة - والله تعالى يقول ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل - وهذا نهاية الاسراف - ورجوع بالمسلمين الى أمر الجاهلية - ولو فذنا رأيهم لكان بين الآخذين بشاره العدد الكثير ممن في أعناقهم دمه كطلحة والزبير وعائشة - لان كلماتهم التي كانت تصدر منهم في حق عثمان بالمدينة تعدمدا للمؤمنين وهو نال أهل الفتنة - وقد كان في حكم الانصاف ان يعمدوا إلى رؤساء أهل الفتنة

وقادتهم ويقتلوه أو يقتلهم

يؤيد قولي في طلحة والزبير وعائشة ما روى الطبري عن علقمة بن وقاص  
الليثي قال : لما خرج طلحة والزبير وعائشة رأيت طلحة وأحب المجالس اليه  
أخلاها وهو ضارب بلحيته على زورمه . فقلت يا أبا محمد أرى أحب المجالس اليك  
أخلاها وأنت ضارب بلحيته الى زورمه ان كرهت شيئا فاجلس . فقال يا علقمة  
ابن وقاص : يتألمن يد واحدة دلي من موافا ذصرنا جيلين من حديد يطلب  
بعضنا بعضا انه كان مني في عثمان شي . ليس نوتني الا ان يسفك دمي في طلب  
دمه . فقلت : فرد محمد بن طلحة فان لك ضيعة وعيالا فان ناهك شي . بخلفك  
فقال ما أحب ان أرى أحدا يخلف في هذا الامر فأممه . فأبيت محمد بن طلحة .  
فقلت له : لو اذنت فون حدث ، حدث كنت تخلفه في عياله وضيعة . فقال  
ما أحب ان أسأل الرجال هذه

وفي الطبري ان ابن ام كلاب حين أخير عائشة بدعة على قالت : لست  
هذه انطبقت على هذه ان تم الامر لصاحك ، دوي . وانصرفت الى مكة  
وهي تقول قتل والله عثمان مظلوما والله لا ضاين بدعه . فقال لها ابن ام كلاب :  
ولم ؟ فوالله ان أول من أزال حرقه لانت . ولقد كنت تقولين اقتلوا فقتلوا فقتلوا  
كفر . فقلت انهم استنابوه ثم قتلوه وقد قاتلوا وقولوا فقتلوا فقتلوا فقتلوا  
الاول - فقال أبيه منها :

وانت أمرت بقتل الاماء . وقلت لنا انه قد كفر

فهبنا أطعنك في قتله . وقاله عقدا من أمر

فرولاه الزهط لم يقوموا للطلب بدم عثمان في الواقع ولكن - كل إلى

حيظه يجذب

واذا صح ان طلحة كان فاما على ما كان منه في حق عثمان فليس السبيل

الى تكفير خطيئته ان يقاتل عليا بل كان يصبر حتى تجتمع كلمة الامة ثم ينفذ  
الى أصحاب رسول الله ويدعوهم الى مؤتمر يدبرون الرأي فيه كما يجب ان يصار  
اليه في أمر القتل وروؤوس المؤمنين

لما بلغ عليا نبأ مدير طلحة والزبير وعائشة الى البصرة عدل عن الميبر الى  
الشام ورأى أن يرتق هذا الفتق وحول أن يدركهم قبل أن يصلوا اليها . فلما  
انتهى إلى الربيعة اتاه عنهم انهم قد أمتنوا . فصرى عنه وقال ان أهل الكوفة  
أشد الي حبا . وكتب الى أهل الكوفة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فاني اخترتكم والنزول بين أظهركم لما  
أعرف من مودتكم وحبكم لله عز وجل ورسوله ﷺ من ساءني ونصرني فقد  
أجاب الحق وقضى لدي عذر . »

وأرسل الى الكوفة محمد بن أبي بكر ومحمد بن عوف . وفي رواية محمد بن  
جعفر - فضيا . بقي علي بالربيعة نبيا وأرسل الى المدينة فلحقه ما أراد من دابة  
وسلاح . فمر أثره وخطب الناس وقال : ان الله أعزنا بالاسلام ورفعنا به وجعلنا  
به اخوة . مددلة وقلة وتباغض وتباعد فجري الدم على ذلك ما شاء الله :  
الاسلام دينهم . والحق فيهم . والكتاب امنهم . حتى نصيب هذا الرجل بأيدي  
هؤلاء القوم الذين نزعهم الشيطان لينزع بين هذه الامة . الا ان هذه الامة لا بد  
مفترقة كما افترقت الامة قبلهم . فمود الله من شر ما هو كائن . ثم عاد ثانية  
فقال : ألا انه لا بد مما هو كائن أن يكون ألا وان هذه الامة ستفرق على ثلاث  
وسبعين فرقة شرها . فرقة تملكوني ولا تعمل بعلمي . فقد أدركتم ورأيتم فالزموا  
دينكم واهدوا بهدي نبيكم ﷺ واتبعوا سنته واعرضوا ما أشكل عليكم على  
القرآن فما عرفه القرآن فالزموه وما أنكر فردوه . وارضوا بالله جل وعز رباً  
وبالاسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً وبالقرآن حكماً واماماً

ثم سار والناس من القبائل يتلاحقون به حتى نزل على ذي قار وقد وافاه



عثمان بن حنيف وبلغه ما صنع حكيم بن جبلة وما كان من شأن قتلة عثمان فقال :  
الله أكبر ما ينجي من طلحة والزبير إذ أصابا نحرهما أو ينجيها قرأ « ما أصاب  
من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها » وأقام  
يثلوم بندي قارخي بأنه أمر عن رسوليه الى الكوفة

أما رسوله فقد وردا الكوفة وأنبا ابا موسى بكتاب على . وقاما في الناس  
بأمره فلم يجابا الى شيء . فلما أمسوا دخل ناس من أهل الحجبي على أبي موسى  
يستشرونه . فقالوا : ما نرى في الخروج ؟ فقال : كان الرأي بالامس . ليس  
باليوم . ان الذي تم او تم به فيما مضى هو الذي جبر عليكم ما ترون وما بقي . انما  
هما أمران : القعود سبيل الآخرة والخروج سبيل الدنيا . فاختاروا . فلم ينفر أحد  
فغضب محمد ومحمد . وأغلظا لأبي موسى . فقال : والله ان بيعة عثمان اني عنقي  
وهنق صاحبكما فاذا كان لا بد من قتال . لا تقاقل أحداً حتى نفرغ من قتلة عثمان  
حيث كانوا . فانطلقا الى علي بندي قار وأخبراه الخبر . فأرسل ابن عباس والاشتر  
الى الكوفة ليجمع ما الناس على أمره . وكان يأمل أن ينال ما يرجو بالاشتر لمكانه  
من أهل الكوفة . فقدم على أبي موسى واستمعنا عليه بناس . فقام أبو موسى فقال  
للكوفيين في خطبة له : أيها الناس ، ان أصحاب النبي ﷺ الذين صحبوه في المواطن  
اعلم بالله عز وجل وبرسوله ﷺ من لم يصحبه . وان لكم علينا حقاً فأنا مؤديه  
لليكم . كان الرأي أن لا نستخفوا بسلطان الله عز وجل ولا نجترؤا على الله عز وجل .  
وكان الرأي الثاني ان تأخذوا من قدم عليكم من المدينة فتردوهم اليها حتى  
يجتمعوا وهم أعلم بمن يصلح له الامامة منكم ولا تكلفوا الدخول في هذا . فاما  
اذ كان ما كان فانها فتنة صماء النائم فيها خير من اليقظان واليقظان فيها خير من  
القاعد والقاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الراكب فكونوا جبرئومة  
من جرائم العرب فأغمدوا السيوف وأنصلوا الاسنة وقطعوا الاوتار وآووا المظلوم

والمضطهد حتى يلتئم هذا الأمر وتنجلي هذه الفتنة

عاد بعد ذلك ابن عباس والأشتر بالخير إلى علي فأرسل ابنه الحسن وعمار  
 ابن ياسر إلى الكوفة، فلقياها مسروق بن الأجدع فقبل علي عمار وقال : يا أبا  
 البقرة علام قتلتم عثمان ؟ فقال : على شتم أعراضنا وضرب آبائنا . فقال : والله  
 ما عاقبتكم بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لكان خيراً للعالمين . وخرج اليها أبو  
 موسى فضم الحسن إليه وقال لعمار : يا أبا البقرة ان أهدوت على أمير المؤمنين فيمن  
 عدا فاحللت نفسك مع الفجار ؟ فقال : لم أقبل ولم أسؤي . وقطع عليها الحسن  
 الحديث وقال : يا أبا موسى . لم تكبّط الناس عنا فوافقه ما أردنا الا الإصلاح ولا  
 مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء . فقال : صدقت بأبي أنت وأمي ولكن المستشار  
 مؤمن ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول انها ستكون فتنة الخ . وقد جعلنا  
 الله عز وجل أخواناً وحزماً علينا أموالنا ودمائنا . وقال : يا أيها الذين آمنوا لا  
 تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً . وقال جل  
 وعز : ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها . الآية . فغضب عمار  
 وقال : يا أيها الناس ، انما قلنا خاصة أنت فيها قاعداً خير منك أقتلنا . ورد رجل  
 على عمار رداً قبيحاً . وجه زيد بن صوحان بكعب عائشة فقرأها على الناس وقال :  
 انها أمرت بالفرار في بيوتها وأمرنا أن نقتل الناس حتى لا نذكر فتنة وهي نهانا عن  
 القتال . ورد عليه ثابت بن ربعي أنها تأمر بالخير والإصلاح . ونهاى الناس  
 بعضهم إلى بعض وجعل أبو موسى يكفكفهم ويأمرهم بالسكون وينصح لهم بأن  
 يتجنبوا الفتنة ولا يدخلوها فيها ويرد عليه زيد بن صوحان بن ذلك لا يكون حتى  
 يرد الفرات عن سبيله وينلو . ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا  
 يفتنون . وقام القمقام فقال : إن رأي الأمير هو الرأي لو وجد إليه سبيلا وإن  
 زيد بن صوحان لا يؤخذ برأيه لانه من أهل التأليب على عثمان . وإن الرأي انه

لا بد من امام ينتظم به الامر وان علياً قد وليه وانما يدعو الى اصلاح فلينفروا اليه  
 حتى يكوّنوا بمر وأى مسمع من الامر . ورد عليه آخرون وانفردوا بالناس فرقيقين  
 ثم قام الحسن بن علي فقال : يا أيها الناس ، أجيّبوا دعوة أميركم وصبروا الى  
 اخوانكم فانه سيوجد لهذا الامر من ينفر اليه . والله لأن ينفر اليه أولو النهي أمثل  
 في العاجلة وخير في العاقبة فأجيّبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا وابتليتم به فسامح  
 الناس . وقال الحسن : انى غاد فن شاء منكم فليخرج على الظهر ومن شاء فليخرج  
 في الماء . فخرج معه تسعة آلاف ستة آلاف ومئتان في البر والقفان وعامة ائمة في  
 السفن وجاءت الجنود الى علي بدي قار . فقال لهم : قد دعوتكم لتشهدوا معنا اخواننا  
 من أهل البصرة ، فان يرجعوا فذلك ما نريده ، وان يلجوا داويناهم بالرقي ومايناهم  
 حتى يبدؤا بظلم ، وان ندع أمراً فيه صلاح الا آمرونا على ما فيه الفساد ان شاء الله  
 فلما حضر أهل الكوفة دعا علي القمّاع من ساداتهم وكل من أصحاب رسول  
 الله ﷺ . وقال له : انى هذين الرجلين يا ابن الخطيئة فدعها الى الالة والجمعة  
 وعظم عليهما الفرقة . وقال له : كيف أنت صائم فيما جادك عنهما مما ليس عندك  
 فيه وصاة في ؟ فقال : نعم بالذي أمرت . فاذا جاء منهما أمر امس عندك فيه  
 وأي اجتهدنا الرأي وكلامهم على قدر ما نسمع ونرى أنه ينبغي فقال : أنت لها .  
 وقدم القمّاع البصرة فبدأ بمائة وقل لها : أي أه ما أشخصك وما أقدمك  
 هذه البلدة ؟ قالت : أي بني ، اصلاح بين الناس . قل فابعثني الى طلحة والزبير  
 حتى تسمع كلامي وكلامهما . فبعثت اليهما فاجاءا فقال : انى سألت أم المؤمنين  
 ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد فقالت اصلاح بين الناس . فما تقولان أنها أمّتيان  
 أم شقائقان ؟ فقالا : متابان . قل : فأخبراني ما وجه هذا اصلاح فوالله ان  
 هريناه لنصلحن وان أنكرناه لانصلح فقالا : قتلة عثمان فان هذا ان ترك كان تركا  
 للقرآن وان عمل كان احياء للقرآن . قال : قد قتلنا قتلة عثمان من أهل البصرة ،

وَأَنْتُمْ قَبْلَ قَتْلِهِمْ أَتَرَبُّوا إِلَى الْإِسْتِقَامَةِ مِنْكُمْ الْيَوْمَ . قَتَلْتُمْ سِتَامَةَ رَجُلٍ إِلَّا رَجُلًا ،  
فَقَضَبْتُمْ لَهُمْ سِتَةَ آلَافٍ وَاعْتَزَلْتُمْ وَخَرَجُوا مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ وَطَلَبْتُمْ الَّذِي أَفَلَتْ  
( حَرْقُوسُ بْنُ زُهَيْرٍ ) فَتَمَتَّ سِتَةُ آلَافٍ وَمِائَتٌ عَلَى رَجُلٍ . فَإِنْ تَرَكْتُمُوهُمْ كُنْتُمْ تَارِكِينَ لِمَا  
تَقُولُونَ . فَإِنْ قَاتَلْتُمُوهُمْ وَالَّذِينَ اعْتَزَلْتُمْ ، أَدْبَلُوا عَلَيْكُمْ فَذَلِكَ حِذْرُكُمْ وَقَرِيبُكُمْ بِهِ هَذَا  
الْأَمْرُ أَهْظَمُ مِمَّا أَرَأَيْتُمْ تَكْرَهُونَ . وَأَنْتُمْ أَجْمَعُتُمْ مَضْرُوبَ رِبْعَةٍ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ  
فَاجْتَمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ وَخُلْدَانِكُمْ نَصْرَةَ لِمُؤَلَّاهُ كَمَا اجْتَمَعَ مُؤَلَّاهُ لِأَهْلِ هَذَا الْحَدِثِ  
الْعَظِيمِ وَالْقَتْلِ الْكَبِيرِ . فَقَالُوا وَقَالَتْ عَائِشَةُ : فَا دَوَاهُ هَذَا الْأَمْرُ ؟ فَقَالَ : لَا أَرَى  
دَوَاهُ لِهَذَا الْأَمْرِ إِلَّا التَّسْكِينَ وَإِذَا سَكُنَ اخْتَلَجُوا فَإِنْ أَنْتُمْ بِاجْتِمَاعِنَا فَعَلَامَةُ خَيْرٍ  
وَبِشَائِرِ رَحْمَةٍ وَدَرْكٍ بَنَاءُ هَذَا الرَّجُلِ وَعَاقِبَةُ وَسَلَامَةُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ وَإِنْ أَيْتَمَّ إِلَّا  
مُكَابَرَةُ هَذَا الْأَمْرِ وَاعْتِسَافُهُ كَانَتْ عِلَامَةُ شَرٍّ وَذَهَابُ هَذَا لِلنَّارِ وَبِعِثَةِ اللَّهِ فِي هَذِهِ  
الْأُمَّةِ هَزَاهُنَّ فَأَتَرَوْا الْعَافِيَةَ تَرْزُقُوهَا وَكُونُوا مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ كَمَا كُنْتُمْ تُكُونُونَ وَلَا  
تَعْرِضُونَا لِلْبَلَاءِ وَلَا تَعْرِضُوا لَهُ قَبْضَرَعْنَا وَإِيَّاكُمْ . وَإِيْمُ اللَّهِ أَنِّي لَا أَقُولُ هَذَا وَأَدْعُوكُمْ  
إِلَيْهِ وَإِنِّي خَائِفٌ أَنْ لَا يَنْتَهِى حَقُّي بِأَخْذِ اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي قُلْتُ مُتَاعَهَا وَنَزَلَ بِهَا  
مَا نَزَلَ . فَإِنْ هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي حَدِثَ أَمْرٌ لَيْسَ يَقْدِرُ وَلَيْسَ كَالْمُؤْمَرِ وَلَا كَقَتْلِ  
الرَّجُلِ الرَّجُلِ وَلَا النَّفَرِ الرَّجُلِ وَلَا الْقَبِيلَةِ الرَّجُلِ . فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : أَحَدَنْتَ  
وَأَصَبْتَ ، فَإِنْ جَاءَ عَلِيٌّ بِمَنْزِلٍ مِثْلِ مَا قُلْتَ صَلَحَ الْأَمْرُ

وَالْخَافِظُ فِي هَذَا الْقَوْلِ يَرَى أَنَّ الْقَعْقَاعَ قَدْ تَقَاتَى لِهَذَا الْأَمْرِ بِأَحْسَنِ مَا تَقَاتَى لَهُ  
رَفِيقُ مُصْلِحٍ حَاضِرٍ دَرْبٍ . وَإِنْ هَذَا الْقَوْلُ وَقَعَ مِنْ خُصِّ عَائِشَةَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ  
أَحْسَنَ وَقَعَ . وَأَنَّهُ جَهِلَهَا عَلَى إِثَارِ الْعَافِيَةِ وَمَا فِيهِ الْاجْتِمَاعُ وَبِذِ الْفُرْقَةِ وَرَتَقَ مَا  
مَا قُنْتُ . وَمَا أَجْمَلَ ذَلِكَ لَوْ تَمَّ ١

وَجَعَلَ الْقَعْقَاعُ إِلَى عَلِيٍّ وَأَعْلَمَهُ عِلْمَ الْقَوْمِ وَمَا كَانَ مِنْهُ وَمِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ وَأَشْرَفَ  
الْقَوْمَ عَلَى الصَّلَاحِ . ثُمَّ أَمَرَ عَلِيٌّ بِالرَّحِيلِ بَعْدَ أَنْ جَمَعَ النَّاسَ وَخَطَبَ فِيهِمْ خُطْبَةً قَالَ

منها : ألا واني راحل غداً فأرحلوا ألاً ولا يرحلن غداً أحد أعان على عثمان رضي الله عنه بشيء في شيء من أمور الناس وليفن السقاء عني أنفسهم . وقد جاءت وفود قبائل البصرة الى قبائل الكوفة وهم لا يريدون الحرب ولا يظنونها وأمن الناس بعضهم بعضاً

## مه أيمه جاء الشر؟

لما كان أمر الصلح لا يسر ، أحداً من الامة سوى المجليين على عثمان لان حياتهم لا تكون الا بدوام الشقاق بين علي وخصومه ، أشفقوا على أنفسهم أن يكون هذا الصلح على أعناقهم ، فاجتمع منهم رطمن سار الى عثمان ورضي بسير من سار وخلصوا نجياً . منهم علماء بن الهيثم . عدي بن حاتم وسالم بن نعلبة العبدي وشرج بن أوفى والاشتر وابن السوداء وخالد بن ملحمة وغيرهم . فتشاوروا فيما يصنعون وكان فيما قال بعضهم لبعض : اذا اجتمع الناس غداً واطلحوا فليس الصلح الا علينا وأشار بعضهم ( وهو الاشتر ) بقتل علي ، طلحة حتى تكون هذه بذلك فيففر الناس لهم ما أخذوا يمان . فسفه الآخرون رأيه وكل أبدي رأياً . فقال لهم ابن السوداء : ان عركم في خبطة الناس فصانعوهم واذا التقى الناس غداً فانشبوا القتال ولا تفرغوم للنظر فاذا من أنتم معه لا يجد بداً من أن يقتل ويشغل الله علياً وطلحة والزبير عما تكرهون

لما وصل علي بعد ذلك الى البصرة وقد بدت السيئة أمرهم وهو لا يعلم ولا يقية عسكره بما يسرون ، أرسل الى القوم « ان كنتم على ما فارقتم القعناع عليه فكفوا وأقرونا ننزل وننظر في هذا الامر » فترلوا والقوم لا يشكون في الصلح ومشت السفراء بين الفريقين وبات الناس ينتظرون العافية من هذا الحادث الجلل . فقام السبئية

في الغلس ووضعوا السلاح في أهل البصرة وهم غارون ، فلما كانت الهبة سأل طلحة والزبير عن الخبر ، فقالوا طرقت أهل الكوفة ليلاً . فقالا قد علمنا أن علياً غير منتصر حتى يسفك الدماء ويستحل الحرمه وأنه ان يطاوعنا . وسأل علي عن الخبر . وكان السبئية قد أرسدوا رجلاً قريباً منه يخبره بما يريدون . فقال له : ما فعلنا إلا وقوم منهم يتنونا . فرددناهم من حيث جاءوا فوجدنا القوم على رجل فركبونا وثار الناس . فقال علي : قد علمت أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء ويستحلا الحرمه ، وأنهما لن يطاوعنا . ولم يجد الفريقان بداً من القتال ، إذ لم يكن ثمة مجال لاستجلاء الواقع ولا ترامل الرؤس . . . وتبين الحقيقة يقضي الى تدارك الامر

وكانت عائشة في هودجها قد جللتها الحديد وهي تنكة وجمعات فيه . وضماً اعينها وهي في عسكر أهل البصرة وثار العسكران لبعضهما . وكان القتال في ذلك اليوم من أشد القتال هولا وصدق كل فريق الحلة على الفريق الآخر . وأهل البصرة وشجعانهم وذووا النجدة منهم يلوذون بحمل عائشة ويدافعون عنها حتى لا تصاب بشيء فقتل حوله بشر كثير وقطعت على زمامه أيد كثيرة ولا يدور بخلد أحد من الناس ان ينهزم وراجز أهل البصرة يقول :

نحن بني ضبة أصحاب الجبل      فنزل بالموت اذا الموت نزل

سعى ابن عفان بأطراف الاسل      الموت أحلى عندنا من الفصل

ردوا علينا شيخنا ثم بجبل

ولما رأى علي كثرة القتلى حول الجبل وأن الناس يستمينون دونه ولا يسلمونه أبدأ وفيهم عين تطرفه نادى اعقروا الجبل . فجاء الى الجبل رجل من خلفه وضرب عرقوبه فقره وسقط وسقط الهودج وكأنه تنفذ لكثرة ما رمى به من النبل فجاء محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر وقطعا غرصة الرّحلي واحتملا الهودج فنجياه عن

القتلى وخرج بها محمد حتى أدخلها البصرة

وكان لما ظهر الضعف في الناس تركهم الزبير بن العوام وولى وجهه شطر المدينة فلم يسيره عمرو بن جرموز فاتبه حتى إذا كان بوادي السباع غافله وقتله وقد قتل في هذه الواقعة المشؤومة عشرة آلاف فيهم كثير من أعلام المسلمين وذوي الشأن والنجدة منهم الزبير وطلحة ومحمد ابنه وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وكثير غيرهم من قريش . فقد قالوا : قتل حول الجبل سبعون قرشيا وكان محمد بن طلحة يحمل ويقول « حم لا ينصرون » نشد عليه جماعة فاشتركو في قتله . وقال أحدهم :

وأنت قوام بآيات ربه      قليل الذي فبا نرى العين مُسلم  
هتكت له بالرمح جيب قبضه      نخر صريحا باليد بن والقم  
يذكرني حم والرمح شاجر      فرلا نلا حم قبل التقدم  
على غير شيء غير أن ليس نابها      عليا ومن لا يتبع الحق يندم

ولما قتل عمار ومحمد بن أبي بكر عائشة قل لها عمار : كيف رأيت ضرب بذك يا أمه ؟ قالت من أنت ؟ قل ابنك البار عمار . فقالت لست لك بأم . فقال بلى وإن كرهت . فقالت : غفرتم أن ظفرتم وأنيتم مثل الذي نعمتم والله إن يظفر من كان هذا دأبه . وجاءها علي بن أبي طالب فقال : أي أمه يظفر الله لنا ولكم . فقالت : غفر الله لنا ولكم

وكانت الواقعة يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٦

وبعد أن انتهت الواقعة مر علي بين القتلى ، فكلاما مر بمصرع أهل البصرة وعرفهم قال : زعموا أنه انما خرج معهم السفهاء والفروغاء وهذا فلان وفلان ثم صلى على القتلى وأمر بدفنهم جميعا . وبعد ذلك زار عائشة بالبيت الذي نزلت فيه وقعد عندها ثم أمر بأن ينجز إلى المدينة فجهزت خير جهاز . ثم لما جاء يوم رحيلها ودعها

بنفسه وقالت وسط مشيعيها

« انه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحضانها  
 والله عندي - على معتبي - من الاختيار »  
 وقال علي « أيها الناس صدقت والله وبرت ، والله ما كان بيني وبينها إلا  
 ذلك ، وإنما لزوجة نبيكم عليه السلام في الدنيا والآخرة »  
 وكان خروجها من البصرة يوم السبت لفرع رجب سنة ٣٨ وشيعيها أميالاً  
 وسرح بنيه معها يوماً

\*\*\*

انتهت الموقعة بظهور علي وانتهزام أعدائه هزيمة منكزة . فمن كان منهم من  
 البصرة أقام مكانه ومن نجا من غيرهم زایل البصرة . وأخذ علي البيعة على أهل  
 البصرة . وولى عليها عبيد الله بن عباس وجعل على الخراج وبيت المال زياد  
 ابن أبي سفيان

كانت هذه الوقعة المشؤومة أول وقعة تلاقى فيها جيوش المسلمين يضرب  
 بعضهم رقاب بعض ويسفك بعضهم دماء بعض وكل من الجيشين تحت إمرة كبير  
 من كبار أصحاب رسول الله ﷺ ، فقبل بعدها أن يقف المسلم بازاء المسلم كل  
 منهما يسفك دم الآخر ويحبل قتله بعد أن كان ذلك الموقف في نظرهم عظيماً مهيباً .  
 وقد كان الزبير في بعض خطابه يسمي ما فيه الناس فتنة . فقال له بعض الناس أتسميه  
 فتنة وأنت تقاتل فيه . فقال والله ما وضعت رجلي في شيء إلا وأنا أعلمه إلا هذا  
 الأمر فإني لا أدري أقبّل بي أم يدبر





## نظرة في وقعة الجمل

أما وقد انتهت لوقعة التي اتسم بها الفلق على المسلمين ومهلت على أهل الفسادة أن يبيد فريق منهم إلى الفريق الآخر على سوء وسخطهم يسلمون السيوف كل منهم على الآخر ويدفك بعضهم دمه بعض ، فلا بد للمؤرخ من أن يفت وقعة القاضي المجتهد ويلقى على هذه الوقعة ومقدماتها وما احتف بها من الأحوال نظرة المدقق ليستدر حكماً عادلاً يلزم به الخطأ في حفظه من الخطأ ويعمله تبعاً له . أتى ذلك في ذلك ما يصل إليه اجتهاده . أما ما اشكل من الفريقين عند الله تعالى فله وليه وهو يتولى الصالحين : رحمهم الله أجمعين

أما عائشة أم المؤمنين فما كان لها أن تتولى كبر هذا الأمر ولا أن تطالب كما تزعم بدم عثمان فإن أولياء دم عثمان كثيرون يموت عنهم الاحياء وقد علمت أن معاوية بالشام غير وان في أمره ولا متخاذل فيه وهو على العمل بقدر منها وأما إلى عثمان وأسس به رجاء وأقرب قرابة وليست رحمها الله عن جمل الله لهم سلطان هذا الأمر ولولا وجودها في هذا الجيش لما انت الفتنة في هذه الناحية ولم يكن لهم نظام ولا حمية . فكانت سبباً لاشتداد البلاء على المسلمين ومثاراً لأمور أشتجت الحزن والأسى . وأما طلحة والزبير فهما كذلك ليسا من ولاية عثمان في شيء وقد كانا له بين قائم في الفتنة منبر حريقها وبين خاذل مشير اشارته تنفذ من صول لا يعنيه من الأمر إلا أن تكون الفتنة بيد غيره ويباشرها سواء حتى تساق إليه الخلافة ويده نظيفة من الدم كيلا يكون لأحد عليه سبيل . فلما وقعت الواقعة وأخطأه ما أمل ورأى أنه كان يسمى لغيره ويخطب في جبل صواه رجاء أن ينال في سلطانه بعض ما يكون له عزاء . وإذا لم تكن ابل فمرى - فلما رأى الفأز قد قبض يده عنه ولم يسوغه ما أراد نعم ولات ساعة مندم وخرج كل منهما ليفصل الدم بالدم ويكفر

عن السيئة بالحش منها جر ما وأسموا منها عاقلة فسهلا على عائشة خرجها الى ما ليس  
من شأنها راحين بلوغ الارب بمكانها ، فكان الحقتف فيما يرجون ، وحيل بينهم  
وبين ما يشتهون

أما علي فهو وإن كان في أمر عثمان أقل تأريفا للنسر واذب عنه قبل اشتداد  
الامر إلا أنه لم يكن عنده من الآفة وحسن التأني للامور ما يتألف به الشارد  
ويساس به قباد الجامع . ولو أنه أَرْضَى الرَجِينَ ببعض ما في يده مما ليس فيه  
معصية لله ولا حيف على الرعية لكان ذلك أهمل أمراً في نهضة وأرجح للسلامة .  
وقد أورد صاحب الامامة والسياسة ان عدداً حين أحس بما في نفس طائفة والزبير  
استشار ابن عباس وشار عليه أن يولي طائفة البصرة والزبير الكوفة فأبى استضافاً  
منه أن يؤلبا عليه الناس والبصرة والكوفة فيهما الرجل والمثل . على أنه لو أرضاهما  
في أول الامر حتى اذا اتفق له صنع ما أراد لكان ذلك احسن في السياسة وأحقن  
للدماء وقد مر بنا هذا

على أن علياً لم يكن القوي على جنده لماك لزوم عسكره الخذر لكل ما يخاف  
الواقف على كل ما يحدث بما بينهم . ولقد كان عمر بن الخطاب وهو بالمدينة واقفاً  
على كل صغيرة وكبيرة من أمر جنده بالمراق وهرس وأزميتا والشام ومصر  
ونجوم الروم لا يغيب عنه شيء من خيرهم وشرهم . ولكن علماً كان تاركاً لشأنهم  
وهو بين ظهرائهم مجتمعون ويديرون الامور ويبيتون النسر ويكيدون له  
والمسلمين حتى لقد كان في ضمن ما ائتمروا به أن يوائموه ويلحقوه بثمان لبدر  
دمها ويحقن دم المؤلفين السفاكين الكائدين وهم يراى ومسمع منه وهو لا علم له  
بما يديرون ولو كان من الضبط لأمره والحيلة في شؤونه بالمكان الذي يجب أن  
يكون به . ما ساع لتسببية أن ينشبوا القتال على الوصف الذي بينا . وحسن قول  
الاستاذ الحضري رحمه الله في محاضراته :

لا يمكننا أن نبرر عمل الفريقين المتحاربين من كل الوجوه . فإن طلحة والزبير وعائشة خرجوا - كما يقولون - لمطالبة بدم عثمان الذي سمك حراماً من غير نرة ولا ذنب يوجب ذلك . ولا نرى كيف فهموا أن ذلك ممكن من غير أن يكون للمسلمين امام يرجع اليه الامر في تحقيق هذه القضية واقامة الحد على من يستحقه ؟ ان اعطاء الحق للأفراد في أن يتجهزوا لاقامة حد قصر الامام في اقامته أو اتهم بالموادة فيه مفسدة للنظام الذي أسس عليه الاسلام . وإذا كانوا لا يرون لامامة على صحة فقد كان المفهوم دعوة أهل الطل والمقد من كبار المسلمين أولاً للنظر في أمر الخلافة واعطائها لمن يرضاه الناس ثم ينظرون بعد ذلك في اقامة الحد . ولكنهم قاموا بصفتهم أفراداً من كبار الامة ودعوا الناس الى أمرهم من غير أن يكون لهم امام يرجعون اليه . ولا ندري كيف غاب كل ذلك عنهم مع سابقهم وفضلهم ، ولكنهم يقولون ان الفتن اذا أقبلت تشابهت وإذا أدبرت تبيئت . ولم يكن عند علي بن أبي طالب من الالانة ما يمكنه من المصايرة حتى يلزم هذا الصدد باحسن مما كان . حقيقة ان أولئك الشياطين الذين لا يريدون بلامه خيراً أصجلوه وألشبوا الحرب حتى اشتبه الامر على الفريقين كليهما . ولكن هذا عيب كبير في قيادة الجيوش أن يكون الرئيس بحيث يمكن فرقة من جيشه أن تمجله عن النظر فيما هو قادم عليه . وان من الخطأ العظيم أن يستعين علي بمثل هذه الفرقة السبئية ويجعلها تأوي الى جنده في الوقت الذي يطالب الناس فيه من كل جهة بالقصاص من قتلة عثمان فانهم بالضرورة لا يحسن في نظرم أن يتفق على ذلك الناس لأن الاتفاق انما يقع على رؤسهم فهم يبدلون كل جهدهم في تضيق المسالك على كل من يريد الاصلاح حفظاً لأنفسهم . على ان مجرد وجودهم في جيشه كاف لأن تخوم الظنون حول اشتراكه في الدم المسفوك ، وان كان هو ينكر ذلك انكاراً تاماً ، وهو عندنا الصادق في قوله . والنتيجة ان تبعة هذه الحرب يتحملها كل من

الفرقتين وتبين للناس أنه لا يدعى لبراءة الانسان من الفعل ان لا يكون قد فعله بل يجب أن يعتمد عن ما يحدث الريسة في براءته . وليس يكفي الرئيس لتقوية مركزه أن يكون عنده من القوة ما يقلب به من خرج عليه من قومه . بل يجب مع هذا أن يكون عنده من حسن الحيلة والافادة ما يعيد الخارج عليه الى حظيرته . والسكي لا يكون الا آخر الدواء . اهـ .

روى الطبري بسنده الى طارق بن شهاب قال : خرجنا من الكوفة معتمدين حين أنانا قتل عثمان رضي الله عنه ، فلما انتهينا الى الربيعة وذلك في وجه الصبح اذا الرفاق ، واذا بهم يتلو بعضا . فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : أمير المؤمنين . فقلت : ما له ؟ قالوا : قلبه طلحة والزبير ، فخرج يعرض لهما ليردهما . فبانه انهما فتاه فهو يريد أن يخرج في آثارهما . فقلت : ان الله وانما اليه راجعون . آتى علياً فأقاتل معه هذين الرجلين وأم المؤمنين أو أخالفه ؟ إن هذا لشديد . فخرجت فأبنته فأقيمت الصلاة بظلم فتقدم فصرى . فلما انصرف أنه ابنه الحسن فجلس . فقال : قد أمرتك فمصيتي فقتل غداً بضيمة لا ناصر لك . فقال علي : انك لا تزال تخين حنين الجارية . وما الذي أمرني بمصيتك ؟ قال : أمرتك يوم أحبط بعثمان رضي الله عنه أن تخرج من المدينة فيقتل بها ، ثم أمرتك يوم قتل ألا تبائع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر ، ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلنا أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا فإن كان الفساد كان على يدي غيرك . فمصيتي في ذلك كله . قال : أي بني أما قولك لو خرجت من المدينة حين أحبط عثمان فوافقه لقد أحبط بنا كما أحبط به . وأما قولك لا تبائع حتى تأتي بيعة الأمصار . فإن الامر أمر أهل المدينة ، وكرهنا أن يضيع هذا الامر . وأما قولك حين خرج طلحة والزبير أن أجلس في بيتي حتى يصطلحوا فإن ذلك كان وهنا على أهل الاسلام . والله ما زلت مقهوراً منذ ولدت . منقوصاً لا أصل

الى شيء مما ينبغي . وأما قولك احمل في بيتك فكيف لي بما قد لزمني أو من تريدني ؟ أتريد أن أكون مثل الصَّعْ الذي يحط بها ويقال داب داب ليست ههنا حتى يحلَّ عرقوبها ثم تخرج وإذا لم تنظر فيما لزمني من هذا الأمر وإماني فيمن ينظر فيه فكف عنك أي بني

وكان في به في هذا الأمر الأخيرة قول بقوله عثمان لا أخلم لباساً ألبسه الله عز وجل وهو اعتذار لا يقبله من يريد له وللمسلمين السلامة ، أو هو مثل اعتذار دول الاستعمار منهم لا مناص لهم من تحمل التبعة الملقاة على عاتقهم بإزاء الأمم التي يحتلون بلادها ويسبون عليها وعلى مرافقها ومقومات حياتها دين أهلها

ومن الجليل أن أقول وقد كانت سيرة علي في أصحاب الجبل سيرة وفق الموقعة . فقد كان من ذلك أن لا يقتل مديراً ولا يدفع على جريح ولا يكشف سقراً ولا يأخذ مالا . فقال قوم يومئذ ما يحل لنا دماءهم ويحرم علينا أموالهم . فقال علي : القوم أمثالكم من أصفح عنا فهو منا ونحن منه ومن لم يجز حق يصاب فقتاله متى على الصدر والنحر : إن لكم في خمسة إغني . فيومئذ تكلمت الخوارج ولعله أول كلام ظاهر لهم

## على ومعاوية وما كان بينهما

قبل الكلام على ما بين علي ومعاوية أريد أن أسوق كلمة أعرف بها الحال النفسية لأهل العراق وأهل الشام

أهل العراق وأهل الشام : أهل العراق هم أهل المصريين البصرة والكوفة . وهم الذين فتحوا العراق ودخوا فارس وأرمينيا وفتحوا الفتوح العظيمة ومصر وأهل الشام هم من قبائل كثيرة . وقد كان أبو بكر حين وجه الجند الى جهة العراق وقوس لا يستعين بأهل الرقة على قتال الفرس ومن معهم . الى أن ذهب اليه

المثني بن حارث في آخر أيام حياته ومآله الاستماعة بن كان قد ارتد لان الحاجة  
 ماسة اليهم لكثرة جموع فارس وضخامة حشدهم وما أعدوا لأهل الاسلام من  
 عدة . فلم يلب أبو بكر من ذلك شيئاً بل عهد في ذلك الى عمر . فلما أفضى الامر  
 الى عمر استنصر الناس الى العراق ونسبهم للخروج مع المثني . ثم تنازع الامر  
 على تزجية الجيوش الى فارس والعراق . واستعان عمر بن كاث  
 من أهل الردة من حسن اسلامه ورغب في الجهاد ، غير أنه لم يكن لبولي أحد  
 منهم أمر الحرب ويؤمن القواد أن لا يعملوا أحداً منهم أميراً حذر غائلتهم . فلما  
 جاء عثمان صمغ لهم بالولايات وقدم كثيراً منهم في الحروب يوليهم أمر بعضها  
 وهم من الاسلام بمنزلة دون السابقين الأولين والمهاجرين والأنصار ومن نبتوا  
 على اسلامهم . فما ضحك الامر في تلك التواحي ونشت النابتة لهم في تلك الامصار  
 لم يكن الذين قد أخذ على شكايتهم وهم يترأى ومسمع من العرس وفي أيديهم السي  
 وبخالفون أهل الذمة في توليتهم فأخذوا بعض الشيء من خدمهم وسقط بالصرين  
 روادف ودقت ، وأعرب لحقت ، لا ساقية لهم ولا غناء فيهم . وقد وجدوا التقدم  
 أميرهم وحفظهم ذلك وجمعوا بما في نفوسهم من الكرامة لولاية قریش . وقد  
 أكلت الحرب قوي الفضل والسابقة والبلاء إلا قليلاً فقدموا تقدم أهل التقدم  
 ثم تدرجوا في الجوارح بما في نفوسهم وصاروا يشجعون على المال والولاية الجانيات  
 وكلما كرهوا من أمير أمراً استعفوا منه ، وكلما حادهم أمير أخذهم بأدب وأحوال  
 لا تتفق مع ما أخذهم به سابقه . فسهل عليهم غيب الولاية وأظهار التأفف منهم  
 وواجههم بالسوء . كل هذه العوامل أوجدت أهل العراق على أهواء مختلفة ،  
 وأغراض متباينة وأدلال على الامراء ونحن على الرؤساء مطرحين واجب الحشمة  
 ولازم الوقار ، لا يبالي أحدهم أن يشذ عن الجماعة ويفرق الكلمة ، ومروا على  
 هذا الضرب من الفرقة والتخاذل . وصاروا أهل جدال ومقارعة بالهجة وقوة  
 عارضة

أما أهل الشام فهم أهل الولايات الأربع : فلسطين والأردن ودمشق وحمص وما بينهما من الجزيرة وحمص أرمينيا ، وهم كاهل العراق فيهم بعض المهاجرين والانصار وقبائل العرب فتحمل تلك الناحية وحملوا نفورها وقد كثر عددهم غير أن جهتهم لم تكن كثيرة لانتفاض كنواحيها من ولم تتغير عليهم الولاية والامراء بل كان الأمير عليهم معاوية بن أبي سفيان جمعت له بعض الولايات لاربعة في مدة عمر واستكملت له في مدة عثمان ، عرفوه أميراً عليهم وعرفوا أنفسهم رعية سامعة مطيعة له ، لم تشق عليهم الاهواء ولم يبرأوا على سخط الرأي والتجني على الامراء.

فمعاوية لم يكن مارقاً على أهل الشام بالامراء ، ولا جديداً عليهم في الولاية بل ألفوا طاعته ونجحوا اليه بنفوسهم وظل حكمهم عليهم ، وكان راضياً مرضياً فيهم أما علي بن أبي طالب فإنه قد ورد العراق على امراء مخالفين له منبطلين عنه منحذين الى صفوف أعدائه والمطالبيين لنفسه التي بين جنبيه قد نخلقوا في شأنه فرقا ونفروا عليه حزائني . حتى اذا سمعوا بالدخول في أمره طوعا أو كرهاً وأعطوه أيديهم بالطاعة كانوا يرون أنفسهم أصحاب منة عليه وأولياء نعمة أسدوها اليه . وبرون أنفسهم شركاء في أمره وقسماء في سلطانه . ينازعونه الآراء ولا يجيبون له فداً . الا اذا اطلعهم على خفية أمره وأسلم لهم في رأيه

وجند هكذا يكون أمرهم لا يمكن أن يتم لهم امر أو يباغوا من فسكاية العدو مآرباً إذ الطاعة العمياء في الجنود أول شرط من شروط نجاح القواد واحرازهم النصر ان معرفتنا بكل ما تقدم تحمل لنا كثيراً من الامور التي نراها أشبه بعقدة لا تحمل من نجاح معاوية مع تأخره وصايفه علي وفضله وغتته في الاسلام واخفق علي

مع ماله من الفضل

كأنني بمعاوية كان عالماً جد العلم بأرواح الساري في نفوس أهل العراق ، والروح المبين له الساري في أهل الشام . وانمن كلن علي مثل أهل الشام كان جديراً

بالفوز والغلب ، إذ الاجتماع في الرأي ، والاتفاق في الكلمة ، والتسليم للرئيس بالطاعة على ما أحب المرء أو كره مدد لا يعادله مدد وعامل قوي من عوامل الفوز أما علي رضي الله تعالى عنه فإنه لم يحسب هذه الأمور حسابها يوم بايع . ويظهر للمطلع أنه لم يكن على بينة من الحالة النفسية لأهل العراق وأهل الشام . ولا بالحالة النفسية لمعاوية وماله من المسكنة عند القوم لقينهم في يده . وإن مما سهل على معاوية القيام بما قام به وكثر الجموع لديه أنه كان والياً على جميع ولايات الشام زمناً مديداً ولو أنه كان على دمشق وحدها ما تسنى له أن يقوم في الأمر على الوجه الذي قام به ولكن له مع علي شأن آخر

يقول أرباب البصر بنوا ميس الاجتماع وطبيعة الجماعات : أن عمل قواد الجموع على الدوام خلق الاعتقاد في النفوس . لا فرق بين أن يكون دينياً أو سياسياً أو اجتماعياً ولا أن يكون محله عملاً أو انساناً أو رأياً (روح الاجتماع)

وقد كان معاوية قائداً بهذا المعنى . فإنه قد خلق في أهل الشام اعتقاد اجرام علي ، وأنه قتل عثمان ظالماً وعدواً وأن دمه في عنقه ، وأن قتاله على ذلك واجب . وقد تأتى لمعاوية في هذا الأمر ما لم يكن يحلم به ، فإنه نصب قبص عثمان وهو مخرج يده على منبر دمشق سنة كاملة وعلى أردانه أصابع نائلة زوجه يمرض ذلك على أنظار الناس ويستنبر حينهم ويذكرى بذلك الاحقاد في قلوبهم على علي الفاصب - زعموا - بالخلافة المحل لدم الخليفة وقد آوى قتلته . ولا شيء يهيج الاحساس ويثبت الاعتقاد كالصور التي تعرض على الانسان . فما بالك بالدم على قبص الخليفة وأصابع زوجته مدلاة في رده تعرض على الانظار بكرة وعشياً .

ولم يكن له في وسيلة كهذه يؤثر بها في قلوب أصحابه ويحسمهم بها هذه الأمور وما تقدمها أوجدت لمعاوية نفوذاً شخصياً في القوم الذين معه زاده قوة ورسوخاً ماله من الامرة والملكة فيهم دهرأ طويلاً . لهذا كان معاوية



لا يلتقي معارضاً لأوامره ولا معقب لحكمه . بخلاف علي فإنه لم يكن له في جنده هذا النفوذ الذي كان لمعاوية في جنده .

يقول غوستاف لوبون ما معناه : ان قائد الجماعة يجب عليه أن يعرف روح الجماعة البعيدين عنه ليعرف كيف يسوسهم ويؤثر فيهم والا كان عمله ضائعاً . وان نابليون كان عالماً بروح الجماعة في فرنسا ولذلك كان تأثيره عظيماً فيهم ناجحاً على الدوام . ولكنه لما ذهب الى روسيا لم يكن عالماً بأحوالهم فظن أنهم يكونون له على مثال أهل فرنسا وأنه لا يلتقي في اخضاعهم والقائهم اليه بالطاعة عناء فكان الامر على غير ما قدر . اهـ

والظاهر أن علياً سبق الى الامر وهو غير عالم بما يتنازع أهل العراق من الاهواء ، وانهم ليسوا بأهل جماعة ، وأن أحوالهم قد فسدت بخلاف أهل الشام . لذلك اتقى العناء الاشد في أخذ طاعتهم له ، وكانت المكيدة فيهم أسهل والتأثير في حل رابطةهم أسرع . والله يحكم لا معقب لحكمه .

## بدء امر معاوية

ذكر مؤلف ( الامامة والسياسة ) أن عثمان بن بشير لما قدم على معاوية بكتاب زوجة عثمان تذكر فيه دخول القوم عليه وما صنع محمد بن أبي بكر من تنف لحيته في كتاب رقمت فيه وأبلغت حتى اذا ضمعه السامع يكي حتى يتصدع قلبه وبقميص عثمان مخضباً بالدم ممزقاً وعقدت شعر حيته في زر القميص . فصعد معاوية المنبر بالشام وجعل الناس ونشر عليهم القميص وذكر ما صنعه عثمان فبكى الناس وشهقوا حتى كادت نفوسهم تزحف . ثم دعاهم الى الطلب بدمه . فقام اليه أهل الشام فقالوا هو ابن عمك وأنت وليه ونحن الطالبون بملك بدمه . فبايعوه أميراً عليهم . وكتب

وبعث الرسل الى كور الشام وكتب الى شرحبيل بن السمط الكندي وهو بمحصر  
 يأمره أن يبايع له بمحصر كما يبايع أهل الشام . فلما قرأ شرحبيل كتاب معاوية  
 ودعا اناساً من أشرف أهل حصص فقال لهم : ليس من قتل عثمان بأعظم جرماً ممن  
 يبايع معاوية أميراً وهذه سفطة ولكننا نبايع له بالخلافة ولا نطلب بدم عثمان مع  
 غير خليفة فبايع معاوية بالخلافة هو وأهل حصص . وكتب الى معاوية : أما بعد فانك  
 اخطأت خطأ عظيماً حين كتبت الى أن أبايعك بالامرة وأنت تريد أن تطلب دم  
 عثمان الخليفة المظلوم وأنت غير خليفة وقد بايعت ومن قبلك بالخلافة . فلما قرأ  
 معاوية كتابه مره ذلك ودعا الناس وصعد المنبر وأخبرهم بما قال شرحبيل ودعاهم  
 الى بيعته بالخلافة فأجابوه ولم يختلف عليه احد

### شرح حبيب بن السمط

مر بنا أن معاوية لما خالف على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لم يبدأ أمره  
 الا بأن يأخذ البيعة على من قبله بالامرة عليهم لأطلب بدم عثمان . فبالخلافة لم تكن  
 مطمح نظره الى أن وجه نظره اليها شرحبيل بن السمط فن هو شرحبيل ؟ وما مبلغ  
 أثره ؟ وما الذي حمله على ذلك ؟

أما الرجل فهو شرحبيل بن السمط من بني معاوية بن عمرو من كندة ثبت  
 هو وابنه على اسلامهما حين ارتدت كندة وقامت الفتنة بينهم وبين ليده بن  
 زياد الانصاري بسبب فاقة عداء بن حجر أخي شيطان بن حجر وضع ليده  
 عليها ميسم الصدفة خطأ وأبى أن يطلقها لصاحبها . فاستغاث شيطان بقومه وقادى  
 اخطاف فارتدوا وحاربوا فقام شرحبيل وابنه وتبرأ من قومها الذين ارتدوا وقلا  
 لبني معاوية : انه لقبيح بالأحرار التنقل ان السكرام يلزمون الشبهة فيتكرمون

أن ينتقلوا عنها مخافة العار، فكيف الانتقال من الامر الحسن الجليل والحق الى الباطل والقيبح، اللهم اننا لا نغالي، قومنا على ذلك. وانتقلا الى لبيد بن زياد ومعهما امرؤ القيس بن عابس وكانوا يشيرون على لبيد بالرأي والمكيدة في الحرب فطرق زياد بجنوده مع الليل رؤساء المشافين وأصاب ملوكهم وهم: مشرح وعوض وجمد وابضة واختهم المعردة. وكان رسول الله ﷺ يدعو عليهم حين بلغه أمر ردتهم فنفضت جموعهم وهرب من أطلق الحرب وسبي النساء ولذاري ولما مر السبي بالاشعث بن قيس فكهم وجمع الجوع اقبال المسلمين. وكان له مع المسلمين وقائع انتمت بحصار الاشعث ومن معه بمحس الجبيل. فلما عضتهم الحرب واشتد عليهم الحصار خرج الاشعث ومن معه تسعة من الحصن ليدخلوا لانفسهم ويسلموا الحصن من فيه فكتبوا أسماء من يشملهم الأمان وندي الاشعث أن يكتب اسمه وأراد لبيد قتله بعد أن قتل لقتاله من اهل الحصن وسبي غير المقاتلة. فقال أصحابه: أخره حتى يقدم على أبي بكر فهو أعلم بالامر. فبصره مع السبي. فكان قومه يلعنونه لعدره والسبي يلعنونه. فلما قدم على أبي بكر (وكان النبي ﷺ قد توفي) قال له الاشعث: احسب في خير أو تطلق اساري وزد علي زوجتي (أم فروة أخت أبي بكر) وتقبلي عثرتي وتفضل في ما فعلت بأمنائي فجدني خير أهل بلادك لبني الله. فحقن أبو بكر دمه عليه ورد عليه أهله وأقام بالمدينة.

كان عمر بن الخطاب قد سبر شرحبيل بن السمط الى سعد بن أبي وقاص بالعراق فكان معه وقدمه سعد وقربه، فحسده الاشعث بن قيس. ولا يبعد ان يكون وجود شرحبيل في الجيش المحارب للاشعث أيام رده له أثر في حسده له واضطعانه عليه.

كان سعد بن أبي وقاص أوفد جرير بن عبد الله على عمر فتدسس له الاشعث بن قيس وقال له: ان قدرت أن تنال من شرحبيل عند عمر فافعل.

فلما قدم سألهم عمر عن الناس فأحسن الثناء على سعد . قال : وقد قال شعرا :  
 ألا ليتني والمرء سعد بن مالك      وزيرا وابن السمط في بركة البحر  
 فيفترق أصحابي وأخرج سالما      على ظهر قرقور انادي أبا بكر  
 من هذين البيتين فهم عمر أن الناس يتبرمون بمكان زير وشرحبيل من سعد  
 وكان من شأن عمر الحرص على ألا يبقى لاحد من الناس علة يعتل بها فأرسل الى  
 سعد أن يرسل اليه زيرا وشرحبيل . فلما قدما عليه أمسك زيرا بالمدينة ومسير  
 شرحبيل الى معاوية بالشام فحرف بها . وتقدم وعلا شأنه عند معاوية وعند الناس  
 فلما قدم جرير بن عبد الله رسولا من علي الى معاوية وهو ناز شرحبيل ، عزم  
 شرحبيل على إحباط مسعاه وردّه خائبا . وكان مما قاله لمعاوية حين أفضى اليه  
 بما جاء اليه جرير : « كان أمير المؤمنين عثمان خليفتنا فان قويت على الطلب بدمه  
 والا فاعزلنا » وعمل على مبايعته بالخلافة . وانصرف جرير الى علي . وقد  
 قال النجاشي :

شرحبيل ما الدين فارقت أمرنا      ولكن لبغض المالكي جرير  
 وقولك ما قد قلت عن امرأعت      فأصبحت كالحادي بنير بعير

### ﴿ مسير عمرو بن العاص الى معاوية ﴾

كان عمرو بن العاص بالمدينة في بدء الفتنة . ولا نجول ان عثمان لم يكن مجتلا  
 في شأنه لأن عمرو بن العاص هو الذي فتح مصر وثبت فيها كلمة الاسلام ودان  
 أهلها له بالطاعة أقام واليا عليها بقية أيام عمر . فلما جاء عثمان عزل عمرا عنها وولاهها  
 عبد الله بن سعد بن أبي مروح . والفضام عن الولاية شديد . فليس من الغريب  
 ان يكون عمرو بن العاص في نفسه معية على عثمان . فكان عمرو يرمي بكلمات  
 لها وقع الاسنة على عثمان حتى قيل ان عمرا لما باقته قتله قال : انا ابو عبد الله .

أنا قتله وأنا بوادي السباع . ومعناه في ذلك أنه كان يؤاب عليه ويأتي إلى الناس ما يغير قلوبهم عليه حتى قلوب رعاة الشاة في الجبال وفي الأودية

خرج عمرو بن العاص من المدينة لما أحيط بهتان وقال : يا أهل المدينة لا يقيم أحد فيدركة قتل هذا الرجل الاضربه الله بذل . من لم يستطع نصره فليهرب وسار إلى فلسطين ومعه أبناء عبد الله ومحمد وقام بها فحربه راكب واخبره بأنه ترك عثمان محصوراً . ثم مر به راكب آخر فخير به قتل عثمان . وبعد مدة مر به آخر فأنبأه بيعة علي وإن الوليد بن عتبة سأل علياً عن قتله فقال له والله ما أمرت ولا نهيت ولا سرتي ولا ساءتني وأنه آوى ولم يرض (أي بالقتل منهم) وإن مروان احتج عليه فقال إن لم تكن أمرت فقد توليت الأمر (أمر المسلمين) وإذا لم تكن قتلت فقد آويت القاتلين . فقال عمرو بن العاص : خلط والله أبو الحسن أنا أبو عبد الله يكرن فيها حرب . من حث فرجة نكأها . فقال سلم بن ذباب : يا معشر العرب كان بينكم وبين العرب باب فكسر فتخذوا بها غيره . فقال عمرو : ذلك الذي زينه . ويقول ابن الأثير ثم ارتحل عمرو يبكي كما تبكي المرأة ويقول : واعثمانه أنسى الحياء والدين . حتى قدم دمشق

وبدكر ابن الأثير أن عمر أفل حين بلغه قتل عثمان : إن بل هذا الأمر طالحة فهو فني العرب سيباً وإن يله ابن أبي طالب فهو أكرم من يله إلى . فلما بلغه بيعة الناس لم يلبى اشتد عليه الأمر وأقام ينتظر ما يفعل الناس . فبلغه مسير طلحة والزبير وعائشة فترأص حتى أتته خبر وقعة الجمل وماتم فيها فارتجع عليه أمره

أدار عمرو عينيه فإذا معاوية بالشام يعظم شأن عثمان ويدعو إلى الطالب بدمه وكان معاوية أحب إليه من علي . فاستأثر ولديه وقال لهما أما علي فلا خير لي عنده وهو يدل بسابقتها وغير مشرك في شيء من أمره . فأشار عليه ابنه عبد الله بأن يكف يده ويجلس في بيته حتى يجتمع الناس . وأشار عليه محمد بأنه لا ينبغي أن

يجتمع الناس في هذا الامر وليس له فيه صوت. فحمد لكل منهما رأيه وعمل برأيه  
محمد وخرج الى الشام فحسن لمعاوية ما رأى ومعاوية لا يلتفت اليه . وكأني بمعاوية  
وقد تخوف ان يكون الرجل يعطن غير ما يظهر فلم يستعمل اليه حتى يكون على  
بينه من أمره .

ورأى ابنه اعراض معاوية عنه فأشارا عليه بمفارقه . فدخل عمرو على معاوية  
وكلمه في هذا الشأن بما كانت عاقبته أن استنداه وأشركه في أمره وجعله موضع  
سريره ومرد مشورته .

وإني لاستبعد ما قصه ابن الأثير من أن همرا قال لمعاوية : والله لمعجب لك  
إني أرفدك بما أوفدك وأنت مريض عني ! ان قاتلنا معك نطلب بدم الخليفة ان  
في النفس ما فيها حيث تقابل من تعلم سابقته وفضله وقربته ولكنا إنما أردنا هذه  
الدنيا . فصالحه معاوية وعطف عليه . فإني لأحسب أن الخطابية على هذا الوجه  
لا تسمح بها نفس هروبل هو ينكرم عنها ولا يقبل ذلك منه معاوية . مها قيل  
ان باطن أمر كل منهما كان على ذلك

### ﴿ خروج ابن أبي سرح الى مصر ﴾

فلما خرج عبد الله بن أبي سرح يريد المدينة وثب محمد بن أبي حذيفة على  
أمارته مصر فأخذها وصلى بالناس . وعلم ابن أبي سرح بالظفر فلم يقدر على الرجوع  
الى مصر فأقام بتغزوها حتى جاءه خبر قتل عثمان وبيعة على فاستخرج . فقال له الخبير  
كان ولاية علي بن أبي طالب عدلت عندك قتل عثمان . قال أجل فتأمله الرجل وقال  
كانك عبد الله بن أبي سرح أمير مصر . قال أجل . قل فإن كان له في نفسك  
حاجة فالجاء النجاء فإن رأي أمير المؤمنين فيك وفي أصحابك شيء ان ظفر بكم  
قتلكم أو نفاكم عن بلاد المسلمين وهذا بعدي أمير بدم عليك . قال ومن هو قال  
قيس بن سعد بن عباد . فقال عبد الله أبعد الله محمد بن أبي حذيفة فإنه يفي على  
ابن عمه وصمى عليه وقد كان كفله ورياه وأحسن اليه . فأساء جواره ووثب على عماله

وجيز الرجال اليه حتى قتل ثم ولى عليه من هو أيمد منه ومن عثمان ، لم ينعمه بسلطان بلاده حولاً ولا شهراً ولم يره أهلاً لذلك ، فقال الرجل أجب بنفسك لا تقتل . فولى عبد الله وجهه شطر الشام ولحق بمعاوية

وكان علي بن أبي طالب لما ولى دعا قيس بن سعد وقال له : سر الى مصر فقد واينكها واخرج الى رحلك واجمع اليك ثقاتك ومن أحببت ان يصحبك حتى تأتيها ومعك جند فان ذلك أرفع لمدوك وأعز لوليك . فإذا أنت قدمتها ان شاء الله فأحسن الى الحسن واشتد على المريب وارفق بالمأمة والخاصة فان الرفق بمن . فقال له قيس : برحك الله يا أمير المؤمنين ، فقد فهمت ما قلت . أما قولك أخرج اليها بجند فوالله ان لم أدخلها إلا بجند آتيتها به من المدينة لا أدخلها أبداً ، فإنا أذع ذلك الجند لك فان أنت احتججت اليهم كانوا منك قريباً وان أردت أن تبهمهم الى وجه من وجوهك كانوا عدة لك وأنا أصير اليها بنفسي وأهل بقي . وأما ما أوصيتني به من الرفق والاحسان فان الله عز وجل هو المستعان على ذلك . فخرج قيس بن سعد في سبعة نفر من أصحابه حتى دخل مصر . فصعد المنبر فجلس عليه وأمر بكتاب معه من أمير المؤمنين قريه على أهل مصر . وفيه :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين الى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فان الله عز وجل بحسن صنعه وتقديره وتدبيره اختار الاسلام ديناً لنفسه وملائكته ورسله وبعث به الرسل عليهم السلام الى عبادته وخص به من انتخب من خلقه . فكان مما أكرم الله عز وجل به هذه الأمة وخصهم به من الفضيلة ان بعث اليهم محمداً ﷺ فملهم الكتاب والحكمة والفرائض والسنة لكيما يهتدوا وجمعهم لكي لا ينفرقوا وزكاهم لكيما يتطهروا ورفهم لكي لا يجوروا . فلما قضى من ذلك ما عليه قبضه الله عز وجل صلوات الله عليه ورحمته وبركاته ثم ان المسلمين استخلفوا به أميرين صالحين عملا

بالكتاب والسنة وأحسن السيرة ولم يمدوا السنة ثم توفاهما الله عز وجل رضي الله  
عنهما ثم ولي بعدهما وال فأحدث أحداثاً فوجدت الأمة عليه مقلاً فقالوا ثم نعموا  
عليه فغيروا ثم جاءوني فبأيهموني . فاستهدي الله عز وجل بالهدى واستبينه على  
التقوى ألا وإن لكم علينا العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ والقيام عليكم بحقه  
والالتفيع لسنته والنصح لكم بالغيب والله المستعان وحسينا الله ونعم الوكيل . وقد  
مات اليكم قيس بن سعد بن عبادة أميراً فوازروه وكانوه وأعينوه على الحق وقد  
أمرته بالاحسان إلى محسنكم والشدة على مريبكم والرفق بعوامكم وخواصكم وهو ممن  
أرضى هديه وأرجو صلاحه ونصيحته أسأل الله عز وجل لنا ولكم عملاً زاكياً ونواباً  
جزيلاً ورحمة واسعة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وكتبه حميد الله بن أبي  
رافع في صفر سنة ٣٦ - ثم

ثم أن قيس بن سعد قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ﷺ وقال  
الحمد لله الذي جاء بالحق وأبطل الباطل وكبت الظالمين . أيها الناس إنا قد بائنا  
خير من تعلم بعد محمد نبينا ﷺ أقوموا أيها الناس فبايعوا على كتاب الله عز  
وجل وسنة رسوله ﷺ فإن نحن لم نعمل لكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم . فقام  
الناس فبايعوا واستقامت له مصر وبمات عليها عماله ونمت مصر على الطاعة إلا  
جماعة في خربنا أعظموا قتل عثمان واعتزلوا ينتظرون ماذا يتم وقالوا له أيمت عمالك  
فإن الأرض أرضك لا تتأزلك وأمهاتنا حتى يتبين الأمر . وكذلك مسلمة بن مخلد  
لم يبايع وعاهد قيساً أن لا يعمل شيئاً ما بقي والياً على مصر وبقي في مصر إلى أن  
انقضى أمر الجمل . وكان قيس كافياً فكان أنقل شيء على معاوية وقد خشى أن  
يسير إلى علي وقيس خلفه بمصر . فكتب معاوية إلى قيس يعظم قتل عثمان ويطوقه  
عليماً ويحطه على البرامة من ذلك وتابته على أمره على أن يولي المرافين إذا ظفر  
ولا يعزله ويولي من أراد من أهله الحجاز كذلك ويعطيه ما شاء من الأموال .



فنظر في الامر هو ومن معه من أهله بين موافقته ومصالحته ومطاولته أو معالجته بالحرب فأثر الموافقة والمطاوله وكتب اليه - أما بعد فإني لم أقارف شيئاً مما ذكرته وما اطلمت لصاحبي على شيء منه - وأما متابعتك فنظر فيها - وليس هذا مما يسرع اليه وأنا كاف عنك فلا يأتيك شيء من قبلي تكرهه حتى نرى رتري . وكان يريد بذلك ان يطمع معاوية في متابعته حتى يتبها له مناجزته . ولو أن قيسا بقي بمصر الى زمن حرب صفين لكان وجوده شاعلاً لمعاوية ولكن له معه شأن آخر ولسكان أخرى ان ينقض من أمر معاوية كل ميرم كتب اليه معاوية بعد ذلك اني لم أرك تدنو فأعدك سدا ولا تباعد فأعدك حرباء وليس مثلي يصانع الخنادع وينجدهم للسكايد ومعه عدد الرجال وأعتة الخيل والسلام

علم قيس ان المدافعة لا تنفع معه . فظهر ما في نفسه وكتب اليه بالرد القبيح والشتم والتصريح بفضل علي والوعيد . وكان فيما قاله : « وأما قولك اني مالي . عليك مصر خيلا ورجلا فوالله ان لم أشغلك بنفسك حتى تكون نفسك أهم اليك انك لتوجد والسلام » . فأس منه معاوية ونقل عليه مكانه . وأخذ يكيد له من قبل علي فأشاع عنه أنه ماله موافقة وأنه صار شيعة له وأنه تأتيه كتبه ورسله وأنه قد ماله المطالبين بدم عثمان بمصر يجري عليهم الأرزاق ويوفيهم بالاعطيات . فوصل ذلك الى علي من محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر وعيونهم بالشام . وأعظم علي ذلك ولم يشأ أن يصدق في قيس قولاً وتفاوض مع ابنه وعبد الله بن جعفر فأشار عليه الأخير بمزله

أما علي فعمل في العزل . وجاءه بعد ذلك كتاب قيس بن سعد بشأن المعتزتين بمخربتا ومن لم يبايع وأنهم كانوا عن القتال حتى يتبينوا . وخشي من مع علي أن تكون الملائكة فاشاروا عليه أن يأمره بقتال الكافرين عنه . فأمره بذلك .

فلم ير قيس ذلك رأياً وكتب اليه : « متى قاتلتهم ساعدوا عليك عدوك وهم الآن معتزلون والرأي تركهم » . فكان ذلك مما يقوي رغبة أصحاب علي في أمر سعد فاشاروا عليه بمزله وبث محمد بن أبي بكر أميراً لمصر ففعل . وغضب قيس وخرج من مصر الى المدينة وخطبها مروان بن الحكم فأخاف قيساً . ففرج عنها وخلق بملي . وعاتب معاوية مروان فيما فعل وقال له : انك أمددت علياً بقيس . ولو أنك أمددته بمائة ألف لكانوا أهون علي من قيس . وضمةً فيها صنع . أما قيس فلاحق بملي وكشف له الخبر فقبل عذره ووافقه على أمره كله . وكان خروج قيس بحسن تدبير معاوية وسلامة صدر علي

## أمر صفين

قال الاستاذ الخضرى : لم تكن واقفا الجنى على شدة هولها وفظاعة أمرها الا مقدمة لما هو أشد منها هولاً وقطع أمراً وهو الحرب في صفين انصرف علي بن أبي طالب من البصرة الى الكوفة وبعث الى جرير بن عبد الله البجلي والاشعث بن قيس الكندي وكانا عاملين لعنان بفارس أولهما بهمدان والثانى بأذربيجان أن يأخذاه كل منهما البيعة على من قبله وأن يوافقاه ففعلا وانصرفا اليه . فلما أراد علي توجيه الرسول الى معاوية قل جرير : ابعثني اليه فإنه لي ود حتى آتيه فأدعوه الى الدخول في طاعتك فقال الاشعث لملي : لا تبعه فوافاه لأظن هواه منه . فقال علي : دعه حتى ننظر ما يرجع به اليينا . فبعثه اليه وكتب معه كتابا يعلمه فيه اجتماع المهاجرين والانصار على بيعته ونكت طالحة والزبير وما كان من حربه اياهما ويدعوه الى الدخول فيها دخل فيه المهاجرون والانصار من طاعته فشخص اليه جرير فلما قدم عليه ما طله واستنظره ودعا عمرأ فاستشاره فيما

كتب اليه به . فأشار عليه أن يرسل الى وجوه أهل الشام ويلزم علياً دم عثمان ويقال له بهم ففعل ذلك معاوية وكان أهل الشام لما قدم النعمان بن بشير بقميص عثمان وأصابع زوجته نائلة أصبعان مقطوعتان بالبراجم وشيء من الكف وأصبعان مقطوعتان من أصولهما ونصف الأبهام قد علقوه منه وآلى الرجل من أهل الشام أن لا يمسهم الماء فيسأل إلا من الاحتلام ولا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان ومن عرض دونهم شيء أو تقى أرواحهم

فلما قدم جرير بن عبد الله على علي وأخبره الخبر وقع فيه الاشترا وقال : قد كنت نمتك عن إرسائه وأخبرتك بمدونه وغشه ولو كنت بمثلي لكان خيراً من هذا الذي أقام عنده ولم يدع يبايريد فتحه إلا فحه ولا يبا يخاف منه إلا أغلته . فقل جرير : لو كنت ثم لقتلك . لقد ذكروا أنك من قتلة عثمان . قال الاشترا : لو أني بهم والله يا جرير لم يبق جواهم . وثلث معاوية على خطة أعجله فيها عن الفكر . ولو أطاعني فيك أمير المؤمنين لحبك وأشباهاك في محبس لا تخرجون منه حتى تستقيم هذه الأمور . فخرج جرير بن عبد الله الى قرقيساء وكتب الى معاوية فاستقدمه

ومعلوم أن الشام من جملة أجناد المسلمين لأنها نهر عظيم يجاور الامة الرومية التي لم تزل حافظة لشيء كثير من قوتها . فكانت الجيوش الاسلامية هناك على غاية الاستعداد عاشروهم معاوية طويلاً وهو ازجل الديامي الخنك فامتلك قلوبهم وصاروا طوع أمراً ما أمرهم اثمروا به وما نههم اثمروا عنه ومثل تلك القوة العظيمة سهلت له أن يرفض بيعة علي ويمنعه بالاشتراك في دم عثمان أو على الأقل بحماية قتليه حتى آواهم الى جيشه . ولم يعمل أي عمل في القصاص منهم . فلما جاء جرير علياً وأخبره بما عليه أهل الشام لم يجد على مناصاً من المسير والقتال . فخرج وعسكر بالنعيلة خارج الكوفة وبلغ معاوية خروجه اليه بنفسه فاستشار عمرو ابن العاص فأشار عليه أن يخرج بنفسه كذلك وأن لا ينبغي عنه برأيه ومكيدته

وسار معاوية مشهلاً وكتب إلى كل من كان يرى أنه يخاف علياً أو طعن عليه  
ومن أعظم دم عثمان واستغفر عليه . فلما رأى ذلك الوليد بن عقبة بعث إليه :

ألا أبلغ معاوية بن حرب	فأنت من أخى ثقة ملهم
قطعت الدهر كالدم المعنى	تهدر في دمشق فما تريم
وانك والكتاب إلى علي	كداينة وقد حلم الأديم
بشيك الامارة كل ركب	لا تقاض العراق بها رسم
وليس أخواتك عن توفى	والكن طالب الثرة الغشوم
ولو كنت التتيل وكان حياً	لجرد لا الب ولا سؤوم
ولا نكل عن الأثر حتى	يسى بها ولا يرم جحوم
وقومك بالمدينة قد أبروا	فهم صرعى كأنهم المشيم

فدعا معاوية شداد بن قيس كاتبه وقال : ابغى طوعاراً فأنا به فأخذ القلم  
فقال : لا تمجل . اكتب :

ومستعجب مما يرى من افتنا      ولو زبنته الحرب لم يفرم  
وأرسل به إليه

أخذ على مجنوده طريق الجزيرة وعبر القرات من الرقة ومن هناك  
قدم طلائع أمامه حتى إذا كانوا بسور الروم اشتروا بطلان معاوية فكانت بين  
الفریقین مناوشات قليلة ثم تعاجروا ثم تلاقت جنود علي ومعاوية فسكر الطائفة أن  
في سهل صفيين وتوافقت الجنود الإسلامية بعضها أمام بعض

اختار على ثلاثة من رجائه ليفتحوا إلى معاوية يطالبون إليه الطاعة ، وهم بشير بن  
عمر والانصاري ومعيدين قيس الهمداني وشيث بن ربيع التميمي فساروا حتى دخلوا  
على معاوية فتكلم بشير بن عمر وقال : يا معاوية إن الدنيا عنك زائلة وانك راجع  
إلى الآخرة وإن الله محاسبك بعملك وجازيك بما قدمت يدك . وإنى أنشدك الله

أن تفرق جماعة هذه الامة وان تسفك دماءها . قال له معاوية : هلا أوصيت صاحبك بذلك ؟ فقال : ان صاحبي ليس مثلك ، ان صاحبي أحق البرية كلها بهذا الامر في الفضل والدين والسابقة في الاسلام والفراية من الرسول ﷺ . قال فيقول ماذا ؟ قال يا أمرك بطاعة الله واجابة ابن عمك الى ما يدعوك اليه من الحق فانه أعلم لك في دينك وخير لك في عاقبة أمرك . قال معاوية : ونطل دم عثمان لا والله لا أفعل ذلك أبداً فقام شبت فقال : يا معاوية اني قد فهمت ما زددت انه والله لا يخفى علينا ما نرزو وما تطلب انك لم تعجد شيئاً تستهوي به الناس وتستميل به أهواءهم وتستخلص به طاعتهم الا قولك : قتل امامكم مظلوماً فنحن نطلب بدمه فاستجاب لك صفهاء مقام وقد علمنا أنك قد اخطأت عنه بالنصر وأحببت له القتل لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب ، ورب متعني أمر وطالبه بحول الله عز وجل دونه بقدرته وربما أتوني انتمني أمنيته وفوق أمنيته والله مائت في واحدة منهما خير ، اني أخطأت ما ترجوا انك لنس العرب حالا في ذلك ، وانني أصبت ما عنى لا تدنيه حتى تستعمل من ربك صلى النار ، فاتق الله يا معاوية ودع ما أنت عليه ولا تنازع الامر أهله . ولم يكن من معاوية جواب على هذه المقالة الشديدة إلا رد أشدو أمره ايهم ، لا نصراف . فاتوا علباً وأخبروه بالخبر كان النوم جيماً يهابون أن تاتى جموع الشام بمجموع العراق خوفاً من الاستئصال والحلاك ، فكانت تخرج الفرقة من جيش أهل العراق فتخرج لها مثلها من جيش أهل الشام فيقتلون ، وعلى هذه الحال كان شأنهم في ذى الحجة سنة ٣٦ فلما أهل الحرم نوادع الفريقان الى انتصائه طمعاً في الصلح ، واختلعت بينهما الرسل في ذلك

وعلى ذكر الرسل أقول : ان ذا الرأي الحصيف انما ينتقى بالرسل ليعربوا عن ذات نفسه ويكون الواحد منهم رقيقاً محسناً للسفارة خبيراً بالتأني للأمر

لا يرى فتناً إلا رتفه ولا صدعاً إلا رآه . وهو عنوان عقل مرسله . فإذا لم يحسن اختيار الرسول كان بلاء استنبهه وانتبشت عليه الأمور ، وكان ما يأتيه من البلاء على يد رسوله أشد وأنكى مما يأتيه من غيره .

ونحن أولاء نرى من رسل علي ظهوراً بمظهر العتو والنجبر يبدو الشر على وجوههم والقول الجافي من أفواههم كأنهم أرسلوا لاشمال النار وإيقاظ الشر ، وعلى مع ذلك لا يبدل شيئاً يكون الصلح عليه ولا يريد من معاوية إلا أن يلقي بيده ويستكين استكامة الذليل مع اخشاع القول له والاستعلاء عليه وقدر صدى من هو خسر من علي رسله بإلانة القول والرفق لمن هو شر من معاوية فقد قال الله تعالى لموسى وهرون إذ أرسلنا إلى فرعون « تقولاً له قولاً ليناً لعله يذكرك » أو يخشى ، فأيسر به مجيب أن تكون عاقبة هذه الرسائل النشل .

بعث علي عدي بن حاتم ويزيد بن قيس الأرحبي وزيد بن خصفة وشيث ابن ربيح - وهو أحد الرسل في المرة الأولى وربما كان حقه سبباً في عدم النجاح - لما دخلوا على معاوية بدأ عدي فقال : انا أتيناك نذكرك إلى أمر يجمع الله به عز وجل كلنا واستنا ويحقن به الدماء ويصالح به ذات البين ، ان ابن عمك سيد المسلمين أفضلنا سابقاً وأحسنها في الإسلام أثراً وقد استجمع له الناس وقد أرشدكم الله بالذي رأوا فلم يبق أحد غيرك وغير من معك ، فأنته يا معاوية لا يصيدك الله بأصحابك يوماً كيوم الجمل . فقال معاوية كأنك إنما جئت متهدداً ولم تأت مصلحاً هيهات يا عدي كلا والله اني لأبئن حرب ما يقع لي بالشنان واليك لمن المجلبين على ابن عفان واليك لمن قتله ، واني لأرجو أن تكون ممن يقتل الله عز وجل . هيهات يا عدي قد حابت بالسعد الأشد . فقال شيث وزيد أتيناك فيما يصلحنا وإياك فأقبلت تضرب لنا الأمثال دع ما لا يتفق به من القول والفعل وأجبتنا فيما يعمنا وإياك نفعه . وقال يزيد بن قيس : انا لم تأت إلا لتبلغك ما بعثنا به اليك ولنؤذي

عنك ما سمعنا منك ونحن على ذلك لن ندع أن تصح لك وأن ندكر ما ظننا  
 أن لنا عليك به حجة وانك راجع به إلى الالفة والجماعة . ان صاحبنا من قد  
 عرفت وعرف المسلمون فضله ولا أظنه يخفى عليك ان أهل الدين والنضل لن  
 يبدلوا بلي ولن يملوا بينك وبينه فائق الله يا معاوية ولا تخالف علينا فانا والله  
 ما رأينا رجلاً قط أحمل بالقوى ولا أزهى في الدنيا ولا أجمع لخصال الخير كلها  
 منه . فقال معاوية : أما بعد ، دنسكم دعوتكم إلى الطاعة والجماعة . فأما الجماعة التي  
 دعوتكم إليها فمعنا هي . وأما الطاعة لصاحبكم ففان لا تراها . ان صاحبكم قتل خليفتنا  
 وفرق جماعتنا وآوى ثارنا وقتلنا وصاحبكم يزعم أنه لم يقتله فنحن لا نرد ذلك  
 عليه . أرأيتم قتلة صاحبنا ؟ أستم تعلمون أنهم أصحاب صاحبكم فليدفعهم اليها  
 فليقتلهم به ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة . فقال له شيب : أيسرك يا معاوية  
 أنك أمكنت من عمار تقتله ؟ فقال وما يعني من ذلك ، والله لو أمكنت من ابن  
 صمية ما قتله عثمان والكن كنت قتله بنائل مولى عثمان . فقل شيب لا تصل  
 إلى عمار حتى تدر الهام عن كواهل الاقوام وتضييق الارض القضاء عليك برحبها  
 فقال معاوية : انه لو قد كان ذلك كانت الارض عليك أضيق . وبذلك انتهت  
 هذه السفارة التي لم يكن ينبغي أن تنتهي إلا بمنزل ما انتهت اليه . لانه كان من  
 الضروري أن تكون فائدة الصلح والدعوة شيئاً في مصلحة كل من الطرفين . ينزل  
 هذا عن شيء وهذا عن شيء حتى يكون صالحاً . أما هذه السفارة فقد كانت  
 دعوة كوابها مع ما في بعض الداعين من هذه الشدة التي تفسد القلوب وتباعد  
 ما بينها

وارسل معاوية إلى علي حبيب بن مسلمة القهري وشرحبيل بن السمط ومن  
 ابن يزيد بن الاخنس فدخلوا عليه فتكلم حبيب فقال : أما بعد ، فان عثمان بن  
 عفان كان خليفة مهيأً يعمل بكتاب الله عز وجل ويتيب إلى امر الله فاستنقلم

حياته واستبطنتم وفاته فمدوتم عليه فقتلتموه ودفع اليها قتلة عثمان ان زعت أنك  
لم تقتله تقتلهم به ثم اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم يولى الناس  
أمرهم من أجمع عليه رأيهم . فقال له : ما أنت لا أم لك والعزل وهذه الامة .  
اسكت فانك لست هناك ولا بأهل له . فقام وقال : والله ليريني بحيث تسكره .  
فقال علي : وما أنت وإن أجليت بخيلك ورجلك لا أبقي الله عليك ان ابقيت  
علي أحقره أو سوء اذهب فصوصب وصعد ما بدا لك . وقال شرحبيل بن السمط :  
ما كلامي الا مثل كلام صاحبي فهل عندك جواب غير الذي أجبت به من قبل ؟  
فقال علي : نعم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر بيعة الرسول ﷺ وهدايته للناس  
ثم قبضه الله اليه واستخلف الناس أبا بكر واستخلف أبو بكر عمر فأحسن السيرة  
وعدلا في الامة وقد وجدنا عليها أن توليا علينا ، ونحن آل رسول الله ، ففقرنا  
ذلك لها ، وولي عثمان فعمل أشياء عليها الناس عليه . فساروا اليه فقتلوه . ثم أتاني  
الناس وأنا معتزل أمورهم . فقالوا لي : تابع ، فأبيت عليهم . فقالوا لي : تابع فان  
الامة لا ترضى الا بك ، وأنا نخاف ان لم تفعل أن يفترق الناس . فتابعتهم فلم  
يرعني الا شقاق رجلين قد زيعاني وخلاف معارفة الذي لم يجعل الله له سابقة في الدين  
ولا صلت صدق في الاسلام طليق بن طليق حارب من هذه الاحزاب ، لم يزل الله  
ولرسوله وللمسلمين عدواً هو وأبوه حتى دخلوا في الاسلام كارهين فلا غرو الا خلاصكم  
معه وانقيادكم له وتدعون آل نبيكم الذين لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافهم ولا أن  
تعدلوا بهم من الناس أحداً . الا اني أدعوك الى كتاب الله وسنة نبيه ، وامانة  
الباطل واحياء معالم الدين . فقال له شرحبيل : أشهد أن عثمان قتل مظلوماً . فقال  
لها : لا أقول أنه قتل مظلوماً ، ولا أنه قتل ظالماً . قالوا فن لم يزعم أن عثمان قتل  
مظلوماً فنحن منه براء . ثم انصرفا . فقال علي فأنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم .



الدعاء اذا ولوا مدبرين . وما أنت بهادي المعنى عن ضلالتهم ان تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون

لما افساخ المحرم أمر على من ينادي : الا أن أمير المؤمنين يقول لكم اني قد استدمتكم لمرأجوا الحق وتنبؤوا اليه واحتججت عليكم بكتاب الله فدعوتكم اليه فلم تنأهوا عن طغيان . ولم تحبوا الى حق . واني قد تبنت اليكم على سواء . ان الله لا يحب الخائنين . فنزع أهل الشام الى أمرائهم وروؤسائهم وخرج معاوية وصهرو يكتبان الكتاب ويعبيان الجيوش وفعل على فعلهما . وقال لا تقتلوهم حتى يقتلوهكم فأنتم على حجة وتركهم حتى يقتلوهكم حجة أخرى فاذا هزمتهم فلا تقتلوه مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم ولا رجال القوم فلا تنكحوا صغراً ولا تدخلوا داراً ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم ولا تهبجوا امرأة وان شئتم أعراضكم وسبيهم أمرائكم وسلحاءكم فانهن ضعاف القوى والانفس . وكان يقول بهذا المعنى لاصحابه في كل موطن اه

وفي غد ذلك اليوم وهو يوم الاربعاء أول صفر سنة ٣٧ ابتدأت الحرب من غير ان ينف كل الجيشين وجهاً لوجه بل كل يوم يخرج قائد من هذا وقائد من هنا حتى اذا مضت سبعة أيام قال علي لجنده ليلة الاربعاء تأمن صفر حتى متى لا تناهض هؤلاء القوم بمحمنا ؟ وافق معهم على ذلك فباتوا يصلحون أمرهم وفي ذلك يقول كعب بن جعيل التغلبي :

أصبحت الامة في أمر عجب      وانك مجروح غداً لمن غلب  
فقلت قولاً صادقاً غير كذب      ان غداً تهلك أعلام العرب

وفي الصباح زحف علي بجنود أهل العراق ، وزحف له معاوية بجنود أهل الشام وذلك في يوم مشغوم لا يزال المسلمون يعدونه شؤماً من لدن ذلك الحادث الى الآن . تناهض الناس ذلك اليوم واقتتلوا قتالاً شديداً نهارهم كله . ثم انصرفوا

عند المساء وكل غير غالب ، ثم أعادوا الكرة في غد ذلك اليوم وكانت حملتهم أشد من اليوم الأول وقد انكشفت ميمنة أهل العراق وانتهت هزيمتهم الى علي فغشى نحو المبصرة فانكشفت عنه مضر في المبصرة وقبضت ربيعة . ومربه في ذلك الوقت الاشر النخعي ، فقال له : انت هؤلاء القوم قتل لهم أين فراركم من الموت ؟ فذهب اليهم الاشر وهيج الناس غلوض الفترات فتابعوه وكروا معه ، فأخذ لا يسمد لكتيبة إلا كشفها ، ولا لجمع إلا حازه ورده ، ولم يزل حتى كشف هذه الجوع المهاجرة وألحقهم بصفوف معاوية بين العصر والغرب ولم يزل الاشر في هجمته حتى وصل الى حرس معاوية وكان معاوية يقول : أردت في هذا الوقت أن انهزم فذكرت قول الاطباية :

أبت لي عفتي وأبي بلاني      واقدامي على البطل المشيح  
واعطاني على المكروه مالي      وأخذني الحمد بالخن الربيع  
وقولي كما جشأت وجاشت      مكائك تحمدي أو نستريح

فنعني هذا القول من الفرار . وفي هذا اليوم قتل عمار بن ياسر ولما أمدى المساء على الفريقين لم ينفصلا بل استمر القتال شديداً طول الليل ويسمون هذه الليلة ليلة الحرير يشبهونها بليلة القادسية حتى اذا أصبح عليهم صبح يوم الجمعة أخذ الاشر يزحف بالميمنة ويقاقل بها ويهيج الناس بقوله وعلي يمدد بالرجال لما رأى من ظفره . وبينما هم في هذه الأشدة الشديدة اذا بالمصاحف قد رفعت على رؤوس الرماح من قبل أهل الشام وقائل يقول : هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم ، من لنغور الشام بعد أهل الشام ، من لنغور العراق بعد أهل العراق ! فلما رأى أهل العراق المصاحف مرفوعة قالوا نجيب الى كتاب الله . فقال لهم علي : يا عباد الله امضوا على حقتكم وصدقكم ، فان معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي

معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي مريح والضحك بن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن أنا أعرف بهم منهم قد صحبهم أطفالا وصحبهم رجالا فكانوا اشترى أطفالا واشترى رجالا . وبحكم انهم ما رفعوها ثم لا يرفعونها ولا يعملون بما فيها وما رفعوها لكم الا خديعة ودهاء ومكيدة . فقالوا ما يسمننا أن نذهب الى كتاب الله عز وجل فنأخذ أن نقبله . وقال مسعر بن قيس التميمي وأتبعه له من القراء أحب الى كتاب الله اذا دعيت اليه . والا نذهبك بيمينك الى القوم أو نقبل كما فعلنا بابن عوف انه علينا أن نعمل بما في كتاب الله عز وجل . والله لتعلمها أو لتعلمها بك . ثم ملأوا عنه أن يبعث الى الاشرار ليرك القتل فأرسل اليه رسولا . فقال الاشرار الرسول : ليس هذه الساعة التي ينبغي لك أن تربيها فيها عن موافق . اني قد رجوت أن يفتح لي فلا تمجلي . فرجع الرسول بالخبر . فما انتهى اليه حتى ارتفع الريح بعثت الاصوات من قبل الاشرار . فقال له القوم : والله ما نراك الا أمرة أن يقتل ثم قتلوا بعث اليه فليأتك والا والله اعترلاك . فقال للرسول ويحك قل للاشرار أقبل فان الفتنة قد وقعت فلم يسعه الا الحربي وترك ساحة الحرب . ثم أرسل الاشعث بن قيس ليسأل معاوية عما يريد فلما ذهب اليه قل له معاوية : نرجع نحن وأنت الى ما أمر الله في كتابه تبهتون منكم رجلا ترضونه وتبعث منا رجلا ثم تأخذ عليهما أن يعمل بما في كتاب الله لا يدوانه ثم نضع ما اتفقا عليه . فقال له الاشعث هذا الحق . ثم رجع الى علي فأخبره . فقال الناس : رضيونا وتبذلنا . فقال أهل الشام : قد اخترنا عمرا . فقال الاشعث ومن تابعه : واما قد رضينا أبا موسى الأشعري . فقال علي : قد عصيتوني في أول الامر فلا تعصوني الآن . وبين لهم نحوه من أبي موسى الأشعري لانه كان يخذل الناس عنه فأبوا الا اياه فاضطر علي للسير على ما رأوا

روى الطبري أن الأحنف بن قيس جاء إلى علي وقال : يا أمير المؤمنين انك قد رميت بحجر الأرض وبين حارب الله ورسوله أنت الإسلام ( يريد صراً ) وأنى قد عجمت هذا الرجل وحلبت شطره ( يعني أبا موسى ) فوجدته قليل الشقرة قريب القمر وأنه لا يصلح هؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتى يصير في أ كفهم ويعد حتى يصير بمنزلة النجم منهم . قال أبيت أن أقوملي حكماً فاجلاني ثانياً أو ثالثاً فإنه إن يعقد عقدة الإحلافها وإن يحل عقدة أعقدها لا عقدت لك أخرى أحكم منها في الناس إلا أبا موسى . فقال الأحنف : فإذا أبيت إلا أبا موسى فأدعوا ظرره بالرجال

## عقد التحكيم

ما رضي الفريقان بالتحكيم فأقضى بهما الأمر إلى كتابته كتبوا :

بسم الله الرحمن الرحيم \* هذا ما تقاضى عليه علي أمير المؤمنين . فقال عمرو ابن العاص أكتب اسمه واسم أبيه هو أميركم فما أميراً فقل . فاستشار علي في ذلك بني هاشم وادخل معهم الأحنف بن قيس . فقال الأحنف : لا تبع إمارة المؤمنين فاني أخوف أن يحوتها لا ترجع إليك أبداً . فبنى علي ذلك ملياً من النهار ثم إن الأشعث بن قيس قل : امح هذا الاسم بوجه الله فمحي وكتب كتاب الصلح . وهو :

\* بسم الله الرحمن الرحيم \* هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية ابن أبي سفيان : قضى علي على أهل الكوفة ومن معهم من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين وقضى معاوية على أهل الشام ومن كان معهم من المؤمنين والمسلمين . أنا نزل عند حكم الله عز وجل وكتابه ولا يجمع بيننا غيره . وإن كتاب الله عز وجل

بيننا من فتنته الى خاتمة نجي ما أحبا ونجيت ما أمانت فما وجد الحكام في كتاب الله عز وجل وهما: أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص القرشي عملا به وما لم يجد في كتاب الله عز وجل فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة « وأخذ الحكام من علي ومعاوية ومن الجند من اليهود والمواثيق والثقة من الناس أنهما آمنان على أنفسهما وأهلها والامة لما أنصار على الذي يتقاضيان عليه وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كتبتما عهد الله وميثاقه انا على ما في هذه الصحيفة وان قد وجبت قضيتهما على المؤمنين قن الامن ولاستقامة ووضع السلاح بينهم أينما ساروا على أنفسهم وأهلهم وأموالهم وشاهدتهم وغائبهم وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الامة ولا يرداها في حرب ولا فرقة حتى يمصيا وأجلا القضاء الى رمضان وان أحبا أن يؤخرا ذلك أخره على تراض منهما وان توفي أحد الحكام فان أمير الشيعة يختار مكانه ولا يألو من أهل المعدلة والنسط وان مكان القضية الذي يقضيان فيه مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام . وان رضيا وأحبا فلا يحضرهما فيه إلا من أراهما ويأخذ الحكام من أراد من الشهود ثم يكتبان شهادتهما على ما في هذه الصحيفة وهم أنصار علي من ترك هذه الصحيفة وأراد فيه إلحاداً وظلماً . اللهم انا نعتصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة »

ويتبع ذلك أسماء الشهود من الفريقين . وكان الكتاب في ١٥ صفر سنة ٣٧ وروى الطبري أن ذلك كان في ١٣ صفر

الناظر الى عقد التحكيم الذي أوردنا لا يجد فيه حدوداً مرسومة ولا أعلاماً بينة يهتدي بها الحكم أو الناظر في أفعال الحكم . ولم يبين فيه حكم ما اذا فارق الحكام أو أحدهما ما في كتاب الله أو السنة العادلة . ولا حكم ما اذا اختلفا ولم يتفقا . ولم يبين به الشيء الذي يبحثان فيه من أمرهما . وأني لا أدري كيف يكون

هذا عقد تحكيم ١٢

قال الاستاذ الخضرى : وبهذا العقد انتهت واقعة صفين التى قتل فيها من  
شجيمان المسلمين وأنجادهم تسمون القاء . وهو عدد لم يذهب مثله ولا قريب منه  
في جميع الوقائع الاسلامية من لدن رسول الله ﷺ الى تاريخها ولو لا أن عضتهم  
الحرب ولعنهم نيران السلاح لاستوصلت البقية الباقية وضاعت النفور . ومما  
يزيد الاسف أن هذه الحرب لم يكن المراد منها الوصول الى تقرير مبدأ دينى أو  
رفع حيف حل بالامة وانما كان لنصرة شخص على شخص . فشيعة على تنصره  
لأن ابن عم الرسول ﷺ وأحق الناس بولاية الامر . وشيعة معاوية تنصره لأنه  
ولي عثمان وأحق الناس بملب دمه المسفوك ظلما ولا يرون أنه ينبغي لهم مباينة  
من آوى اليه فقتله

إن تهالك كل من الرجلين على ما برع به حقاً له كان بالفاء أقصى نهايته . فكل  
منهما يريد بلوغ أربه من الآخر بأى ثمن مهما غلا . أن من عنده ذرة من الشفقة  
ليذوب قلبه على هذه الامة رحمة وأسى فقد وجدت بين عاملين يتنازعانها وينزبان  
أبناءها بعضهم بعض ويسيلان دماءها أنهاراً ولا تحدث واحداً منهما نفسه بأنه  
لا يصل الى ما يريد الا على جسر من الجثث يزيد على عشرات الالوف من  
موافقيه ومخالفيه هم عدة الاسلام وعزه وقوته بهم أعلى الله كلمته وأعز ناصره  
وايس من الكياسة أن يهلك مثلهم ضيعة في أمر أن وقع لا يرتفع له ميزان الدين  
ولا ينخفض . ولو كان الرجلان ممن لا يؤبه لهما وايس لهما في الدين قدم وحسن بلا  
لكان للفلم مجال ، ولكنهما بالحل الرقيم والمساكن المسكين ، وبخاصة علي بن  
أبى طالب وأثره في الدين واعزازه . فليس لنا الا أن نأسى على ما كان ونكل أمر  
صاحبى السمل الى الله عز وجل ونسأله لها الصفح والغفران

وحسن عندي قول المرحوم الأستاذ الطخري : يظهر للمتتبع أخبار ما بين علي ومعاوية أن الرجلين كانا على تباين تام . فعلي يرى لنفسه من الفضل والسابقة والقربة ما ليس لغيره من مآثر الناس حتى أشياخ قريش وأصحاب السابقة منهم . وزاد به ذلك الذكر حتى كان يرى أن الأشياخ يملكون ذلك ويفضون عنه . وكان يرى في معاوية انحطاطاً هائلاً عنه . ولماذا ؟ لأنه من الطلقاء وأولاد الطلقاء الذين عادوا رسول الله ﷺ وحاربوه . وربما ظن فيهم أنهم لم يدخلوا في الإسلام إلا كرهاً حينئذ لم يجدوا مناصاً من ذلك . وإذا كان الرجل يرى أشياخ قريش دون قدره ولم يكن يعلم إلا مرغماً لأنه لم يجد له أنصاراً ، فكيف يرى نفسه أمام رجل يظن به ذلك الذن في وقت يابسه فيه الناس بالخلافة ، وردوا إليه حقه المسلوب منه وقد وجد أنصاراً يؤيدونه

وكان إذا تكلم عن معاوية أو كاتبه يظهر من كلامه الاحتمار له والترفع عنه والازدراء . يرسله وخاطبهم بأشد ما يخاطب به الإنسان . ولا ينظر أن الرجل قد استحوذ على قلوب نصف الأمة الإسلامية ، والنصف يقول خير نصفي الأمة وأنفسها وأرضها غناء وبلاء ، ومثله لا ينال إلا بالإناء وشيء من المصانعة والسهولة والتجاوز له عن شيء من السلطان يتبع مع فيه وينال من متاع الدنيا ما تشتهر إليه نفسه ، أنه رجل قد ألف الشرف وأبهة السلطان إلى عز قديم وشرف هريق ورياسة في الجاهلية آزرتها رياسة في الإسلام فاتصل القديم بالحديث . وهذه أشياء لم ير علي أن ينزل إليها

أما معاوية فإنه كان بدون ريب يرى نفسه عظيماً من عظماء قريش ، لأنه ابن شيمخا أبي صفوان بن حرب أكبر ولد أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، كما أن علياً أكبر ولد هاشم بن عبد مناف فها سيان في الرفعة النسبية . ثم كان يرى النبي ﷺ والخلفاء الثلاثة من بعده قد وثقوا به ثقة كبرى حتى جمعت له الشام كلها وهي أعظم بلدان المسلمين بعد العراق . فصارت

له تلك الرياسة العظيمة والافر الصالح في حاية الثغور الرومية ، وهو يعلم أن علياً لا ينظر اليه بتلك العين التي كان ينظر له بها من قبله بدليل أن أول عمل له كان عزله فرأى أن انضمامه الى علي يحطه عن تلك المنزلة السامية التي نالها ومن يدري ماذا يكون حاله بعد ذلك من المهانة . وقد وجد أمامه شهاً تفصح له الحال في تلك المناوأة :

- ١ — انه لم يستشر في تلك البيعة وهو من أعظم قريش ووال من أكبر اولاده نحت امرته جند من المسلمين لا يقل عن مئتي الف
- ٢ — ان كثيراً من الصحابة رفضوا بيعة علي
- ٣ — ان أول من نديه الى الخلافة هم النثرون على عثمان الذين قتلوه
- ٤ — انه آراهم في جيشه ولم يقنص منهم فأخذ من ذلك أنه ممالي لهم على فعلتهم كل تلك الشبه جعلته يمنع عن البيعة ويأخذ لنفسه الحيلة حتى لا يقع في المذلة والمهانة . شخصان ينظر كل منهما الى الآخر بهذا النظر لا يمكن اتفاقهما ولا وصولهما الى طريق رشاء يخفف عن المسلمين ما نزل على رؤسهم من تلك الفتنة الهائلة . ولم يكن مدار مراسلاتهم بالشئ الذي يصح أن يكون قاعدة صلح بين فريقين لكل منهما قوة تؤيده ، فعلي كان يطلب مبايعته ولا يزيد ويثير ذلك لا يكون صلح حتى ان رسله التي كان يرسلها من أهل العراق كانوا يكلمون معاوية بلمجة المحتفر المستخف ومعاوية يطلب ألا أن تسلم قتلة عثمان اليه ليقنص منهم ثم يكون الامر شوري ، وكلا الامرين لا يرضى بها علي : أما قتلة عثمان فإنه ان أراد ان تراهم من جيشه لا يأمن أن يتعصب لهم قومهم فينتقم جيشه واما ثانياً فلانه لا يترك حقاً قد ثبت له بالبيعة التي رآها تمت وليس لاحد معها عظم قدره أن يترض عليها فكيف يمثل معاوية في نفسه . أضف الى ذلك أن فرقة السبئية التي كانت تتخلل جند علي لم يكن من مصلحتها أن يكون صلح بين الطرفين فهم لا يسكتون عن



حمل الخطب لاشمال نار الفتنة كلما قربت الجود ولذلك كان لهذا التحكيم الذي اتفق عليه الطرفان نتيجة من أسوأ النتائج في جيش علي

## نتائج التحكيم

بعد ان كتبت شروط الصلح عاد معاوية بجنده الى دمشق . أما جند علي فإن الاشعث بن قيس خرج بكتاب الصلح يقرأه على الناس ويعرضه عليهم يقرؤنه حتى مر به على طائفة من بني تميم فيهم عروة بن أدية وهو أخو أبي بلال فقرأ عليهم فقال عروة أتكمون في أمر الله الرجل ولا حكم إلا لله . ثم شديسيفه فضرب به عجز دابته ضربة خفيفة فغضب للاشعث قوله من الذين فشى رؤسائه بني تميم فتنصلوا اليه واعتذروا وقبل وصفيح ثم عاد الجيش يريد الكوفة

روى الطبري عن عمارة بن ربيعة قل خرجوا مع علي الى صفين وهم متوادون أجباء فرجعوا متباغضين أعداء وما برحوا من عسكرهم بسفين حتى فشى فيهمم التحكيم ولقد أقبلوا يندافعون الطريق ويتشائمون ويضاربون بالسياط يقول الخوارج يا أعداء الله ادهنتم في أمر الله وحكمتم وقل الآخرون فرقم امامنا وفرقم جماعتنا فلما دخل علي الكوفة لم يدخلوا معه حتى أتوا حروراء فنزل بها منهم اثنا عشر ألفا ونادى مناديتهم ان أمير القتال شيث بن ربيعة التميمي ( وهذا الذي كان رسول علي الى معاوية وكان يتوقع في خطابه ويعجب من معاوية كيف لم يبايع عليا وهو سيد المسلمين وابن عم سيد المرسلين الى آخر ما قال ) وأمير الصلاة عبد الله ابن الكواء اليشكري والامر شورى بعد الفتح والبيعة لله عز وجل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فبعث اليهم علي عبد الله بن عباس وقال له لا تعجل في جوابهم وخصومتهم حتى آتئك . فخرج اليهم ابن عباس فقبلوا عليه يكلمونه فلم يصبر عليهم

يل قال ما تقسم من الحكمين وقد قال الله عز وجل «ان يريدوا اصلاحا يوق الله بينهما» فكيف بأمة محمد ﷺ فقالوا له أما ما جعل حكمه الى الناس وأمر بالنظر فيه والاصلاح له فهو اليهم كما أمر به ، وما حكم بأعضائه فليس للعباد أن ينظروا في هذا . قال ابن عباس فان الله عز وجل يقول «يحكم به ذوا عدل منكم» فقالوا له أو نجعل الحكم في الصيد والحديث يكون بين المرأة وزوجها كلحكم في دماء المسلمين . وقالوا ان هذه الآية بيننا ، أعدل عندك ابن العاص وهو بالامس بقائدا وبسفك دماءنا فان كان عدلا فلسنا «بدول ونحن أهل حربه وقد حكمتم في أمر الله الرجال وقد أمضى الله حكمه في معاوية وحزبه ان يقتلوا أو يرجعوا وقبل ذلك ما دعونهم الى كتاب الله فأبوه . ثم كتبتم بكم وبينه كذبا وجماعتم بكم وبينه الموادعة والاستفاضة وقد قطع عز وجل الاستفاضة والموادعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة إلا من أقر بالجزية . ثم جاء علي فوجد ابن عباس يخاضعونهم فقال له اتته عن كلامهم ألم أنهك ؟ ثم سأله ما أخرجكم علينا فلوأ حكمكم يوم صفين . فقال أنشدكم الله ألسن قد نهيتكم عن قبول التحكيم فرددتم علي رأبي ولما أبىتم إلا ذلك اشترطتم على الحكمين أن يحيبا ما أحيا القرآن وأن يميتا ما أمات القرآن فن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكما يحكم بما في القرآن وإن أبىا فنحن من حكمهما براء قالوا له نخبرنا أنراه عدلا نحكيم الرجال في الدماء فقال اننا لسنا حكمنا الرجال إنما حكمنا القرآن وهذا القرآن انما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق انما يتكلم به الرجال قالوا نخبرنا عن الاجل لم يمانه فيما بينك وبينهم قال ليعلم الجاهل ويتثبت العالم ولعل الله عز وجل يصالح في هذه الهدنة هذه الامة ، ادخلوا معكم رحمكم الله . والموارج يدعون أنهم قالوا ان التحكيم كان منا كفرا وقد تبنا الى الله فتب كما تبنا نبائكم والا فتحن مخالفون . فباليهم علي وقال ادخلوا فلنمكث ستة أشهر حتى يجي المال ويسمن الكراع ثم نخرج الى عدونا . فدخلوا على ذلك

وتوضيح نظرية هؤلاء القوم ان عليا كان اماما برع ديمة صحيحة فمن استمع  
عن بيته فهو مرتكب جريمة العصيان والبغي وهم يرون أن مرتكب الكبيرة كافر  
فاذا يكون معاوية بغي على الامام العدل وحارب الله ورسوله وحينئذ يكون له  
ولقومه حد مقرر في القرآن والحدود المقررة لامتني التحكيم فيها لانه تغيير للمشروع  
ان قضى بخلافه . ولما كان معاوية ومن معه يستحقون في نظرهم هذه العقوبة  
نصا قالين معهم ومهادتهم ادهان في دين الله وتحكيم لرجال فيها لاحكم فيه الا الله  
وهذا في نظرهم جريمة وفاعلها ضال ، والضال لا يصلح للخلافة المسلمين فلا خلافة  
لهي ولا حرمة لمن اتبعه ، فلم يمانعوا ان يقولوا لهم وهم في نظرهم كمجند معاوية سواء  
يسواء . فانظروا كيف جاءت هؤلاء الناس نتيجة بعض مقدماتها باطل ، فلا عجب  
أن تكون هي أيضاً باطلة . كون جريمة العصيان ومحاربة الله والرسول لها حد مقرر  
في كتاب الله فذلك صحيح وأما كون معاوية ومن معه بغاة فذلك شئ يحتاج الى  
النظر فان ادعى انه له شبهة في نفس امانة الامام فهي منقوضة أم لم تنعقد فهذا يصح  
فيه التحكيم وليس تحكيميا لرجال في دين الله وإنما هو تحكيم في صحة وصف ينفى  
عليه حكم فان القاضي الذي ترفع اليه قضية سرقة لا يطلب منه الاجتهاد في أن السارق  
تقطع يده أولا تقطع وأما يطلب منه الاجتهاد في معرفة أهذا سارق أم غير  
سارق فاذا ثبت له العدة وجب عليه حتما أن يحكم بقطع اليد فان قالوا ان التحكيم  
من على شك في امانته والشك لا يجوز له أن يسفك الدماء للمطالبة بأمر مشكوك في  
صحته كان هذا باطلا أيضا لان صاحب الحق كثيرا ما يتأكد أن الحق له فاذا رأى  
من خصمه انكسارا أو تمسكا بشبه فانه لا طريق امامه الا أن يرفع الامر للقاض أو  
لحكيمين يكون حكمهما قاطعا لتزاع خصمه

وعلى الجملة فان هذه الفئة الجديدة قد بنت أمرها على مقدمات لم تنضج فزادوا الطين  
بله وبعد ان كنا امام فرقتين حمرنا الآن امام ثلاث فرق يستحل بعضها ادماة بعض وصار  
لعل عدوان ، والمنتقم لاحوال الخوارج ومقاماتهم في حروبهم يتأكد انهم مخدوعون بما ظهر لهم

انه الصواب من الرأي حتى صار عندهم من الحقائق الثابتة التي لا ينكرها الاغار حائد  
عن الدين في نظارهم ، والا فكيف يؤول فعايم وما صاروا اليه ؟ كان القوم بالامس  
يعتقدون في على انه سيد المسلمين وأعلمهم وأقهرهم في الدين ، واليوم قاموا ينقلبون  
اليه على سواء ويباينونه كل المباينة ويرون أنه ضال بسبب ما كان منه من التحكيم ،  
وهو لم يصر اليه الا بمشورتهم ، وعن ملائمتهم ، ويقولون انه صار لا يستحق أن  
يكون خليفة ويدينون بأن كل من تابعه حائد عن طريق الرشاد حلال للدم

## اجتماع الحكيم

لما كان أجل اجتماع الحكيم بعث على أربعائة رجل عليهم شريح بن هاني  
الحارثي ومهمهم ابن عباس يصلى بهم ويلى أمورهم وأبو موسى الأشعري معهم .  
وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعائة من أهل الشام فتوافوا بدومة الجندل  
بأذرح . وكان معاوية اذا كتب الى عمرو جاء الرسول وذهب لا يدرى بما جاء به  
ولا بما ذهب به أحد ولا يسأله أهل الشام عن شيء . واذا جاء رسول على جاء  
أهل العراق الى ابن عباس فألوه : ما كتب اليك أمير المؤمنين ؟ قلن كنهم  
ظنوا به الظنون فقالوا ما رآه الا كتب بكذا وكذا . فقال لهم ابن عباس : اما  
تقولون ؟ اما رآه رسول معاوية يحيى . لا يعلم بما جاء به أحد ويرجع لا يعلم بما رجع به  
أحد ولا يسمع لهم صياح ولا اخلط وانتم عندي كل يوم تظنون الظنون ! - وشهد  
هذه الجماعة عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن  
هشام الخزومي والمغيرة بن شعبة وسعد بن أبي وقاص

ولما كان القوم بدومة الجندل أحب المغيرة بن شعبة أن يعرف ما عند كل من  
الحكيم وهل يمكن اجتماعهما على رأى . فأتى عمرو بن العاص وقال له : يا أبا عبد

الله ما رايتك فيما معشر القوم الذين اعتزلوا القتال ولم يشهدوا من هذه الحرب شيئاً . فقال انكم معشر المتزلة خلف الابرار وامام الفجار . وجا الى ابي موسى وسأله عن شأنه ومن اعتزل الحرب حتى يدين الحق ويجتمع الناس على امام . فقال انتم المؤمنون الصالحون حقاً ، فقال : ان الرجلين لا يمكن ان يجمعهما

وعما كان في اجتماع الحكيم انهما يحنا فيما جاء لاجله وهو اصلاح ما بين الناس . فتكلم عمرو فقال : الست تعلم ان عثمان قتل مظلوما ؟ قال ابو موسى اشهد . قل عمرو : الست تعلم ان معاوية وآل معاوية اولياؤه ؟ قال بلى . قال عمرو فان الله يقول ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصوراً . فما يمتنعك من معاوية ولي عثمان يا ابا موسى وبينه في قريش كما قد علمت ؟ فان تخوفت ان يقول الناس ولي معاوية وليست له سابقة ، فان لك بذلك حجة : تقول اني وجدته ولي عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه الحسن السباحة الحسن الندير . وهو اخو ام حبيبة زوج رسول الله ﷺ وكان كاتب الوحي لرسول الله وقد صحبه فهو أحد الصحابة . ثم عرض له بالسلطان بقوله ان ولي كرامتك كرامة لم بكرمها خليفة . فقال ابو موسى باعمره اتق الله . فاما ما ذكرت من شرف معاوية فان هذا ليس على الشرف بولى . أهله . ولو كان على الشرف لكان هذا الامر لال ابرهة بن الصباح . اما هو لاهل الدين والفضل مع اني لو كنت معليه أفضل قريش أعطيته على بن أبي طالب . وأما فواك ان معاوية ولي دم عثمان فوله هذا الامر فاني لم أكن لاوليه معاوية وادع المهاجرين الاولين . وأما تعريضك لي بالسلطان . فوالله لو خرج لي من سلطانه كله ما ولسته وما كنت لارتضي في حكم الله عز وجل . ولكنك ان شئت احبينا اسم عمر بن الخطاب . فقال عمرو ان كنت تحب بيعة ابن عمر . فما يمتنعك من ابني وأنت تعرف فضله وصلاحه . فقال ان اباك رجل ولكك قد غمت في هذه الفتنة . هذه رواية العاصمي

لا ينتظر من محكمين توليا الحكم بكتاب تحكيم مبهم يشبه مضمونه لقراء من  
الافاخر أو أحجية من الاحاجي أن يتكلما في مثل موضوعهما المشكل الا بمثل  
هذا الكلام الذي لا يشفي غليلا ولا يبرئ غليلا وأن تكون المقدمات التي تبقى  
عليها النتائج والمطالب قعجة وليس بينها وبين بعضها ارتباط

من هذه المناقشة يفهم أن الرجلين قد اتفقا على خلع المتنازعين ، ولكنهما  
اختلفا فيما بينهما ويكون أمرهما جامعا لكلمة المسلمين . واني لا أفهم ، ولا أظن  
أحدًا يفهم على أي حكم من كتاب الله تعالى يستندان فيما اتفقا عليه ولا بأية سنة  
استمسكا بها انما وليا على الحكم يقتضى كتاب الله تعالى وسنة رسوله العادلة الجامعة  
غير المفرقة — فكان عليهما ان يعمدا الى مثل قوله تعالى « وان طائفتان من  
المؤمنين اقتتلوا فأصلحاوا بينهما » الخ

ولما صار أمر الرجلين الى هذه النقطة قال عمرو لابي موسى خبرني ما رأيك ؟  
فقال : رأيي أن نخلع هذين الرجلين ونجعل الامر شورى بين المسلمين فيختار  
المسلمون لانفسهم من أحبوا . فقال له عمرو : فان الرأي ما رأيت  
كان عمرو قد أخذ أبا موسى من حين التقيا بدومة الجندل بأن يقدمه في الكلام  
وفي كل شيء . فيقول له انك صاحب رسول الله ﷺ وأنت أسن مني . فتكلم  
وأتمكلم . واغترى عمرو من ذلك أن يقدمه عند الكلام على خلع علي ثم يكون هو  
على رأس أمره

ولما لم يبق إلا اعلام الناس بما اجتمع عليه رأيهما وافقت عليه كلتهما ، خرجا  
وتقدم أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أيها الناس انا قد نظرنا في أمر هذه  
الامة فلم نر اصلح لأمورها ولا ألم لشعبها من امر قد أجمع عليه رأيي ورأي عمرو وهو  
أن نخلع عليا ومعاوية وتستقبل هذه الامة هذا الامر فيقولوا عنهم من أحبوا عليهم  
واني قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا امركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الامر

أهلاً « ثم تنحى ، وأقبل عمرو فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : ان هذا قال ما قد سمعتم وخالف صاحبه وأنا أخاف صاحبه كما خافه وأثبت صاحبي معاوية فإنه ولي عثمان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه » فقال أبو موسى : مالك لا وفقتك الله غدوت وفجرت . إنما مثلك كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فقال عمرو إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا . وحمل بعض رجال علي على عمرو بالسوط ، وحمل بعض رجال معاوية عليهم بالسوط ثم تجاوز الفريقان . والناس رجال الشام أبا موسى ، فإذا هو قد ركب راحلته وذهب الى مكة

وقد روى الطبري أن أبا موسى لما خرج لينكم قال ان رأيي ورأي عمرو قد اتفق على امر نرجو ان يصلح الله به هذه الامة . فقال عمرو : صدق وبر ، يا أبا موسى تقدم فتكم . فقال ابن عباس لا يبي موسى ان عمراً رجل غادر ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه فإذا قت في الناس خالفك وكان أبو موسى رجلاً مفعلاً فقال : أنا قد انفتنا

ويروي السعدي أنهما لم يحصل منهما خطبة وإنما كتبنا صحيفة فيها خاف علي ومعاوية وان المسلمين يولون ناهيهم من أحبوا — قل الأستاذ الحضري : وهذا القول أقرب في نظرنا الى المعقول وان لهج كثير من المؤرخين بذكر الاول . لان هذه الخطبة على فرض حصولها وان الحديثة تمت على أبي موسى لم تكن لتفيد معاوية شيئاً لان الذي بينه إنما هو حكمه والذي يلزم الامة بمتنضي الصحيفة إنما هو ما اجتماعا عليه لا ما رضي به أحد الحكمين . ولم ينقل احد ان أبا موسى رضي في خطابه ببينة معاوية . أقول وما ذكره المرحوم الشيخ محمد الحضري بك حسن لو كان الامر جارياً فيما بين علي ومعاوية على متنضي الحكمة ناهجاً منهج المنطق الصحيح ، ولكننا نرى الامر من أوله الى آخره مشوشاً غير منظم ولا مرتب ولا صائر في سبيل العقل ونهج الفطنة فليس بينهما وثيقة بحكيم واضحة المعالم ظاهرة

المناهج مبين فيها أن الخلافة محل الخلاف ومحال النزاع فينظر في إثباتها أو نفيها عن أحد الفريقين أو عنهما . وقطة النزاع الكبرى وهي التي كانت مفهومة بادي الرأي وهي الاختصاص من قلة عثمان قد اغفلت اغفالا شائشا سواء في صحيفة التحكيم ان كانت تصالح أن تسمى صحيفة أم في حكم الحكمين فلم يتداولوا في هذا الشأن ولم ينقل ناقل انهما تفاوضا فيه أو أشارا اليه باستحسان أو استهجان . ثم اذا كانت هناك صحيفة قان ذهبت ؟ ولم تكن لهما محاضر في كل جلسة بقيت فيها كل محاورته للآخر وتحدد فيها نقط النزاع وما دار بشأن كل نقطة

ومن الوقت الذي جرى فيه عقد التحكيم وبين الحكمين بشعر الانسان بان هذا العمل لا يؤدي الى نتيجة مفيدة . لأن أبا موسى كما يظهر من ماضيه رجل يكره الفتن ويحب المسلمين السلامة ، ويتمنى لو وصل الى ما يريد من أي طريق يسلكه سوى ارافة اللئام ، وقد كان من المشبطين عن علي والمخذاين عن نصره ومتابعيه الكارهين لمسيره . وفريقه عمر بن العاص يعيل الى معاوية ويحب تأييده وتثبيت خلافته وهو مع ذلك رجل عرف الدنيا وجالس الملوك . وهو تحول قلب لا يمي بالامور ولا تتركه المعضلات شهر من أول أيامه بسمه الحيلة العقبلة وحسن الارتداد للامور يرى الخداع في طريق الوصول الى ما يحب مما يزيد في أجهته وبركد نياحة شأنه . فلا يهيمه شيء سوى الوصول الى مقصوده مهما استعمل في سبيل ذلك من الخدع . ومثل هذين لا ينفقان

وما عجزت من شيء فان أمر أبي موسى أعجب . ذلك أنه كان ينهى الناس عن هذه الفتنة ويأمرهم باعتزالها حتى يتضح المذهب وتستقيم السنن وان هذه الفتنة النائم فيها خبير من اليقظان الى آخر الحديث . فما ياله قد غس يده فيها من حيث لا يحتسب ؟ وأوقف نفسه فيها على ثنية عجز وأوقف المسلمين على سنن الاختلاف . ولولا رحمة من الله لمادت الفتنة جذعة وكان القوم أقرب الى التفاني والاستئصال



بفضل غفلته وسوء تقديره لنفسه ولخصمه - اما كان خيراً له أن يستغنى ويترك  
الامر لمن هو أكفأ منه ؟ لم يكن على ليرضى بهذا الحكم الذي اعتقده بحق مخالفاً  
للكتاب والسنة الذين عهد الى الحكمين أن يحكما بما وقد رضي به معاوية طبعاً  
وسخط القلباء بما نالها - تولد منه رضى الحابل

لان أقل ما في الحكم ان ليس على امانة - وصار الامر للناس يولون من شاءوا  
وعنده جند عظيم يخشونه ولا يفضلون عليه أحداً فتويت آماله في أن يكون خليفة  
المسلمين وسلم عليه عمرو وسائر جند الخلافة

رجع ابن عباس وشجع الى على وأوقفاه على جلية مائمه . وهذا الامر لا يرضيه  
فأفدنا ، فكان اذا صلى صلاة الصبح يذت فيقول : اللهم العن معاوية وعمرأ وأبا  
الاعور وحبيبا وعبد الرحمن بن خالد والضحاك بن قيس والوليد

وأنى بازاء هذا الفتوت أقول ان علياً رحمه الله قد سن لخصومه أن يقابلوه  
بمثل عمله ويتخذوا من لاهة نوعاً من العبادة في اعقاب الصلوات فكان معاوية اذا غنت  
سب علياً وابن عباس والحسن والحسين والاشتر وصار ذلك سنة في بني أمية الى  
زمان عمر بن عبد العزيز ياخذون الناس به في اقطار بلاد الاسلام

ليس المؤرخ امام ما كان من الفرقين ان يخطبهما فيما صنعا ويلومها فيما أنيا .  
وهذا عمر بن الخطاب قد وقع رجل امانه في الفرس فظهر له النفور من قوله ،  
وقال له ان الفرس حكمت فعدلت وعمرت بلاد الله فهم لا يستمعون ما تقول . أو  
كما قال . فاذا كان هذا شأنه مع خصومه من الفرس فما بال أهل القبلة يتلاعبون  
ويأتون بما لا يابق بأهلهم من الوقمة في أهل دينهم ؟ على أن علياً قد مات واستمر  
بعده بنو أمية بسبونه في اعقاب الخطاب ستين سنة

ويذكر ابن الاثير أن سعد بن أبي وقاص كان حاضراً يوم اعلان الحكمين  
أمرها فقال لابي موسى : ما أضفك عن عمرو ومكانده ؟ فقال أبو موسى : فما

أصنع ، واقفني على أمر ثم فزع عنه . فقال ابن عباس : لا ذنب لك يا أبا موسى الذنب لمن قدمك في هذا المقام . فقال : فقد فما أصنع ؟ فقال ابن عمر : انظروا الى ما صار اليه أمر هذه الامة ، صار الى رجل لا يبالي ما صنع ، والى آخر ضعيف . وابن الاثير يصحح ان معاوية حضر الحكيم وأنه قام عشية في الناس فقال أما بعد من كان متكلماً في هذا الامر فليطلع لنا قرنه . قال ابن عمر : فأطلقت حيوتي فأردت أن أقول يتكلم فيه رجال قاتلوك وأبأك على الاسلام فخشيت أن أقول كلمة تفرق الجماعة ويسفك فيها دم ، وكان ما وعد الله فيه الجنات أحب الي من ذلك . فلما انصرفت الى المنزل جاء الي حبيب بن مسلمة فقال : ما منعك أن تتكلم حين سمعت هذا الرجل يتكلم ؟ قلت أردت ذلك ثم خشيت . فقال حبيب : وقفت وعصمت

وأحسب أن حبيباً لم يأت الى ابن عمر من تلقاء نفسه وإنما دمه عليه معاوية حين يصر به يحمل جونه أو يلقا ذلك فأحب أن يعلم ما عنده ويقف على ما كان مزماً أن يواجه به

## شأن الخوارج مع علي

رأى علي أنه لا بد له من معاودة الكرة الى معاوية وأصحابه . ومعالجة دأبهم ولكن صدقه عن ذلك عود الخوارج في حافزهم واجفاهم عن علي وجماعته ، ذلك أنهم كانوا يظنون أن علياً قد وافقهم على كراهة التحكيم ورؤيته ضلالة . وجاءه انسان منهم فقال له : ان الناس يمدحونك عنك انك رجعت بهم عن كفرك . فخطب الناس في صلاة الظهر فذكر أمر الخوارج وعابه ، فنارت الخوارج في ناحية المسجد يقولون : لا حكم الا لله . فقال علي : الله أكبر كلمة حق يلتبس بها باطل ، اما ان لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتهمونا . لا نختكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ولا

تضعكم التي ما دامت أيديكم مع أيدينا ولا تقا تلكم حتى تبدؤا

عند ذلك اجتمعت الخوارج في منزل عبد الله بن وهب الراسبي فخطبهم خطبة حشيم بها على الخروج وقل في خطابه : « فخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور هذه الجبال أو إلى بعض هذه المعائن منكبين لهذه البدع المضلة . ثم أرادوا أن يولوا أمرهم رجلا فرفضوا الولاية على المتميزين فيهم . فكلمهم ياباهما . ثم عرضوها على عبد الله بن وهب فقال : هاتوها . أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا ولا أدها فرقة من الموت فبايعوه لعشر خلون من شوال سنة ٣٧ ثم اتفقوا على أن يخرجوا وحدا مستخفين حتى يجتمعوا في جسر النهر دان . وكتب عبد الله ابن وهب إلى من بالبصرة منهم يعلمهم بما اجتمعوا عليه ويحشهم على اللاحاق بهم فأجابوه . ولما هزموا تعبدوا ليلتهم ويومهم وصاروا يوم السبت يخرج شريح بن أوفى الغبسي وهو يثلو « فخرج متها خائفا يترقب قل رب نجني من القوم الظالمين . ولما توجه ثمانية مدين قل عسى ربي أن يهديني سواء السبيل »

ولما خرجت الخوارج جاءت إلى علي شيعته ومن بقي على ولائه فبايعوه وقالوا نحن أولياء من وليت وأعداء من عاديت

وبعد أن خرج القوم وعلم علي بما كن من أبي موسى وعمر بن العاص في شأن التحكيم خطب أهل الكوفة فقال :

الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح والخدنان الجليل . وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . أما بعد : فإن المعصية تورث الحسرة وتغيب الدسم . وقد كنتم أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة أمرى ونهيتكم رأيي لو كان لتصير أمر ، ولكن أبقيتم إلا ما أردتم فكنت أنا وأنتم ، كما قل أخوهوا وزن :  
أمرتهم أمرى بنخرج الهوى فلم يستبينوا الرشداً الاضحي الفد  
فلما عصوني كنتم منهم وقد أرى مكان الهدى أو انفي غير مهتد

وهل انا الا من غزوة ان غوت غويت وان ترشد غزية ارشد  
الا أن هدين الرجلين الذين اخترنمو هما حكيم قد نبذا القرآن وراء ظهورهما  
وأحييا ما أمانت القرآن واتم كل منهما هواه بغير هدى من الله فحكا بغير حجة  
بينه ولا سنة ماضية واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشد فيرى الله منهما ورسوله  
وصالح المؤمنين . استهوا وأهوا للمسير الى الشام واصبحوا في معسكرهم ان  
شاء الله

وكتب الى الطوارج بالشخص معه لحرب أهل الشام . وانما أطمعه في ذلك  
منهم أنهم كانوا كارهين لتحكيم زارين على علي الرضا به . فما كان جوابهم الا أن  
كتبوا اليه :

« أما بعد . قالك لم تنضب لربك وانما غضبت لنفسك . فان شهدت على  
نفسك بالكفر واستقبلت الثوبة ظرنا فيما يتنا وبينك والا فقد نابذناك على سواء  
ان الله لا يحب الظالمين »

قرأ علي كتاب هؤلاء القوم فأيس من خيرهم واحترم على القاء حبلمهم على  
غارهم وأن يسير الى الشام نخرج حتى عسكر بالنخيلة ومن هناك كتب الى ابن  
عباس أن يستنقر أهل البصرة ويوجه اليه بالجند فقام بهم ابن عباس بأمر علي  
فلم يقم منهم سوى الف وخمسمائة مع الاحنف بن قيس وأثاقوا نخطبهم ابن عباس  
وحثهم وشدد في خروج من بقي منهم مع جارية بن قدامة فلم يخرج معه سوى الف  
وسبعمائة . وكان ديوان أهل البصرة يحوي ستين الف مقاتل سوى أبناءهم وعبدانهم  
ومواليهم . ولم يزل علي بالنخيلة حتى أتاه جيش البصرة ثلاثة آلاف ومئتا رجل  
رأى علي ذلك فجمع رؤساء الاسبياع ووجهاء القبائل من أهل الكوفة وحثهم  
ورغبهم وأراهم قلة أهل البصرة وتشاغلهم وقال : فأعينوني بمناصرة جليلة خالية من  
الفش وأمرهم أن يكتبوا المقاتلة وأبناء المقاتلة الذين أدرکوا القتال والعبدان والموالي

فرغموا اليه ذلك فكانوا أربعين ألف مقاتل وسبعة عشر ألفاً من الابناء وثمانية  
 آلاف من موالهم وعبيدهم . وكان جميع من معه ثمانية وستين ألفاً  
 بعد أن تم حشد علي من البصرة والكوفة والمدائن وغيرها على ما وصفنا سمع  
 أن بعض الجند يقولون لو سار بنا الى هذه الحرورية فبدأنهم ( يريدون الخوارج )  
 فاذا فرغنا منهم توجهنا الى الشام . فقام فيهم خطيباً وبين لهم أن قتال أهل الشام  
 أم . فتنادى الناس يقولون : يا أمير المؤمنين سربنا الى ما أحببت  
 كان أمر الخوارج عجباً فانهم كانوا يظهرون بمظهر المبادئ الزهاد الذين لا يرون  
 نصيباً في ذات الله ويتورعون عن ثأله الاشياء وما بعد الورع فيه باردوا ويتحرجون  
 من ذلك أشد تخرج ثم يأتون أقطاع المنكرات وأكبر الكبائر كأنهم لا يدينون  
 بالله ولا يعرفون عدلاً ولا شفقة ولا رحمة ، فهم يقول المثل العامي « يفتنون على  
 الابرة ويبلعون المذرة » وهم في كل عامهم لا يعجزون عن الاتيان بالآيات من  
 الكتاب يستدلون بها على تبرير عملهم

وكم من فقيه خابط في ضلالة وحجته فيها الكتاب المنزل

دخل القوم قرية فخرج منها عبد الله بن خباب بن الارت ووجه امرأته حاملاً  
 فقالوا له : أفرغت ؟ فقال : والله لقد أفرغت . ووفى . فقالوا : لا روع عليك ، وسألو  
 من هو ؟ فقالوا : حدثنا عن أبيك عن رسول الله - فحدثهم أن رسول الله ﷺ  
 قال « ان فتنة تكون يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يمسي فيها مؤمناً ويصبح  
 فيها كافراً ويصبح فيها كافراً ويمسي فيها مؤمناً » فقالوا : هذا الحديث سألتك ، فما  
 تقول في أبي بكر ؟ فأتى عليه وفي عمر فأتى عليه وفي عثمان في أول خلافته وآخرها  
 فقال : انه كان محققاً في أولها وآخرها . وسألو عن علي قيل التحكيم وبمده فقال : هو  
 أعلم بالله منكم وأشد توفيقاً لدينه وأفقه بصيرة ( وكان عبد الله بن خباب رأى أحدهم  
 وقد سقطت رطبة من نخلة فأتاها في فيه فأنكرها عليه ان يكون قد أكلها بغير إذن  
 وبغير إذن صاحبها . وقتل أحدهم خنزيراً فأنكروا عليه لانه اتلاف لمال أهل

الذمة ( فقالوا له : والله انك لتشهد بالهوى وتفضل الرجال على أصحابها لا على أهلها والله انقتلك قتلة ماقتلناها أحداً قط . فأنزوا به فديحوه وبقروا بطن امرأته عن حملها وكانت منها وقتلوا ثلاث نسوة من طيء وأم سنان الصيداوية فبلغ ذلك علياً فأرسل رسولا ليعلم جلية الخبر عنهم فقتلوه . ولما جاء الخبر بذلك قال له أصحابه يا أمير المؤمنين علام تدع هؤلاء وراءنا يتخلفوننا في أموالنا وهبالنا ؟ سر بنا إلى القوم فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا إلى عدونا من أهل الشام . فلم يجد علي بدءاً من موافقتهم على مناجزة الخوارج أولاً

سار إلى الخوارج . فلما أقيهم أرسل إليهم أن ادفعوا إلينا قتلة اخواننا منكم يقتلهم بهم ثم أنا نارككم وكف عنكم حق التي أهل الشام فامل الله يقلب قلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم . فبعثوا إليه : كلنا قتلهم وكلنا نستحل دماءهم ودماهم . وقد أعذر إليهم علي جهده وأبلغ في الموعظة والتحذير في خطاب ورائة خطبها فيهم فجعلوا أصابعهم في آذانهم وأدبروا واستكبروا استكباراً . ثم رفع راية مع أبي أيوب الأنصاري ونادى : من جاء هذه الراية منكم ممن لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن ومن انصرف إلى الكوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن . أنه لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة اخواننا منكم في سفك دمائكم . فانصرف منهم جمع وآوى إلى علي جمع وبقي ابن وهب في ٧٨٠٠ من أربعة آلاف فقامت رحى الحرب بين الفريقين وانتهت الموقعة في ذلك اليوم بقتل ابن وهب ومعظم من معه ووجدوا من جرحاهم نحواً من أربع مائة فأمر بهم علي فدفعوا إلى عشايرهم : وقال أحلوهم معكم قذا برهوا فخذوهم معكم إلى الكوفة . ويقول ابن الأثير : أنهم قتلوا في وقت قصير كانا قتل لهم موتوا فماتوا . وكان علي يحدث أصحابه عن يخرجون وعلامتهم رجل مخدج فالتمس فوجد فيهم

## خازل سبعة على

لما رأى علي أنه رفق الفتنق من ناحية الخوارج وأراح الناس من شغبهم أراد أن ينهض إلى الشام . فقام في أصحابه فقال :

إن الله قد أحسن بكم وأعز نصركم فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدو في جهاده القربة إلى الله ودرك الوسيلة عنده . خيارى في الحق جفاة عن الكتاب ذكيب عن الدين يعمهون في الظفانيان وبكسون في غمر الضلال فأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلاً وكفى بالله نصيراً فقالوا : يا أمير المؤمنين نفدت نبأنا وكلت صيوقنا ونصلت أئنة رماحنا وعد أكرها رقصداً فارجم إلى - سرقا فلنستعد بأحسن عدتنا وامل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا هبة من هلك مناهة أو في لنا على عدونا . وكان الذي نولى ذلك الكلام الأشعث ابن قيس - وهو من أكره الناس للحرب - وأنى لا أدري لم يخرج الكلام للحرب مع المستعدين لها ومثل هذا لا يكون له عمل سوى التثييط والتخدييل وقد كان هذا الرجل كذلك من يوم الجمل

سمع علي هذا الكلام وأشفق أن يستكره الناس على الفروض من فورهم فرجع إلى النخيلة وعسكر بها وأمر الناس أن يلزموا عسكرهم وأن يوطنوا على الجهاد أنفسهم وأن يقولوا زيارة نساءهم وأبنائهم حتى يسيروا إلى عدوهم . فأقاموا في معسكرهم أياماً ثم قتلوا من معسكرهم فدخلوا مدينتهم إلا رجلاً من وجوه الناس قليلاً وتركوا المعسكر خالياً . فلما رأى علي ذلك دخل الكوفة وانكسر عليه رأيه وتركهم أياماً حتى إذا آيس من أن يفعلوا دعا رؤسائهم ووجوههم فسألهم عن رأيهم وما الذي ينظرون ؟ فنههم المعتل ومنهم المكروه وأقلهم من نشط . فقام فيهم خطيباً فقال : عباد الله ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالطيعة

كانكم من الموت في سكرة ، وكان قلوبكم مألوسة فأنتم لا تمقلون ، وكان  
أبصاركم كته فأنتم لا تبصرون . الله أنتم اما أنتم الا أسود الشرى في الدعة  
وتعالب رواغة حين تدعون الى البأس . ما أنتم لي بثقة سحيس الليالي ما أنتم  
بركب يصال بكم ولا ذوي عز يتصم اليه لعمرك الله لبس حشاش الحرب أنتم انكم  
تكدون ولا تكيدون وتنتقص أطرافكم ولا تتحشون ولا ينال عنكم وأنتم في  
غفلة ساهون ، ثم بين لهم حقوقهم عليه وحقوقه عليهم واستحسنهم فكان كأنما  
ينفخ في غير ضرع

لم يرل علي في القوم يفادهم بالطلب الطنائة ويراهم بالقول الجزل ويشير  
حينهم ويستفز نفوتهم . فلم يزدحم ذلك الا اعراضاً عن الحرب ونفارا منها وما تقى  
الاقوال والطلب عن قوم تورعهم الالهواء وتفرقت بهم السبل يشهدون بقلوب  
غائبة وأقنعة شاردة والباب طائرة ، قد تراخت أسباب طاعتهم وضعف سلطان  
امامهم في انفسهم قد استمرأوا مرعى الدعة وآثروا السلامة . وأصبح علي لا يدري لهم  
طاعة ولا يعرف لهم عصيانا فهو من أمرهم في داج من الشك ومظلم من الريب

## سأله معاوية ومحمد بن أبي بكر

لما عيل علي قيس بن سعد عن مصر بكيد معاوية ونُحرق رأي المشيرين علي  
علي وولي محمد بن أبي بكر علي مصر جاء اليها ولم يلبث شهراً من مقدمه حتى كتب  
الى المعتزتين بغير بنا يخبرهم بين الدخول في طاعته والخروج من مصر . فأجابوه :  
انالا نفعل دعنا حتى ننظر ما نصير اليه أمورنا ولا تعجل بغير بنا فأي عليهم فامتنعوا  
وحذروا أشد الحذر

كان قيس بن سعد - لما علم بشخوص محمد بن أبي بكر أميراً علي مصر - تلقاه  
وتأجاء فقال : انك جئت من عند امرئ لا رأي له وليس عزلكم ايدي عاصمي  
أن أنصح لكم وأنا من أمركم هذا علي بصيرة ، واني في ذلك علي الذي كنت



أكله به معاوية وعمراً وأهل خربتاً فكأيدهم به فذلك أن تكأيدهم بغيره تهاك  
ووصف له ما يأتي وما يدع من أمره . فاستغفبه محمد بن أبي بكر وخالف كل شيء  
أمره به وخرج لحرب أهل خربتاً فقاتلوه وهزموه ولم يحل منهم بطائل  
علم معاوية بما كان بين محمد بن أبي بكر والمعتزلة بمصر فسر ذلك . وقام  
معاوية بن حجاج السكوني الكندي يطالب بدم عثمان فأجابه ناس آخرون وقد بدت مصر  
على محمد بن أبي بكر وعلم علي بالامر في أثناء هدنة الحكومة فأهمسه ذلك وقال : إن  
مصر لا يصلح لها إلا أحد رجلين هذا الذي عزلناه والاشتر . وكان الاشتر بالجزيرة  
عاملاً اعلى فأرسل اليه بأن مصر قد انتقضت على محمد بن أبي بكر وهو غلام حدث  
ليس عنده تجربة ولا علم بالأمر فاستخلف على عملك أهل الثقة من مملك وأحضر  
الي . فلما جاء اليه ولأمر مصر وقال له : أخرج رحلك الله فإني لو لم أوصك  
اكتفيت برأيك واستعن بالله على ما أمرك فاختلط الشدة باللين وارتقى ما كان الرقى  
أبلغ واعتزم بالشدة حين لا يفني عنك إلا الشدة . فخرج الاشتر ونهياً للرحلة الى  
مصر وأنت معاوية عيونه فأخير بولاية الاشتر على مصر فعظم عليه ذلك . وامت  
الى الجبايستر وهو رجل من أهل الخراج . فقال له ان الاشتر ولي مصر فان أنت  
كفيتيه لم آخذ منك خراجاً ما بقيت . فأتى ذلك الدهقان حتى نزل القلزم فلما  
انتهى الاشتر إليها استقبله الرجل وقال : أنا رجل من أهل الخراج . وهذا منزل  
وهذا طعام وعلف فتزل الاشتر . فلما طعم جاءه بشرية عمل فيها سم فشر به الاشتر  
فمات . وكان معاوية حين علم بفصول الاشتر يقول لأهل الشام ان الاشتر قد ولي  
مصر فادعوا الله أن يكتنيكوه فكانوا يدعون على الاشتر بكرة وعشياً . الى أن  
جاء الجبايستر وأنباء بمهلك الاشتر فقام معاوية فقال : أما بعد فان علي بن أبي طالب  
كانت له يمينان قطعت أحدهما يوم صفين ( يعني عماراً ) وقد قطعت الأخرى  
اليوم ( يعني الاشتر ) . وقد روي عنه أنه قال حين علم بموت الاشتر : « ان الله

جنوداً من عسل

أما محمد بن أبي بكر فساد من علي أن يعزله عن مصر ؛ فبلغ علياً مهلك  
 الاشر وموجدة محمد بن أبي بكر فكتب اليه ؛ أما بعد فقد بلغني وجدتك من  
 تسريحي الاشر الى عهلك . واني لم أفعل ذلك استبطاء لك في الجهاد ولا ازدياداً  
 مني لك في الجدد ولو زعت ما نحت يدك من سلطانك لوليتك ما هو أيسر عليك في  
 المؤنة وأعجب اليك ولاية منه . ان الرجل الذي كنت وليته مصر كان لنا نصيحاً  
 وعلى عدونا شديداً وقد استكمل أياه ولاقي حاميته ونحن عنه راضون فرضي الله عنه  
 وضاعف له الثواب وأحسن له المآب . اصبر لعدوك وشمر للحرب وادع الى سبيل  
 ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وأكثر ذكر الله والاستعانة به والخوف منه يكفك  
 ما أهلك ويدك على موالك . أعاننا الله وإياك على ما لا ينال الا برحمته ؛  
 فكتب اليه محمد بن أبي بكر ؛ أما بعد فقد انتهى الي كتاب أمير المؤمنين فقهته  
 وهرفت ما فيه وليس أحد من الناس بأرضى مني لأبي أمير المؤمنين ولا أجهد على  
 عدوه ولا أرفأ بوليته مني . وقد خرجت فمسكوت وآمنت الناس الا من نصب لنا  
 حرباً وأظهر لنا خلافاً وأنا متبع أمر أمير المؤمنين وحافظه وملتجئ اليه وقائم به  
 والله المستعان على كل حل والسلام عليك

لما انصرف أهل الشام من صفين كانوا ينتظرون ما يأتي به الحسبان فلما  
 انتهى أمرها ؛ تبع أهل الشام معاوية بخلافة فزاده ذلك توقفاً في أمره وقوة الى  
 قوته . واختلف أهل العراق على علي وقعدوا عن أمره فنضاعف عليه اضطراب  
 شؤونهم ووهى جانب سلطانه . ولم يكن لمعاوية هم الا مصر ؛ وكان لاهاها هائبا  
 يخشى أن ينشق لملي الامر فيها وان يستظهر علي بهم على حربه ؛ مع قريتهم وشدهم  
 على من كان على رأي ههنا . وكان قد علم ان بها قوما ساءهم قتل عثمان وخالفوا  
 عليها فوجا أن يشدوا ساعده حتى اذا انفادت له أمور مصر يازمها استظهر بأهلها

على حرب علي لعظم خراجها . فدعا معاوية من كان معه من قریش : عمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة ويُسَير بن أبي أُرطاة والضحاك بن قيس وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، ومن غيرهم أبا الاعور السلي وحجرة بن مالك الهمداني وشرحبيل ابن السمط الكندي . فقال لهم : أتدرون لم دعوتكم ؟ اني قد دعوتكم لامر مهم أحب أن يكون الله قد أعان عليه . فقال قائلهم : ان الله لم يطع على الغيب أحداً ، وما يدرينا ما تريد ؟ فقال عمرو : أرى والله أمر هذه البلاد الكثير خراجها والكثير عددها والكثير عددها أهلها أهمك أمرها فدعوتنا تسألنا عن رأينا في ذلك ، فان كنت لذلك جمتنا فاعزم وأقدم ونعم الرأي رأيت فني افتتاحها عرك وعز أصحابك وكبت عدوك وذل أهل الخلفاء عليك . فقال معاوية لعمرو : أهمك ما أهمك . يريد بذلك ان هذا الامر أهم عمراً لانه قد حمل له مصر طعمة طول حياته في مقابلة معاويته له ومؤازرته على أمره وما شجر بينه وبين علي . ثم قال : ان هذا قد ظن ثم حقق ظنه . فقالوا ولكننا لاندري . فقال ان أبا عبيد الله قد أصاب ثم قل : أما بعد فقد رأيتم كيف صنع الله بكم في حربكم عدوكم . جاؤكم وهم لا يرون الا أنهم سيقبضون بيديهم ويخربون بلادكم ما كانوا يرون الا أنكم في أيديهم . وردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً مما أحبوا وحاكناهم الى الله لحكم لنا عليهم . ثم جمع لنا كلتنا ، وأصلح ذات بيننا ، وجعلهم أعداء متفرقين يشهد بعضهم على بعض بالكفر ويسفك بعضهم دم بعض ، والله اني لارجو ان يتم لنا هذا الامر . وقد رأيت أن نحاول أهل مصر ، فكيف ترون ارتضاءنا لها ؟ فقال عمرو قد أخبرتك مما سألتني عنه وقد أشرت عليك بما سمعت . فقال معاوية : ان همرا قد عزم وجزم ولم يفسر فكيف لي أن أصنع ؟ فقال : اني أشير عليك كيف تصنع ، أرى أن تبعث جيشاً كثيفاً عليهم رجل حازم صارم تامر وتثق به . فيأتي مصر حتى يدخلها فانه سيأتيه من كان من أهلها على رأينا فيظاهاه على من بها من عدونا .

فاذا اجتمع بها جندك ومن بها من شيعتك على من بها من أهل حربك رجوت أن يعين الله بنصرك ويظهر قلمك . فقال معاوية فهل عندك سوى هذا ؟ فقال لا . فقال معاوية أرى أن نكتب إلى من هم من أهل صلحا وعلى مثل رأينا فثبتهم ونقوهم ونستبهم بحبشاهم . وإلى أهل عداوتنا فنُدعُوهم إلى صلحنا ونستبهم شكرنا ونخوفهم حربنا . فإن صلح لنا قياهم غير قتال فذاك ما أحببنا والا كان حرمهم من وراء ذلك كله . انك يا ابن العاص أمرؤ بورك لك في العجلة وأنا امرؤ بورك لي في التؤدة . فقال : اقبل ما رأيت فاني أرى والله أن أمرك وأمرهم يصير إلى الحرب العوان . فكتب معاوية إلى مسلمة بن مخلد الانصاري وإلى معاوية بن حديج الكندي وكانا قد خافا عليا : « أما بعد فإن الله قد بعثك لأمم عظيم أعظم به أجر كما ورفعه به ذكر كما وزينك به في المسلمين طلبة كما بدم الخليفة المظلوم وضبك كما أنه اذ ترك حكم الكتاب وجاهدتم أهل البغي والمدون ، فأبشرا برضوان الله وعاجل نصر أولياء الله والمواساة لكما في الدنيا وسلطاننا حتى ينتهي في ذلك ما يرضيكما ونؤدي به حقكما إلى ما يصير أمركما إليه قاصيرا وصابرا عدوكما وادعوا المدير إلى عداكما وحفظكما فكأن الجيش قد أطل عليكم فانقسم كل ماتسكركان وكان كل ماتهويان . والسلام عليكم »

فلما جاء الكتاب كتب إليه مسلمة عن نفسه وعن معاوية بن حديج : « أما بعد فإن هذا الأمر الذي بذلنا له أنفسنا واتبعنا أمر الله فيه أمر ترجو به ثواب ربنا والنصر من حالنا وتعجيل النعمة لمن سعى على إمامنا وطأ الركن في جهادنا ونحن بهذا أليز من الأرض قد نفينا من كان به من أهل البغي وأنقضنا من كان به من أهل القسط والعدل . وقد ذكرت المواساة في سلطانك ودنياك والله ما ذاك الأمر القوي له نهضنا ولا إياه أردنا فإن يجمع الله لنا ما نطلب ويؤتينا ما نعنتنا فإن الدنيا والآخرة لله رب العالمين وقد يؤتيهما الله معا عالما من خلقه كما قال في كتابه

ولا خلف لموعوده « فاتم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب  
المحسنين » عجل علينا خيلك ورجلك فان عدونا قد كان علينا حرباً وكنا فيهم  
قليلاً فقد أصبحوا لنا هائبين وأصبحنا لهم مقرنين فان يؤتنا الله بمدد من قبلك  
يفتح الله عليكم « ولا حول ولا قوة الا بالله » وحسبنا الله ونعم الوكيل .  
والسلام عليك »

جاء هذا الكتاب الى معاوية فقال لعمر ونجيز يا أبا عبد الله وبشعة في ستة  
آلاف ، وأوصاه بالاعذار الى المخالفين والتأني والرفق والقبول عن أقبل والعفو عن  
أدبر وان لا يبطش بمكابر الا بعد الاعذار اليه . فلما كان عمرو بأدنى أرض مصر  
اجتمعت اليه الغفابة وكتب عمرو الى محمد بن أبي بكر :

« اما بعد فتتح «نى بدمك يا ابن أبي بكر : فانى لا أحب ان يصيبك منى  
ظفر . ان الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك ورفض امرك وندموا على  
اتباعك . فهم مسلموك له قد التفت حلقنا المظان فاخرج منها فانى لك من الناصحين »  
وأرسل اليه معه بكتاب كان معاوية كتبه الى محمد بن أبي بكر صورته « اما  
بعد فان غيب البغي والغلم عظيم الويال وان سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه من  
الثقة في الدنيا ، ومن اتبعت الموبة في الآخرة . وانا لا أعلم احداً كان أعظم على  
عنان بغياً ولا أسوأ له عيياً ولا أشد عليه خلافا منك : سميت عليه في الساعين  
وسفكت دمه في السافكين ثم أنت تظن انى عنك نائم أو ناس لك حتى تأتى  
فتأمر على بلاد أنت فيها جارى وجل أهلها انصارى يرون رأيي ويرقبون قولى  
ويستصرخوننى عليك . وقد بشت اليك قوما حنفاً عليك يستنقون دملك ويتفرون  
الى الله بمجاهدك وقد اعطوا الله عهداً لئلا ينكرك ولو لم يكن منهم اليك سوى قتلك  
ما حذرتك ولا انذرتك ولا أحببت أن يقتلوك بظلمك وقطيقتك وعدوك على عمان  
يوم يظعن بمشاقصك بين خُشكانه وأوداجه . ولكن اكراه ان يعثل بقرشى ولن

يسلمك الله من الفصاص أيدا أينما كنت والسلام »

فلما جاء الى محمد كتابها أرسلها إلى علي وكتب معها « أما بعد فإن ابن العاص قد نزل أداني مصر ، واجتمع إليه أهل البلد جلهم ممن كان يرى رأيهم ، وقد جاء في جيش لجب حُرَّاب . وقد رأيت من قبلي بعض الفشل ، فإن كان لك في أرض مصر حاجة فامدني بالرجال والاموال . والسلام »

فكتب اليه على يهون عليه أمر ابن العاص ، وإن خروج من خرج اليه إنما هو في مصلحته . وأمره أن لا يشل وأن فشل من قبله وأن يحصن القرية ويضم اليه شيعة ، ويقاتلهم بجهد ، ووعد امداده بالرجال مريعا . ونال من معاوية وعمره ما شاء . أن ينال . وأمره أن يجيبها عن كتابها إن كان لم يجيبها ، وأن يندب اليه كنانة بن بشر

أما محمد بن أبي بكر فكتب الى معاوية « أما بعد فقد اتاني كتابك تذكرني من أمر عثمان امرا لا اعتذر اليك منه وتأمرني التخلي عنك كأنك لي ناصح وتخونني لثلة كأنك شفيق . وأنا ارجو أن تكون لي الدائرة عليك فاجتاحكم في الوقعة وإن تؤمروا النصر ويكن لكم الامر في الدنيا فكم لعمري من ظالم قد نصرتموكم من مؤمن قد قتلتم ومثلتم به الى الله مصيركم ومصيرهم والى الله مرد الامور وهو أرحم الراحمين وهو المستعان على ما تصفون » وكتب الى عمرو بن العاص : وزعمت أنك تذكره أن يصيبني منك ظفر واشهد أنك من الميطلين . وتزعم أنك لي نصيح وأقسم أنك عندي ظنين . وتزعم أن أهل البلد قد رفضوا رأيي وأمرى وندموا على اتباعي فأوانك لك والاشيطان الرجيم اولياء . . . . . وقام محمد بن أبي بكر في الناس يستجيشهم ويؤلبهم ويبعث فيهم الحماة ويهزمهم بالقول . ففر منهم ألفان معه ومثلهم مع كنانة بن بشر واستقبل عمرو بن العاص ومن معه وتقدم اليه

كانه بن بشر وكان عمرو قد مرّح جيشه كتاب فصار كتابه يضرب في هذه الكتاب  
ويردها الى عمرو حتى قرب منه فاستدعى معاوية بن حديج السكوني فجاءه في مثل  
الدم فاحاطوا بكنانة بن بشر ومن معه وعطفت عليه اهل الشام فقتلهم ابن بشر ومن  
معه حتى قتل . ثم جاء عمرو الى محمد بن ابي بكر وقد تفرق عنه اكثر من معه لما  
بلغهم ما حل بابن بشر ومن معه واستمروا في التفرق حتى لم يبق معه احد فخرج عشي  
في الطريق حتى انتهى الى خربة فدخل فيها ودل عليه بعض القبط وهم لا يعرفونه  
فدخل عليه معاوية بن حديج في اصحابه فاخرجوه وقد كاد يموت عطشا . وقام عبد  
الرحمن بن ابي بكر وهو في حشد عمرو وقال انقلون اخي فارسل عمرو الى معاوية بن  
حديج ان يأتي به الى القسطنطينية . فقال ا كذاكم قتلتم كنانة بن بشر وابقي انا  
محمد بن ابي بكر ؟ ا كفاكم خير من اولئك ؟ فطلب محمد بن ابي بكره فقال لا سقاء الله  
شربة ماء ان سقاك فطرة ماء من غير عثمان الماء وقتلتموه صائما محرما حتى تلفاه الله  
بالرحيق المحنوم ، والله لا قتلتك يا ابن ابي بكر ويصقبك الله الطيم والفاق وقال  
كل منهما من الآخر وانتهى الامر بان قتله وادخله جيفة حمار ثم احرقه . ولما  
بلغ ذلك عائشة جزعت عليه وقتت على معاوية وعمرو دبر كل صلاة وضمت  
عيال محمد اليها

اما علي فلم يوفق لاجراج الجنود لاغاثة محمد بن ابي بكر الا بعد شدة . وقد  
انشد له الفنان ولم يسروا قليلا حتى جاء الحبيب بقتل محمد بن ابي بكر ووقوع مصر  
في يد معاوية . فارسل الى القوم من ردم من الطريق وحزن على محمد بن ابي بكر  
حزنا كثيرا . ولم يُجِدَ عليا ماصاغ من الخطب وصنف من القول في الاستنهاض .  
وقد مر معاوية واهل الشام بما كان مرورا عظيما

كانت مصر لمعاوية قوة كبيرة ، ولم يقنع بالاستيلاء عليها ، بل عمد الى تجهيز  
الجيش الى اطراف على ينتهزها : فارسل النعمان بن بشير الى عين التمر وبها

مالك بن كعب مسلحة املى ففرغ الى على يستمدد الكفاح المغيرين فامر الناس بالحقاق واستنهضهم فتنافلوا فقام على فيهم يده الخطبة ( يا أهل الكوفة كلما سمعتم يمتسبر من مناصر أهل الشام اظلمكم انبحر كل امرئ منكم في بيته وأغلق يابه انبحار الضيم في وجأرها . للفرور من غررتوه . ولمن فاز منكم فاز بالسهم الاخيبي . لا احرار عند النداء ولا اخوان ثقة عند النجاء . انا لله وانا اليه راجعون ما ذا منيت بكم . عني لا تبصرون وبكم لا تعلقون وصم لا تسمعون انا لله وانا اليه راجعون

وقد وجه معاوية أيضاً سفيان بن عوف في سنة آلاف للاغارة على هيت والانيار والمدائن فسار حتى أتى هيت فلم يجد بها أحداً ثم أتى الانبار وبها مسلحة لعلي فقلعهم على أمرهم واحتملوا ما بها من الاموال وعادوا الى معاوية

ووجه عبد الله بن مسعدة الى بيماء وأمره أن يصدق من مر به من أهل البوادي وأن يقتل من امتنع ثم يأتي مكة والمدينة . فوجه اليه علي جيشاً يقدمه المسيب . ابن نجبة الغزاري فلقى ابن مسعدة بيماء فاقتلوا قتلاً شديداً وانتهى الامر بان سهل لهم المسيب طريق الفرار ولم يلاحقهم فقتلهم .

ووجه معاوية الضحاك بن قيس للاغارة على بوادي البصرة فأغار عليها

ووجه بسر بن أبي أرطاة في ثلاثة آلاف الى الحجاز واليمن فسار حتى أتى المدينة وملكها وبايع أهلها لمعاوية ثم أتى مكة فبايع أهلها كذلك ، ثم قدم حتى أتى اليمن وعليها عبيد الله بن عباس والياً لعلي ، فلما علم بمقدم بسر بن أرطاة فرّ الى الكوفة واستخلف على صنعاء فجاء بسر واستولى على اليمن وقتل ابنين صغيرين لعبيد الله بن عباس قالوا انه ذبحهما وقد جنت امهما لمصاحبهما وهوله ، ورثيت وهي بالاسواق تشدها وتقول :



يا من أحسن بابي الذين هما كدرتين تشغل عنهما الصدف  
 وكان بسر مسرفا في القتل شيعة علي ، سفكا للدماء ، فقد قتل كثيرا من  
 المسلمين في وجهه هذا وهدم دورا كثيرة في مكة والمدينة وقد وجه إليه علي جارية  
 ابن قدامة في الفين ووهب بن مسعود في الفين فخاف منها وهرب حتى أتى مكة  
 وقد قتل علي في تلك الاثناء وحلهم جارية بن قدامة على بيعة الحسن وكذلك  
 أهل المدينة

على هذا النمط كانت الاحوال : معاوية يتسوقه الامر ويضخم ملكه ويزداد  
 قوة الى قوته ونوابه الاقدار ويرافقه التوفيق ، وعلي تضطرب عليه الاحوال  
 وتضيق السبل وتفتقص أطرافه وتقتل شيعة وأهل طاعته وتلتوي عليه الامور حتى  
 ان اكثر المؤرخين يذكرون ان عبد الله بن عباس قد فارق عليا الى مكة . لان عليا  
 سمع فيه الوشايات وقبل عليه البعايات من السائبين اليه بأنه احتجج الاموال دونه  
 وخان في مال بيت المال . وقد روى الطبري أن الساعي بذلك أبو الاسود الدؤلي  
 وكان ابن عباس عليه فأصغى علي الى قوله ، فاحتل ابن عباس ثمنه وما كان معه  
 من مال ولحق بمكة في جوار أخواله من بني هلال . وذلك تقدير العزيز العليم



## جواب سؤال

يتمتع في نفسي سؤال كلما استعرضت الأحوال التي كانت في أخريات زمان عثمان وفي مدة علي وما بعدها وهو : لم اختص أهل المصريين البصرة والكوفة بقيام الخوارج دون الشام ومصر . ولم كان أهلها بهذه الاخلاق من التزوع عن الطاعة والانحلاف لامر الامام ؟

هذا السؤال مهم جدا وجوابه أهم ويحتاج الى الاقضية والشرح في البحث والتفتيش عن غوامض كثيرة وربط الاسباب بمبانيها . غير أني اجتزى بأن اقول كلمة موجزة تكون بمنزلة الاشارة ، وأعتمد على ذهن القارئ في الاكتفاء بهذا الاجمال

يقول علماء الاخلاق وأهل البصر بعم الاجتماع ان ماضي الامة لا يموت ابدا ولكنه يكون حيا فيها وفي أعقابها ، وان الروح العامة للحياء من الامة انما هي مؤلفة من أفكار الاموات . ومعلوم أن المسلمين قد غلبوا على الفرس واحتلوا أموالهم ونساءهم وذريتهم ، واتخذوا النساء المارسيات زوجات وأولادهن أكثر أولادهم في تلك النواحي . فنشأت نابتة تلك الاقطار بين آباء وامهات من جنسين متباينين في المدنية والاخلاق والآداب والعادات والمعتقدات ومن دمين مختلفين يحمل كل منهما صفات متنافرة وعقائد متضاربة . ومثل هذا النسل تتفكك فيه أواصر الروح الوراثي وتوجد فيه أفكار متناقضة كل منها يجذب قواه الى ناحيته . ومعلوم أن الفرس قد اعتنقوا ديانا مختلفة واضطيموا بصبغات متنافرة فهم قوم يجمعون بين الصابئية والمجوسية والاباحية . ولهم ولوع باختلاق الاساليب الدينية التي يمثلها خيالهم ولم يكن لهم ثبات على دين خاص أو نخلة معينة بل كانوا في جميع أدوار حياتهم متأثرين بموامل الجذب والدفع بين النحل

والأديان . فلما نشأ هذا الجيل المولدين العرب والفرس نشأ مختلط المزاج صريع  
 التأثر بالمعتقدات . يلبس لباس الدين والتقوى التي ورثها من الآباء . ولكنه يريد أن  
 يجذب هذا القباس ويوسم فيه حتى يحيط بكل ما انتقل اليه بطريق الوراثة من  
 الآهواء المفضلة التي يميز عن التخلي عنها ولا يقدر على مبارقتها . وليس الدين  
 عنده ديناً ان لم يتسع له ولما حمله بالوراثة من الغزوات والغزوات وليس في وسعه  
 أن يقاوم تلك العوامل الداخلية التي تدفعه الى العمل على هذا النحو فهو يأتي ما يأتي  
 باعتقاد قوي وفكرة لا شك فيها أنه على حق ليس وراءه الا الضلال . وعلى ذلك  
 يكون مزاجه العقلي والاخلاقي وآدابه التي يأخذ نفسه بها مزيجاً مركباً من  
 عناصر شتى

ولهذا يقول علماء الاجتماع : ان الشعب الصحيح لا وجود له الا عند اقوم  
 الاولين . وأما الامم المنحصرة فان كثرة اختلاط التناسل ووحدة البيئة ولدت  
 منها شعوبا تاريخية جديدة تشبه الشعوب الصحيحة . وان صفات الشعب النفسية  
 ثابتة صفاته الجماعية وتنقل بالوراثة على قاعدة واحدة وبلا استمرار . وان  
 المولد رجل تتجاذبه مؤثرات مختلفة من الوراثة والذكاء والآداب والاخلاق  
 فاذا كانت أمة كلها أو جيلها على هذا النحو من التناسل بين أبوين مختلفين  
 كل الاختلاف على هذا النحو الذي ذكرنا كان قيادها صعباً وان البيئة اذا كانت  
 بهذا الوصف أثرت بطريق المدوى في من لم يكن مولداً وانه مع كثير بحكم التقليد  
 وتغلب روح الجماعة في ذلك المزاج المختلط فتعدم شخصيته ويكون متأثراً بالروح  
 للعام للجماعة التي هو فيها

وقد قال فوستاف لوبيون « أمة أهلها كلهم مولد لا ناس » فليس عجيباً أن  
 تتعاضد على سياسة هؤلاء القوم وأن ينزع منهم نازع في كل يوم الى الخروج  
 واتصال نخلة جديدة وتأويل الدين على مقتضى ما يجوز بخواطره لانهم مدفوعون

الى هذا الضرب بمعامل الورثة القدي فيهم  
أما أهل الشام فلم يكونوا كذلك لأنهم لم يكونوا يستكثرون من ايلاد السبايا  
من جهة « ومن جهة أخرى فإن الروميات كن متدينات بالدين المسيحي وهو دين  
يأمر بالخير وينهى عن الشر وأهل تلك الناحية قد بعد عهدهم بالوثنية ولم يتقبلوا في  
الاعواء والبدع تقلب الفرس « فكان المزاج الديني للآلهات قريباً من مزاج الآباء  
فلم يكن التباين كثيراً من هذه الناحية فكانوا أبعد من البدع التي تختلق في العراق

## مقتل علي بن أبي طالب

كان الخوارج يرون في علي بن أبي طالب عدواً للدوداً وخصماً خفياً . فاجتمع  
منهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبرك بن عبد الله وعمرو بن بكر القبيسي  
فقدوا أمر الناس وعابوا ولائهم ثم ذكروا أهل النهر فترجموا عليهم وقالوا  
ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئاً أخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم والذين  
كانوا لا يخافون في الله لومة لائم ، فلو شربنا أنفسنا نأثينا آفة الضلالة فالتحسنا قتلهم  
فأرحنا منهم البلاد وأثارنا بهم أخواننا . فقال ابن ملجم : أنا أكنفكم علي بن  
أبي طالب . وكان من أهل مصر . وقال البرك بن عبد الله : أنا أكنفكم معاوية  
ابن أبي سفيان . وقال عمرو بن بكر : أنا أكنفكم عمرو بن العاص . فتماهدوا  
وتوافوا بالله لا ينكس رجل منهم عن صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه . فأخذوا  
أسيافهم فسموها واتعدوا لبيع عشر نخل من رمضان أن يثب كل واحد منهم علي  
صاحبه الذي توجه اليه . وأقبل كل واحد منهم الى المصر الذي فيه صاحبه الذي يطلب  
فأما ابن ملجم فكان عداؤه في كندة فخرج فأتى أصحابه بالكوفة وكانتهم  
أمره كراهة أن يظهروا شيئاً من أمره . فرأى ذات يوم أصحاباً من تيم الرباب

وكان علي قتل منهم يوم النهر عشرة فذكروا قتلام . ولقي من يومه ذلك امرأة من  
 تيم الرباب يقال لها قطام ابنة الشحنة وقد قتل علي آياها وأخاها يوم النهر وكانت  
 فائقة الجمال فلما رآها التبت بعقله ونسي حاجته التي جاء لها ثم خطبها . فقالت  
 لا أتزوجك حتى تشفى لي . فقال وما يشفيك قالت : ثلاثة آلاف وعبدوقية وقتل  
 علي بن أبي طالب . فقال : إلهو مهر لك ، أما قتل علي فلا أرك ذكركه لي وأنت  
 تريدني . قالت : بلى ، التمس غرته فإن أصبت شفيت نفسك ونفسي وبهنتك  
 العيش . معي وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينتها وزينة أهلها . قال : فوالله  
 ما جاء بي إلى هذا المصير إلا قتل علي ، فلك ما سألت . قالت : أني أطلب لك من  
 يند ظهرك ويساعدك على أمرك . فبعثت إلى رجل من قومها يقال له وردان  
 فكماله فاجأها . وأتى ابن ملجم رجلا من أشجع يقال له شبيب بن بجرة فقال له  
 هل لك في شرف الدنيا والآخرة ؟ قال وما ذلك ؟ قال قتل علي بن أبي طالب قل  
 ثكلتك أمك لقد جئت شيئا لاء ، كيف تقدر على علي ؟ قال أكن له في المسجد  
 فإذا خرج الصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه . قال نجونا شغبنا أنفسنا وأدركنا ثأرنا  
 وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها . قال ويحك لو كان غير علي لكان  
 أهون علي ، قد عرفت بلاءه في الاسلام وما يقته مع النبي صلى الله عليه وآله وما أجدي أنشرح  
 لقتله . قال أما تعلم أنه قتل أهل النهر العباد الصالحين ؟ قال بلى . قال فقتله بمن قتل  
 من أخواننا . فاجابه فجاءوا قطام وهي في المسجد الأعظم معتكفة فقالوا لها قدامهم  
 وأينا على قتل علي . فقالت إذا أردتم ذلك فأنوني . ثم عاد إليها ابن ملجم في ليلة  
 الجمعة التي قتل في صبيحتها علي فقال هذه الليلة التي واعدت فيها صاحبي أن يقتل  
 كل واحد منا صاحبه . فدمت فم بالحرير فعضبتهم به وأخذوا أسيافهم وجلسوا  
 عقابل السدة التي يخرج منها علي فلما خرج ضربه شبيب بالسيف فوقم سيوفه  
 بمضادة الباب وضربه ابن ملجم في قرنه بالسيف وهرب وردان

فأما وردان فقد جاء منزله وأخبر رجلا من قومه الخبر فقتله الرجل . وأما شبيب فدخل في غمار النامس ونجا . وأما ابن ملجم فشددوا عليه فأخذوه . وأما علي بن أبي طالب فتأخر وقال لا يهتكم الرجل . وأدخل عليه ابن ملجم فقال له : أي عدو الله ألم أحسن إليك ؟ قال بلى . قال فما حملك على هذا ؟ قال : شعذته أربعين صباحا وسألت الله أن يقتل به شر خلقه . فقال علي لا أراك الا مقتولا به ، ولا أراك الا من شر خلقه

وكان ابن ملجم حين ضرب عليا بالسيف قال : الحكم لله يا علي ، لا لك ولا لأصحابك . وقد قال علي بعد ضربه : النفس بالنفس ان أنا مت فاقبلوه كما قبلاني وان بقيت رأيت فيه رأيي . وقالت أم كلثوم بنت علي وهي تبكي : أي عدو الله ، لا بأس على أبي ، والله عززيك . قال فقل من تبكين ؟ والله لقد اشتريته بألف وسميته بألف ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل مصر ما بقي منهم احد

ودخل جندب بن عبد الله على علي فقال : يا امير المؤمنين ان فقدناك ولا نفقدك فنبايح الحسن ؟ قال ما أمركم ولا أنهاركم انتم ابصر . فرد عليه مثله . فدعا حسنا وحسينا فقال اوصيكما بتقوى الله والا تبغيا الدنيا وان بقتكما ، ولا تبكيا على شيء . زوى عنكما ، وقولا الحق وارحما اليقيم وانغيثا الملهوف واصنعا للآخرة وكونا للظالم خصما وللمظلوم ناصرا . اعملا بما في الكتاب ولا تأخذكما في الله لومة لائم . ثم نظر الى محمد بن الحنفية فقال : هل حفظت ما اوصيت به اخويك ؟ قال : نعم . فقال اني اوصيك بمنته وأوصيك بتوقير اخويك لعظيم حقهما عليك فاتبع امرهما ولا تقطع امر أدونهما . وما زال يوصيهم بمحاسن الاخلاق والتقوى ، وما زال يقول لا اله الا الله حتى قبض صبيحة يوم الاحد ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ . وكان قد نهاهم عن المثلة وقال : يا بني عبد المطلب ، لا الفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قتل امير المؤمنين قتل امير المؤمنين ، الا لا يقتل الا قتلى . انظر يا حسن ان أنا مت

من ضربته هذه فاضربه ضربة بضربة ولا تمثل بالرجل فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول: اياكم والمثلة ولو انها بالسكاب المقور . فلما قبض بعث الحسن الى ابن ملجم . فقال لحسن هل لك في خصلة ابي والله ما اعطيت الله عهداً الا وفيت به . ابي قد كنت اعطيت الله عهداً عند العظيم ان اقتل عليا ومعادية او اموت دونهما . فان شئت خلعت بيني وبينه ولك الله على ان لم اقله او قتلته ثم بقيت ان آتيك حتى اضع يدي في يدك . فقال الحسن : اما والله حتى تعان النار فلا . ثم قدمه فقتله واخذ الناس فأدرجوه في بوازي ثم احرقوه بالنار

وأما البرك فانه قعد لمعاوية في الهيلة التي ضرب فيها علي ، فلما خرج ليصلي الصبح شد عليه بسيفه فوثق في إيلته ولم يقتله ، فأخذ . قال لمعاوية : عندي خبر أسرك به فان أخبرتك به أنافعي ذلك عندك ؟ قال : نعم . قال : ان أخا لي قتل عليا في مثل هذه الهيلة . قال : فاعله لم يقدر على ذلك ؟ قال : بلى ، ان عليا يخرج وليس معه حرس . فأمر به فقتل . وأرسل معاوية الى الساعدي وكان طيباً فقال : ان ضربتك مسمومة فاما ان أحبي حديدة فأضدها موضع السيف واما ان أسقيك شربة تقطع عنك الولد وتبرأ منها . فقال : اما النار فلا صبر لي عليها ، وأما الولد فان في يزيد وعبد الله ماتقر به عيني فسقاء تلك الشربة وبرأ ولم يولد له بعدها . وأمر معاوية باتخاذ المنصورات وحرس الليل والشرط تقوم على رأسه اذا سجد

وأما عمرو بن بكر فجلس لعمرو بن العاص في تلك الهيلة وكان اشتكى من مفس أصاب بطنه فلم يخرج وكان خارجة بن حذافة صاحب شُرطته فأمره أن يصلي بالناس فشد عليه وهو يرى أنه عمرو فاضربه فقتله . فأخذ الناس وانطلقوا به الى عمرو يسلمون عليه بالأمرة . فقال : من هذا ؟ قالوا : عمرو . قال : فمن قتلته ؟ قالوا : خارجة بن حذافة . قال : أما والله يا فاسق ما ظننته غيرك . فقال عمرو : أردتني وأراد الله خارجة . وقدمه فقتله

وبلغ معاوية ما كان بمصر فكتب الى عمرو :

وقتل . وأسباب المنايا كثيرة . منه شيخ من لؤي بن غالب  
فيا عمرو مهلا انما أنت حمي وصاحبه دون الرجال الاقارب  
نجوت وقد بل المرادى سبعة . من ابن أبي شيخ الابطاح طالب  
وبضربي بالسيف آخر مثله فكانت دليلا فمك ضربة لازب  
ولما انتهى الى عائشة قتل علي ثمان :

فألفت حصاهما واستقر بها النوى كما قرعينا بالاياب المسافر  
ثم قالت : من قتله ؟ فقيل : رجل من مراد ، قالت :

فان بك نائبا فاقد انما غلام ليس في فيه تراب  
فقاتل زينب بنت أبي سلفة : ألهي تقولين هذا ؟ فقالت : اني أنسى فاذا  
نسيت فذكرني

وقد قال ابن أبي مياس المرادى في قتل علي :

ولم أر مهراً سافه ذو سحابة كهر قطام من قصيح وأعجم  
ثلاثة آلاف وعيد وقبنة وضرب علي بالحسام المسمم  
فلا مهراً غلى من علي وان غلا ولا قتل الا دون قتل ابن ملجم  
وقد رثاه أبو الاسود الدؤلي بقوله :

ألا يا معوية بن حرب فلا قرت عيون الشامينا

أفي شهر الصيام فجهتمونا ببحير الناس طراً أجمعينا

في أبيات غير هذه . ومعلوم أن مخاطبة معاوية بهذه الكلمة أمر في غير  
محل ، لانه لا ذنب له في ذلك ، وانما قتله الخوارج ، وقد استوفى معاوية حصته  
من المؤامرة

وقد كان علي قد بلغ من العمر ثلاثاً وستين سنة وكانت خلافته خمس



سنتين الا ثلاثة أشهر

وقد روي الطبري بسنده الى خالد بن جابر قال : سمعت الحسن يقول - لما قتل علي عليه السلام - وقد قام خطيبا : « لقد قتلتم الآية رجلا في ليلة نزل فيها القرآن وفيها رفع عيسى بن مريم عليه السلام وفيها قتل يوشع بن نون قتي موسى عليه السلام . والله ما سبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد يكون بعده والله ان كان رسول الله ﷺ ابعثه في السرية وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره . والله ما ترك صفراء ولا يضاء الا ثمانمائة أو سبعمائة أرصدها غلامه » . ومعلوم أن يوشع لم يقتل ، وأما كون عيسى رفع في مثل تلك الليلة فلم اقف عليه

واني هنا أنعجل بكلمة صغيرة وهي : اننا اذا نظرنا الى علي من جانب الدين وحسب الحق والزهد في الدنيا والاعراض عن زخارفها وزينتها وجدناه يمشي في صف أبي بكر وعمر لا يتخلف عنهما قيد خطوة . واذا نظرنا اليه من جهة الفقه في أحكام الدين والعلم بجزئيات فروع الشريعة وجدناه يسبقهما . أما من حيث تدبير الملك وسياسة الرعية ومقاربة العامة والنزب لدقائق السياسة والاخذ على شكائهم القوم والاحاطة باحوالهم . فانه يتأخر عن الرجلين في هذا المقام . مع سعة درايته وقوة عارضته لأن الاقوال في السياسة وحسن الملكة والاعراب عن دقائق ذلك شيء ، واقاضة ذلك على الرعية وبسط النفوذ على الكافة واخضاعهم للارادة شيء آخر . وقد بررنا شيء من ذلك ومن تعليل عدم نجاحه في جمع كلمة الامة . والسر في ذلك سوء الاحوال التي تولى فيها

وعندي أن الوقت لو صفنا لعل رضي الله عنه وواته المقادير باستتباب الراحة واجتماع الكلمة ، لأذاق الامة حلالة العدل وحلهم على الجادة وسار بهم في طريق الفتح وبسط نفوذ الاسلام واعزاز كلمته بما لم يدع مقالا لقائل والله في خلقه شئون وبكفي من ينظر في أمر علي أنه لم يوجد عنده من المال سوى سبعمائة درهم كان أرصدها لشراء خادم له لم يكن عنده سواها وفي رعبته من تلك عشرات الآلاف .

ومثات الآلاف . ولم يكن متفرهاً في مدينته ولا متوسكاً كما كان معاوية أو عثمان .  
بل كان من طراز أبي بكر وعمر

## بيت علي

تزوج علي بن أبي طالب :

(١) فاطمة بنت رسول الله ﷺ وهي أول زوجاته ولم يتزوج عليها حتى  
توفيت عنده . وكان له منها الحسن والحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى .  
وهي زوج عمر بن الخطاب

(٢) أم البنين بنت حزام من بني عامر بن كلاب ، فولدت له العباس وجعفر  
وعبد الله وعثمان

(٣) ليلى بنت مسعود النخعية ، فولدت له عبيد الله وأبا بكر

(٤) أمما بنت عيسى الخنمية ، فولدت له يحيى ومحمدا الأصغر

(٥) الصهباء بنت ربيعة من بني جشم بن بكر وهي أم ولد من سبي تغلب

فولدت له عمر ورقبة

(٦) أمامة بنت أبي العاص بن الربيع وأما زينب بنت رسول الله ﷺ ،

فولدت له محمدا الأوسط

(٧) خولة بنت جعفر الحنفية ، فولدت له محمداً الشهير بابن الحنفية

(٨) أم سعيد بنت عروة بن مسعود ، فولدت له أم الحسين وروثة الكبرى

(٩) محبة بنت أمري القيس الكلبي ، ولدت له جارية ماتت صغيرة

وكان له بنات منهن : أم هاني ، وميمونة ، وزينب الصغرى ، وروثة الصغرى

وأم كلثوم الصغرى ، وفاطمة ، وأمامة ، وخديجة ، وأم الكرام ، وأم سلمة ، وأم

جعفر ، وجناته ، ونفيسة . أمهات أولاد شتى . وكان الفضل من ولده .

الحنفية : الحسن ، والحسين ، ومحمد بن الحنفية ، والعباس ، وعمر

## صفة علي وأخيه

هنا أترك الكلام لعدني المرحوم الحضري بك يقول كلمة في ذلك :  
 يحظر ببال من فحص عن تاريخ الخلفاء الراشدين وعلم تفاصيل أحوالهم هذا السؤال :  
 كيف دانت قريش لشيوخين ، أولهما من بني تميم بن كعب ، والثاني من بني عدي  
 وخضعت لها الخضوع التام ، فسار القوم بقلب واحد في سبيل نصرة الاسلام وعلو  
 شأنه حتى اذا آلت لبني عبد مناف وولمها اثنان منهم نفصت على أولها حياته في  
 آخر عمره ، ولم يصف الامر لثانيهما في جميع حياته ، بل كانت مدة اختلاف وفرقة  
 مع ما هو معلوم من قرب بني عبد مناف لرسول ﷺ فهم عشيرة الادنون وسادة  
 قريش في جاهليتهم كما مادوا عليهم في الاسلام ، ذلك الى ما امتاز به ثانيهما من  
 المميزات الكبرى التي لم تجتمع في غيره ؟ لا بد لذلك من أسباب . أما ما كان من  
 أمر عثمان فقد بينا أسبابه فيما مضى ، وأما أمر علي فانا سنجيب عنه الآن ببيان  
 ما كان من خلق علي وما كان من الاحوال التي أحاطت به  
 كان علي ممتازاً بمخال فلما اجتمعت اغيره ، وهي :

الشجاعة - الفقه - الفصاحة

فأما الشجاعة فقد كان محله منها لا يبجل . وقف المواقف المعهودة وخاض  
 غمرات الموت لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه ؟ وأول ما عرف من  
 شجاعته بيانه موضع رسول الله ﷺ ليلة الهجرة وهو يعلم أن قوماً يترصدونه حتى  
 اذا خرج يقتلونه ، فلم يكن ذلك مما يضعف قلبه أو يؤثر في نفسه . ثم في بدر وما  
 بعدها من المشاهد كان علماً لا يخفى مكانه ، يدارز الاقران فلا يفتنون له ، ويفرق  
 الجماعات بشدة هجماته وقد آتاه الله من قوة العضل وثبات الجنان القسط الاوفر .

أحمد سيفه مدة أربع وعشرين سنة حتى إذا جاءت خلافة جرده على مخالفه فعمل به الأفاعيل ، وكان الناس يهابون موافقته ويخشون مبارزته لما يملكون من شدة صولته وقوة ضربته

وأما الفقه فلم يكن مقامه فيه بالجهول . صحب رسول الله ﷺ منذ صباه وأخذ عنه القرآن ، وكان يكتب له مع ما أوتيته من ذكاء بني عبد مناف ثم بني هاشم ، ولم يزل معه إلى أن توفي عليه السلام . كل هذا أكتسبه قوة في استنباط الأحكام الدينية فكان الخلفاء : أبو بكر وعمر وعثمان يستشيرونه في الأحكام ويرجعون إلى رأيه إذا خالفهم في بعض الأحيان ، وأكثر من عرف ذلك عنه عمر بن الخطاب وأما الفصاحة فبعرف بمقداره فيها من خطبه ومكائباته التي جمع منها السيد الرضي جملة عظيمة في الكتاب الموسوم بتهج البلاغة ، وقد وصفه شارحه الاستاذ الشيخ محمد عبده بقوله :

كنت كلما انتقلت من موضع منه إلى موضع أحس بتغيير المشاهد ونحو المعاهد . فتارة كنت أجدني في عالم يعمره من المعاني أرواح عالية في حلل من العبارات الزاهية تطوف على النفوس الزاكية وتدنو من القلوب الصافية توحى إليها رشادها وتقوم مرادها وتفرجها عن مداحض المزال إلى جواد الفضل والكمال وطوراً كانت تنكشف لي الحيل عن وجوه بامرة وأنياب كاشرة وأرواح في أشباح النور ومخالب القصور قد تحفرت لوثاب ثم انقضت للاختلاب ، فغلبت القلوب عن هواها وأخذت الخواطر دون مرماها . واغتالت فاسد الأهواء وباطل الآراء . وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً لا يشبه خلقاً جسدانياً ، فصل عن الموكب الإلهي واتصل بالروح الإنساني ، فخلعه عن غاشيات الطبيعة ومما به إلى الملكوت الأعلى . ومما به إلى مشهد النور الآجل ، وسكن به إلى عمار جانب التقديس بعد استخلامه من شوائب التلبس

وَأَنات كَأَنِّي أَسْمَعُ خُطِيبَ الْحِكْمَةِ يَنَادِي بِاعْلِيَاءِ الْكَلِمَةِ وَأَوَّلِيَاءِ أَمْرِ الْأَمَةِ  
يَعْرِفُهُمْ مَوَاقِعَ الصَّوَابِ وَيُصَرِّمُ مَوَاضِعَ الْأَرْتَابِ وَيَحْذَرُهُمْ مَزَالِقَ الْأَضْطِرَابِ  
وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى دَفَائِقِ السِّيَاسَةِ وَيُصْعِدُهُمْ شَرَفَ التَّدْبِيرِ وَيُشْرِفُ بِهِمْ عَلَى حَسَنِ  
الْخَصِيرِ وَقَدْ جَمَعَ الْكِتَابُ مِنَ الْحِكْمَةِ شَيْئًا كَثِيرًا

هَذِهِ الصِّفَاتُ الْعَالِيَةُ مَعَ مَا مَنَحَهُ مِنْ شَرَفِ الْقِرَاءَةِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَصَاهِرُهُ  
لَهُ ، جَعَلَتْهُ يَرَى لِنَفْسِهِ فَضْلًا عَلَى سَائِرِ قَرِيشٍ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا شَبَحَهَا وَقَتَّاهَا .  
وَيُجْرِي بِذَلِكَ لَهُ الْحَقُّ فِي وَلَايَةِ الْأَمْرِ دُونَهُمْ فَقَدْ قَالَ : لَقَدْ تَقَدَّصَهَا فَلَانٌ وَهُوَ يَعْلَمُ  
أَنْ يَحْمِلَ مِنْهَا حِمْلَ الْقَطَبِ مِنَ الرِّحَى يَنْحَدِرُ عَنْهُ السَّبِيلُ وَلَا يَرِقُ إِلَى الطَّيْرِ . وَقَالَ :  
فَوَاقِفٌ مَازَالَتْ مَدْفُوعًا عَنْ حَقِّي مُتَأَنِّرًا عَلَيَّ مِنْذُ قَبْضِ اللَّهِ بَيْنَهُ ﷺ حَتَّى يَوْمِ  
النَّاسِ هَذَا . وَهَنَّاكَ طَبِيعَةُ فِي النَّاسِ - أَنَّهُمْ لَا يَبْلُغُونَ إِلَى شَخْصٍ يَرَى لِنَفْسِهِ التَّفَوْقَ

وَمَزِيدَ الْفَضْلِ . وَإِنَّمَا يَقْرُبُ إِلَى قُلُوبِهِمْ مَنْ يَقُولُ وَلَيْتَ عَلَيْكُمْ وَلَيْتَ بِخَيْرِكُمْ  
أَنْ تِلْكَ الْأُمُورُ الَّتِي بَرَّاهَا عَلَيَّ لِنَفْسِي جَعَلَتْهُ يَفْتَنُحُ بَانَ الْحَقُّ فِيهَا يَرَاهُ ، وَاقِفُهُ  
عَلَيْهِ غَيْرُهُ أَمْ خَالَفَهُ - وَمِنْ هَذَا شَأْنُهُ لَا يُلْجَأُ إِلَى الْاسْتِشَارَةِ فِيمَا هُوَ صَانِعٌ - وَهَذَا  
شَيْءٌ شَدِيدٌ لَا تَقْبَلُهُ نَفْسُ الْكِبَرَاءِ وَالْإِشْبَاحِ - رَوَى أَنَّهُ لَمَّا بَوَّعَ عَتَبَ عَلَيْهِ طَلْعَةُ  
وَالزَّيْبَرُ مِنْ تَرْكِ مَشُورَتِهِمَا وَالْإِسْتِعَانَةِ فِي الْأُمُورِ بِهِمَا فَقَالَ لَهَا : « أَفَدُ تَقَعَّمَا يَسِيرَا  
وَارْجَأْتُمَا كَثِيرًا » - الْأَنْخَبَرَانِي أَيُّ شَيْءٍ لِكَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُمَا عَنْهُ وَإِي قَسَمَ اسْتَأْثَرَتْ  
عَلَيْكُمَا بِهِ . أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعَفَتْ عَنْهُ أَمْ جَهْلَتْهُ أَمْ أَخْطَأَتْ  
مَا بِهِ - وَاللَّهُ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخُلَافَةِ رَغْبَةٌ وَلَا فِي الْوَلَايَةِ أَرَبَةٌ وَلَكِنِّكُمْ دَعَوْتُمُونِي  
إِلَيْهَا وَحَثَمْتُمُونِي عَلَيْهَا ، فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا وَأَمَرَنَا  
بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ وَمَا اسْتَسْنَى النَّبِيُّ ﷺ فَاتَّبَدْتُهُ فَلَمْ أَحْتِجْ فِي ذَلِكَ إِلَى رَأْيِكُمَا وَلَا  
رَأْيِ غَيْرِكُمَا وَلَا وَتَمَّ حُكْمُ جِهْلَتِهِ فَأَمْسَتْ شِيرَكَا وَأَخَوَانِي الْمُسْلِمِينَ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبْ  
عَنكُمَا وَلَا عَنْ غَيْرِكُمَا وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأَسْوَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكَمْ فِيهِ إِنَّا

برأى ولا وليته سوى منى بل وجدت أنا وأنتا ما جاء به رسول الله ﷺ قد فرغ منه ، فلم احتج اليكما : قد فرغ الله من قسمه وامضى حكمه ، فليس لكما والله عندي ولا غيركما في هذا عني . اخذ الله بقلوبنا وقلوبكم الى الحق والهدى وإياكم الصبر . وإي نفس تصبر على مثل هذا ؟

لما رفعت قضية عبيد الله بن عمر في قتله الهرمزان الى عثمان كان من رأي علي قتله ولكن عثمان قضى بخلاف رأيه وحكم بالدية والتزما في ماله وهو خليفة فضاؤه محترم صوابا كان أم خطأ فلما آل الامر الى علي كان يريد قتل عبيد الله بعد ان مضى على القصة تلك المدة الطويلة فلم يكن من عبيد الله الا ان لحق بمارية وكان من قواده العظام بصفين

كانت لعثمان قطائع اقطعها للناس ولم يكن ذلك من رأي علي ، فقال بعد خلافه : والله لو وجدت قد تزوج به النساء وملك به الاماء لرددته ، قلن في العدل صفة ، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه اضيق

بويم ودلالة الامصار من عليه قريش وذوى الرأي والدهاء فيها فأشار عليه مشيروا أن لا يجعل ينزعهم من أمصارهم حتى ينم أمره ، فلم يسمع لاحد قولا بل عجل ينزعهم وأظهر سوء الرأي فيهم حتى خيل اليهم أنه لو ملك كانت مصيبة كبرى فتأووه وكانوا عليه يدأ واحدة

أراد في هذه الاحوال أن يحمل الناس على مثل حد السيف مع ما سبق لهم من مضادة الخليفة وثقتهم في أنفسهم أنه لولا ما بوم فلم يمتثلوا ذلك له حتى قالوا ارض بالتحكيم والا فعلنا بك ما فعلنا به عثمان . ولما ولي ابن عباس على البصرة نظر بعضهم الى بعض وقالوا فتم بن العباس على الحجاز وعبيد الله بن العباس على اليمن وعبد الله بن عباس على البصرة فقيم قتلنا ابن عثمان ؟ وكانت سآته منهم وسآتهم منه تزداد كل يوم حتى لم يكن له على أنفسهم سلطان . يدعوم فلا يجيئون

ويستعزهم فلا يزعرون وجيش خصمه قاده كبراء قريش وعظماؤهم فارفقهم  
 بالطاعة وملكوا قلوبهم بالرفق فلم يكن لها بين الطائفتين توازن عند المصومة .  
 كان معاوية يسهل بعض الشيء لروم أجناده ويفيض عليهم من المطاه ما يجعل  
 رقابهم خاضعة له وعلى محاسنهم على التقير والتطهير في وقت هو محتاج اليهم  
 فيه حتى كان ذلك سبباً في تغيير قلب ابن عباس عليه وفرقة له فترك البصرة  
 وذهب الى مكة . وليس شأن علي في ذلك شأن عمر قن عمر كان يشتد على عماله  
 والامة كلها معه وأما علي فكان مملأ الامة عليه فضلاً عن أن كثيراً من النعم كانت  
 تاللق بهالة من قوم يشنون بهم كالحال في قيس بن سعد وعبد الله بن عباس  
 وعلى الجملة فإن أكبر الاسباب في عدم استقامة الامر لملي يرنجم الى  
 عقيدته في نفسه وثقلته المتناهية بما يراه واستغفانه عن رأي الاشياخ من قريش  
 وشدة عليهم شدة لم يقدحها ما يهون أمرها وعدم اعطائه الظروف التي كان فيها  
 حقها من السياسة والحال السيئة التي تولى فيها فانها كانت تفسره على غير ما عرف  
 عنه من الكياسة وسداد السياسة . اهـ بعض تصرف



## مبايعة الحسن بن علي

لما قتل علي بايع الناس ابنه الحسن بالخلافة . وأول من بايعه قيس بن سعد فقال له : أبسط يدك أيايكم على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه وقاتل المهلين ؛ فقال له الحسن رضي الله عنه : على كتاب الله وسنة نبيه ؛ فان ذلك يأتي من وراء كل شرط . فبايعه وسكت وبايعه الناس

وكان علي رضي الله تعالى عنه قد استطاع بعد المهد الشديد أن يبايعه أربعون الفا على الموت وكان قد جعل قيس بن سعد على مقدمته ووجهته اذ يبيحان . فلم يزل سعد يداري ذلك البعث حتى قتل علي . وكان الحسن لا يرى القتال ولكنه يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية ثم يدخل في الجماعة . وعرف أن قيس ابن سعد لا يوافقهم فمزله . وقبل انه لم يزله ، ولكن الحسن قد اختلف عليه أهل عسكره وهو بالمدائن وقد نزل معاوية بجنده مسكن . وسبب هذا الاختلاف على الحسن أن قائلا في عسكره قال : ان قيس بن سعد قد قتل فانفروا ، فنفروا ونهبوا سراذق الحسن حتى نازعوه بساطا كان تحته ، فخرج حتى نزل المقصورة البيضاء بالمدائن وكان سعد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد عاملا عليها . فقال له المختار وهو غلام شاب : هل لك في الفتي والشرف ؟ قال : وما ذلك ؟ قال : توثق الحسن وتسلمن به الى معاوية . فقال له عمه : عليك لعنة الله ، أثب على ابن بنت رسول الله ﷺ فأوثقه ، بئس الرجل أنت !

فلما رأى الحسن تفرق الامر عنه بعث الى معاوية يطلب الصلح . وقال للحسين ولعبد الله بن جعفر اني قد كتبت الى معاوية في الصلح وطلب الامان . فقال له الحسين : نشدك الله ان تصدق أحدونة معاوية وتكتب أحدونة علي .



فقال له الحسن : اسكت فإننا أعلم بالامر منك . فلما انتهى كتاب الحسن الى معاوية ، أرسل اليه عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة فقدموا المدائن وأعطيا الحسن ما أراد . فكتب الحسن الى قيس بن سعد وهو على مقدمته في اثني عشر ألفاً يأمره بالدخول في طاعة معاوية . فقام قيس في الناس فقال : يا أيها الناس . اخذوا الدخول في طاعة امام ضلال ، أو القتال مع غير امام . قالوا لا . بل نختار ان ندخل في طاعة امام ضلالة ، فبايعوا معاوية

ويظهر لي أن هذه الرواية واهية اذ يبعد على قوم مسلمين ان يقولوا ذلك . ولعلهم لم يقولوا ذلك الا بعد ان استوثق لهم بنفسه . وروى الطبري أن أهل العراق لما بايعوا الحسن بن علي طفق عليهم انكم سامعون . طبعون . قائلون من سالت ومحاربون من حاربت فارتأى أهل العراق في أمرهم حين اشترط عليهم هذا الشرط . وقالوا : ما هذا لكم بصاحب وما يريد هذا القتال . ثم لم يلبث الحسن حتى طعن طعنة أشوته <sup>(١)</sup> فازداد لهم بغضا ومنهم ذعرا . فكتب الى معاوية يطلب الصالح ، فأرسل اليه معاوية صحيفة بيضا ، مختوم على أعلاها ، وكتب اليه ان اشترط في هذه الصحيفة ما شئت فقولك . فلما جاءت الصحيفة الى الحسن أضعف الشروط التي كتب بها الى معاوية أولا وهي خمسة ملايين درهم كانت في بيت مال الكوفة وخراج دار البجرد ، وان لا يشتم علي بسمع منه . فلما رأى معاوية أنه أضعف الشروط استمسك بما كتبه الحسن أولا ولم يعطه ما اشترطه ثانيا

سار معاوية بعد ذلك حتى نزل الكوفة . وأراد عمرو بن العاص ان يفضح الحسن بن علي ، وان يبدو عيه للناس . فأشار على معاوية ان يخطب في الناس ويدعو الحسن الى الخطبة . فقام معاوية كارها لذلك ، فخطب في الناس ثم أمر رجلا ان ينادي الحسن ليتكلم . فقام فتشهد في بيعة أمر لم يُروَ فيه ثم قال : أيها

الناس . ان الله قد هداكم بأولنا وحقق دماءكم بآخرنا . وإن لهذا الأمر مدة  
والدنيا دول . وإن الله تعالى قد قل لنبيه ﷺ «وان أدري لله فتنه لكم ومتاع  
الى حين» فلما قالها قال له معاوية اجلس . ولم يزل ضمرما على عمرو وقال له هذا  
من رأيك . وقد تحمل الحسن بن معه من أهل بيته الى المدينة

وروي الطبري أيضا أنه لما تم الصلح بين الحسن ومعاوية بمسكن ، قام الحسن  
فقال : يا أهل العراق انه سخي بنفسي عنكم ثلاث : قتلكم أبي ، وطفنكم أبي ،  
وانتها بكم متاعي

وكان قيس بن سعد قد أبى من الصلح ، وكان نابعا لابن العباس . وقد كاتب  
ابن عباس معاوية يطلب اليه الامان وترك ما أصاب من مال على الدخول في طاعته  
فكتب له بذلك وأرسل اليه جنودا ، فلقى ابن عباس بجند معاوية سرا وترك  
الجند الذي كان فيه بلا قائد سوى قيس بن سعد . فبقي قيس على الجند الذي كان  
مع الحسن وخاطبه معاوية في الدخول في الطاعة فأبى سعد أن يبلن له . فأرسل اليه  
معاوية ورقة مختومة من أسفلها وقال له اشترط فيها ما شئت . فكتب فيها الامان  
لنفسه ولشعبة علي ولم يزد . وكان هذا من حكمة معاوية لأن عمرا أراد على قتاله  
فأبى وقال إنا لا نخلص اليهم حتى يقتل عداكم من أهل الشام وما خبير العيش بعد  
ذلك . وأنا لا أقاتلهم ما وجدت الى الصلح سبيلا . وكان الصلح في شهر ربيع  
الآخر سنة ٤١ : وهذه الرواية أراها أثبت وهي تدل أيضا على نفس عالية كريمة  
لقيس بن سعد

والذي يلاحظه المؤرخ ، أنه من ذلك الوقت ترك الطلب بدم عثمان وسكنت  
الضوضاء . وهذا يدل على أن الطلب بدم عثمان حجة داحضة . وإن الغرض الحقيقي  
لمعاوية ومن معه إنما هو الملك لا طلب النار . وقد كانوا حين ثارت الفتنة يصدون  
دهاة العرب خمسة : معاوية ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، وقيس بن سعد

وعبد الله بن بديل

## تنزل الحسن بن علي

كان من رأي جند علي أن يبايعوا الحسن بن علي بالخلافة بعد قتل أبيه فبايعوه  
ولكن الرجل نظر الى الاحوال التي هو فيها نظرة صائبة  
وجد جنداً لا يركن اليه وخصما قوي الشكبة ، وفوق ذلك كان يكره الفتن  
ومحب المسلمين الالفة فلم ير خيرا لنفسه ولا لأئمة من أن ينزل معاوية وصالحه  
على شروط رخصها الطرفان ، وكتب الى معاوية ببيعة وسلم اليه الكوفة في أواخر  
ربيع الاول سنة ٤١ ، وبذلك تم ما قاله رسول الله ﷺ « ان ابني هذا سيد ولعل  
الله أن يصلح به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين » . وهدأت الاحوال وسمي  
المسلمون ذلك العام وهو السنة الحادية والاربعون من الهجرة في عام الجماعة



(١)

## مدينة الاسلام في عهد الخلفاء الراشدين

اصطلح المؤرخون على تسمية الدولة الاولى من دولة الاسلام بدولة الخلفاء الراشدين ، ومدتها تقرب من ثلاثين سنة . ونحن الآن ذاكرون شيئا من المدنية الاسلامية أو العربية لمهدم . ونريد بالمدنية مجموع النظام الذي اتبعوه في أحوالهم الاجتماعية ، سواء في إدارة أمورهم الداخلية أو في حروبهم

### الخبر

أول ما كان لهم من مظاهر المدنية تأسيس ﴿ الخلافة الاسلامية ﴾ . وكان الرئيس يسمى خليفة رسول الله ﷺ . فلما جاء ثاني الخلفاء اختار لقب أمير المؤمنين ثم لم يزل مستعملا لقبا لجميع من أتى بعده من الخلفاء . وهذه الخلافة رئاسة دينية أساسها الدين ، وغايتها حل الناس على ما فيه صلاحهم متبعين الخليفة في ذلك نحو من الكتاب وما عرف من سنة رسول الله ﷺ

فالخليفة واجب الطاعة فيما يأمر مالم يخالف النصوص أو الشريعة الاسلامية . وكان أساس التشريع في زمنهم هو القرآن والسنة المعروفة فإن عرض لهم ما ليس فيهما عرفوا الاشياء والامثال وقاسوا مالا نص فيه على ما فيه نص لما بينهما من التشابه . وكان الخليفة في الاجتهاد والاستنباط كأحد المجتهدين يستفتيهم فيما نزل به من الخواص فيجيبونه بما عندهم فإن اتفقوا في الفتوى كان من الحكم عليه أن يقع رأيهم وهذا ما يسمى في عرف المسلمين بالاجماع وإن اختلفوا في الفتوى حل الخليفة بما يرى من آرائهم ، فلم يكن له سلطان ديني أكثر من أنه منفذ لأحكام الدين .

فايست الخلافة سلطانا دينيا ■ يزعمون ، وإنما هي سلطان أساسه الدين

(١) ألفت في هذه الكلمة بإيجال في محاضرات للرحوم الحضري بك مع زيادة بسط وفضل يلق

ولم يكن في تلك الحقبة خلافة اسرة معينة ، بل يختار الخليفة من أي اسرة من اسر قريش . والخلفاء الاربعة من ثلاث اسر : قاي بكر من بني تيم ، وعمر من بني عدي ، وعثمان وعلي من بني عبد مناف . وكان أساس الانتخاب الشورى . فالخلافة من جهة كونها لا تنصب لها اسرة ، وصاحبها يتعين بالانتخاب ، ومقيد فيما يعمل بالقانون الشرعي ، تشبه رئاسة الجمهورية . وتمتاز الخلافة بانها مخصصة بالبيت القرشي

وكانت الناس تبايع الخليفة على العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ . وزادوا في بيعة عثمان « وسيرة الشيخين أبي بكر وعمر » وحذفت هذه الزيادة في بيعة علي لأنه كان أباهما لما عرض عليه الامر عبد الرحمن بن عوف . وكان الخلفاء يستشيرون فيها يعرض لهم من الامور ، الا أنهم لم يكونوا على درجة واحدة في ذلك . وكان أكثرهم اعتناء بالشورى عمر بن الخطاب فانه كان فلما يقدم على أمر الا بعد أن يستشير وبمحص الآراء . وكانت له ( شورى خاصة ) من أعلام الصحابة ومشيختهم من المهاجرين والانصار ومشيخة قريش مثل عثمان بن عفان والعباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف وعلي بن أبي طالب ومن مثلهم . وكان يلحق بهم عبد الله ابن عباس لما برأه من فقهه وجودة رأيه . و( شورى عامة ) من كل من له رأي من المسلمين يعرض عليهم الامر في المسجد بعد أن يدعو « الصلاة جامعة » فيقول كل ما بدا له وربما استشار بعد ذلك خاصته . وكان كثيرا ما يرجع عن رأيه متى تبين له الحق ونهايك برجل كان يقول : من رأي منكم في أهوجاجا فليقومه . ورجال الشورى كانوا مختارين من قبله الا أنه لم يكن أحد يمنع من ابداء رأيه معها كان صاحب الرأي صغير القدر لان حياتهم كانت مبنية على المساواة والديموقراطية الصحيحة ولم يكن ينقص هذا النظام البديع الا شيء واحد . وهو تعيين من لهم الصوت في انتخاب الخلفاء . يوصف بينهم وقد كان عدم هذا التعيين سببا من أسباب الفرقة بين

علي ومعاوية ، لان عليا كان يرى أن هذا الحق لأهل المدينة وحدهم لا بشرهم في ذلك أهل الامصار الاخرى . فحق بايع أهل المدينة لو احدثت بيعته ، وليس لاحد منهم بعد ذلك اعتراض . ومعاوية ومن معه من أهل الشام كانوا يرون غير ذلك وان البيعة لا تتم الا برضا أهل الامصار مع ما كان يدعيه سوى هذا . فكانت تلك الفرقة المسائلة وتلتها الحرب العظيمة بين المسلمين

لم يكن للخلافة في هذه الموقعة شيء من شارات الملك ولا ابنته ، بل كان الخليفة يسير في طريقه وفي بيته كسائر الناس لا حاجب ولا حارس : يقض الصغير والكبير اذا طلب منه أمرا أو أراد على شأن من الشؤون . وكان عمر يكره أن يكون لهالة حجاب حتى أنه أرسل الى سعد بن أبي وقاص من حرق باب دار الامارة الذي حال بين العامة وبين رفع شكواهم اليه الا بعد الاستئذان

## القضاء

كان القضاء معتبرا من عمل الخليفة لان مناه فصل الخصومات والمنازعات على حسب القانون الشرعي المأخوذ من الكتاب والسنة ، فكان الخلفاء يباشرون هذا العمل بانفسهم ويستفتون في الحكم ان كانت هناك حاجة الى الاستفتاء . ولما كثرت المشاغل واتسعت الفتوح اضطر الخلفاء للاشتغال بالجيوش وتدبيرها ، ففوضوا هذا العمل الى من في مكتبهم الامتياز ، ولكنهم لم ينسوا بالقضاء الا من عهد عمر بن الخطاب : فانه بحث قضاة الى الامصار ، ووضح لهم نموذجاً يسرون عليه واستمر الحال على ذلك الى آخر عهد الخلفاء الراشدين . ومن أعظم ما كان لارثك القضاء من الفخر شرف نفوسهم واستقلالهم في الحكم فلم يعرف عن احد منهم في ذلك العصر ميل الى الدنيا واغترار بزخرفها يصل بهم عن قول الحق والحكم به . وكان سواء في نظرم الشريف والوضيع والخليفة

والرعية . ولم يكن لامراء الامصار سلطان عليهم في قضائهم وكان تعيينهم من قبل الخليفة رأساً ، وأحياناً يكتب الخليفة الى الامير أن يولى قضاء بلده من يرى فيه الكفاية وعلى المالين التعيين صادر من الخليفة . وكان لقضاة رزق من بيت المال لما يلزمهم من الانقطاع لهذا العمل وذلك ما يرتزقون منه . ومن احسن ما رأينا في امر القضاء ما يقال انه كتبه على بن ابي طالب الى احد عماله ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيته فكيف نفسك ممن لا تضيق به الامور ولا تحمكه الخصوم ولا يشادي في الزلة ولا يحصر من القى الى الحق اذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكنفي بأذى فهم الى قضاء ، أو تقفهم في الشبهات وأخدم بالحجج وأظلم تبرما بمرجعة الخصم واصبرهم على تكشف الامور واصبرهم عند انتصاح الحكم من لا يزدحمه اطراء ولا يستميله اغراء . وأولئك قليل . ثم اكثر تعاضد قضائهم وأفسح له في البذل ما يزيل عنه ونقل منه حاجته الى الناس واعطاه من المنزلة لذلك ما لا يطعم فيه غيره من خاصتك لباس بذلك اعتبال الرجال له عندك ( وهذا الكتاب عندي فيه شك وأرى أنه موضوع

وكان في كل مصر جماعة اشتهروا بالعلم والفتنة والسياسة الاحكام . كان يستعين بهم القاضي ويستفتيهم اذا أشكل عليه أمر . وأهم ما كان يدعوهم الى ذلك أن سنة رسول الله ﷺ لم تكن مجموعة في كتاب ، بل كانت في صدور الناس يحفظ منها أحدهم جزءا والثاني جزءا . وقد لا يحفظ أحدهم ما يحفظه الآخر فرأى عرضت لقاضي . مسألة فلا يرى فيها نصا ويكون النص . وهو الحديث . عند غيره لذلك كانوا يسألون : هل عندكم شيء في هذا من سنة رسول الله ﷺ ؟ ولم يجمعوا هذه الفتاوى ، ولا الافضية في كتاب خاص يرجع اليه من بعدهم . وكان ما ذكرناه من أمر السنة سببا كبيرا من أسباب اختلافهم في الفتاوى والافضية ولم يكن التقاضي موكولا الى الاجتهاد الصرف كما يظن بعض الباحثين ويجعل

ذلك من عبوب القضاء وانما كان موكولا الى الاجتهاد في فهم القانون الشرعي وتطبيقه على الحوادث والواقعات . حقيقة ان ذلك القانون لم يعتن بالتفصيل الزام ، بل اهتم بالقواعد الكلية . وليس هذا عيبا في القوانين التي يراد منها البقاء « بل هو مما يحسنها ويجعلها صالحة لكل زمان ومكان

الاجتهاد للقاضي - والحال ما ذكرنا - أمر لا يد منه . ولذلك عده المتقدمون من الشروط المتحتمه

ولم يكن تعيين القضاء مائما للخلفاء من نظرية خصومة تعرض عليهم ، وقد حصل ذلك من الخلفاء في آفات كثيرة ، فكان القضاء كانوا اربابا للخلفاء

وليس عندنا دليل على وجود سجلات يضبط فيها ما يصدر من الاحكام ولا أن صور الاحكام كانت تعطى للمحكوم له ، لأن ذلك لم يكن ما يدعوا اليه مادام التنفيذ في يد القاضي ، فهو الذي يقضي وهو الذي ينفذ الحكم . ويظهر لنا مما قرأناه من أخبارهم أنهم قلما كانوا يحتاجون للتنفيذ ، لأن من حكم عليه كان يبادر بتنفيذ ما قضى عليه به من الحقوق ؛ فكان المتنازعون أقرب الى كونهم مستفتين ينفذون ما صدرت به الفتوى من تلقاء أنفسهم

ويظهر لنا أن قضاء القضاء في عهد الخلفاء الراشدين كان قاصرا على فصل الخصومات المدنية أما القصاص والحدود فكانت ترجع الى الخلفاء وولاة الامصار لأننا رأينا قضايا حكم فيها الخلفاء والامراء بقتل قصاصا أو جلد لسكر ولم يبلغنا أن قاضيا ليس أميرا قضى بمقوبة منها أو نفذها . وكانت العقوبات التأديبية كالحبس لا يأمر بها الا الخليفة أو عامله فكانت الدائرة القضائية ضيقة ولم يبلغنا أيضا أن قضاة الامصار كانوا ينيبون عنهم قضاة في غير الخواضر الكبرى وذلك دليل على قلة القضاة والخصومات



## قيادة الجيوش

كانت قيادة الجنود من أعمال الخلافة كما كان رسول الله ﷺ يقود الجنود بنفسه ، ولكن الخلفاء لما لم يمكنهم أن يقودوا جميع الجنود المرسلة الى البلدان المختلفة كانوا يختارون قائدا للجيوش ممن يرون فيه النجدة والشجاعة وتكون طاعتهم واجبة كطاعة الخليفة سواء بسواء . وبعد انتهاء الفتح واستقرار الامر يكون سلطانهم قاصرا على تدبير أمر الجنود والنظر في مدياتهم . ولم تكن هذه الجنود محصورة في ديوان الامن عهد عمر بن الخطاب فهو الذي دون لهم الدواوين وأحصاهم حتى صار يعرف جنود كل وجه ومن تأخر منهم عن وجهه وكان يعاقب المتأخر بان يقام في مسجد حيه ويقال ان هذا تخاف . وهذا التوبيخ كان في نظرم أمضى من ضربة السيف ، اما هو معروف عنهم من الشجاعة والافدام ، ويرون الاحجام عارا لا بمعنى . وكما حصرهم عمر رتب لهم الارزاق من بيت المال ولم يكن قبل ذلك لهم رزق معين الا أنه لم يسو بين الجنود في العطاء وقد سوى بينهم علي ابن أبي طالب . وكان لكل جند عرفاء يلون أمور الجند ويقضون أرزاقهم ويوزعونها عليهم

أما تعبئة الجيوش فقد قالوا منها حظا عظيما فيمد ان كانت العرب لمحارب في جاهليتها بطريقة الكر والفر . وهي أن يكر المحارب على خصمه ثم يفر ثم يكر وهكذا لا يقيمون نظاما . رأى قواد الجند من المسلمين أن هذا النظام لا يصلح معه حروب الامم المنظمة فربطوا مسير الجنود بعضهم ببعض حتى يكون الصف متضامنا وليس لاحد ان يتأخر عن صفه أو يتقدم عنه وكان للجيوش مقدمة تكون في الامام وهي التي تبدأ المناوشات وتعرف الطرق وترتاد المواضع وقلب وهو وسط الجيش وفيه أمير الجند ومجنبتان يعني ويسرى - أو جناحان - وساقة وهي الجزء المؤخر من

الجيوش وإذا كان الجيش تام الاقسام على هذا الوصف يسمى خبسا . ولكل فرقة من الفرق الخمس أمير يأمر بأمر القائد العام . وكانوا يعملون على الفرسان خاصة أميرا وكان للاحتفاظ بخطوط رجعتهم الشأن العظيم حتى لا يؤثروا من خلفهم وكانوا يحذرون البيات جهدهم

ومن أحسن ما اطلعت عليه من الاوامر الخاصة بتسيير الجنود ما كتبه عمر بن الخطاب الى سعد بن أبي وقاص من كتاب له في ذلك حيث يقول : وترفق بالمسلمين في سيرهم ولا تجشهم سيرا يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبالغوا عدوهم والسفر لم ينقص من قوتهم ، فانهم ماثرون الى العدو مقيم حامي الانفس والكرام . وأقم بمن معك في كل جمعة يوما وليلة حتى تكون لهم راحة يحيمون بها أنفسهم ويرمون أسلحتهم وامتعهم . ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والقدة فلا يدخلها من اصحابك الا من تنق به ، ولا يرزأ احدا من اهلها شيئا فان لهم حرمة وذمة ابلتكم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها فاصبروا لكم فتولوهم خيرا . ولا تنتصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح . واذا وطئت أرض عدوك فأذك العيون بينك وبينهم ولا يخف عليك من أمرهم شيء . وليكن عندك من العرب أو من أهل الارض من تطمئن الى نصحه وصدقه ، فان الكذوب لا ينفعك خبره وان صدق في بعضه والغاش عين عليك وليس عينا لك . وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم فتقطع السرايا امدادهم ومراقبهم وتنبع الطلائع عوراتهم . واختر لطلائع أهل اليأس والرأي من اصحابك وخبر لهم سوابق الخيل فان لقوا عدوا كان أول ما تلقاهم القوة . وأجعل أهل السرايا من أهل الجهاد والصبر على الجلال ولا تخش احدا يهوى قضيع من رأيك وامرك اكثر مما حايت به أهل خاصتك ولا تبعث طليعة ولا سرية في وجه تخوف فيه غلبة أو ضيعة أو نكابة ، فاذا عاينت العدو فاضمم اليك اقاصيك واجمع اليك

مكيدتك وقوتك ثم لا تعاجلهم بالمناخزة . لم يستكرهك قتال حتى تبصر عورة  
عدوك ومقاتله . وأمر ف الأرض كلها كمرتبة أهلها بها فتمنع عدوك كصنعه بك ثم  
اذك حراسك على عسكرك وتيقظ من البيات جهلك .

## الخراج وجبايته

كان الخلفاء من عهد عمر بن الخطاب يعنون الجباية عمالا مستقلين عن العمال  
والقواد . وقليل ما كانوا يكونون أمر الجباية الى العمال وكانوا يدفعون مما يجبون  
أرزاق الجند ومصاريف ما يأمر به الخليفة مما تقتضيه المصالح العامة والباقي يرسل  
الى دار الخلافة ليصرف في مصارفه

وكانت هناك إرادات ثابتة او عادية ، وإرادات غير ثابتة . اما الاولى  
فهي الخراج والعشر والصدقات والجزية

والخراج هو ما كان يوضع على الأرض التي امتلكها المسلمون عنوة وتركوها  
في أيدي أهلها ويؤخذ منهم كأنه أجره الأرض التي اقيمت في أيديهم وكانوا  
يحملونه أحيانا شيئا مقدرا كما عمل عمر في السواد . وأحيانا يحملونه حصة شائعة مما  
يخرج من الأرض . أما الاواخي التي أسلم أهلها عليها وهي من أرض العرب أو  
العجم كالمدينة واليمن أو ملكها المسلمون عنوة وأهلها لا تقبل منهم الجزية كهيذة  
الاثنيان من العرب ، فهذه أرض عشر ومنها الاراضي التي امتلكها المسلمون عنوة  
وقسمت بين الفاتحين . والعشر هو عشر ما يخرج من الأرض

وكان عمر لما فتح السواد والشام شاور الناس في قسمة الارضين التي فتحتها  
المسلمون . فتكلم فيها قوم وأرادوا أن يقسم لهم حقوقهم وما فتحوا . فقال عمر  
فكيف بمن يأتي من المسلمين فيجدون الأرض قد انقسمت وورثت عن الآباء

وحبوت ؟ ما هذا رأيي . قال عبد الرحمن بن عوف : فما الرأي ؟ ما الارض  
والعلوج الا بما اقل الله عليهم . فقال عمر : ما هو الا ما تقول ، ولست ارى ذلك .  
والله لا يفتح بعدي بلد فيكون فيه كبير نيل ، بل عسى أن يكون كلا على المسلمين  
فاذا قسمت أرض العراق يعلوجها وأرض الشام يعلوجها فما يسد به الثغور وما  
يكون للذرية والارامل بهذا البلد وبغيره من أهل الشام والعراق ؟ فاكثروا على عمر  
وقالوا : تقف ما اقل الله علينا بما ينافي على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا ولا بناء القوم  
ولا بناء ابنائهم ولم يحضروا . فكان عمر لا يزيد على أن يقول هذا رأيي . قالوا فاستشر  
فاستشار المهاجرين الاولين فاختلفوا فاما عبد الرحمن بن عوف فكان رأيه ان يقسم  
لهم حقوقهم ورأي عثمان وعلي وطلحة وابن عمر رأي عمر . فارسل الى عشرة من  
الانصار خمسة من الارس وخمسة من الخرج من كبارهم وأشرافهم ، فلما اجتمعوا  
حمد الله واثني عليه بما هو أهله ، ثم قال :

اني لم ازعجكم الا لان تشركوا معي فيما حملت من أموركم فاني واحد كاحدكم  
وانتم اليوم تقرر بالحق خالفني من خالفني ووافقني من وافقني ولست أريد ان  
تنبهوا هذا الذي هو اى ، معكم من الله كتاب ينطق بالحق فوالله ان كنت نطقت  
بامر أريد ما أريد به الا الحق

قالوا قل نسمع يا أمير المؤمنين . قال قد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا اني  
اغلبهم حقوقهم واني أعوذ بالله ان اركب ظمأ لن كنت ظلمتهم شيئا هو لهم وأعطيتهم  
غيرهم لقد شفيت ولكن رأيت أنه لم يبق شيء . يفتح بعد أرض كسرى وقد غنمنا الله  
أموالهم وأرضهم وعلوجهم ، فقسمت ما غنموا من أموال بين أهلهم وأخرجت الخس فوجيته  
على وجهه وأنا في توجيهه ، وقد رأيت أن أحبس الارضين بهلوجها وأضع عليهم  
فيها الخراج فتكون فينا للمسلمين المفاطة والقرية ولن يأتي من بعدهم . أرأيتم هذه  
الثغور ؟ لا بد لها من رجال يلزمونها . أرأيتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة

والكوفة والبصرة ومصر ؟ لا بد لها من أن تشحن بالحبوش وادرار العطاء عليهم  
 ن أين يعطى هؤلاء اذا قسمت الارضون والمروج ؟ فقالوا جميعا : الرأي رأيك  
 فنعما قلت وما رأيت ان لم تشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال وتجر عليهم  
 ما يتفقون به رجع أهل الكفر الى مدنتهم . فقال قد يان لي الامر فن رجل له جزالة  
 عقل بضع الارض مواضعها وبضع على المروج ما يحتملون ؟ فاجتمعوا له على عثمان بن  
 حنيف وقالوا تبعثه على أهم ذلك قلن له بصرا وعقلا ونجربة فارسل اليه عمر فوله  
 مساحة أرض السواد فأدت جباية سواد الكوفة . قبل أن يموت عمر بعام . .

الف الف درهم ، وكان وزن الدرهم يومئذ وزن المثل

وأرادوا منه أن يقسم الشام كما قسم الرسول خير . وكان أشد الناس عليه في  
 ذلك الزبير بن العوام وبلال بن أبي رباح . فقال عمر : اذا أترك من بعدكم من  
 المسلمين لا شيء لهم . وفضل بالشام كما فعل بالعراق فترك أهل ذمة يؤدونها  
 الخراج للمسلمين

قال أبو يوسف القاضي : والذي رأى عمر من الامتناع من قسمة الارضين  
 بين من افتتحها نوبقا من الله كان له فيما صنع ، وفيه كانت الخيرة لجميع المسلمين .  
 وفيما رآه من جمع خراج ذلك وقسمته بين المسلمين عموم النفع لمجاعتهم . لان هذا لو  
 لم يكن موقوفا على الناس في الاعطيات والارزاق لم تشحن الثغور ولم تقو الجيوش  
 على السير في الجهاد ، ولما أمن رجوع أهل الكفر الى مدنتهم اذا خلت من  
 المقاتلة المرتقة

ولم يكن مقدار الخراج معروفا في عهد الخلفاء الراشدين تمام المعرفة

## الجزية

والجزية هي ما يوضع على رؤوس أهل القنعة على الرجال دون النساء والصبيان وكانت تؤخذ منهم جزاء عن حمايتهم ودفع العدو عنهم . ولم يكونوا يأخذونها من المسكين الذي يتصدق عليه ولا من لا قدرة له على العمل — روى أبو يوسف القاضي في كتابه الموسوم بالخراج <sup>(١)</sup> قال : مر عمر بن الخطاب بباب وم وعليه سائل شيخ كبير ضرب البصر . فضرب على عضده من خلفه وقال : من أي أهل الكتاب أنت ؟ فقال يهودي . فقال ألباك إلى ما أرى ؟ قال الجزية والحاجة والسنة . قال : فأخذ عمر يده وذهب به إلى منزله فوضع له بشيء من المنزل . ثم أرسل إلى خازن بيت المال . فقال : أنظر هذا وضرباه فوافقه ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذه عند الهرم . إنما الصدقات للفقراء والمساكين . والفقراء هم المساكين وهذا من المساكين من أهل الكتاب . ووضع عنه الجزية وعن ضربائه . وكانوا يقدرون الجزية على حسب أحوال الناس ويسارهم لا تزيد عن ٤٨ درهما في السنة . ولا تنقص عن ١٢ درهما . روى أن رسول الله ﷺ قال : من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه . وكان فيما تكلم به عمر بن الخطاب عنده وفاة « أرمي الخليفة من بعدي بذمة رسول الله ﷺ » أن يوفي لهم بهدم وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفهم فوق طاقتهم .

(١) ص ٧٣ بولاق و ص ١٥١ طبعة المطبعة السامية

## الصدقات

كانت الصدقات تؤخذ من المسلمين من جميع أموالهم - نعمهم السائغة الابل والبقر والغنم وتقودهم الدرهم والدينار وما يخرج من أرضهم . وقد بينت الشريعة لكل ذلك نصا مبينا لا تحجب فيما الزكاة دونة وقسرا مبينا لا يؤخذ فوقه ، بين ذلك في كتاب كتبه رسول الله ﷺ قبل وفاته وعمل به المسلمون بعده . وكانوا يعينون لاهل البادية مصدقين وهم الذين يأخذون الصدقات لبصرفها الامام في مصارفها الشرعية

## العشور (المحاركة)

كان تجار من المسلمين يذهبون بتجارهم الى ديار الحرب فينقاضى منهم اهل البلاد عشر أموالهم . فكتب أبو موسى الاشعري الى عمر : ان تجارا من قبلنا من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشر . فكتب اليه عمر خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين وخذ من اهل القدة نصف العشر ومن المسلمين من كل أربعين درهما درهما وليس فيما دون المائتين شيء . فاذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم وما زاد فيحصاه

روى أبو يوسف النخعي : أن جماعة من اهل الحرب من وراء البحر كتبوا الى عمر بن الخطاب : دعنا ندخل أرضك نجارا ونعشرنا . فشاور عمر أصحاب رسول الله ﷺ . فأتوا عليه به . فكان أول من عشر اهل الحرب وبمث زياد ابن حدير على عشور اهل العراق والشام

ومما يستطرف من خبر زياد أن رجلا من نصارى تغلب مر عليه بفرس قومت بشر من الفاء فأخذته الفاتم مر راجعا في سنته . فقال : اعطني ألفا أخرى . فقال التغلبي كلما مررت بك تأخذ مني ألفا قال نعم . فسار التغلبي الى عمر فوافقه بمكة وهو في

بيته فاستأذن عليه . فقال : من أنت ؟ قال رجل من نصارى العرب وقص عليه قصته . فقال عمر : « كفت » ولم يزد على ذلك فرجع التقاى الى زياد بن حدير وقد وطن نفسه على أن يعطيه ألفاً أخرى . فوجد كتاب عمر قد سبقه اليه : من مر عليك فأخذت منه صدقة فلا تأخذ منه شيئاً الى مثل ذلك اليوم من قابل الا أن نحمد فضلاً . فقال الرجل : قد والله كانت نفسي طيبة أن أعطيك ألفاً وأنى أشهد الله أني على دين الرجل الذي بعث اليك الكتاب (١)

وقد اتبع المسلمون سنة عمر في تعشير أموال التجارة التي ترد من خارج البلاد الاسلامية الى بلاد المسلمين . قال أنس بن سيرين : أرادوا أن يستعملوني على عشر الابل فأبيت فأتيت أنس بن مالك فقال : ما بمنك ؟ قلت العشر أخبث ما عمل عليه الناس . قال فقال لي : لا تفعل ، عمر صنعه فجعل على أهل الاسلام ربع العشر وعلى أهل الذمة نصف العشر وعلى المشركين من ليس له ذمة العشر ولم يريدوا أن يأخذوا من أموال المسلمين التجارة أكثر مما يجب عليهم من الزكاة . وضاعفوا ذلك على أهل الذمة كما فعلوا مع نصارى قنبل . وعاملوا أهل الحرب بما يعاملون به تجار المسلمين في بلادهم وليس عندنا علم بمجموع ما كان يرد في السنة الى بيت المال وفراء ، وكان لبيت المال خازن يخرج منه بمقدار ما يأمر الخليفة أما القناتم فكانت تقسم أربعة أخماسها على القسامين والخمس الباقي يرد الى بيت المال ليصرف في مصارده .

## النقود

كان العرب قبل الاسلام يعاملون بنقود كسرى وفيصر من الذهب والفضة ولم يكن لهم سكة خاصة بهم ، لأنها تتبع المدينة والحضارة والامة العربية كانت في ذلك الحين تطلب عليها البداوة . ولما جاء الاسلام

(١) الحراج لابن يوسف ص ١٦٢ على نسخة السلفية



لم يتغير التعامل بهذه النقود بل سار على تلك الحال مدة رسول الله ﷺ وأبي بكر  
 وعمر . فلما فتحت الفتوح على عهد عمر واستولى المسلمون على بلاد فارس وكثير  
 من بلاد الروم ، رأى عمر بن الخطاب أن يبين وزن الدرهم لانه نظر فرأى الدراهم  
 الكسروية المسكوكة مختلفة الوزن فنها درهم على وزن المقيال عتسرون قيراطا ،  
 ومنها درهم وزنه اثنا عشر قيراطا ، ودرهم وزنه عشرة قيراطا فأخذ عمر جميع  
 هذه الاوزان الثلاثة وهي ٤٢ قيراطا وأخذ ثلثها وهو أربعة عشر قيراطا من قيراط  
 المقيال وضرب الدرهم على ذلك فكان كل عشرة دراهم وزن سبعة مثاقيل لان  
 كلالها = ١٤٠ فصارت النسبة بين الدرهم والمقيال كنسبة ١٠ : ٧ . - نقل  
 المرحوم على مبارك باشا في خطابه عن المقرئ قال : وفي سنة ١٨ من الهجرة  
 ضرب الدرهم على نقش الكسروية وشكلها باعياها غير أنه زاد في بعضها الحد لله  
 وفي بعضها محمد رسول الله . وفي بعضها لا اله الا الله وحده . وعلى أخرى عمر .  
 وجعل وزن كل عشرة دراهم ستة مثاقيل . فلما بويغ عثمان ضرب في خلافته  
 دراهم ونقشها : الله أكبر

والظاهر أن ولاية الامور والامراء كانوا يضربون السكة في نواحيهم ويضعون  
 اسماءهم عليها . ذكر صاحب تاريخ الثمن الاسلامي أن من ذلك قطعة من الدينار  
 ضربها خالد بن الوليد في طبرية سنة ١٥ هـ وهي على رسم الدينار الرومي تماما  
 بالصليب والتاج والصولجان ونحو ذلك وعلى أحد وجهيها اسم خالد بالاحرف  
 اليونانية (Xaled) وهذه الاحرف (Bon) قال وبنان الدكتور مول المؤرخ  
 الألماني أنها مقلدة من (ابو سليمان) كنية خالد بن الوليد وصورة القطعة منقوشة  
 في الكتاب من وجهيها

وفي الكتاب المذكور : وذكر المرحوم جودت باشا أنه رأى نقوداً ضربها  
 الامراء والولاة في عهد الخلفاء الراشدين أقدمها ضرب سنة ٢٨ في قصبة هرنك  
 طبرستان وعلى دارها بالخط الكوفي (بسم الله ربي) . ورأى قدما مضروباً سنة

٣٨ هـ على دأثره هذه العبارة أيضا . وقد ضرب سنة ٦١ في يزد على دأثره  
( عبد الله بن الزبير أمير المؤمنين ) بخط بهاري

## الحج

كان من الاعمال الكبرى لامام المسلمين إقامة حجهم . وكان الحج  
معتبراً في نظر الخلفاء الراشدين موسماً عاماً يجتمع فيه أمراء الجهات ليدلوا الى  
الخليفة بما عندهم من الاحوال في بلادهم ولتسمع شكوى من يشكوا من رعيته  
وكان الخلفاء يلونه بانفسهم وقتما يتخلفون . وكان أكثرهم تولياً لأمر الحج بنفسه  
عمر بن الخطاب فانه حج سنه كلها لم يتخلف في واحدة منها ، إلا أنه حصل خلاف  
في السنة الاولى من حكمه فقيل انه أناب عنه عبد الرحمن بن عوف . وأبو بكر حج  
بنفسه مرة وأناب عنه مرة . وعثمان بن عفان حج معظم سنه . وعلى أناب عنه كل  
سني خلافته لما شغل به من الاضطراب الذي كان بينه وبين معاوية  
كان الاهتمام بأمر الحج قد جعل له مظهراً عظيماً وفائدة كبرى في تعارف المسلمين  
بموضع بعضهم . وكان الخلفاء يجيئون به من الاخبار مالا يمكن أن يصل اليهم  
بواسطة الولاة

## الصلاة

كانت إقامة الصلاة من أعمال الخليفة فهو يقيمها بنفسه أو بواسطة  
نائبه ، وكان في كل مصر مسجد جامع تؤدي فيه الجمعة ولا ينصب منبر في غيره . فلم  
يمكن تقام الا الجمعة واحدة في مصر بقيمها الخليفة ان كان أو الوالي . ولم يبلغنا أنه  
تعددت في البلد المساجد في عهد الخلفاء الراشدين

## العلم والتعليم

كانت الكتابة قبل مجيئ الاسلام قادرة في الامة العربية خصوصا في الحجاز ونجد . فلما جاء الاسلام ساعد على انتشار الكتابة بين العرب . ففي زمن رسول الله ﷺ استخدم جماعة من قراء امري بدر في أن يعلم كل منهم عشرة من صبيان المدينة الكتابة وكان ذلك فداءه . ولما فتحت البلاد الفارسية . وكان بالحيرة كثير من يكتبون . جلبوا جماعة منهم يعلمون الكتابة بالمدينة . وكان أكثر الناس الذي نشأ في عهد الخلفاء الراشدين يعرف الكتابة . أما الخلفاء أنفسهم فكانوا كلهم من الكتاب قبل الهجرة وقد كتبوا رسول الله ﷺ ولم يكتب شي من الكتب في ذلك العهد الا القرآن فانه جمع في مصحف في عهد أبي بكر . وفي عهد عثمان كتبت منه مصاحف عدة أرسل بها الى الامصار ليكون كل مصحف اماما لأهل المصر لئلا يرسل اليه . أما سنة رسول الله ﷺ فلم تجمع في كتاب . وكذلك لم يكتب شيء في العلوم . أما المدينة منها فكانوا مكتفين بما فطروا عليه من معرفة اللغة العربية وفهم أساليبها . والشرعة انما جاءهم بهذه اللغة . فكانوا يستقلون بغيرها . وأما العلوم الصاعية فإن الامة كانت لا تزال على بدائتها وان كان قد نفع منها من أمكنهم انشاء المدن ومسح الاراضي بالمران على ذلك لا يتعلم سابق . وما قيل من أن علم النجوم أبو الاسود الدؤلي بأمر الامام علي ، فقد كان شيك يسيرا ولم يكن كتابا مدونا كما هو المعروف في الكتب المدونة .

تم تاريخ الخلفاء الراشدين

وانشد له وحده

« وبلية تاريخ دولة بني أمية »



صفحة	صفحة
١٦١ يوم بابل - وكوفى	١٠٢ إدارة البلاد في عهد أبي بكر
١٦٢ هرسير	١٠٤ جمع القرآن
١٦٣ فتح مدائن كبرى	١٠٥ رزق الخليفة
١٦٨ ما جمع من غنائم أهل المدائن	١٠٨ أوزاق الجند، أوزاق العمال
وقسنتها	١٠٩ وفاة أبي بكر
١٧٠ وقعة جلولاء	
١٧٣ فتح تكريت	عمر
١٧٤ ما سبذان، قرقيسيا	١١٠ انتخابه للخلافة
١٧٥ تصوير الكوفة	١١٣ ترجمة عمر وإسلامه
١٨٠ فتح الجزيرة	١١٦ أول خطبة له
١٨٣ فتح الاهواز	١١٦ فتح فارس وما كان بعد خالد
١٨٥ غزو فارس من البحرين	١١٩ الفارق
١٨٧ فتح رامهرمز والسوس وتستر	١٢١ وقعة الجسر
١٩٢ فتح نهاوند	١٢٢ البويب
١٩٥ • اصبهان	١٢٧ القادسية
١٩٦ • أذربيجان	١٥٠ يوم أنغوات
١٩٧ • الري، فتح الباب	١٥٣ يوم عماس
٢٠٠ • خراسان	١٥٦ ما بعد الواقعة
٢٠٣ فتوح أهل البصرة	١٥٩ ما بعد القادسية
٢٠٦ الفتوح في بلاد الروم	١٦٠ برس
٢٠٧ فتح دمشق	

صفحة	صفحة
٢٨٠ قسمة فتح بلاد فارس	٢١٠ غزوة رطل
٢٨٧ الفتح في ملكة الروم	٢١٢ الوقعة بمرج الروم
٢٩٠ مقتل بردجرد	٢١٣ فتح حمص
٢٩٢ اجتماع أعمال سورية كلها لهاوية	٢١٥ فتح بيت المقدس
٢٩٣ الفرقة العربية وأسبابها ونتائجها	٢٢٢ القضاء في عهد عمر
٢٩٣ هل كان عثمان مبيهاً الى الناس ؟	٢٢٦ سيرة عمر في عماله
٢٩٨ قن الكوفة	٢٤٠ صفته عن مال المسلمين
٣٠٩ قن البصرة	٢٤٥ تدوين الدواوين وفرض المطاه
٣١٩ قن مصر	٢٤٦ وصف عمر على الجلالة
٣١٥ مخادعة عبد الله بن سبا لأبي ذر	٢٤٧ بيت عمر
في الشام	٢٤٨ مقتل عمر
٣١٨ ابتداء العمل في الفتنة	٢٥٢ كيف انتخب عثمان
٣٢٧ دور الشدة في الفتنة	٢٥٨ الحالة العامة في عهد عمر
٣٣٤ عمل علي وعمل مروان مع الخليفة	
عثمان	
٣٣٩ محاصرة الخليفة وما كان في أيامه	عثمانه
٣٤٦ ما قعد بأهل المدينة عن نصر	١٦٤ ترجمته
عثمان	٢ أول قضية نظر فيها
٣٥١ إجمال الأسباب التي أدت الى	٢٦٨ أول خطبة له
قتل عثمان	٢٦٩ كتبه الى الامراء والامصار
٣٦٣ رواية محمد بن مسلمة في أمر الفتنة	٢٧٠ الامصار والامراء لأول عهد
٣٦٦ كيف قتل عثمان ؟	٢٧١ الفتوح في زمنه
٣٦٩ دفن عثمان	٢٧١ فتح أرمينيا والقوقاز

صفحة

صفحة

## على

٣٧٠ كيف انتخب ؟

٣٧٣ ترجمته

٣٧٥ خطته السياسية

٣٧٦ طلب الصحابة القود من قتلة عثمان

٣٧٨ نتيجة الفتنة وقتل عثمان في يد من علي

٣٨٠ أول أعمال علي

٣٨٣ اضطراب الخيل

٣٨٧ أمر عائشة

٤٠٦ وقعة الجمل وكيف أثارها السبيثون

٤١٠ نظرة في وقعة الجمل

٤١٤ علي ومعاوية وما كان بينهما

٤١٨ بدء أمر معاوية

٤١٩ شرحبيل بن السمط

٤٢١ مسير عمرو بن العاص الى معاوية

٤٢٣ خروج ابن أبي سرح الى مصر

٤٢٧ أمر صفين

٤٣٧ عقد التحكيم

٤٤٢ نتائج التحكيم

٤٤٥ اجتماع المسلمين

٤٥١ شأن الخوارج مع علي

٤٥٦ تحاذل شيعة علي

٤٥٧ شأن معاوية ومحمد بن أبي بكر

٤٦٧ ناشئت العراق والشام للثلاث العهد

٤٦٩ مقتل علي بن أبي طالب

٤٧٥ بيت علي

٤٧٦ صفة علي وأخلاقه

٤٨١ مبايعة الحسن بن علي

٤٨٧ صلحه مع معاوية

٤٨٤ نزول الحسن بن علي عن الامر

## مدينة الاسلام

علي عهد الخلفاء الراشدين

٤٨٥ الخلافة

٤٨٧ القضاء

٤٩ قيادة الجيوش

٤٩٢ الخراج وجبايته

٤٩٥ الجزية

٤٩٦ الصدقات

٤٩٦ العشور ( الجمارك )

٤٩٠ النقود

٤٩٩ الحج

٤٩٩ الصلاة

٥٠٠ العلم والتعلم





# خزانة الأدب

ما زالت المطبعة السلفية توالى إصدار أجزاء هذا الكتاب العظيم وكل جزء منها في أكثر من ٤٠٠ صفحة كبيرة مطبوعاً على ورق فاخر جداً بحروف جميلة . واعتمدنا في تصحيحه على نسخة العلامة الشنيطي الكبير المنقولة من خط المؤلف ، وحليناه بتصميمات العلامة الجليل صاحب العمادة الأستاذ أحمد تيمور باشا ، وبتصميمات وتعليقات المحقق الكبير الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي .  
استاذ آداب اللغة العربية في جامعة عليكرة الإسلامية في الهند  
لجاء من مفاخر ما قامت به الطباعة المصرية في هذه الأيام  
قيمة الاشتراك في كل جزء عشرة قروش مقدماً  
وعند تسليم كل جزء تدفع قيمة الاشتراك بالجزء الذي يليه





Goethe



COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU58952640

693.791 Ab33

Tarikh al-Islam : al